موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

الشباب في الإسلام

الدكتور : محمد راتب النابلسي



www.nabulsi.com info@nabulsi.com

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ينظر المسلم أحيانا يمنةً ويسرةً فيجد نفسه ضعيفاً، أو يجد نفسه مستضعفاً، لا يملك أن يمنع هذه القوى المخيفة التي تتحرك لتقضي على الإسلام، لكنه يملك أن يربي أولاده والإنسان إذا أراد ألا يموت، فعليه بتربية أولاده تربيةً إسلاميةً.

هؤلاء الأولاد هم شباب المستقبل والشباب هم أمل الأمة في النهوض من كبوتها .

إلى الآباء كلمة :



أما الآباء فلهم هذه الكلمة: لا شكَّ أن مهمة تربية الأولاد صعبة، لكن ما من عملٍ أعظم ولا أجدى ولا أدوم في حياة المؤمن من أن يربِّي المرء أولاده، فهم بضعةٌ منه، هم ثمرة قلبه، هم استمرار وجوده، وهناك آباء على مستوىً عالٍ من الفهم، وعلى مستوىً عالٍ من الكمال، وعلى مستوىً عالٍ من الإيمان، لكنَّهم يَشْقَون بشقاء أولادهم ، فالابن يحتاج إلى انتباه شديد وهو في سنٍ صغير، ويحتاج إلى وقتٍ مديد، إلى معاينةٍ، إلى مراقبةٍ، إلى توجيهٍ، إلى وعظٍ، إلى اصطحابٍ، يحتاج إلى جهد كبير.. لكن والله الذي لا إله إلا هو، حينما ترى ابنك كما تتمنى ديناً وصلاحاً واستقامةً وتفوّقاً تشعر بسعادةٍ ما بعدها سعادة.

الشاب هو ثمرة ذلك الابن الصغير في كنف والديه ولقد ورد في الأثر أن الابن الذي يهمله أبوه ويستحقُّ دخول النار، يقف بين يدي الله عزَّ وجلَّ ويقول: يا رب لا أدخل النار حتى أُدْخِل أبي قبلي، لأنَّه كان لي في دخولها سبباً.

هذا الكلام سهل.. إلقاؤه سهل، واستماعه سهل، لكن من حباه الله منكم بأولاد، لا يجب أن ينشغل عنهم لأنه إذا شب أحدهم في غفلةٍ منه، ولم يتلقَّ التوجيه الكافي، يتفلَّت من بين يديه ولن يستطيع أن يفعل معه شيئا فهو لا يستمع، ولا يرعوي، ولا يصغي، ولا ينتبه، إلى أن يصبح هذا الشاب عبئاً على أهله، فلذلك كل أخٍ عنده أولاد يجب أن يمضي جزءاً من وقته في تعريفهم بالله، في إكرامهم، في ملاطفتهم، في التحبُّب إليهم كي يشبوا كما يرضي الله عز وجل.

الكلمة مؤلمة التي يجب أن نسمعها جميعنا :نحن لا نملك سوى بيوتنا، فهل تملُك أن تغيّر شيئاً في العالم ؟ لا تملك، إذا لا يوجد بأيدينا سوى هذا البيت الذي هو مملكة المؤمن فعليك أن تقيم فيه الإسلام .

إلى الشباب كلمة :



أما الشباب فأقول لهم: أكبر مشكلة تواجه شبابنا اليوم مشكلة العولمة، فنحن كمسلمين معنا منهج السماء، نحن معنا تعليمات الصانع، نحن معنا منهج حكيم من عند خالق الكون، لكن الغرب يطلع علينا بمؤتمرات يريدون من خلالها أن يكون الزواج لا بين رجل وامرأة ولكن بين شخصين، مطلقاً، يريدون أن تكون المرأة حرة في أن تسكن في بيت غير بيت زوجها، وأن تسافر إلى حيث تشاء، وأن تعمل أي عمل تشاء، ولا سلطان للزوج على زوجته، يريدون الإجهاض الآمن وغيرها من الأمور الخطيرة على مجتمعاتنا، هذه عولمتهم يريدون أن يعمموها على الشعوب المسلمة، على الشعوب التي معها منهج الله، على الشعوب التي معها وحي السماء، فكيف يجابه شبابنا هذا الغزو الثقافي؟ لا يجابه إلا بالتسلح بالعلم، فأنت كشاب حينما تعرف الحقيقة ولماذا أنت في الأرض كأنك ملكت الدنيا فطلب الحقيقة حاجة عليا لدى الإنسان، وأنت حينما تعرف أنك مخلوق لحمل رسالة كبيرة تشعر بقيمتك في الحياة.

ولكن قد يقول قائل: ماذا نأخذ من الطرف الآخر وماذا ندع؟ أنا أقول لكل شاب: خذوا ما في عقولهم، ودعوا ما في نفوسهم، إحساسنا ملكنا، وإحساسهم ملكهم، بينما الثقافة قدر مشترك بين كل الشعوب، وإن ثقافة أي أمة هي بمثابة عسل استخلص من زهرات مختلف الشعوب على مرّ الأجيال، وهل إذا لدغتنا جماعة من النحل نقاطع عسلها؟ نأخذ ما رؤوسهم، نقوي بلدنا، نقوي أمتنا، نأخذ علمهم، وندع أخلاقهم، وقيمهم، وإباحيتهم، وثقافتهم، وضياعهم، وانحلال أسرهم، وتفككهم .

إلى المجتمعات الإسلامية كلمة :

وأما المجتمع فله دور مهم في إعفاف الشباب وتحصينهم وأقول للمجتمع: الشباب باكورة الأمم، وقد أوصى النبي ﷺ بالشباب خيراً، وإن أية أمة تريد أن تتقدم عليها أن تعنى بالشباب، لأنهم عصب الأمة، وقوام الأمة ومستقبل الأمة.

الحقيقة أن المجتمع شرائح ، فالطفولة شريحة ، والشباب شريحة ، والكهول شريحة ، والشيوخ شريحة ، لكل شريحة خصائصها ، وكأني بشريحة الشباب في هذا السن تتشكل القيم ، تتوضح الأهداف ، فالشاب في أعلى درجة من نشاطه وقوته ، فلذلك ورد في الأثر : "ريح الجنة في الشباب."



الشباب عماد الأمة ، وقوام الأمة ، ومستقبل الأمة ، فأي مجتمع يعتني بالشباب يضمن لهذا المجتمع الرقي والتقدم ، وأي مجتمع يهمل الشباب يدفع الثمن غالياً ، لأن الشباب إن لم تحقق أهدافهم المعقولة ، مطالبهم المعقولة يخسرهم المجتمع، فالشاب يحتاج إلى فرصة عمل وأكبر مرض يصيب أي مجتمع هو البطالة ، والشاب يحتاج إلى زوجة ، وإلى مأوى ، فلابد للمجتمع المسلم أن يسعى جاهداً لتأمين حاجات الشباب الأساسية الثلاث كي يضمن ولاءهم لمجتمعهم ، ويضمن قوة مجتمعهم، والنهوض به ، وأي مجتمع يهمل مطالب الشباب يصاب بإحباط شديد ، لأن القوة الفعالة قد تهاجر ، والحقيقة أن الدول النامية تعاني مشكلة كبيرة جداً حيث لا نوفر للشباب حاجاتهم الثلاث فيهاجرون، وإن هاجروا خسرتهم مجتمعاتهم.

هؤلاء الشباب المثقفون ثقافة عالية إذا غادروا بلادهم أصبح المجتمع عاجزاً عن الإبداع وعن التفوق والتقدم ، فلذلك خطر كبير جداً أن نحبط مساعي الشباب حتى يفكروا بهجرة أوطانهم ، هذا الشيء وقع في بعض البلاد الإسلامية.



من جهة أخرى نجد أن الشباب يتأرجحون بين تطرفين، تطرف تفلتي إباحي وتطرف تشددي منبته ديني.

هناك طاقات كبيرة جداً و في أوج هيجانها بين الشباب فإن لم يجد الشباب قنوات نظيفة لصرف هذه الطاقات فإن الشاب يتجه إلى الطريق غير المشروع في تصريفها عبر الإباحية.

أو أن الشباب ونتيجة للاحباط يتجهون إلى تطرفات مشوهة دينية المنشأ تؤدي بهم إلى التكفير ثم التفجير.



فإما أن توظف المجتمعات هذه الطاقات الكبيرة والمتألقة والمتقدة في خدمة الأمة ، وفي خدمة مستقبل الأمة ، وفي خدمة رفع شأن الأمة ، أو ستقع في إشكال كبير.

على المجتمعات الإسلامية أن تبحث عن المشكلة، وأن تعالج هذه المشكلة من أسبابها والدول كلما ارتقت تعالج أسباب المشكلة لا نتائجها.

أيضا لابد أن نلجأ إلى الخطاب الديني الناجع في توجيه الشباب بأن يكون منطلقا من الواقع، فهناك خطاب ديني تقليدي لا يروي ، أما حينما يطرح الداعية شبهة تسربت إلى الشباب ، ويوضح تفاصيلها ، ويأتي بالنص ، يأتي بالدليل الذي يؤيد هذا النص ، يأتي بالتاريخ ، يأتي بالنتائج الرائعة ، يتلقاها الشاب كدواء لجراحه، وهذا الخطاب إذا نجح روى الشباب وجعلهم يتوازنون.



لا ننسى أخيرا أن نبني جسور الحوار مع الشباب فالحوار أساسي جداً ، إذ أنه لا يوجد تلقين بالدين وإنما بالحوار مع الشاب تبني هذا الدين ، فإذا لقنته إياه من دون أدلة وبعنف نفر منه.

هذا الكتاب فيه مجموعة من الدروس الموجهة للشباب تتناول موضوعات عدة من ضمنها: الغزو الفكري وخطره، الشباب والإسلام، الشباب والشهوات، الشباب وكيفية الوصول إلى الله، الشباب والأصدقاء، الشباب والرياضة، الوعي الصحي لدى الشباب، كيفية إدارة الوقت من قبل الشباب، الشباب وحقوق الآباء وموضوعات عامة أخرى تتعلق بالشباب.

نأمل أن يكون هذا الكتاب مرشدا لكل مرب ولكل أسرة ولكل مجتمع كي نحافظ على هذه الثروة ولكي تزهر مجتمعاتنا وتعطي ثمارا يانعة نقطفها في المستقبل إن شاء الله بما فيه نهوض وتقدم أمة الإسلام.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الأول : الغزو الفكري و خطره

الدرس (1−2) : الغزو الفكري و خطره على الشباب العربي

الدرس (2−2) : خطر الغزو الفكري من خلال أجهزة التلفاز سبب لهدم البيوت المسلمة

الدرس (1-2) : الغزو الفكري و خطره على الشباب العربي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، باسمكم جميعاً نرحب بالدكتور محمد راتب النابلسي لقبوله إجابة هذه الدعوة، ليلقي محاضرة أمامكم بعنوان: " الغزو الفكري وخطره على الشباب العربي ".

طلب الحقيقة هي الحاجة العليا للإنسان :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الأخوة الكرام؛ بادئ ذي بدء أشكر لكم من أعماقي دعوتكم تلك، وإن عبرت عن شيء فإنما تعبر عن وحدة الأخوة الكرام فيما بينهم، وفيما بيننا، فأنتم ضيوفنا ونحن أهلكم إن شاء الله، وهذه البلدة الطيبة معروفة في بقاع العالم أنها تحتضن طلبة العلم، وأن طالب العلم تضع الملائكة أجنحتها رضا بما يصنع، ومن سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة.



الإنسان عقل يدرك، وقلب يحب، وجسم يتحرك، العقل له غذاء وهو العلم، والقلب له غذاء وهو الحب، والجسم له غذاء وهو الطعام والشراب، فمن غذى هذه الجوانب الثلاثة مجتمعةً تفوق، ومن غذى أحدها تطرف، وفرق كبير بين التفوق وبين التطرف، أنت إنسان لك عقل يدرك، وقلب يحب، وجسم يتحرك، لابد من أن تحب، تحب من؟

بادئ ذي بدء: تحب الحقيقة، لأن طلب الحقيقة هي الحاجة العليا للإنسان، فيه حاجات عليا، وفيه حاجات دنيا، الحقيقة حاجته العليا، وأبرز ما في هذه الحقيقة أن لهذا الكون خالقاً عظيماً، ومسيراً حكيماً، ورباً رحيماً، وأن هؤلاء البشر جميعاً عباده.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾

[سورة الحجرات: 13]

اللام لام التعليل، علة تنوع الألسنة والألوان والخصائص علة التعارف والتكامل لا علة القتل والإيذاء، العالم اليوم يمتلئ جوراً وظلماً، العالم اليوم يضج بالجرائم، يضج بالعنصرية، يضج بالفوقية.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

[سورة الحجرات: 13]

((كلكم لآدم وآدم من تراب، الخلق كلهم عيال الله، فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله))

[الطبراني في الكبير عن ابن مسعود]

أيها الأخوة الأحباب؛ نحن في أمس الحاجة إلى هذه المعاني التي تجمعنا، وفي اجتماعنا قوة، نحن في أمس الحاجة إلى هذه المعاني التي تؤلف قوتنا.

العبادة علة وجود الإنسان على سطح الأرض :

أيها الأخوة؛ الحقيقة الأولى: أنك إذا سافرت إلى بلد ونزلت في أحد فنادقه، واستيقظت في صبيحة اليوم الأول ثم قلت: إلى أين أذهب؟ نسألك نحن: لماذا جئت لهذا البلد؟ إن جئته طالب علم فاذهب إلى المعاهد والجامعات، وإن جئته تاجراً فاذهب إلى المعامل والمؤسسات، وإن جئته سائحاً فاذهب إلى المقاصف والمتنزهات، ماذا نفهم من هذا؟ لا يمكن أن يصح عملك إلا إذا عرفت سرّ وجودك، أنت هنا من أجل أن تعبد الله، لأن الله عز جل يقول:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

[سورة الذاريات: 56]

ما العبادة؟ يفهمها بعض الناس فهماً ضيقاً ساذجاً، العبادة طاعة طوعية ممزوجة بمحبة قلبية أساسها معرفة يقينية تفضي إلى سعادة أبدية، أنتم الآن في الشام، بلدكم الثاني إن شاء الله، لكن أليس هناك وضوح شديد في أذهانكم أنكم هنا للدراسة، فأي نشاط في الشام بعيد عن الدراسة مضيعة للوقت وخسارة، أنت هنا من أجل أن تدرس، لماذا أنت على سطح الأرض؟ من أجل أن تعبد الله، من هي الجهة الوحيدة التي ينبغي أن تتبع تعليماتها؟ إنها الجهة الصانعة.

إذا عندك جهاز بالغ التعقيد غال جداً، مفيد جداً، وأصابه خلل، أنت تبحث عن إنسان لإصلاحه، هل تبحث عن صديق محب أم عن خبير؟ قال تعالى:

﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾

[سورة فاطر: 14]

فالذي خلقنا هو الخبير.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾

[سورة البقرة: 21]

إذاً نحن على سطح الأرض من أجل أن نعبد الله، وعبادة الله تعني طاعته طاعة طوعية، ممزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾

[سورة الإسراء :70]

الإنسان هو المخلوق الأول و المكرم :

لأنك إنسان أنت المخلوق الأول، من عرف نفسه عرف ربه، لأنك إنسان أنت المخلوق الأول.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾

[سورة الأحزاب :72]

إذاً إن أردت أن يصح عملك لا بد من أن تعرف سرّ وجودك، لماذا أنت على سطح الأرض؟ لماذا أنت مخلوق؟ أنت المخلوق الأول، أنت المخلوق المكرم:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ ﴾

[سورة الإسراء: 70]

أنت المخلوق المكلف:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

[سورة الذاريات: 56]

من عرف نفسه عرف ربه، أنت مخلوق لجنة عرضها السموات والأرض، وجئت إلى الدنيا من أجل أن تدفع في الدنيا سبب دخول الجنة، فأي نشاط يبتعد عن أن يكون ثمناً للجنة نشاط ضائع.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴾

[سورة الكهف : 103-104]

السعيد من عرف سرّ وجوده و جاءت حركته مطابقة لهدفه :

إذاً يصح عملك إذا عرفت سرّ وجودك في الدنيا، كما أنك تفلح في دمشق إذا عرفت أن سرّ وجودك فيها من أجل أن تدرس، الآن متى تسعد؟ أنتم الآن طلاب علم، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن تكونوا أعلاماً في بلادكم، وأن تكونوا قادةً لأممكم، وأن تكونوا مشاعل نور في هذه الجاهلية الجهلاء، التي طغى فيها الشر على الخير، يقول عليه الصلاة والسلام:

((تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً حتى يأتي أخي عيسى فيملؤها قسطاً وعدلاً))

[ابن ماجه عن عبد الله بلفظ قريب منه]



كيف تسعد؟ لو أنك على مشارف امتحان مصيري، السنة الأخيرة، التخرج المادة الأساسية، وإذا نجحت يبنى على نجاحك أن تعود إلى بلدك رافع الرأس، أن تتسلم أعلى منصب رفيع، وجاء إخوانك الذين يحبونك وأخذوك إلى مكان جميل حول الشام، مناظر جميلة، طعام طيب، هل ترتاح أنت؟ الامتحان بعد أيام، والمكان جميل، والطعام طيب، والأصدقاء يحبونك، هل هذه الحركة- أن تذهب إلى نزهة، وأن تأكل أطيب الطعام، وأن تستمتع بأجمل المناظر- متناسبة مع هدفك الخطير؟ غير متناسبة، إذاً تتألم، أنت في مكان جميل متألم، تأكل أطيب الطعام متألم، تجلس إلى أصدقاء يحبونك متألم، أما إذا قبعت في غرفتك، وقرأت الكتاب المقرر وفهمته، فتشعر براحة، إذاً متى يرتاح الإنسان؟ إذا جاءت حركته متوافقة مع هدفه، متى يرتاح التاجر؟ إذا كان هناك بيع شديد، قد يقف ولا يجلس، قد ينسى أن يأكل، هو أسعد الناس، لأنه يبيع ويشتري، أما إذا لم يكن هناك زبائن، ولا بيع ولا شراء، وجالس على مقعد وثير، ويأكل أطيب الطعام، لماذا هو

متألم؟ لأن هذا الركود في السوق يزعجه، إذاً: يصح عملك إذا عرفت سرّ وجودك، وتسعد إذا جاءت حركتك مطابقة لهدفك، هذه حقائق أساسية، ما كل ذكي بعاقل، قد تكون ذكياً جداً، وقد تستوعب كتاباً ضخماً، وقد تنال درجات عالية في الامتحان، وقد تكون الأول، ولست عند الله عاقلاً، من هو العاقل؟ الذي عرف ربه، والذي عرف سرّ وجوده، وعرف غاية وجوده، وعرف المنهج الذي ينبغي أن يسير عليه، وعرف الهدف الذي خلق له، هذا هو العاقل، لذلك مرّ النبي عليه الصلاة والسلام بمجنون، فسأل سؤال العارف: من هذا؟ قالوا: هو مجنون، قال: لا، هو مبتلى، المجنون من عصى الله.

منهج الله عز وجل ضمان لسلامتنا :

أخوتنا الكرام؛ أكرمكم الله ووفقكم في دراستكم، ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا وجعل لها قناة نظيفة تسري خلالها، ليس في هذا الإسلام العظيم حرمان أبداً، إذاً ليس في الإسلام حرمان، أنت حينما تمشي في أرض ممتدة، ورأيت لوحة كتب عليها: انتبه حقل ألغام، هل تشعر بحقد على من وضع اللوحة أم بشكر وامتنان؟ بشكر، هل هذه اللوحة قيد لحريتك أم هي ضمان لسلامتك؟ ضمان لسلامتك، أنت حينما تفهم الأمر والنهي، حينما تفهم منهج الله عز وجل على أنه ضمان لسلامتنا تطبقه قلباً وقالباً، تطبقه في بلدك وفي غير بلدك، أعجبتني كلمة من أحد الطلاب قال: هناك أشخاص دينهم جغرافي، بمعنى أنهم يطيعون الله في بلدهم، فإذا سافروا إلى بلد آخر يعصونه، الله عز وجل وهو معكم أينما كنتم، هذه نقطة.

النقطة الأولى أن العبادة طاعة طوعية ممزوجة بمحبة قلبية أساسها معرفة يقينية تفضي إلى سعادة أبدية.

جوانب العبادة :

في العبادة جوانب ثلاثة؛ كما أن الإنسان له جوانب ثلاثة في العبادة جوانب ثلاثة؛ فيها جانب معرفي، يجب أن تطلب الحقيقة، لأن العقل غذاؤه العلم، وفيها جانب سلوكي حركي، افعل ولا تفعل، الإسلام منظومة قيم، مجموعة أوامر ونواه، فلا بد من أن تعرف هذا، لأن هذا متعلق بسعادتك، أنت حينما تعد نفسك أعقد آلة في الكون تعقيد إعجاز لا تعقيد عجز، وأن لهذه الآلة صانعاً حكيماً، وأن لهذا الصانع الحكيم تعليمات التشغيل والصيانة، إقبالك على تنفيذ تعليمات الصانع عقل وأي عقل، ومصلحة وأية مصلحة، وعدل وأي عدل، لذلك ورد عند بعض العلماء أن الشريعة عدل كلها، مصلحة كلها، حكمة كلها، رحمة كلها، فأية قضية خرجت من الرحمة

إلى القسوة، ومن العدل إلى الجور، ومن المصلحة إلى المفسدة، ومن الحكمة إلى خلافها، فليست من الشريعة ولو أدخلت عليها بألف تأويل وتأويل، أولاً: لابد من طلب الحقيقة.

أيها الأخوة؛ العلم هو الوصف المطابق للواقع مع الدليل، فأنت طالب علم ينبغي أن تعتقد ما هو علمي، وأن ترفض ما ليس بعلمي، لأنه لا يليق بالإنسان إلا أن يطلب الحقيقة، لكن هناك معتقدات فاسدة، عادات فاسدة، تقاليد، أشياء جاءتنا عن الغرب، وهذا محور المحاضرة.

مجابهة الغزو الفكري :

أيها الأخوة؛ صدقوني أن أهون شيء – وقد يبدو لكم هذا غير معقول– هو الغزو العسكري، لكن الغزو الثقافي الذي تفضل به الأخ الكريم عندما قدمني إليكم هو أخطر شيء، والآن هناك في العالم ما يسمى بالعولمة، العولمة أن تعمم نمطاً من السلوك، ثقافةً من الثقافات على العالم كله، ولم أر كلمةً تشبهها ككلمة الحيونة، أي أن يعود الإنسان حيواناً، أن تزول الفروق بين الذكر والأنثى، أن تنسف القيم التي آمنا بها جميعاً، فلذلك أيها الأخوة: أكبر مشكلة تواجه العالم اليوم مشكلة العولمة، مثلاً نحن معنا منهج، نحن معنا منهج السماء، نحن معنا تعليمات الصانع، نحن معنا منهج حكيم من عند خالق الكون، يطلعون علينا بمؤتمرات هذه المؤتمرات عقدت في مدن كثيرة، عقد أحدها في القاهرة، والثاني في بكين، والثالث في نيويورك، مؤتمرات السكان، يريدون أن يكون الزواج لا بين رجل وامرأة ولكن بين شخصين، مطلقاً، يريدون أن تكون المرأة حرة في أن تسكن في بيت غير بيت زوجها، وأن تسافر إلى حيث تشاء، وأن تعمل أي عمل تشاء، ولا سلطان للزوج على زوجته، يريدون الإجهاض الآمن، بنود مؤتمرات السكان يقشعر منها البدن، هذه عولمتهم يريدون أن يعمموها على شعوب مسلمة، على شعوب معها منهج الله، على شعوب معها وحي السماء، على شعوب عندها منهج دقيق افعل ولا تفعل، فلذلك لا نستطيع إلا أن نتسلح بالعلم .

أقول لكم هذه الكلمة من أعماقي: قديماً قبل خمسين عاماً كان الفساد في بؤر محددة، كحديقة حيوان تقليدية، الوحوش في الأقفاص، تفهمون عليّ، والناس الزوار طلقاء، الآن وضع العالم اليوم كحديقة حيوان في إفريقيا، الوحوش طليقة، والزوار ينبغي أن يدخلوا إلى سيارات مصفحة فإن لم يفعلوا قتلوا، ونحن الآن هذه العولمة في الصحف، وفي الإذاعة، وفي التلفزيون، وفي الفضائيات، أينما ذهبت هناك من يريد أن يلغيك، أن يلغي مبدأك، أن يلغي اتجاهك الإسلامي، وأن يفرض عليك عولمته، وثقافته، واتجاهه، فلابد من أن نعتصم بهوتنا.



﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

[سورة الحجرات: 13]

فلذلك هذه العولمة كما سماها الأخ الكريم الغزو الفكري، هذا لا يجابه إلا بتأصيل منهج السماء، بمعرفته، هذا منهج خالق الكون، هذا منهج الخبير، هذا منهج لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لو عكفتم على قراءة بنود هذا المنهج لوجدتم أنه المنهج الأمثل، منهج العدل، منهج الرحمة، منهج المصلحة، منهج الحكمة، فكيف نجابه هذا الغزو الثقافي؟ لا يجابه إلا بالتسلح بالعلم، الحقيقة يطرب الإنسان لها، الحقيقة غذاء الروح، أنت حينما تعرف الحقيقة كأنك ملكت الدنيا، أنت حينما تعرف لماذا أنت في الأرض كأنك ملكت الدنيا، أنت حينما تعرف أنك مخلوق لحمل رسالة كبيرة تشعر بقيمتك في الحياة.

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

[سورة آل عمران: 139]

الحقيقة ترون أن هؤلاء الطرف الآخر– أنا أسميهم الطرف الآخر في محاضراتي كلها– يريدون أن يعيشوا وحدهم، وأن يفرضوا على الشعوب الأخرى ثقافتهم، وعولمتهم، وحيونتهم، يريدون أن يستعبدوا الآخرين، ونحن لا نكون أحراراً إلا إذا عرفنا الله، إلا إذا عرفنا أن هذا الخالق العظيم لو أنه أوكلنا إلى غيره لا يستحق أن نعبده.

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾

[سورة هود: 123]

الله مع المؤمنين بالنصر و التأييد :

أنت حينما تعرف الله، وتعرف منهجه، وتنطلق إلى عبادته تصبح كائناً عظيماً، كان أصحاب النبي الواحد بألف، والناس التافهون البعيدون عن منهج الله الألف كأف، أف، نفس بصوت مسموع، فحينما كان أحد قواد المسلمين سيدنا خالد بن الوليد في معركة احتاج إلى مدد خمسين ألفاً، أرسل له الصديق واحداً هو القعقاع بن عمرو، فلما وصل إليه قال له: أين المدد؟ قال له: أنا المدد، واحد! عجب، معه كتاب، قال له الصديق: يا خالد لا تعجب أن أرسلت إليك واحداً، و الذي بعث محمداً بالحق إن جيشاً فيه القعقاع لا يغلب، وأنتم ترون الآن أن كيف شاباً حفظ كتاب الله، أراد أن يقدم حياته لزعزعة كيان عدو، كيف أنه ألغى السلاح النووي، وألغى الطائرات، وألغى التكنولوجيا، وألغى كل شيء، الحرب بدأت بالإنسان وانتهت بالإنسان:

أتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

***

لكن لا بد من أن تعرف الله من أجل أن تستمد منه القوة، إذا كان الله معك فمن عليك؟ وإذا كان الله عليك فمن معك؟ ما معك أحد، أنت حينما تكون مع الله كان الله معك، ومعنى أن الله معك أن يؤيدك، وينصرك، ويحفظك، ويوفقك، وهذا معنى قوله تعالى: إن الله مع المؤمنين، إن الله مع المتقين، إن الله مع الصادقين.

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

[سورة الأنفال : 46]

هو معك بالتأييد، ومعك بالحفظ، ومعك بالنصر، ومعك بالتوفيق، فإذا كان الله معك فمن عليك؟ وإذا كان الله عليك فمن معك؟ أنتم طلاب وإن شاء الله تكونون في المستقبل القريب أعلاماً في أممكم، ولكن هذا الصحابي الشاب الذي اسمه أسامة بن زيد، أسامة بن زيد كان حب رسول الله، عينه قائداً للجيش، في هذا الجيش أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، كبار الصحابة، أجلاء الصحابة، شيوخ الصحابة جنود تحت إمرة سيدنا أسامة، وكان حب رسول الله، مشى الصديق في ركابه، فاستحى، قال: والله يا خليفة رسول الله لتركبن أو لأنزلن، قال: والله لا ركبت ولا نزلت، وما عليّ أن تغبر قدماي ساعة في سبيل الله، هذا هو الدين، صنع من شاب بطلاً، وصنع من شاب قائداً للجيش، والله أيها الأخوة لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

((إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء))

[مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة]

ضرورة أخذ ما في عقول الغرب و ترك ما في نفوسهم :

ولكن قد يقول قائل: ماذا نأخذ من الطرف الآخر وماذا ندع؟ أنا أقول لكم: خذوا ما في عقولهم، ودعوا ما في نفوسهم، إحساسنا ملكنا، وإحساسهم ملكهم، بينما الثقافة قدر مشترك بين كل الشعوب، إن ثقافة أي أمة هي بمثابة عسل استخلص من زهرات مختلف الشعوب على مرّ الأجيال، وهل إذا لدغتنا جماعة من النحل نقاطع عسلها؟ نأخذ ما رؤوسهم، نقوي بلدنا، نقوي أمتنا، نأخذ علمهم، وندع أخلاقهم، وقيمهم، وإباحيتهم، وثقافتهم، وضياعهم، وانحلال أسرهم، وتفككهم.

شاب أحب فتاةً في أمريكا، استشار والده قال: لا يا بني إياك إنها أختك وأمك لا تدري، فلما أحبّ ثانية استشار أباه قال له: أيضاً إنها أختك وأمك لا تدري، أحب الثالثة قال له أيضاً إنها أختك وأمك لا تدري فانزعج، وأسر إلى أمه بهذا الكلام، قالت له: خذ أياً شئت أنت لست ابنه وهو لا يدري، هذا هو مجتمعهم، أما المسلمون فهم في انضباط، وعفة، ووفاء زوجي، وأسرة متماسكة، وأب، وأم، وأولاد، نحن معنا وحي السماء، نحن معنا منهج الله، نحن معنا قيم رفيعة من عند خالق الأرض والسموات، لسنا بحاجة إلى ثقافتهم، ولا إلى عولمتهم، ولا إلى إباحيتهم، بل يوم كان المستعمر يحتل بجنوده أرض بعض البلاد كان الأمر أقل من هذا الغزو الثقافي، الذي هو محور هذه المحاضرة، لأن الإنسان حينما يجد أن هناك عدواً في بلده يستبسل، أما حينما ينهار أمام فيلم إباحي أو أمام محطة فضائية فلن يفيدنا بشيء.

أحد رؤساء فرنسا ماذا قدم لشباب إفريقيا؟ قدم هدية، توقعوا ما هذه الهدية؟ محطة إباحية، قدمها مجاناً لدول شمال إفريقيا، من أجل ماذا؟ من أجل أن ينهار الإنسان، أن يتخلى عن قيمه، الإنسان قوي إذا كان مع الله، أما إذا انحرف وسقط في شهوة محرمة فأصبح أضعف المخلوقات، وهذا المعنى قاله القرآن الكريم، قال:

﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ﴾

[سورة الزخرف :54]

لما فسقوا ضعفوا، فأنتم إن شاء الله مستقبل أمامكم، وهذا المستقبل يحتاج إلى وعي، أنا أتمنى عليكم أن تتغذوا غذاءً صحيحاً، هناك مثل معروف، وعاء الماء الذي يحافظ على برودة الماء، هذا الوعاء له فتحة من أعلى، وله صنبور من أسفل، الشيء الذي تضعه في الأعلى تأخذه من الأسفل، والتغذية التي تتغذاها ثقافياً تنطق بها، أنت لا تنطق إلا بما غذيت، فحينما يغذى الإنسان بثقافة ماجنة، أو ثقافة منحرفة، ماذا أقول لكم؟ سفير دولة عظمى عين قبل شهر تقريباً في بلد أوربي.

من تقاليد تعيين السفير أن يقام له حفل وداعي في بلده، يحضره وزير الخارجية ليعطى أوراق اعتماده، لتقدم إلى رئيس الدولة في البلد الذي هو سفير فيه، ومن عاداتهم هناك أن تأتي معهم زوجاتهم ليشهدن حفل تكريم أزواجهم، من كانت مع هذا السفير؟ لم يكن معه زوجة كان معه شريك جنسي، هذه عولمتهم، إنسان محترم يعين سفير بدولة عظمى في بلد أوربي، جاء ومعه شريكه الجنسي، وفي الإسلام الشذوذ غير الزنا، الزنا خلاف الحكم الشرعي، بينما الشذوذ خلاف الفطرة، وفرق كبير بين أن تجانب الفطرة وبين أن تجانب الحكم الشرعي، أنا أريد أن أقول لكم: لا بد من أن نستقي ثقافتنا وعقائدنا ومنهجنا من خالقنا، لأنه الجهة الصانعة، ولأن الجهة الصانعة الجهة الوحيدة التي ينبغي أن تتبع تعليماتها.

ضرورة شحن المؤمن بشحنة علميّة وروحيّة ليصبح قوياً :

أيها الأخوة الأحباب؛ الآن ترون الهواتف الخلوية، تسمعون بها وترونها، هذا الهاتف الخلوي إن لم يشحن هل يتكلم؟ هل يستعمل؟ هل يصلك بإنسان؟ لا بد من شحن، صدقوني أيها الأخوة وكذلك المؤمن لا بد من أن يشحن، إن شحنت شحنة روحية علمية ونفسية أصبحت قوياً.

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

[سورة آل عمران: 139]

﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾

[سورة الحج :40]

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾

[سورة آل عمران : 146]



كنت قبل عشرين عاماً أو أكثر أدرس صفاً في التعليم الثانوي، وكان هناك كتاب مقرر لفرانز فانون، تسمعون بهذا الكتاب؟ معذبو الأرض، يصف وحشية الغرب في إفريقيا، الحقيقة الكتاب يجب أن تقرأه أي جريمة ما بعدها جريمة، اضطهاد ما بعده اضطهاد، استغلال ما بعده استغلال، الإنسان إذا انحرف عن منهج الله يغدو وحشاً، وهذا الوحش الآن ظهر جلياً، ترونه جميعاً كيف أنه

يحب أن يعيش وحده، وأن يستمتع بالحياة وحده، يحب أن يبني وجوده على أنقاض الآخرين، يحب أن يبني حياته على موت الآخرين، يحب أن يبني أمنه على خوف الآخرين، يحب أن يبني غناه على إفقار الآخرين، ليس فيه عدل إطلاقاً، والذي تعانونه أنتم في بلادكم كنا نعانيه نحن قديماً في بلادنا، فالهم واحد، فلذلك لا بد من أن تنهضوا أنتم، أن تنهضوا في معرفة الله، وأن تنهضوا في معرفة منهجه، وأن تنهضوا لحمل رسالة السماء إلى شعوب الأرض، وأن تنهضوا لحمل همّ المسلمين في شتى بقاع الأرض.

الرابطة الدينية أقوى رابطة في العالم اليوم :

الحقيقة الرابطة الدينية أقوى رابطة في العالم اليوم، أنت حينما ترى أخاً لك في أي مكان، الصحابة الكرام ضربوا أعلى مثل، لما جاء المهاجرون إلى المدينة كل أنصاري آخى مهاجراً، فكان الأنصاري يقول لأخيه المهاجر: عندي بستانان لك أحدهما، عندي دكانان لك أحدهما، وكان المهاجرون في أعلى درجة من العفة، كان أحدهم يقول: بارك الله لك في مالك ولكن دلني على السوق.

إذاً أنت حينما تنتمي إلى أمة عظيمة تشعر بالتعاون، تشعر بالقوة، وأنتم كما أتمنى يجب أن تنتموا إلى هذا الدين العظيم، وأن تنتموا إلى هذه الأمة التي جعلها الله وسطاً بين الأمم، وهي الآن مقصرة في أداء رسالتها، لكن أرجو الله سبحانه وتعالى أن تكون هذه الأحداث التي جاءتنا من الغرب سبباً في إيقاظنا وتفتحنا وصحوتنا من غفلتنا، أنا أدع لكم وقتاً للحوار والأسئلة فإلى مداخلاتكم إن شاء الله.

و الحمد لله رب العالمين

أسئلة و أجوبة :

مواجهة الأعداء بكسب المال الحلال واستخراج الثروات وكفاية أنفسنا :

ج: شكراً جزيلاً، سؤال مهم جداً بارك الله بك ونفع بعلمك، أنا أرى أن الأعداء أو أن الطرف الآخر لا يستطيعون مواجهة الإسلام، لكن أرادوا تفجيره من داخله كما قلت تماماً، بأن يصطنعوا أناساً من بني جلدتنا، ولكنهم مستغربون، ثقافتهم غير ثقافتنا، قيمهم غير قيمنا، إنهم مصطنعون، لهم مظهر ولهم مخبر، هذه حقيقة صارخة، لذلك ألخصها بهذه المقولة: نحن نخشى على الإسلام لا من أعدائه بل من أدعيائه، من الذين حملوا شعائر

الإسلام وفجروه من داخله، هذا الكلام صحيح مئة بالمئة، أما كيف نواجههم؟ أيها الأخ الكريم جزاك الله خيراً، الطرف الآخر إذا أراد إفقارنا، أول عبادة لنا أن نكسب المال، أن نصنع ثرواتنا، أن نكتفي ألا نستورد، أن نكتفي بثرواتنا، أن نصنعها، أن نستخرجها، إن أراد الطرف الآخر إفقارنا فعبادتنا الأولى كسب المال الحلال، واستخراج ثرواتنا، والحفاظ عليها، وتصنيعها، وكفاية أنفسنا.

الآن كلامك، إن أراد الطرف الآخر إضلالنا فالعبادة الأولى أن نوضح الحق، وأن نبين حقيقة هذا الدين، أن نرد عليهم باليقين، هم يعتمدون على الأكاذيب، وعلى الأضاليل، وعلى المغالطات، ينبغي أن نبين، حينما تجد في مجتمع ضلالات، وأفكار هدّامة، أول عبادة أن توضح الحق، أن تبين، أن تدرس، أن تتعلم أن تكون داعية، لأن معركة الحق والباطل معركة أزلية أبدية، فلابد من أن نقف ونوضح وهذه مهمة العلماء في الإسلام أن يوضحوا، لأنه لا يمكن أن تقوم للباطل حجة، لكن تقوم حجة عند الجاهل، أنت إذا نورت الجاهل وبينت له أن الإنسان خلق لكذا، هذا منهجه، وهذا يعود عليه بالخير، أي الشبهات تنجلي باليقين، والإفقار ينجلي بكسب المال، والإذلال ينجلي بالاعتزاز.

من دخل في هذا الدين العظيم هو منا ونحن منه :

سيدنا عمر جاءه ملك، اسمه جبلة بن الأيهم، كان يطوف حول الكعبة فداس بدوي من فزارة طرف ردائه فضربه ضربةً هشمت أنفه، هذا البدوي شكاه إلى عمر، عمر استدعاه، قال له أصحيح ما ادعى هذا الفزاري الجريح ؟ – صيغت شعراً– قال: لست مما ينكر شيا، أنا أدبت الفتى أدركت حقي بيدي، قال: أرضِ الفتى لا بد من إرضائه مازال ظفرك عالقاً بدمائه أو يهشمن الآن أنفك وتنال ما فعلته كفك، قال: كيف ذاك يا أمير هو سوقة وأنا عرش وتاج؟ كيف ترضى أن يخر النجم أرضاً؟ قال له: نزوات الجاهلية ورياح العنجهية قد دفناها وأقمنا فوقها صرحاً جديداً وتساوى الناس أحراراً لدينا وعبيداً، قال: كان وهماً ما جرى في خلدي أنني عندك أقوى وأعز، أنا مرتد إذا أكرهتني، قال: عنق المرتد بالسيف تحز عالم نبنيه كل صدع فيـه بشبا السيف يداوى، وأعز الناس بالعبد بالصعلوك تساوى.

سيدنا عمر وهو خليفة المسلمين، عملاق الإسلام، يخرج إلى ظاهر المدينة ليستقبل بلالاً، هذا هو الدين.

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

[سورة الحجرات: 13]

هذا هو الدين، خليفة المسلمين، عملاق الإسلام يخرج لظاهر المدينة ليستقبل بلالاً، لأن الإسلام أممي، كل من دخل في الإسلام هو منا ونحن منه، له ما لنا وعليه ما علينا، هذا أكمل شيء، كل من دخل في هذا الدين العظيم هو منا ونحن منه، له ما لنا وعليه ما علينا، سؤال وجيه جداً سؤالك جزاك الله خيراً، وعليكم السلام ورحمة الله.

تعريف العولمة :

ج: العولمة تعني أن تعمم ثقافتهم، وفكرهم، وأنماط سلوكهم على العالم كله، أنا أعني ما أقول، يعقدون مؤتمرات و هذه المؤتمرات تسن قوانين مثل تأخير الزواج إلى الأربعين، وأن يمارس الشباب العلاقات في بيوت آبائهم وأمهاتهم قبل الزواج، والإجهاض الآمن، والزواج عقد بين شخصين، بين ذكرين أو أنثيين، أو أنثى وذكر، هذه طموحاتهم يعممونها على العالم كله، فسميت اصطلاحاً العولمة، أي من العالم، شيء على العالم كله معمم، أنا لي رأي دقيق لعلي أوضحه لكم، تعرفون الخلاط- خلاط الفواكه، كوكتيل- الآن العالم كله في خلاط كبير، نحن كمسلمين عندنا ماء نقي، وعندنا طعام طيب، وعندنا لحم، نضعه في الخلاط، ويوجد خنزير، وخمر ومياه آسنة، وكله يدور، الآن بالعالم شيء اسمه خلط الثقافات، العالم كان كل أمة تحافظ على ثقافتها، وعلى خصائصها، الآن بهذا التواصل الإعلامي أصبح العالم كله قرية، ثم أصبح بيتاً، الآن أصبح غرفةً واحدة، طبعاً يوجد فوائد، وهناك سلبيات، السلبيات أن كل الشر في العالم والانحراف عمم على العالم كله، فالعولمة أن تعمم ثقافة الغرب، وإباحيتهم، وانهيار خلقهم، وتفكك أسرهم، وعبادتهم للشهوة، وبعدهم عن الدين، أن يعممونها على العالم كله، هذه العولمة، واضحة ؟

العولمة الإسلامية :

ج: هذه القارورة فيها ماء نظيف مئة بالمئة، ماء معدني جيد جداً، إذا كان هناك قارورة أخرى لا سمح الله فيها مياه مالحة، مياه قذرة، إذا عممنا هذه المياه القذرة على العالم عملنا جريمة، أما إذا عممنا هذا الماء النقي فنكون قد عملنا أعظم عمل .



فالإسلام عولمة أيضاً، أنا معك مئة بالمئة الإسلام معه منهج خالق الكون، معه العدل، حينما هاجر أحد الصحابة قبض عليه بعض الكفار، قال لهم: عهداً لله إن أطلقتموني لن أقاتلكم، أطلقوه، ذكر هذا للنبي الكريم، بعد سنتين كان هناك غزوة فانخلط مع الغزوة، قال له: ارجع ألم تعاهدهم؟ العولمة الإسلامية تعني تعميم الحق، تعميم الخير، تعميم الجمال الحقيقي، تعميم الإنصاف، تعميم الرحمة، تعميم الخدمة، لذلك ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب، الإسلام أممي، والإسلام فيه عولمة، لكن أنت تعولم منهج خالق الكون، لا تعولم منهج إنسان ساقط بالشهوات، فنحن العولمة كمبدأ لا يوجد بها أي شيء، أنا أعولم لكن لا إكراه في الدين، لا أعولم بالقوة.

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾

[سورة النحل : 125]

فنحن عندنا عولمة، فإذا كنا متفهمين لديننا، و كنا مثلاً عليا، فإن عولمتنا تغلب عولمتهم، هناك صراع بين عولمتين عولمة الكفر، وعولمة الإيمان.

انتشار العولمة الإسلامية بالإقناع لا بالقوة :

ج: بارك الله، هذا الحق، فقط كفكرة، هل تعتقد أن منهج خالق الكون يمكن أن يضعف أمام منهج إنسان كافر؟ لكن نحن مقصرون، أنا معك، علماء المسلمون مقصرون أشدّ التقصير، حينما نتعلم، وحينما يتاح لنا أن ننطق، وأن نتكلم، وأن نؤلف، وأن نطبع الكتب، وأن نرسل بعثات، وأن نقيم مراكز إسلامية في العالم الغربي، جاء أمريكي إلى مكة حاجاً قال: نحن أقوى دولة بالعالم، لكن إذا أقنعتمونا بالإسلام قوتنا لكم، نحن كمسلمين مقصرون أشدّ التقصير، نحن معنا الحق، والحق قوي.

الآن شخص اسمه جيفري لانج أستاذ رياضيات في سان فرانسيسكو، أكبر ملحد في العالم، جاءته طالبة مسلمة شرق أوسطية في أيام الصيف الحارة محجبة بشكل كامل، هو ملحد قال: لا بد أن هذه الفتاة عندها قناعات قوية جداً حملتها على هذا الحجاب في بلد كأمريكا في الأيام الحارة، فإذا بها تحمل دكتوراه في الرياضيات، هذا الأستاذ الملحد عكف على كتب الإسلام فدرسها، الآن أكبر داعية إسلامي، إسلامنا قوي جداً، دليل عندي سيدنا خالد أسلم، قال له النبي الكريم: عجبت لك يا خالد أرى لك فكراً، لا يمكن لإنسان ذكي ألا يسلم، لأن الإسلام منهج خالق الكون، الإسلام وحي، والعقل يتوافق معه، والفطرة تتوافق معه، والواقع يتوافق معه، الحق إذاً دائرة يمر بها خط النقل الصحيح، والعقل الصريح، والفطرة السليمة، والواقع الموضوعي، أنا معك في أن هناك عولمة إسلامية ينبغي أن تنتشر، لكن لا بالقوة، بل بالإقناع، النبي يقول: " علموا ولا تعنفوا " والله قال:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾

[سورة البقرة: 256]

أكبر دولة بالعالم إسلامية أندونيسيا كيف فتحت؟ عن طريق التجار لا عن طريق السيف والسلاح.

معنى التجديد في الدين :

ج: لمجرد أن تريد أن تضيف على الإسلام شيئاً جديداً إذاً هو ناقص، إنك تتهمه بالنقص، لمجرد أن تضيف عليه شيئاً جديداً إنك تتهمه بالنقص، ولمجرد أن تحذف منه حكماً كقطع اليد مثلاً إنك تتهمه بالزيادة، ماذا قال الله عز وجل:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾

[سورة المائدة : 3]

الإتمام عددي، والإكمال نوعي، أي عدد القضايا التي عالجها الدين تام عدداً، طريقة المعالجة كاملة نوعاً، إذاً أية إضافة، وأي حذفٍ يقتضي أن نتهم الدين بالزيادة أو النقص، لكن ما معنى التجديد؟ إذاً التجديد – دقق ماذا أقول– أن تنزع عن الدين كل ما علق به ما ليس منه، هذا هو التجديد، عندنا بناء في الحجاز، محطة الحجاز تعرفونها؟ بناء قديم، الحجر أصبح أسود اللون، فالدولة قبل سنوات جاءت بجهاز حديث ضربته بالرمل فأزاحت عنه هذه الطبقة السوداء، فعاد إلى لونه الناصع، هذا هو التجديد، أنا أنزع عنه كل ما علق به مما ليس منه، ليس هناك تجديد أن أضيف شيئاً، أو أن أحذف شيئاً، لأنه منهج الله عز وجل، أنا أتهم الله بالزيادة أو بالنقص،

التجديد أن أحذف من الدين كل ما علق به مما ليس منه، واضح كلامي؟ هذا هو التجديد، لكن نحن حينما نذهب إلى نبع بردى الماء صاف، أما إذا وصلنا إلى مصب بردى فالماء أسود اللون.

إذاً نحن إن أردنا الدين علينا أن نرجع إلى ينابيعه الأصيلة، وهذا يجمعنا والإضافات تفرقنا، الإضافات التي أضيفت على الدين تفرقنا، بينما أصوله تجمعنا.

الغزو الثقافي :

ج: أتسمح لي أن أفسر ما معنى الغزو الثقافي؟

نحن عندنا مادة اسمها يورانيوم، هذه المادة صنعت منها القنبلة الذرية، هذه المادة يمكن أن تنفجر، فأنا حينما أضعها أمام مادة حارقة تنفجر، والله عز وجل أودع فينا الشهوات، مع هذه الشهوات عمل منهجاً دقيقاً، الغرب كيف يغزونا؟ هذه الشهوات التي أودعها الله فينا كي نرقى بها إلى رب الأرض والسموات، أودع فينا الشهوة الجنسية من أجل الزواج، التصميم الإلهي الزواج، فجاء الغرب وتلاعب بهذه الشهوة وفجرها بغير مكانها الصحيح، الشهوة تماماً كالبنزين بالسيارة، إذا وضع في مستودعاته المحكمة وسار في الأنابيب المحكمة، وانفجر في الوقت المناسب في المحرك، وفي المكان المناسب، ماذا ولّد؟ حركة نافعة نقلتك إلى مكان جميل، كيف تسير السيارة؟ بانفجارات، لكن الانفجار بالمكان الصحيح وفي الوقت الصحيح وبالزمن الصحيح، هم ماذا فعلوا؟ أعطوا لهذا البنزين في الوقود ناراً فاحترقت السيارة.

هذا هو الغزو، الغزو أنهم تلاعبوا بالشهوات التي أودعها الله فينا، أي الإنسان عندما يُعرض لإثارة عالية جداً في محطة فضائية أليس هذا غزواً ثقافياً؟ أليس الأصل أن الإنسان ينشأ في بيت متوازن معتدل فيه أب و أم و عفة و حياء و خجل و غض بصر و حجاب؟ أما حينما تعرض هذه المناظر في المحطات الفضائية فهذا غزو، أي هم تلاعبوا بمادة منفجرة عندنا، فبدل أن توظف هذا اليورانيوم في تسيير غواصة مدة عشرين سنة تفجر هذه الغواصة، هذا معنى الغزو الثقافي.

معرفة منهج الله :

ج: والله الأصوب أن نعرف منهج الله، منهج الله مصطلح أصوب منه.

تعريف كلمة الثقافة :

ج: كلمة ثقافة تعني عادات الأمة وتقاليدها، ليس معناها علمياً، معناها سلوكي، الثقافة غير الحضارة، ثقافة الأمة عاداتها وتقاليدها، وأنماط حياتها، وأفراحها وأتراحها، وزواجها وطلاقها، هذه الثقافة، الثقافة تعني عادات وسلوك، ممكن مثلاً خبير دولة أجنبي، يقيم حفلاً بمناسبة قدوم مولود له، هو له في دمشق أربع سنوات، زوجته هناك بباريس، فكيف يقيم حفلاً ويدعو أصدقاءه لأنه أنجب ولداً مثلاً؟ هذه ثقافتهم لا يوجد مشكلة، الآن تسعون بالمئة من الزواج في أمريكا زواج مساكنة، لا يوجد ورقة ولا كتاب، ولا زواج مدني، لا يوجد شيء أبداً، مساكنة فقط، هذه ثقافة، كلمة ثقافة سلوك، سلوك منحرف عندهم.

الإسلام عدل و رحمة :

ج: التفصيل أولاً العرب أصحاب رسالة سماوية، كلفوا أن ينشروها، ونشرها وفق المراحل التالية: لا يمكن أن تحارب قبل أن تعرض الإسلام، لذلك بسمرقند يوجد قائد مسلم حاربهم مباشرةً، وغزا بلادهم واحتلها، ثم علموا خفيةً أن غزوه لهم غير شرعي، فأرسلوا وفداً إلى عمر بن عبد العزيز، شكوه أن طريقة فتح البلاد غير إسلامية، فيقسم بالله أحد الذين نقلوا هذه القصة أنه كتب على قصاصة صغيرة يأمر قائد المسلمين أن يخرج من سمرقند، هم ما صدقوه، الآن إن أعطيت ورقة لليهود تأمرهم بالخروج من فلسطين هل يخرجون؟ ورقة، ممكن أن يخرجوا بورقة؟ فكتب ورقة هذا الخليفة وحملها الوفد، فلما أعطوها للقائد قبلها وانسحب، لا يمكن أن يغزو بلداً قبل أن يعرض عليه الإسلام، أبداً، عرض فكري، فإن رفض يكلف بدفع الجزية، دفع الجزية هي بمثابة البدل النقدي، لأن الحرب في الإسلام حرب عقائدية، هذا لا يحارب، فهذا يدفع الجزية، فإن رفض أن يسلم، ورفض أن يدفع الجزية عندئذٍ يقاتل، والقتال في الإسلام يقول عليه الصلاة والسلام: "الحرب خدعة". ليس القصد الإبادة كما هو الآن أبداً، في كل حروب المسلمين لم يقتل إلا ثلاثمئة إنسان من الفريقين، بينما الآن الحروب إبادة، فالإسلام عدل ورحمة.

لكن ليس من المعقول أنت كإنسان ترى أخاك الإنسان غارقاً بالضلال، وغارقاً بالانحراف والزنا والخمر دون أن توقظه، فهذه البلاد حينما فتحت أصبح أهلها مسلمين، فنحن نقول: لا إكراه في الدين، بمعنى أنه يمكن أن تعتنق أي دين دون أن تمس، أما أن تحارب هذا الدين فهذا لا نسمح به، أي حينما تتخذ من الدين أداة لتحاربه عندئذٍ نقاضيك نحن، أما الإسلام فيتسع صدره للرعايا غير المسلمين، يأخذون لهم ما لهم وعليهم ما عليهم أبداً.

العاقل من أراد الدنيا و الآخرة معاً :

ج: طبعاً عندهم تفوق عقلي كبير جداً، الله عز وجل قال:

﴿كُلّاً نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾

[سورة الإسراء :20]

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً * وَمَنْ أَرَادَ الْآَخِرَةَ ﴾

[سورة الإسراء :18-19]

فالأوربيون أرادوا الدنيا.

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآَخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾

[سورة الروم :7]

الأوربيون قال عنهم الله عز وجل:

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ﴾

[سورة آل عمران:196-197]

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾

[سورة الكهف :103-104]

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾

[سورة الأنعام:44]

الإنسان أراد الدنيا له الدنيا، أراد الآخرة له الآخرة.

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآَخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا ﴾

[سورة الإسراء :19]

هم أرادوها.

﴿ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾

[سورة النساء: 104]

مسافة كبيرة، الإنسان إذا أراد الدنيا له الدنيا فقط، أما إذا أراد الله له الدنيا والآخرة فيمكن أن يتفوق، العقل جهاز حيادي، قد يصنع طائرة، وقد يصنع صاروخاً، وقد يصنع حضارةً، الأنبياء أذكياء والطغاة أذكياء، لكن الأنبياء ملكوا القلوب بكمالهم، والطغاة ملكوا الرقاب بقوتهم.

الفرق بين المؤمن و الكافر :

ج: الفرق بيننا وبينهم أنهم كانوا مع النعمة فقط، بينما المسلم الصادق مع المنعم، هم يستمتعون، يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام، يستمتعون بالدنيا إلى أعلى درجة، انظر إلى إعلاناتهم في صحفهم ومجلاتهم يستمتعون بالدنيا إلى أعلى درجة، هم مع النعمة لكن المؤمن مع المنعم، هذا الفرق بيننا وبينهم.

الإيمان قرار داخلي :

ج: أرادوا الشهوة، مثلاً لو كان هناك آلة تصوير غالية جداً لكن لا يوجد فيها فيلم، مهما أخذت صورة دقيقة، وأخذت وضعاً لكن لا يوجد فيلم، هم ما أرادوا الحقيقة، أرادوا الشهوة، يأتي إنسان يرى بعرة جمل يقول: البعرة تدل على البعير، والأقدام تدل على المسير، والماء يدل على الغدير، أفسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج ألا تدلان على الحكيم الخبير؟



هم في محطة ناسا قاعدون، يرون الفضاء الخارجي، المجرات، وهناك مخابر تكبر – الميكروسكوب – أربعمئة ألف مرة، هم يرون آيات الله، لكن آلة لا يوجد فيها فيلم، أذكياء جداً لكن ما أرادوا الحقيقة، أرادوا الشهوة، هل الفكرة واضحة؟ أما المؤمن لو كان فكره أقل، لو كانت معلوماته متواضعة، لو كان مخبره بسيط، لكنه أراد الحقيقة

فوصل إليها. أنت إذا خرجت من بيتك عندك مشكلة في البيت، لو فرضنا برميل الماء فيه خلل، البيت أصبح ممتلئاً بالماء، أنت خارج من البيت تريد فواشة ماء، لو وجدت شيئاً جميلاً لا تنتبه له، لا ترى إلا هذه الحاجة، فاندفاع الكافر إلى شهوته لا يرى إلا شهوته، هناك آيات كونية:

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾

[سورة يوسف : 105]

بالمناسبة مادام هنا تكلمنا، الإيمان قرار داخلي، إن أردت الحقيقة من الداخل كل شيء يدلك على الله، ولو أنها بعرة جمل، وإن لم ترد الحقيقة لو أنك بأكبر مخبر فضائي بمحطة ناسا الفضائية، لو أنك بأكبر مخبر جامعي لا ترى الحقيقة، والدليل قد تجد علماء كباراً يقترفون الآثام والفواحش ويزنون ويشربون الخمر، ابن آدم اطلبني تجدني، فإن وجدتني وجدت كل شيء وإن فتك فاتك كل شيء.

ضرورة العناية بالشباب و توعيتهم :

ج: والله سؤال مهم جداً، الحقيقة أن هؤلاء الذين يدعون أنهم يروجون أيديولوجيات شبابية فرعية هدفهم تسويقي فقط، هدفهم استغلال عفوية الشباب وضعف ثقافتهم الدينية، من أجل مصالحهم المادية، هناك إذاعات شبابية، هناك محلات شبابية، هناك تسويق شبابي، هناك اتجاهات الآن شبابية خطيرة جداً في الإباحية مثلاً، فالشاب فيه شهوات ورد في بعض الأحاديث:

((أحب ثلاثاً وحبي لثلاث أشد، أحب الطائعين وحبي للشاب الطائع أشد))

شبابي لأن عنده شهوات مستعرة، أما هذا الشاب إذا كان مستقيماً فهذا شيء رائع جداً، إن الله ليباهي الملائكة بالشاب المؤمن، يقول: انظروا عبدي ترك شهوته من أجلي، ما من شيء أكرم على الله من شاب تائب، الآن يوجد ثقافة شبابية، وثقافة شبابية فرعية، الطرف الآخر يستغل ثورة الشباب، شهوات الشباب، اندفاع الشباب لمصلحته، يدغدغ لهم عواطفهم، يعطيهم بعض شهواتهم ليأخذهم كلهم، ليأخذ مالهم، ويأخذ ولاءهم، ويأخذ ما عندهم من أجل مصلحته، لا بد من العلم، لابد من التوعية.

الحقيقة أقول لكم كلمة من أعماقي، إن رأيتم ضعفاً في الإسلام فمن تقصير المسلمين.

سيدنا عمر يمشي في قرية جل فعالياتها الاقتصادية في أيدي غير المسلمين، وبخهم توبيخاً عنيفاً وقال لهم: كيف بكم إذا أصبحتم عبيداً عندهم؟ فعلاً يوجد ثقافة، يوجد أيديولوجية شبابية فرعية، هذه يعنى بها كثيراً، لكن لا يوجد بها قيود، لا يوجد بها حدود أبداً، طبعاً فيها إباحية، فيها اختلاط، فيها كل شيء، كل المنكرات، الآن مثلاً اليهود كيف يقاومون؟ عندهم ما يسمى بالكيبوتس، هذه مزرعة ما فيها زوج وزوجة، إباحية، كل رجل لكل امرأة، والطفل ليس له أب، فهذه النقطة مطبقة في إسرائيل، هذه دائماً الشاب عنده شهوات مضطربة، فإذا كان عنده جهل مع شهواته تأتي جهة قوية تستغل هذا الاندفاع الشهواني، وهذا الضعف الفكري فتأخذه وتستغله، لابد من التوعية، لا بد من تقريب الدين من الشباب، لا بد من دعوة شبابية، الذي ينبغي أي يقابل هذا دعوة إلى الله شبابية، سيدنا أسامة شاب، سيدنا عمر كان يمشي بالطريق، الأطفال لما رأوه هربوا إلا واحداً منهم، قال له: يا غلام لمَ لم تهرب مع من هرب؟ قال له: أيها الأمير لست ظالماً فأخشى ظلمك، ولست مذنباً فأخشى عقابك، والطريق يسعني ويسعك، ما هذا؟ ما هذه الجرأة؟ أنا بحاجة إلى دعوة شبابية، وأنا والله الذي أفعله في مسجدي دعوة شبابية، كل من حولي شباب، وكل من حولي مثقفون ثقافة عالية، وهم يربون الشباب، وريح الجنة في الشباب، وكان عليه الصلاة والسلام يحب الشباب، والذين وقفوا معه كانوا شباباً كلهم، والذين عارضوه كبار في السن، فأنا مع الشباب، وريح الجنة في الشباب، ولابد من دعوة شبابية من أجل ألا نسمح لهؤلاء الخبثاء المنتفعين المستغلين لروح الشباب أن يوظفوهم لصالحهم.

كلمة واحدة: من يأتي منكم إلينا نحن عندنا هدايا، عندنا سي دي فيه تقريباً مئة محاضرة، أقدمه لكل من يأتي إلينا، إذا عندكم كمبيوتر أو آلة تسجيل، تسجيل شريط، أو سي دي للكمبيوتر، هذه هدية لكل من يحضر منكم إلينا، وهذه هدية من دون مقابل، أرجو الله أن ننتفع بها، أنا والله أحببتكم، والله أنا ألقيت محاضرة، أما الذي لفت نظري فالأسئلة، الأسئلة تنم عن فهم عميق جداً للدين، وعن تطلع إلى أن يكون هذا الدين عظيماً، وأنا معكم وكل إمكانيتي في خدمتكم أنا وأخواني ومسجدي، وأنتم أهلنا ونحن أهلكم إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-2) : خطر الغزو الفكري من خلال أجهزة التلفاز سبب لهدم البيوت المسلمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علِّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

البحث عن الخلل عند المسلمين :

أيها الأخوة الكرام؛ في مثل هذه الأوقات العصيبة كنت أذكر أن على المؤمن أن يبحث عن كل شيء إيجابي فيما يجري، فمن التوازن أن تبحث عن الإيجابيات كما تبحث عن السلبيات، لكن أحياناً في مواطن أخرى وفي موضوعات أخرى ينبغي أن تبحث عن السلبيات قبل الإيجابيات، والدليل على ذلك أن الله سبحانه وتعالى حينما ذكر الخمر قال تعالى:

﴿ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾

[سورة البقرة: 219]



فهل منافع الخمر التي ذكرها القرآن الكريم تجعل الخمر مباحاً؟ أبداً، هي محرمة بإجماع الأمة، محرمة بالنصوص القطعية، محرمة بأحاديث رسول الله الصحيحة، و مع ذلك القرآن الكريم حينما ذكر الخمر قال:

﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾

[سورة المائدة:90]

و الاجتناب أشدّ أنواع التحريم، و تحدّث عنها في آية أخرى فقال:

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنْ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾

[سورة البقرة: 219]

أي أن الشيء و لو تضمن نفعاً مقابل خطر شديد فتحريمه هو الوجه الصحيح، و حينما ترى أن هناك ضعفاً عاماً عند المسلمين، و حينما ترى أن هناك إخفاقاً في تحقيق أهدافهم الشيء الطبيعي و المنطقي أن تبحث عن الخلل، أين الخلل؟ أنت حينما لا تستطيع تحقيق أهدافك، أو حينما لا تأتي وعود الله عز وجل متوافقة مع الواقع، كم وعد إلهي؟ وعدنا بالنصر، وعدنا بالسيطرة على الآخرين:

﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾

[سورة النساء : 141]

﴿ وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة الروم: 47]

حينما لا يأتي الواقع مصدقاً لوعود الله عز وجل إذاً هناك خلل، لأن زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين، و الوعود ثابتة بآيات كثيرة تزيد عن عشر آيات، فالوعود ثابتة، و الواقع لا يأتي مصدقاً لهذه الوعود، إذاً هناك مشكلة، لذلك لابد أن تظهر كتب تحت عنوان: أين الخلل؟

آثار التواصل الإعلامي الشديد بين الشرق والغرب خطيرة جداً :

أنا في الدرس الماضي تحدثت عن أحد أكبر أسباب تهديم البيوت، و قصرت الدرس على موضوع واحد هو دخول الحمو في غيبة الزوج و الاختلاط، و اليوم الحديث عن شيء آخر، هذا الشيء الآخر هو المصدر الثقافي لكل بيت مسلم، و كلمة ثقافة لا تعني كما تظنون، تعني مجموع أنماط السلوك والعادات والتقاليد التي يطبقها مجتمع ما، هذا التواصل الإعلامي الشديد بين الشرق والغرب له آثار خطيرة جداً، أن هؤلاء الغربيين لهم عادات، لهم تقاليد، لهم تصورات، لهم معتقدات فاسدة، و يغلب على معتقداتهم إنكار الأديان، يغلب على معتقداتهم أنهم يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا، و هم عن الآخرة هم غافلون، يغلب على معتقداتهم أن الشهوة عندهم هي كل شيء:

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾

[سورة الجاثية: 23]

أي مجتمع لا يؤمن بالآخرة إطلاقاً بنص القرآن الكريم، مجتمع لا يؤمن إلا بالشهوة حصراً بنص القرآن الكريم:

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾

[سورة الجاثية: 23]


ينقل الغرب إلينا كل مشكلاته وانحرافاته من خلال التلفاز

فمجتمع عقيدته إنكار الأديان، و سلوكه التفلت من أي منهج سماوي، هذا المجتمع تُنقل إلينا حياته بأدق تفصيلاتها من خلال الأفلام، العلاقة الزوجية، سلوك الزوج، سلوك الزوجة، تبرج المرأة، تفلت الرجل، يوجد موضوعات في الأسرة الأوربية و الغربية كثيرة جداً، هذه تنقل إلينا عبر هذه الشاشة الصغيرة، فلذلك حينما يصبح هذا الجهاز المصدر الثقافي الوحيد لأفراد الأسرة، للأمة، للزوجة، للبنت، للشابة، للشاب مصدره الوحيد، هو وعاء الإنسان و يغذى من هذا المشرب، فشيء طبيعي جداً أن تجد ميلاً إلى الشهوات، أن تجد أن الفوز عند هؤلاء الذين يغذون من هذه الأجهزة هو في نيل المال فقط و الفوز لا في البطولات، و لا في التضحيات، و لا في إقامة منهج الله عز وجل، إنما الفوز بالشهوات، أي من الطُّرف في بعض البلاد العربية أن طالب الطب له أربعة أهداف كبرى تبدأ بحرف العين، هدفه عيادة و عربية و عروس و عيّان أي مريض، الأهداف تصبح مادة فقط، مال فقط، بيت فقط، امرأة، تمتع بالحياة، هذه أهداف الناس الآن، من أين جاءت هذه الأهداف؟ يوجد تغذيتان؛ تغذية ضعيفة يتلقاها الطالب في الأسبوع يتلقى درساً أو درسين، و يتلقى كل يوم ساعات طوالاً، التلقي قد يكون غير مباشر، أي أنا ليس شرطاً ان ألقي عليك محاضرة، أنا قد أعرض عليك مشهداً محبباً فيه خرق لمنهج الله، قد أعرض عليك مشهداً محبباً فيه جرح لعقيدة المسلم، فأنت حينما ترى جيلاً ضائعاً، ترى جيلاً شهوانياً، ترى جيلاً متفلتاً، و سألت عن السبب، هذه التغذية تؤدي إلى هذه النتيجة، تماماً كهذا الوعاء الذي نضع فيه الماء، الشيء الذي نضعه في هذا الوعاء نأخذه من صنبوره، و الشيء الذي نربي به أولادنا ساعات طويلة كل يوم نستقيه من كلامهم، و من تصرفاتهم.

هذا الذي يعرض هل ينضبط بمنهج الله؟ هذا الذي يعرض هل يتوافق مع الأمر و النهي الذي في القرآن الكريم؟ هذا الذي يعرض هل يتوافق مع القيم التي جاء بها الإسلام؟ أبداً، قيم أخرى، و عقيدة أخرى، و منهج آخر، فالشيء الطبيعي أن ترى هوة كبيرة بين الأب و أولاده، و بين الأم و أولادها، أو بين الأم و بناتها، هذه الهوة بسبب هذه التغذية، فكما أن الاختلاط أحد أكبر أسباب تهديم البيوت كذلك هذا الذي يتصدر كل بيت، و تتعلق به عيون كل أفراد الأسرة، و يمضون أوقاتاً لا حدود لها إلى ما بعد منتصف الليل يتابعون ما فيه، هذه ثقافات أمم أخرى، هذه ثقافات أمم لا تعرف الله أبداً، ثقافات أمم لا تؤمن بالآخرة، الدنيا هي كل شيء، هذه ثقافات أمم ليس في حياتها منهج مقدس، منهجها تحقيق النمو الاقتصادي فقط، منهجها بلوغ أعلى درجة من التنمية، لذلك يوجد مشكلة نعانيها في أجيالنا ضعف عقيدتهم، ضعف انتمائهم لأمتهم، انغماسهم في شهوات محرمة في الأصل في قرآننا، و في سنة نبينا.

أخطار الأجهزة التي تعمل على هدم البيوت عقائدياً :

أردت من هذا الدرس أن أضع بين أيديكم مخاطر هذه الأجهزة التي تتصدر كل البيوت، و تنعقد عليها عيون أهل البيت، و يمضون أوقاتاً طويلة وراءها، وهم ينسون أنهم يهدمون بيوتهم بأيديهم، أمة أعزها الله بالإسلام، أمة لها تاريخ مشرف، أمة معها منهج الله عز وجل، أمة معها وحي بين أيديها كما نزل، هذه الأمة لماذا أجيالها هكذا؟ هناك خلل، لعل أخطر شيء – دقق – في ثقافات الأمم، وإذا قلت ثقافات الأمم أعني بها أنماط السلوك عند هؤلاء الأمم، فلان مثقف معه دكتوراه ليس هذا هو المعنى، كلمة ثقافة تعني أنماط السلوك، العادات و التقاليد، أساليب الحياة، أنماط الزواج، أنماط العلاقات الاجتماعية، ثقافات الأمم أي عاداتها و تقاليدها، هذه كلها تنتقل إلينا عبر هذه الأطباق، تنتقل و تعرض، فلذلك أردت في هذا الدرس أن أبين الأخطار الكبيرة التي تعمل على هدم البيوت عقائدياً.

بادئ ذي بدء المسلم يحمل عقيدة دقيقة جداً، و صحيحة جداً عن فلسفة الوجود، و عن فلسفة الحياة، و عن فلسفة الإنسان، فلسفة الوجود فيما يعرض على أجيالنا الصاعدة أن هذا الكون لا يحتاج إلى إله، إنما هو تطور ذاتي، ويكفي أن يقرأ أبناؤنا في المدارس، و أن يرون في كل حلقة علمية أن الإنسان كان أصله قرداً، و أنه تطور، و أن نظرية التطور هي النظرية التي تفسر وجود الكون.

إذاً هذا شيء يتناقض مع ما في القرآن الكريم، إذاً خطر كبير جداً أن يعتقد الإنسان شيئاً مناقضاً لما في الوحي، لما في القرآن الكريم، فحينما تعرض موضوعات علمية هذه تعرض على أنها ظواهر حيوية بيولوجية، ظواهر فيزيائية كيميائية، ظواهر جيولوجية، أما أن تستمع لكلمة حق أن لهذا الكون إلهاً عظيماً، أن هذا الكون من إبداع الله، أن هذا الكون من خلق الله، نحن درسنا في التعليم الثانوي أن هذا الطفل حينما يولد خلق الله في قلبه ثقباً بين الأذنين، الذي كشف هذا الثقب عالم اسمه بوتال، فالطفل في بطن أمه ليس هناك هواء، رئتاه معطلتان، لأن دمه يتجدد عن طريق دم أمه، أما حينما يولد فينبغي أن يستنشق الهواء، و أن تعمل رئتاه على تصفية الدم، إذاً هذا الثقب لابد من أن يغلق هكذا قال لنا أستاذنا حينما كنا في التعليم الثانوي، قال: تأتي جلطة و تسد هذا الثقب، هل يعقل أن تأتي جلطة من عند ذاتها كي تغلق هذا الثقب؟ و لو لم يغلق لأصبحت حياة هذا الطفل الوليد مستحيلة، أي يد الإله العظيم هي التي ساقت لهذا المولود الصغير هذه الجلطة حتى أغلقت هذا الثقب، فانتقلت الدورة إلى الرئتين، و تجدد الدم، و انتعش الطفل.



لي صديق لا يزال حياً يرزق، عنده بنت صغيرة قال لي: هذه معها داء الزرق، أي الثقب لم يغلق، و كل عشرة آلاف حالة ولادة تبقى حالة الثقب فيها مفتوح، لا تعيش أكثر من عشر سنوات، أذكر مرة أنها صعدت عشر درجات بربع ساعة لا يوجد قوة، دمها أزرق، أي دورة الرئتين معطلة لوجود ثقب، الدم يختار الطريق الأسرع، الأقرب، فكل حياة الإنسان تغدو مستحيلة لو أن هذا الثقب بقي مفتوحاً، الطرح العلمي طرح بعيد عن وجود الله، بعيد عن حكمة الله، بعيد عن رحمة الله، بعيد عن تقدير الله، بعيد عن لطف الله، فلذلك إذا الإنسان ترك أولاده يستقون ثقافتهم مما يعرض لا شيء يعرض يدل على الله إلا حالات قليلة جداً، و نادرة، أي الاستثناء ليس له حكم، أنا آخذ الخط العريض، آخذ ما يسمى بالأعم الأغلب، فلذلك يكفي أن تتوهم من خلال عرض أن هذا الكون خلق من تلقاء ذاته، و أن الإنسان كان أصله قرداً، و أنا و الله أحياناً في ساعات الألم أصدق هذه النظرية معكوسة، أنه كان إنساناً فصار قرداً، صار حيواناً، صار وحشاً، و الذي نراه اليوم لا يكذب هذه المقولة بل يصدقها، كيف أن الإنسان يمسخ إلى قرد؟ كائن شهواني فقط لا يعنيه

إلا الطعام والشراب والجنس فقط، فلعل أكبر شيء خطير فيما يعرض هو إفساد عقائد شباب المسلمين. أنا أقول في الأعم الأغلب ليكون الدرس واقعياً و موضوعياً، أما الآن فأي موسوعة علمية اشترها مترجمة، نظام الموسوعة أن الإنسان بدأ إنساناً متوحشاً، العصر الحجري، عصر النبات، هذه المراحل الجيولوجية، هذه خلاف القرآن الكريم، و هذه النظرية نظرية دارون الآن ثبت بطلانها، لكن ترويج هذه النظرية لغاية في نفس يعقوب، لماذا تروج؟ الإنسان كيف يستطيع أن يمارس كل الشهوات؟ حينما يعتقد أنه لا إله، إذا اعتقد أنه لا إله من السهل أن يفعل كل شيء، فالعقيدة التي تغطي انحرافاً كاملاً هي عقيدة إنكار الأديان، قد يقول أحدنا: أمعقول؟ لا تنظر إلى ما يقوله الناس، انظر إلى ما يفعلونه، هل تجد في فعل معظم الناس في القارات الخمس ما يؤكد إيمانهم بالله؟ هل تجد في أفعالهم ما يؤكد خوفهم من الله؟ هل تجد في أنماط سلوكهم ما يؤكد إيمانهم بالآخرة؟ لا و الله، العبرة ليس هذا التكذيب اللفظي، أنا ذكرت سابقاً و أعيد لو أنك زرت طبيباً كي تعالج نفسك عنده، و في أثناء المعالجة وجدته غير مؤهل كي يعالجك، و أنت لطيف و لبق، انتهى من معالجته نقدته الأجرة، و شكرته، و ابتسمت في وجهه، و لم تشتر الدواء الذي وصفه لك، لأنك لست قانعاً به، أنت باللسان ما كذبته، أنت باللسان احترمته، لكن لعدم شراء الدواء الذي وصفه لك أنت كذبت علمه، فالتكذيب العملي أبلغ من التكذيب القولي، فأنت حينما ترى معظم الناس يأكلون مالاً حراماً هل تظن أن هذا الإنسان يعتقد بالآخرة؟ مستحيل، حينما ترى إنساناً يفعل شيئاً محرماً هل تعتقد أن هذا الإنسان مؤمن بالآخرة؟ فالعبرة لا ما يقوله الإنسان بل ما يفعله، فعل الناس لا يؤكد إيمانهم بالدار الآخرة، عدم إيمانه باليوم الآخر هو سبب تفلته من منهج الله عز وجل.

الخطر الأكبر أن يستقي الإنسان عقيدته من أنماط تتناقض مع منهج الله :

أيها الأخوة؛ أخطر شيء أن تستقي عقيدة من صور، و من مشاهد، و من أنماط سلوك، أو من موضوع علمي يتناقض من منهج الله، و مع وحي الله، و مع قرآن الله عز وجل، أنت حينما تعجب بشخصيات لا تؤمن بالله عز وجل، الإعجاب بهذه الشخصيات حجاب بينك و بين الحق، من هوي الكفرة حشر معهم و لا ينفعه عمله شيئاً، أي أنت حينما ترى المسلمين في عصورهم المزدهرة تراهم يعجبون بأصحاب رسول الله، بهؤلاء الأبطال الأعفة المطهرين، لكن حينما تعيش مع شاب معاصر ما الذي يعجبه؟ لاعب الكرة الفلاني، أحياناً الممثل الفلاني، فالمثل العليا عند أجيال المسلمين السابقة غير المثل العليا عند الأجيال اللاحقة، يوجد فرق كبير جداً، فأول شيء العقيدة قد تكون غير صحيحة، عقيدة دنيوية محضة .

عقيدة تؤمن بالإنسان و بشهوات الإنسان و بحريته في أن يفعل ما يشاء، و قد تعطيك نماذج هي عند الله غير مقبولة، هي عند الله هالكة، هذه النماذج تكون في أعلى عليين، عند من؟ عند من يستقي ثقافته من هذه الأجهزة. و أيضاً مثل هذه الأجهزة تثير الشهوات، و هذه الخلافات تعمق الخلافات الزوجية، أي الزوج ينصرف إلى غير زوجته، و الزوجة تنصرف إلى غير زوجها، أي يوجد شيء غير طبيعي، أن هناك نماذج نادرة تعرض دائماً، و هذه النماذج لو أن الإنسان وازن بينها و بين ما عنده زوجاً أو زوجة لو كان البون شاسعاً جداً، هذا وحده يكفي لإعراض نفس الزوج عن زوجته، و إعراض نفس الزوجة عن زوجها، إذاً يوجد أخطار ناتجة عن إثارة الشهوات، تعظيم أشخاص عقيدتهم فاسدة، سلوكهم غير منضبط، ثم إثارة الشهوات التي ينبغي ألا تثار إلا وفق منهج الله عز وجل، الآية:

﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴾

[سورة المؤمنون: 74]

الإنسان إن لم يؤمن بالآخرة لابد من أن يبتعد عن منهج الله عز وجل، إذاً عقائدياً قد تفسد عقائد هؤلاء الذين يستقون ثقافتهم من هذه الأعمال التي يشاهدونها، و أخلاقياً قد تفسد أخلاقهم من هذه الشهوات التي تثار في هذه الأجهزة، و التاريخ الإسلامي أحياناً تطمس معالمه، قد يشوه، هناك الكثير من الأعمال التاريخية التي تشوه حقيقة التاريخ الإسلامي، إذاً كمصدر ثقافي غير منضبط لا يتوافق مع منهج الله و لا مع سنة رسول الله هناك خطر كبير، لذلك النبي عليه الصلاة و السلام قال: " الزموا أولادكم. "



الأب الصالح، الأب الحريص على إيمان أولاده دائماً يراقب المصادر الثقافية التي تغذي ابنه، لا يوجد سلوك إلا أساسه تلق، هذا الابن من أين يتلقى؟ أحياناً قصة تفسد حياة الإنسان، و أحياناً صديق متفلت يفسد أخلاق ابنك، إذاً الأب الكامل، الأب المسلم حريص على تغذية ابنه بمبادئ الدين، و قيم الدين، و منهج الله عز وجل، ذكرت مرة أن أحد الأشخاص روى قصة رمزية أعجبتني .

هذه القصة أنه استقبل ضيفاً وضعه في صدر المنزل، و عظمه، و بجله، و بدأ يستمع له هو و أهله، و يصغي له هو و أهله، هذا صاحب البيت بعد حين وجد أن أولاده بدؤوا ينصرفون عنه، كان إذا دخل إلى البيت دخوله عيد، بعد حين هم مقبلون على هذا الضيف الذي تصدر المجلس، و هو يحدثهم ويريهم بعض المناظر، و الأب يأتي و يخرج و كأنه ما دخل و لا خرج، ثم اكتشف الأب أن مهمته الوحيدة أن يعمل عملاً شاقاً و يأتيهم بالطعام و انتهى دوره، هم متعلقون بهذا الضيف الذي تصدر المجلس، و تصدر البيت، و بدأ يعطي كل ما عنده لأفراد الأسرة، عندئذ ضجر صاحب البيت و قال: أخرجوا هذا الوحش، أنا لا أحب أن أكون مبالغاً، لكن أقول لكم: هناك خطر كبير جداً جداً جداً من وجود مصدر ثقافي يغذي أفراد الأسرة بعقيدة غير صحيحة، و بقيم غير صحيحة، و بأنماط سلوك غير صحيحة، هذه تنعكس على أفراد الأسرة سلوكاً منحرفاً، لذلك طوبى لمن وسعته السنة و لم تستهوه البدعة.

بيت يذكر الله فيه و بيت لا يذكر الله فيه كالحي و الميت، كيف الإنسان الحي يعجبك حديثه، و يبهرك منظره، و تأنس بالقرب منه، و الإنسان الميت تخاف منه، فبيت ميت لا يذكر الله فيه بل بيت فيه ما يناقض منهج الله عز وجل هذا بيت فيه خطر شديد، و هو كالقبر، فلذلك ما ذكر الله الأمر بالذكر إلا جاء الذكر مقيداً بالكثير:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾

[سورة الأحزاب: 41]

﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ﴾

[سورة الأحزاب: 35]

ذلك أن المنافق لا يذكر الله إلا قليلاً، المنافق يذكر الله ذكراً قليلاً، بينما المؤمن يذكر الله ذكراً كثيراً، و قد برأ من النفاق من أكثر من ذِكر الله، فنحن حينما نربي أبناءنا على ذكر الله و إقام الصلاة.

أخواننا الكرام؛ يمكن أن تصلي الفرض في المسجد، و ينبغي و الأولى أن تصلي السنة في البيت لئلا يكون البيت قبراً، ليكون البيت موصولاً بالله عز وجل، يوجد بيت كأنه مسجد، أفراد البيت يتلون كتاب الله، يتذاكرون آيات القرآن الكريم، و يوجد بيت لا يوجد فيه ذكر إلا للأفلام، أي ذكر لهؤلاء الذين تصدروا المجالس في الحديث عنهم، و هم ليسوا أهلاً لذلك.

أرجو الله سبحانه و تعالى أن أوفق في توضيح الفكرة.

ما كل عقيدة تقرؤها من الكتاب، أحياناً تقتنع بفكرة استنبطتها من قصة، سيدنا يوسف هذه القصة الطويلة في القرآن بعد أن تقرأها ماذا تستفيد؟ ما هي العقيدة التي تستقيها من هذه القصة ؟

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

[سورة يوسف: 21]

الآية الكريمة:

﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾

[سورة يوسف: 4]

معنى ذلك أن هذا الطفل الذي رأى رؤيا، أمه و أبوه و إخوته جميعاً سوف يخضعون له في مستقبل أيامه، وكيف أن إخوته أرادوا به كيداً، وكيف أن إخوته وضعوه في الجب، إذاً قصة تقرؤها فتستنبط منها حقيقة، إذاً ما كل عقيدة تستنبط من كتاب العقيدة، ما كل عقيدة تستنبط من كتاب ديني، قد تستنبط آلاف التصورات العقدية غير الصحيحة من قصة تقرؤها أو تشاهدها، معنى هذا أن هناك خطراً على عقيدة المشاهد، أحياناً من أن يتسرب إلى عقيدته شعور أن هذا الكون هكذا توالد ذاتياً، كأن يعزا إلى الطبيعة، أو أن تتصور أن هذا السلوك لا شيء عليه، سلوك إباحي أو سلوك فيه مجون لا شيء عليه شائع، والعلماء تنبهوا إلى هذه الناحية سموها بلوى عامة، الشيء المحرم يقيناً في القرآن الكريم من كثرة ما يشاهده الأبناء في هذه الأجهزة صار كأنه شيء طبيعي، هبط مستوى الانضباط.

والله لو أردت أن أسمي الأشياء بأسمائها، وأن أصل إلى أدق ما في الإنسان لوجدتم أن بناء الإنسان يختلف اختلافاً جذرياً حينما تغذي ابنك تغذيةً من هؤلاء الذين يجرون هذه البرامج، وبين أن تغذيه تغذيةً إسلاميةً صحيحة.

ضرورة الضبط من الداخل :



أخواننا الكرام؛ يسأل أخ: هل ناسخة السيديات حرام مع العلم أنني لا أنسخ إلا البرامج الدينية والعلمية؟ الشيء الثابت أن أية أداة كالسكين، اقتناء السكين حرام لو أن إنساناً ذبح بها طفلاً، السكين تستخدم آلاف الاستخدامات المباحة، ولها استخدامات أخرى قد تكون مؤذيةً، الأشياء التي تستخدم على أشكال متعددة حرمتها في استخدامها المحرم، فحينما تنسخ أقراصاً دينية لا شيء في ذلك، أما إذا استخدمت هذه الناسخة في غيبة صاحبها في نسخ أقراص أخرى فيها حرمة فتحتاج إلى ضبط.

هذا يقودني الآن إلى فكرة خطيرة جداً وهي أن الضبط من الخارج أصبح مستحيلاً، لابد من ضبط من الداخل، أي كل شيء يدعو إلى المعصية أينما ذهبت، فبقي الإنسان حينما يربي أبناءه على الانضباط الذاتي هذه الضمانة الوحيدة، أما الشيء العام فكل شيء يمكن أن يستخدم استخداماً خطيراً، فهذه ننسخ بها أقراصاً إسلامية لا يوجد مانع، لكن لو غفلت فاستخدمت في غيبتك لنسخ أقراص غير صحيحة، غير جيدة، فصاحبها صار آثماً، إذاً لابد من ضبطها، لابد من ضبطها ضبطاً محكماً كي تغدو في خدمة الدعوة.

العناية بالأطفال و الانتباه لهم منذ الصغر :

يبدو أن هذا طفل صغير جزاه الله خيراً يقول: أنا في المدرسة ومعلمتنا ليست محجبة فهل يجوز النظر إليها؟ والله مرة حدثني أخ قال لي: يوجد مدرسة غير منضبطة إطلاقاً، دخلت المدرّسة إلى مدير الإعدادية وقالت له: فلان – ذكرت اسم طالب – هو ظنها تشتكي على طالب، فقال لها: أفصله فوراً، فقالت له: لا، إنه الأولي عندي، أول طالب عندي لكن لا ينظر إلي، فقال لها: هذا طالب له شيخ هو يؤدبه، أي قد تجد في الأطفال ورعاً يلفت النظر.

حدثني أخ قال لي: أنا خطيب مسجد في الشام، مرة استيقظنا متأخرين، والدنيا شتاء، فهيأت الأم شطائر للطعام، و قال لابنه: كُلْ هذه في الطريق، قال له: يا أبت قال عليه الصلاة والسلام:

" الأكل في الطريق دناءة" أي لا يوجد شيء أجمل من طفل نشأ في طاعة الله، و دائماً الطفل و هو صغير يشكل كما تريد، أي الطفل مادة خام كالعجينة تماماً تشكلها كما تريد، فهؤلاء الآباء الذين يدعون تشكيل أولادهم بهذه الأجهزة، قد يتعلم الرقص، قد يتعلم مثلاً شيئاً فوق الرقص، قد يتعلم سلوكاً مستهجناً عند المسلمين، من أين تعلمه؟



بالمناسبة مشاهد العنف لها آثار كبيرة جداً، مشاهد العنف أحياناً، مشاهد القتل تترك آثاراً خطيرة جداً في نفس الطفل الصغير، فلذلك انتبهوا، هذا مصدر ثقافي فقد يعلم العنف، قد يعلم الانحراف، قد يعلم الشذوذ، قد يعلم كل سلوك شائن لا يرضي الله عز وجل.

أحدهم يقول: أنا طالب في المدرسة، إذا كان الطفل صغيراً جداً وذهب إلى الحج هل يقبل حجه؟

طبعاً، النبي عليه الصلاة و السلام علمنا كيف نربي أبناءنا، يوجد عندنا أحكام شرعية تأديبية، و أحكام شرعية تكليفية، إذا ابنك عمره سبع سنوات تأمره بالصلاة، و في العشر سنوات تضربه على تركها، مع أنه مكلف بالصلاة بالثالثة عشرة، مستحيل أن يصلي الطفل فجأة، لابد من أن يدرب على الصلاة في سن مبكرة، مستحيل أن يصوم الطفل فجأة، دربه منذ صغره أن يصوم يوماً ويفطر الثاني، بعد ذلك يصوم للظهر، يوم يفطر تسامحه، يوم يصوم تكافئه، حتى يصبح بسن الثالثة عشرة فيصبح الصيام عنده تكليفاً رسمياً، فهذه الأوامر يسمونها أوامر تأديبية لا أوامر تشريعية، فكل شخص عنده ابن، لو أنه عندك ابنة صغيرة جداً، و كانت ثيابها سابغة، أنت تؤدبها بآداب الإسلام قبل أن تؤمر بارتداء الحجاب، أنت تؤدبها بآداب الإسلام، هذه النقطة دقيقة جداً، لو لم تكن هذه البنت مكلفة أن تتحجب ينبغي أن يكون ثوبها سابغاً.

يوجد أمهات مسلمات محجبات ابنتها صغيرة – أي عمرها أربع سنوات– تلبسها ثياباً فاضحة، أن هذه بنتاً صغيرة، هذه البنت الصغيرة حينما ترتدي هذه الثياب، و حينما يبدو معظم جسمها، تظن أن هذا هو الصح، فإذا كبرت تألف ما ألفت.

لذلك ينبغي أن تؤدب فتياتنا بآداب الإسلام، و ينبغي أن يؤدب أبناؤنا الصغار بآداب الإسلام، و الله أنا في الحج حينما أشاهد طفلاً صغيراً يلبس ثياب الإحرام منظر رائع جداً، طفل يطوف، طفل يُقبّل الحجر، شيء جميل جداً، و حينما يأتي الأب مع ابنه إلى المسجد أيضاً شيء جميل جداً، يجب أن يكون ابنك معك في المسجد، أنا و الله ممن يشجع وجود الأبناء و لكن طبعاً مع ضبطهم و ليس مع تفلتتهم، فالزموا أولادكم.

وجوب ترك الدخان :

هذه نشرة سكان العالم ستة مليارات و نصف، تعداد المسلمين مليار و ثلاثمئة مليون، المدخنون في العالم مليار و خمسة عشر مليوناً، أكبر نسبة مدخنين في المسلمين، وأرباح شركات التدخين أرباح فلكية تفوق حدّ الخيال، ماذا نفعل؟ اترك الدخان، هذا الشيء الذي يجب أن تفعله، وفر هذه النفقة لمؤمن، وفر هذه النفقة لأسرتك، فيوجد أرقام خيالية، نحن في بلدنا أربعمئة مليون ثمن الدخان اليومي، ثمن الدخان الذي يباع في قطرنا أربعمئة مليون كل يوم، بالعام كم مليون؟ هذا من ثمن طعامنا و شرابنا، و من ثمن أجهزتنا و بيوتنا، و يقتطع من نفقات تربية أولادنا، و نفقات تزويج أبنائنا.

حرية المسلم :

سؤال عام: ما رأيك بحرية المسلم؟ و متى تبدأ و متى تنتهي؟ و ما هي الحرية التي إذا طبقها المسلم لا يرتكب بها ذنباً؟

هذا كلام عام لا معنى له إطلاقاً، المسلم معه منهج إذا طبقه ملزم بهذا المنهج، فالذي سمح الله به سمح الله به، أنت حر فيه، و الذي لم يسمح الله به لم يسمح الله به، فأنت مقيد بمنهج الله عز وجل، يرسمون صورة توضيحية مثلاً فرس مربوط، الحبل طوله يقدر بخمسين متراً، إذاً الفرس معه حرية حركة دائرة قطرها مئة متر، أما يوجد حدود ينتهي عندها، فأنا قال الله لي:

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾

[سورة الأعراف:31]

هذه منهج، أستطيع أن آكل و أشرب و لكن بدون إسراف أو دون افتخار و مخيلة:

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ ﴾

[سورة المؤمنون: 5-7]



بكسب المال مسموح المال من التجارة، أو من الإرث، أو من الهبة، أو من راتب تأخذه مقابل خدمة تؤديها، إما خدمات مأجورة، أو تجارة، أو زراعة، أو صناعة، أو إرث، أو هبة، يانصيب لا يوجد، فائدة ربوية لا يوجد، سرقة لا يوجد، احتيال لا يوجد، تدليس لا يوجد، فبكل موضوع يوجد أشياء مباحة، و يوجد أشياء محرمة، واضحة؟ بكسب المال، بالعلاقة بالنساء، النزهة مسموحة لكن لا يوجد اختلاط، نزهة بمكان عام، موسيقا ونساء كاسيات عاريات هذه ممنوعة كمسلم أنت، الاحتفال مسموح و لكن لا يوجد احتفال مختلط، عرس مختلط يدخل العريس و يجلس أمام النساء الكاسيات العاريات لا يصح، فالسؤال مبهم في كل مجال، مجال النساء، مجال الطعام و الشراب، مجال النشاط الاجتماعي، مجال السفر، يوجد منهج دقيق، لذلك هذا الذي يتوهم أن الإسلام عبارة عن صوم و صلاة و حج و زكاة واهم جداً، و الله لا أبالغ الإسلام قريب من خمسمئة ألف بند .

إذا قرأت الفقه بكسب مالك، بحركاتك، بنشاطاتك، بتربية أولادك، بعلاقتك بزوجتك، بخروجك، بغض بصرك، بكلامك، بحديثك، يوجد سبع عشرة آفة للسان، هذه غيبة، هذه نميمة، هذا بهتان، هذا كذب، هذا استهزاء، هذه سخرية، طبعاً بالبيع و الشراء يوجد مليون حالة فيها حرمة، هذه فيها تدليس، هذه فيها كذب، هذه فيها غش، هذه فيها تحميل شيء ممنوع، فما الحرية؟ لا يوجد عبارة أعبر فيها عن شعوري تجاه شخص غير منضبط غير أنه دابة فلتانة، يأكل ما يشاء، يتكلم ما يشاء، يفعل ما يشاء، يطلق بصره إلى من يشاء، دابة فلتانة، الإسلام كله انضباط في الكلام، و في السلوك، عند الأجانب يقول لك: تنتهي حريتك حينما تبدأ حرية الآخرين.

هذا كلام مطاط، أي أنت اسمع أغان كما تريد و لكن لا ترفع صوت المذياع بحيث لا تزعج جارك، فممكن أن تفعل المعاصي كلها بتعريف الغرب للحرية و لكن لا تؤذي شعور إنسان آخر، أي كنت أرى أشياء في العالم الغربي مثلاً صحن فضاء واضعه شخص طبيب، و صانع له زينة غير معقولة، قماش مزخرف و أقواس، قلت: ما هذا؟ قال لي: جاري اشتكى عليّ منظر الصحن يؤذي شعوره فيجب أن أزينه له، اصعد و انظر عندنا إلى قاسيون ماذا بها، أما امرأة تسير شبه عارية هذا غير مؤذ، فكلام الغرب مضحك جداً تنتهي حريتك حينما تبدأ حرية الآخرين، نحن تنتهي حريتنا حينما يأتي النص المحرم، و تبدأ حريتنا حينما يبيح الله لنا شيئاً، المباح مباح و المحرم محرم هذا الانضباط.

تعلّم التلقي :

يوجد شيء بالأجهزة بالبيوت هو تعلم التلقي، الإنسان منفعل و فاعل، فإذا كان دائماً يستمع أولاً ضاع وقت طويل، لي تعبير لطيف أحياناً عمل ثلاث ساعات، يوجد معلقة عسل مخلوطة بقنطار صبر، يوجد فائدة، يوجد موعظة، هذه الموعظة ملعقة عسل مذابة بقنطار صبر كي تدخل هذه المعلقة إلى جوفك يجب أن تشرب قنطار الصبر معها، أي تجد قصة طويلة عريضة ملخصها بكلمتين، و يوجد بها مشاهد، ومواقف، مرة كاتب قال: يجوز للأديب أن يصور الرذيلة على نحو نكرهها، أما إذا صورها على نحو نحبها فإن مجتمعاً بأكمله ينهدم بهذا العمل الأدبي، كلام دقيق، أنت ممكن أن تصور إنساناً انحرف فدخل السجن، و انتهت حياته.

أما حين يدخل السجن أطلعتنا على مشهد رائع بحياته و شيء مغر فأنت لم تصور الرذيلة على نحو نكرهها، صورتها على نحو نحبها، فأنت أكبر مهدم بالمجتمع، إذا صوّر الأديب الرذيلة كقصة قبل أن تنقلب إلى عمل إذا صورها كقصة على نحو نكرهها فهذا جيد، أما إذا صورها على نحو نحبها فإن مجتمعاً بأكمله يمكن أن ينهار من خلال هذا الأدب.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثاني : الشباب و الإسلام

الدرس (8-1) : التربية الصحيحة المبنية على منهج الله

الدرس (8 – 2) : الشباب هم الأمل في إحياء مجد الأمة

الدرس (8–3) : الشباب و المراهقة

الدرس (8–4) : اغتنام مرحلة الشباب في مرضاة الله

الدرس (8 – 5) : قيمة الشباب المسلم

الدرس (8–6) : الشباب قوتهم في أخلاقهم

الدرس : (8–7) : الاستقامة في حياة الشباب

الدرس (8–8) : الشباب عماد الأمة و سر نهضتها

الدرس (1-8) : التربية الصحيحة المبنية على منهج الله

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة :

المذيع:

الحمد لله وكفى، وسلام على أحبابه وصفا، صاحب الفضيلة صاحب الدار فضيلة الدكتور الشيخ محمد راتب النابلسي، أصحاب الفضيلة العلماء، أيها الحضور الكريم؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، عذراً على التأخير، وأمام هذا الصرح وفي بداية هذا اللقاء العلمي لابد أن نذكر من كان له دور في نشر العلوم والمعرفة مع المرحوم الشيخ يوسف الحسيني رحمه الله، وأسأل الله تعالى أن يكون ما قدم في ميزان حسناته.

أيها الأخوة الكرام؛ الشباب باكورة الأمم، منهم العلماء والشباب، وقد أوصى النبي ﷺ بالشباب خيراً، وقدم أسامة بن زيد قائداً على الجيش على الرغم من حداثة سنه، وهذا الشأن أبرز دور الشباب، واليوم شباب أمة الإسلام في هذا الوقت بعضهم في زمن الفتنة والبلاء، وجعلوها على المنكرات واللهو، وحول هذا الواقع لدراسة هذا الموضوع الشباب والإسلام شرفنا صاحب الفضيلة اليوم، ونحن نتشرف بحضوره في كل لحظة، وكل آن، لأنه علم من أعلام هذه البلاد، يشرفنا أن يكون في دارنا، ونحن مستمعون له إن شاء الله، عنيت به فضيلة الدكتور الشيخ محمد راتب النابلسي، ولد في دمشق عام 1938، التحق بمدارس دمشق الابتدائية والثانوية ثم بدار المعلمين، بعد ذلك التحق بكلية الآداب قسم اللغة العربية في جامعة دمشق، ونال شهادة الليسانس في آداب اللغة العربية وعلومها، وفي عام 1966 نال دبلوم التأهيل التربوي بتفوق، ثم التحق بجامعة ليون، ونال شهادة الماجستير في الآداب، وإلى درجة الدكتوراه حيث نالها من الجامعة البريطانية، وكانت تحت موضوع: تربية الأولاد في الإسلام، ضيفنا الكريم لزم دراسة العلم الشرعي في وقت مبكر من حياته، ونال إجازة في رواية الحديث الشريف من الدكتور مفتي الصالح رحمه الله، عمل في حقل التعليم الثانوي والجامعي، وهو أستاذ محاضر في كلية التربية في جامعة دمشق، ومدرس ديني في مساجد دمشق، وخطيب في مسجد العارف بالله الشيخ عبد الغني النابلسي رحمه الله منذ عام ألف و تسعمئة و أربع و سبعين، وهو أيضاً مدير معهد تحفيظ القرآن في معهد جامع النابلسي، وعضو في العديد من اللجان التي شكلتها وزارة الأوقاف في الجمهورية العربية السورية، مثّل الجمهورية العربية السورية

في العديد من المؤتمرات، وله العديد من الاطلاعات التلفزيونية على العديد من قنوات العالم العربي، متزوج، له ابنان وثلاث بنات، أسأل الله أن يجعلهم قرة عين له إن شاء الله، قبل أن ننتقل لمحاضرنا ننوه لأخواننا أهل الدعوة – ولهم منا كل الشكر – أهل العلم والمعرفة، ونأمل لكل أخواننا من جمعيات وروابط أن يكون لهم هذا الدور، وكل إن شاء الله يتنافسون على عمل الخير، ونحث على أيديهم جميعاً، وإلى محاضرنا الذي رأته العيون والقلوب، كلنا في شوق لسماع كلام يخترق القلوب، فالمنبر لك صاحب الفضيلة تفضل مشكوراً.

الناس على اختلاف مللهم و نحلهم نموذجان :

الدكتور راتب :

بارك الله بك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد... فإنني أيها الأخوة أشكر من أعماق قلبي القائمين على هذا المجمع، وأنا أسميه قلعة من قلاع الإيمان، فهي إن دلت على شيء فعلى حسن الظن بي، وأسأل الله سبحانه وتعالى ألا أخيب ظنكم. أيها الأخوة الكرام: قبل كل شيء إذا أردت أن تعرف مقامك فانظر فيم استعملك؟ لأن الناس على اختلاف مللهم ونحلهم وأجناسهم ودياناتهم وطوائفهم ومذاهبهم لا يزيدون عن نموذجين، نموذج عرف الله، وعرف منهجه، وانضبط بمنهجه، وأحسن إلى خلقه، فسعد في الدنيا والآخرة، ونموذج آخر غفل عن الله، وتفلت من المنهج، وأساء إلى الخلق، فشقي في الدنيا والآخرة، ونسأل الله جلّ جلاله أن نكون من النموذج الأول، قال تعالى:

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾

[سورة الليل الآيات :1-4]

سعي متنوع بشكل لا يحصر، لكن هذا السعي المتنوع ينصب في حقلين:

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى *وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾

[سورة الليل:5-10]



صدق بالحسنى، أي أنه مخلوق للجنة، بناء على هذا الاعتقاد اليقيني اتقى أن يعصي الله، وبناء على سعيه لهذه المرتبة العالية في الجنة بنى حياته على العطاء، مكافأة الله له أنه يسره لما خلق له من سعادة الدنيا والآخرة.

﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾

[سورة هود:119]

وأما النموذج الثاني الذي بخل واستغنى وكذب بالحسنى، كذب بالجنة وآمن بالدنيا، يعبد شهوته من دون الله، يعبد المال، كذب بالحسنى وآمن بالدنيا، بناء على هذا الاعتقاد أو التوهم بخل، وبناء على هذا استغنى عن طاعة الله، صدق بالدنيا لم يصدق بالحسنى، واستغنى عن طاعة الله، وبنى حياته على الأخذ. لذلك الأنبياء جاؤوا إلى الدنيا أعطوا كل شيء ولم يأخذوا شيئاً، والطغاة أخذوا كل شيء ولم يعطوا شيئاً، والناس جميعاً أتباع نبي أو قوي، أتباع الأنبياء سلاحهم مكارم الأخلاق، ملكوا القلوب، والأقوياء ملكوا الرقاب، وشتان بين من يملك القلوب وبين من يملك الرقاب، فإذا أردت أن تعرف مقامك فانظر فيم استعملك؟ يقول الله عز وجل:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

[سورة فصلت: 33]

((عَنْ عُثْمَانَ رَضِي اللَّهم عَنْهم عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ))

[البخاري عن عثمان]

السلامة و السعادة مطلب كل إنسان على سطح الأرض :

أيها الأخوة الكرام؛ على وجه الأرض ستة آلاف مليون إنسان، ليس فيهم واحد إلا ويتمنى السلامة والسعادة، هذه فطرة، وتلك جبلة، وهذه خصيصة، ولكن لماذا يكون الشقاء؟ لأن هناك نقصاً في العلم، أهل النار وهم في النار ماذا يقولون:

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾

[سورة الملك: 10]

ما منا واحد إلا ويحب وجوده، وسلامة وجوده، ويحب كمال وجوده، واستمرار وجوده، لكن وجوده وسلامة وجوده وكمال واستمرار وجوده يبنى على تطبيق تعليمات الصانع، الإنسان أعقد آلة في الكون، والتعقيد تعقيد إعجاز لا تعقيد عجز، ولهذا المخلوق الأول صانع حكيم، ولهذا الصانع العظيم تعليمات التشغيل والصيانة، فانطلاقاً من فرط حبك لذاتك ينبغي أن تطيع الله عز وجل.

أيها الأخوة الكرام؛

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾

[سورة الأعراف : 189]

ما من إنسان على وجه الأرض إلا ويتمنى السلامة والسعادة، ماذا ينبغي أن نعمل؟ ينبغي أن نبحث عن خالقنا، وربنا، ومسيرنا، وعن واجب الوجود، وينبغي أن نتعلم أسماءه الحسنى وصفاته الفضلى، ينبغي أن نتعلم منهجه القويم الذي يوصلنا إلى أهدافنا بسلام وراحة.

من عرف سرّ وجوده و غاية وجوده صحت حركته :

أيها الأخوة الكرام؛ سؤال دقيق: كل إنسان في الحياة له حركة، ومصيره متعلق بحركته، قد تكون حركة خيرة معطاءة نافعة، وقد تكون حركة شريرة مخربة، وترون وتسمعون كيف أن الإنسان قد يفعل فعلاً تضج منه السموات والأرض، متى يصح عمل الإنسان أو حركته في الحياة؟ سأقرب هذه الحقيقة بمثل: ذهبت لبلد أجنبي ونزلت في أحد الفنادق، واستيقظت في اليوم الأول، وسألت: إلى أين أذهب؟ نسألك نحن: لماذا جئت إلى هنا؟ إن كنت جئت طالب علم فاذهب إلى المعاهد والجامعات، وإن جئت تاجراً فاذهب إلى المعامل والمؤسسات، وإن جئت سائحاً فاذهب إلى المقاصف والمتنزهات، متى تصح حركة الإنسان؟ إذا عرف سرّ وجوده، لو كبرنا هذا المثل لماذا نحن في الأرض؟ لا تصح حركتنا إلا إذا عرفنا سرّ وجودنا وغايته، لو فتحنا قرآننا الكريم ماذا يقول خالق السموات والأرض؟ يقول:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

[سورة الذاريات: 56]

والعبادة في أدق تعاريفها طاعة طوعية، ممزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية، العبادة علة وجودنا، وهي الهدف الأكبر من وجودنا.



أيها الأخوة؛ إذا عرفنا سرّ وجودنا جاءت أعمالنا منسجمة مع هدفنا، أرأيت إلى طالب يذهب إلى بلد أجنبي، فإذا كان الهدف واضحاً جداً، كل حركته في هذا البلد، وكل جزئيات تصرفاته مربوطة بهذا الهدف، إن أراد أن يستأجر بيتاً فسوف يستأجره قريباً من الجامعة، هدفه نيل الشهادة العليا، فاختيار مكان البيت متعلق بالهدف، إن أراد أن يصاحب صديقاً يصاحبه ليتقن لغة هذا البلد، يتعلم منه، فاختيار الأصحاب متعلق بهدفه، لو أراد أن يشتري مجلة يشتري مجلة متعلقة باختصاصه لينتفع بها، لو أراد أن يأكل يأكل طعاماً يعينه على الدراسة، فإذا توضح الهدف جاءت كل جزئيات الحركة منسجمة ومتفقة مع هذا الهدف.

أيها الأخوة الكرام؛ أيها الأخوة الشباب؛ نحن في البدايات حينما يتعلم الشاب حقائق الكون، والحقائق الكبرى في الحياة، هذا التعلم لا يعلو عليه هدف، لأنه سيحدد مصيره.

أيها الأخوة؛ للتوضيح مظلي قد يجهل شكل المظلة، أهو بيضوي أم دائري أم مستطيل أم مربع؟ وقد يجهل عدد الحبال ونوع القماش، يجهل أشياء كثيرة، لكن شيئاً واحداً إذا جهله نزل ميتاً، طريقة فتح المظلة، في الحياة علم يجب أن يعلم بالضرورة، وهو فرض عين على كل إنسان من أجل سلامته وسعادته، هناك من يتوهم يقول: إنني مهندس، ذاك يقول: إنني طبيب، الطبيب والمهندس ومن يحمل أعلى الشهادات قد يكون أمياً في حقائق الكون الكبرى، في سرّ وغاية وجوده، كما أن العالم الكبير في الدين أمي إذا أطلعته على تخطيط قلب، لا يفقه فيه شيئاً، فلابد من معرفة ما ينبغي أن يعرف بالضرورة، قد تجهل أشياء كثيرة ولا تجهل حياتك بجهلها، لكنك إذا جهلت لماذا أنت في الدنيا لا تأتي الحركة متفقة كما ينبغي.

أيها الأخوة الكرام؛ الحقيقة الأولى في هذا اللقاء الطيب متى تصح حركة الإنسان في الحياة؟ إذا عرف سرّ وغاية وجوده، إما أن يستنبط ذلك من تفكره في خلق السموات والأرض، وإما أن يفتح كلام الله ليقرأ قوله تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

[سورة الذاريات: 56]

العبادة كما قلت قبل قليل طاعة طوعية، لو أنها قسرية ليست عبادة، ممزوجة بمحبة قلبية، من أطاع الله وما عبده لن يحبه، ومن أحبه ولم يطعه ما عبده.

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ذاك لعمري في المقال شنيع

لو كان حبك صادقاً لأطعتـــه إن المحب لمن يحب يطيــع

***

السؤال الثاني: متى يسعد الإنسان؟ وسوف أضع بين أيديكم مثلاً واقعياً لتقريب المعنى المجرد؛ طالب على مشارف التخرج، وعنده مادة أساسية من أهم مواد التخرج، ويبنى على تخرجه تعيينه في وظيفة مرموقة، ويبنى على تعيينه في وظيفة مرموقة زواجه ممن يحب، جاء أصدقاؤه قبل الامتحان بيومين، وأخذوه لمكان جميل جداً، مناظر رائعة، إطلالة رائعة، وأطعموه أطيب الطعام، وآنسوه أطيب المؤانسة، لماذا يشعر بالانقباض؟ لأن هذه الحركة لا تتناسب مع هدفه، هذا الطالب لو جلس في غرفة قميئة مظلمة، ومعه الكتاب المقرر، وقرأه واستوعبه لشعر براحة ما بعدها راحة، متى يشعر الإنسان بالسعادة؟ إذا جاءت حركته مطابقة لهدفه، التاجر إذا كان البيع قليلاً، والأسواق راقدة، والبضاعة مكدسة في المستودعات، وهو مرتاح يشرب الشاي والقهوة، ويقرأ الجرائد، لماذا يشعر بضيق لا يحتمل مع أنه مرتاح؟ أما حينما يقف على قدميه، وينسى أن يأكل لشدة البيع، فهو في قمة سعادته، حينما تأتي حركتك مطابقة لهدفك تسعد.

تصح حركتك إذا عرفت سرّ وجودك، وتسعد إذا جاءت هذه الحركة مطابقة لهدفك.

الإنسان هو المخلوق الأول رتبة :

أيها الأخوة الكرام؛ الإنسان ينبغي أن يعرف نفسه، هو المخلوق الأول رتبة، ركّب الملك من عقل بلا شهوة، وركّب الحيوان من شهوة بلا عقل، وركّب الإنسان من كليهما، فإن سما عقله على شهوته أصبح فوق الملائكة،

وإن سمت شهوته على عقله أصبح دون الحيوان، فهذا الذي شرد عن الله شرودِ البعير، ولم يتعرف إليه، ولم يقف عند دقائق منهجه، وأساء على خلقه، شقي في الدنيا والآخرة.

أيها الأخوة الكرام؛

﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾

[سورة النساء: 77]

دقق واحد في الأرض وأصفار إلى الشمس كل ميليمتر صفر، كم هذا الرقم؟ واحد في الأرض ومئة وستة وخمسون مليون كيلو متر أصفاراً، وكل ميليمنر صفر، هذا الرقم – وأخوتنا الذين درسوا الرياضيات يعرفون الحقيقة– إذا نسب للانهاية قيمته صفر:

﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾

[سورة النساء: 77]

الدنيا أحقر من أن تكون عطاء أو عقاباً لإنسان:

((عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ))

[سنن الترمذي عن سهل بن سعد]

﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾

[سورة النساء: 77]

اعتماد القرآن على قيمتي العلم و العمل للترجيح بين البشر :

لكن بآية ثانية:

﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾

[سورة النساء: 113]

لي وقفة متأنية عند هذه الكلمة، كلمة عظيم لو قالها طفل صغير، قال لك: أنا معي مبلغ عظيم، كم تقدر هذا المبلغ؟ بمئتي ليرة، خمسمائة ليرة، ألف ليرة، لو قال مسؤول كبير بالبنتاغون: رصدنا لحرب العراق مبلغاً عظيماً،

كم تقدر هذا المبلغ؟ بمئتي مليار، من مئتي ليرة إلى مئتي مليار بحسب القائل أليس كذلك؟ إذا قال خالق السموات والأرض:

﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾

[سورة النساء: 113]



قيمة العلم أعلى قيمة، نحن في الحياة الدنيا هناك قيم نعتمدها في الترجيح بين الناس، من هذه القيم قيم المال، والذكاء، والوسامة، والقوة، لكن القرآن الكريم اعتمد قيمتين ليس غير، اعتمد قيمة العلم وقيمة العمل قال:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾

[سورة الزمر:9]

وقال:

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾

[سورة المجادلة: 11]

وقال:

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا ﴾

[سورة الأحقاف: 19]

ليس في القرآن الكريم كله من آية اعتمدها خالق الإنسان للترجيح بين البشر كقيمتي العلم والعمل، لذلك إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإن أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإن أردتهما معاً فعليك بالعمل، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً، ويظل المرء عالماً ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل، طالب العلم يؤثر الآخرة على الدنيا فيربحهما معاً، والجاهل يؤثر الدنيا على الآخرة فيخسرهما معاً.

تكليف الإنسان بحمل الأمانة بعد أن أعطي مقوماتها :

أيها الأخوة الكرام؛ كلفك الله حمل الأمانة قال تعالى:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴾

[سورة الأحزاب: 72]

ما هي الأمانة؟ هي نفسك التي بين جنبيك.

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا *وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾

[سورة الشمس: 9-10]

تتزكى النفس بتعريفها بربها، وتتزكى بتعريفها بمنهج ربها، وباتصالها به.

﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾

[سورة الشمس: 10]

أبقاها جاهلة، وجعلها متفلتة من منهج الله، وحملها على إيذاء خلق الله، فشقي في الدنيا و الآخرة.

أيها الأخوة الكرام؛ ما كلفك الله حمل الأمانة إلا بعد أن أعطاك مقوماتها، من أولى مقومات حمل الأمانة هذا الكون الذي بين أيدينا، والكون يقابله في القرآن الكريم السموات والأرض، والسموات والأرض مصطلحٌ قرآني، أي الكون، والكون ما سوى الله، الله واجب الوجود وما سواه ممكن الوجود، هذا الكون يكاد ينطق بكل شيء فيه أن الله موجود وواحد وكامل، لكن نحتاج إلى تفكر قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآَيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

[سورة آل عمران:190-191]

هناك أمر إلهي، بل جاء هذا الأمر على شكل خبر، وهو عند علماء البلاغة أبلغ من أن يكون إنشاء:

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

[سورة آل عمران:191]

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾

[سورة البقرة:233]

صيغة الخبر أبلغ من صيغة الأمر، لو أن الهل قال للنساء: يا أيتها النساء أرضعن أولادكن حولين كاملين لما كانت في مستوى أنه شيء واقع لا يمكن أن نحيد عنه.

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾

[سورة البقرة:233]

هذا شأن الأم، وشأن الإنسان أن يتفكر في خلق السموات والأرض.

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾

[سورة عبس: 24]

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾

[سورة الطارق:5]

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

[سورة يونس : 101]

آيات الله الدالة على عظمته :

أيها الأخوة؛ بين الأرض وبين أقرب نجم ملتهب أربع سنوات ضوئية، لو أردت ن تصل لهذا الكوكب الصغير القريب بمركبة أرضية لاحتجت لخمسين مليون عام، من أجل أن نصل لأقرب نجم ملتهب، متى نصل لنجم القطب؟ نحتاج إلى أربعة آلاف سنة ضوئية، متى نصل إلى المرأة المسلسلة؟ بعد مليوني سنة ضوئية، متى نصل إلى بعض المجرات التي تبعد عنا عشرين مليار سنة ضوئية؟

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾

[سورة الواقعة:75-76]

يقسم الله عز وجل، إن أقسم فبالنسبة إلينا، وإن لم يقسم فلذاته العلية.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾

[سورة الواقعة:75-76]

أيها الأخوة؛ بين الأرض والشمس مئة وستة وخمسون مليون كيلو متر، يقطعها الضوء في ثماني دقائق، والشمس تكبر الأرض بمليون وثلاثمئة ألف مرة، أي أن جوف الشمس يتسع لمليون وثلاثمئة ألف أرض، و في برج

العقرب نجم صغير أحمر اللون، متألق، اسمه قلب العقرب، يتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما، هذا الإله العظيم هل يعصى؟

أيها الأخوة الكرام؛ شيء آخر – الله ﷻ وعزّ نواله – قال:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾

[سورة البقرة:26]

يا ربي بعوضة في القرآن؟

((عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ))

[سنن الترمذي عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ]

استمعوا لما قاله العلماء وما قدموا من صور إلكترونية عن البعوضة، قالوا: في رأسها مئة عين، في فمها ثمانية وأربعون سناً، في صدرها ثلاثة قلوب؛ قلب مركزي، وقلب لكل جناح، وفي كل قلب أذينان وبطينان ودسامان، وتملك البعوضة جهازاً لا تملكه الطائرات التي قصفت، جهاز استقبال حراري، البعوضة لا ترى الأشياء لا بشكلها، ولا بحجمها، ولا بلونها، ترى الأشياء بحرارتها، جهاز الاستقبال الحراري حساسيته واحد على ألف من الدرجة المئوية، لو أنها في غرفة مظلمة لا ترى إلا النائم، لأن حرارته سبعة وثلاثون تأتي إليه، ما كل دم يناسبها، معها جهاز تحليل دم، فقد ينام أخوانه على سرير واحد يستيقظ الأول وقد ملئ جبينه بلسع البعوض، والثاني لا شيء عليه، معها جهاز استقبال حراري راداري، ومعها جهاز تحليل للدم، لكن الإنسان إذا وقعت عليه بعوضة وغرست خرطومها في جلده يقتلها، معها جهاز تخدير، لا تشعر بوخز خرطومها إلا بعد أن تطير، لأنها استخدمت جهاز التخدير، ومعها جهاز تمييع للدم، لأن لزوجة الدم قد لا تسري في خرطومها، من جهاز رادار إلى تخدير إلى تحليل إلى تمييع، ولو فحصت خرجومها لوجدت فيه ست سكاكين، أربع سكاكين تحدث جرحاً مربعاً وسكينان يلتئمان على شكل أنبوب لامتصاص الدم، وفي أرجل البعوضة مخالب إذا وقفت على سطح خشن، ومحاجم إذا وقفت على سطح أملس، يقول الله عز وجل:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾

[سورة البقرة:26]

آيات القرآن الكريم يجب أن يكون لك منها موقف، إذا قرأت آية أمر ماذا تقتضي هذه الآية؟ أن تطيع الله، وإن قرأت آية نهي ماذا تقتضي هذه الآية؟ أن تترك ما نهاك الله عنه، وإذا قرأت آية كونية تقتضي هذه الآية أن تتفكر في خلق السموات والأرض.

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

[سورة آل عمران:191]

أيها الأخوة؛ قبل شهر أو أكثر وقع تحت يدي بحثاً عما يسميه علماء الطب: المشيمة، ويسميه العوام: الخلاص، الطفل حينما يولد ينزل معه قرص من اللحم يسمى خلاصاً، يوضع في الحاوية أو يدفن، من يصدق أن في هذه المشيمة من آيات الله الدالة على عظمته ما لا يصدق؟ وظائف المشيمة لو أوكلناها إلى أعلم علماء الطب لمات الجنين في ساعة واحدة، ماذا يوجد في المشيمة؟ في المشيمة تلتقي دورة دم الأم مع دورة دم الجنين تلتقيان ولا تختلطان، لأنك إذا أعطيت إنساناً دماً من غير زمرته يموت فوراً لانحلال دمه، لابد من ألا يختلط دم الجنين ودم الأم، بينهما غشاء عاقل، هذا الغشاء يأخذ من دم الأم ما يحتاجه الجنين بنسب تتبدل كل يوم، ثم يأخذ من دم الأم الأوكسجين ليحرق السكر في دم الجنين، هو جهاز هضم وتنفس، ثم يأخذ هذا الجهاز العاقل من دم الأم كل مناعة الأم لتقي الجنين من إصابته بأمراض الأم، ثم يعيد هذا الغشاء إلى دم الأم ثاني أكسيد الكربون، ناتج احتراق المواد السكرية مع الأوكسجين، وحمض البول، والمواد السامة، هو كلية وتنفس للجنين، وهناك أبحاث طويلة تتحدث عن الغشاء العاقل.

العلم أخطر شيء في حياة الإنسان :

أيها الأخوة الكرام؛ نحن نتحدث عن هذا الشاب الناشئ في طاعة الله، ينبغي أن يعرف سرّ وجوده وغايته، فما لم تكن هناك مناهج تعرفه بسرّ وغاية وجوده، وما لم تكن هناك مناهج تعطيه الوسائل الصحيحة والدقيقة والمتفق عليها لوصوله إلى هدفه لن يجدي التعليم العشوائي، ولا التعليم الذي لا ينطلق من كتاب الله عز وجل ومن سنة رسوله ﷺ شيئاً.

أخوتنا الكرام؛ أخطر شيء في حياة الإنسان العلم، حينما تعرف تتحرك وفق الصواب، وإن لم تعرف تتحرك حركة عشوائية، فإن كان من ورقة رابحة بأيدينا هي أولادنا، وشبابنا هم الطاقة الكبيرة، من يصدق كما تفضل الأستاذ الجليل أن صحابياً لا تزيد سنه عن ثمانية عشر عاماً كان قائداً لجيش فيه أبو بكر وعثمان وعلي؟ الإسلام يرعى كل الأعمار، طفل صغير يلعب مع رفاقه مرّ بهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه تفرق الصغار وبقي هذا الطفل واقفاً بأدب، لفت نظر سيدنا عمر قال له: لمَ لم تهرب مع من هرب؟ قال: أيها الأمير لست ظالماً فأخشى ظلمك، ولست مذنباً فأخشى عقابك، والطريق يسعني ويسعك.

الشباب قوة الأمة و درعها الحصين :

أيها الأخوة؛ والله الذي لا إله إلا هو ما من عمل على وجه الأرض أخطر بالنسبة لهذه الأمة وما أصابها من محن من تربية أولادها، ومن توجيه شبابها، فالشباب قوة الأمة، هم القوة المتطلعة الفاعلة، إذا ضاع الشباب ضاعت الأمة.

أيها الأخوة الكرام؛ كل الإنجازات الضخمة خلفها شباب، وريح الجنة في الشباب، والإسلام رعى الشباب. يروى أن رجلاً كان مع رسول الله ﷺ، وهو محسوب على المسلمين، جاءت غزوة مؤتة فلم يقدم شيئاً، بينما الصحابة الكرام تنافسوا على تقديم أموالهم وما عندهم في سبيل هذا الجيش، لفت نظره أن عمه وهو زوج أمه لا يتبرع، فالنتيجة قال له: والله يا عم ما على وجه الأرض من إنسان أحب إليّ بعد رسول الله منك ولكنك لا تتقدم ولا تتأخر، فقال كلمة قال: والله لو أن محمداً صادقاً فيما يقول لكنا شراً من الحمر.



نطق بكلمة الكفر، لو أنه صادق لكنا كذا، هذه الكلمة ساءت هذا الغلام حرصاً قال: والله لا أستطيع إلا أن أنقلها للنبي، لأنك معدود أنك من أصحابه، فلما دعاه النبي حلف أيماناً كاذبة وشدد على أن هذا الطفل يكذب، ثم نزل الوحي يصدق هذا الغلام، فأمسك النبي عليه الصلاة والسلام بأذن الغلام وقال له: صدقك الله يا غلام، الغلام له شأن كبير في الحياة الإسلامية، وهذا الرجل عاد

إلى الله، وتاب توبة نصوحة، وضاعف إكرامه لهذا الغلام، وكان كلما ذكر هذا الغلام يقول: هو سبب توبتي، هذا الإسلام مبني على التناصح.

أيها الأخوة الكرام؛ عمير بن وهب له ابن وقع أسيراً عند المسلمين، فقال لصفوان بن أمية: والله لولا أطفال أخشى عليهم العنت من بعدي، ولولا ديون ركبتني ما أطيق سدادها، لذهبت وقتلت محمداً وأرحتكم منه، فانتهزها صفوان مناسبة فقال: أما أولادك فهم أولادي ما امتد بهم العمر، وأما ديونك فهي عليّ بلغت ما بلغت، وقم بما أردت، تروي القصة أنه سقى سيفه سماً، وركب راحلته، وذهب للمدينة، والظاهر ليأخذ ابنه من قيد الأسر، فلما وصل إلى هناك سيق إلى النبي فقال له النبي الكريم: يا عمير ما الذي جاء بك إلينا؟ قال: جئت أفدي ابني من أسره، قال: وهذه السيف التي على عاتقك؟ قال: قاتلها الله من سيوف وهل نفعتنا يوم بدر؟ فقال عليه الصلاة والسلام: يا عمير ألم تقل لصفوان لولا ديون ركبتني ما أطيق سدادها، ولولا أطفال أخشى عليهم العنت من بعدي لذهبت وقتلت محمداً وأرحتكم منه؟ فوقف وقال: أشهد أنك رسول الله، إن هذا الذي جرى بيني وبين صفوان لا يعلمه أحد إلا الله وأنت رسوله، بقي صفوان ينتظر خبراً ساراً فإذا بالركبان يأتونه بخبر إسلام عمير بن وهب.

الحرص على تربية الأولاد بالتغذية الصحيحة المبنية على منهج الله و نبيه :

أيها الأخوة الكرام: نحن بحاجة لتغذية صحيحة، هذا البراد الذي يوضع فيه الماء في السيارة له فتحة علوية، وصنبور سفلي، الذي تضعه في فتحته العلوية تأخذه من صنبوره السفلي، أليس كذلك؟ كل إنسان يتغذى، اسأل نفسك هذا السؤال: أنت ماذا تغذي أولادك؟ الذي تغذيهم به سينطقون به، ويتغذون من خلاله، فما لم نحرص على تربية أولادنا صغاراً وشباباً بالتغذية الصحيحة المبنية على منهج الله عز وجل ومنهج نبيه ﷺ فإن التغذية الخاطئة الأخرى لن تجعلنا نرضى عنهم إطلاقاً، لكن المشكلة أن معظم الناس إما لانشغالهم وإهمالهم، أو جهلهم بخطورة تقصيرهم، قد يدعون أولادهم لتغذيات ليست إسلامية، ثم يفاجؤون أن أولادهم قد انحرفوا، ما لم تكن فوق ابنك من وقت مبكر وتلزمه وتحرص على صديقه فإن النتائج لن تكون مرضية، ثبت أن تأثير الصديق على صديقه يصل لستين بالمئة، وما يأخذه من أمه وأبيه ومعلمه لا يرقى لأربعين بالمئة، فما لم تعلم من هو صديق ابنك ولم تتأكد من حسن التغذية الثقافية التي ينهلها ابنك فإن الأمر جد خطير.

كيفية إصلاح الشباب :

أيها الأخوة الكرام؛ لابد من ربط الكليات بالجزئيات، كيف نصلح شبابنا؟ حينما نكون قدوة لهم؟ القدوة قبل الدعوة، أقول لكم كلمة صريحة أيها الآباء و أيتها الأمهات: لا تطمعوا أن يكون ابنكم كما تريدون قبل أن تكونوا قدوة له، لأن الأولاد يتعلمون بعيونهم لا بآذانهم، فيكفي أن تكذب الأم أمام زوجها على مسمع من ابنتها، إنها لقنتها درساً في الكذب دون أن تشعر، وحينما يدخن الأب فكأن ابنه يرى أن الدخان شيء مقبول، فلذلك ما لم نكن قدوة لأولادنا لا سبيل لإصلاحهم.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾

[سورة الأحزاب:21]

هذه واحدة القدوة قبل الدعوة.

الشيء الثاني: الإحسان قبل البيان، قبل أن تلقي محاضرة عليه يجب أن يشعر بعطفك ورحمتك وحنانك، كل أب محترم، وكل أم محترمة، لكن ما كل أب يحب، وما كل أم تحب، لا يحب الأب إلا إذا كان محسناً، فالقدوة قبل الدعوة، والإحسان قبل البيان، الأصول قبل الفروع، قبل أن تضربه على الصلاة هل عرفته بالله الذي يصلي له؟ ما لم تربط كليات الدين بالجزئيات فلا سبيل لإصلاح الابن، كل جزئية من سلوكه ينبغي أن تربط بهدف كبير، وهذا شيء مهم في التربية، فالأصول قبل الفروع، والقدوة قبل الدعوة، والإحسان قبل البيان، المضامين لا العناوين، لا تكن شكلياً بمعنى أنك تضحي بالأهداف الكبرى من أجل شكليات لا تقدم ولا تؤخر، المضامين لا العناوين، والمبادئ لا الأشخاص، في أصول التربية يجب أن تعطي ابنك الأصول والمبادئ قبل أن تجعله يعظم زيداً وعبيداً وهو لا يفقه لما يعظم.

أيها الأخوة الكرام: هذه بعض المبادئ التي لا بد من أن يؤخذ بها في موضوع تربية الأولاد، لكن ألح وأركز على أنه ما لم يكن الأب والأم والمعلم والمعلمة قدوة لمن يعلم فلا يرجى من التربية والتعليم شيئاً، وما لم تكن المناهج مستقاة من وحي السماء ومن كتاب الله وسنة رسول الله فإن الأمر جد خطير، ولا تقولوا ماذا نفعل؟ هذه حقائق مرة، وهي أفضل ألف مرة من الوهم المريح، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المذيع:

نشكر فضيلة الدكتور على ما أجاز به، وأرجو من الجميع إعطاء الفرصة بكتابة أي سؤال، لأن وجود فضيلة الدكتور بيننا هو أمر لا يعوض في كل دقيقة.

قد وردنا سؤال في البداية وأظنه يحتاج لمحاضرة كاملة: ما هو دور الشباب المسلم في ظلّ المتغيرات الدولية وملاحقة الأنظمة على ما وصفها السائل؟

بناء النفس ينتهي بالنصر الأكيد :

الدكتور راتب :

أيها الأخوة؛ أنا مؤمن إيماناً لا يتزعزع أنه ما لم يبن كل منا بناء صحيحاً، وما لم يحتل موقعاً صحيحاً يعمم خبرته ويطورها ثم يقدمها لأمته فلن نرجو خيراً، هؤلاء الذين ملكوا زمام المبادرة في العالم من مئتي عام يبنون أنفسهم بناء دقيقاً موضوعياً، فما لم نبن أنفسنا كيف؟ جميع الأخوة المواطنين لهم مواقع في الحياة، إذا كل واحد أقام الإسلام في نفسه، ثم أقامه في بيته، ثم في عمله، وأتقن عمله، وطوره، وقدمه هدية لأمته، هذا اسمه البناء، العمل البنائي ينتهي بالنصر الأكيد، أما أن نكتفي بمتابعة الأخبار وتوزيع الألقاب و التهم على الآخرين ولا نفعل شيئاً فهذا سلوك المنهزمين.

أيها الأخوة؛ حقيقة أتمنى أن تكون واضحة لديكم: هناك أناس ضيقو الأفق رسموا أهدافاً شبه مستحيلة، فإما أن تحقق أو لا يفعلون شيئاً، وبإمكانك أن تفعل مليون شيء، وأهدافك الكبرى غير محققة، هذا الدين كالهواء للإنسان، هذا دين الله عز وجل، يمكن أن تقيم الإسلام في بيتك وعملك ونفسك، وأكثر من ذلك إذا أقمت الله فيما تملك كفاك ما لا تملك، وإبليس من تلبيسه على المسلمين أن الأعمال التي بقدرتهم أن يفعلوها لا يفعلوها، وأن الأشياء المستحيلة يدفعهم إليها، في النهاية لم يفعلوا شيئاً، بقي الإسلام ظاهرة صوتية.

المذيع:

السؤال الثاني: من المعروف أن الأهل هم الذين يحثون أولادهم على العبادة وخاصة الصلاة، ولكن كيف يمكن للأبناء أن يحثوا أهلهم على إقامة الصلاة؟

العبادة لله والإحسان للوالدين :

الدكتور راتب :

والله لا أعتقد أن الابن الذي أنجبه أبوه يستطيع أن يأمره أو ينهاه، لكنه بإحسانه لوالديه يستطيع حثهم بشكل أو بآخر على الصلاة، لا يمكن أن تؤثر بوالديك إلا إذا كنت عالي المستوى في الإحسان إليهم، لذلك الله عز وجل قال:

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾

[سورة الإسراء: 23]

العبادة لله والإحسان للوالدين، والله أذكر رجلاً في الشام واقع في مشكلة مالية كبيرة جداً فوق طاقته، ولا ينام الليل، دخلت عليه ابنته الصغيرة وقالت له: يا أبت قم فصلِّ، واخز الشيطان، وادع الرحمن أن يحل هذه المشكلة، أقسم لي بالله أنه تاب على يد ابنته الصغيرة، في الروضة قبل الابتدائي، فإذا كان الطفل قريباً من والديه ومعه منطق وحجة يمكن أن يقنع، بعض المعاهد في دمشق تسأل الأب: هل يصلي ابنك في البيت؟ فالأب يقع في إحراج شديد، أحياناً يصلي كي لا يفتضح أمام أولاده.

المذيع:

السؤال عن قضية فلسطين ذكرتم في حواراتكم والأخ الثاني يسأل عن حديث الإسلام الجهاد فنرجو منك التركيز.

جهاد النفس والهوى هو الجهاد الأساسي :

الدكتور راتب :

أيها الأخوة؛ الجهاد من السذاجة وضيق الأفق أنه إذا قلنا جهاداً تصورنا القتال، تصور أن الإنسان ينبغي أن يجاهد نفسه وهواه أولاً، هذا الجهاد كيف يوجد في التعليم تعليم أساسي ثم ثانوي ثم جامعي ثم دكتوراه، جهاد النفس والهوى هو الجهاد الأساسي، والمهزوم أمام نفسه وشهواته وغرائزه ومصالحه ورغائبه لا يستطيع أن يواجه نملة، فقبل كل شيء جهاد النفس والهوى، النبي ربّى أصحابه أعواماً مديدة، الجهاد الثاني الجهاد الدعوي:

﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً﴾

[سورة الفرقان:52]

يجب أن تعرف هذا الإنسان لماذا خلقت، ولماذا جيء بك إلى الدنيا، وما الذي يسعدك ويشقيك.

﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً﴾

[سورة الفرقان:52]

بالقرآن،

﴿جِهَاداً كَبِيراً﴾

فبدءاً بجهاد النفس والهوى ومروراً بالجهاد الدعوي ثم البنائي:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ ﴾

[سورة الأنفال: 60]

يجب أن نبني هذه الأمة والوطن، كل في موقعه، إتقان العمل جهاد، والصدق والأمانة والإنصاف والتواضع جهاد، فحينما تبني وطنك وأمتك بناء صحيحاً إذا صح جهادنا الدعوي، وصح جهاد النفسي والهوى، وإذا صح الجهاد البنائي ينتظر أن ننجح في الجهاد القتالي، أما هذا الذي يقفز من الجهل والتفاهة والانسياق وراء الغرائز إلى الجهاد يزعم أنه الجهاد الوحيد فهذا لا أرى أنه قد ينجح في هذا الجهاد.

المذيع:

خطورة التعليم في عالمنا الإسلامي أنه لم يوضح حسب المنهج الإسلامي، والأخ السائل يقول إنه لا يرى موقفاً موحداً من العلماء لهذا الأمر فهل هذا خوف أو تقصير؟

ضرورة التوافق بين مناهج التعليم وبين وحي السماء :

الدكتور راتب :

والله أيها الأخ الكريم والسائل ما من مشكلة أراها أكبر من هذا الانفصال بين ما ينبغي أن نعلمه لأولادنا وبين ما يعلمون، الطفل أحياناً يشعر بانفصام في شخصيته، يذهب للمدرسة فيتعلم أن أصل الإنسان قرد، يأتي إلى الجامع فيتعلم أن البشرية بدأت بسيدنا آدم، فحينما يتعلم شيئاً في المدرسة وشيئاً في البيت حصل انفصام في شخصية المتعلم، فأتمنى أن يكون هناك توافق بين مناهج التعليم وبين وحي السماء، ولكن إن كان هذا مستحيلاً فينبغي أن يعتني الأب بأولاده عناية فائقة جداً من أجل أن يرمم هذا النقص، ويوضح ذاك التناقض.

المذيع:

كيف يمكن للشاب الذي تخطى العشرين عاماً من العمر أن يرجع إلى الله سبحانه وتعالى أمام المتغيرات في هذا الزمن؟

إقناع الشاب بالأدلة و الإحسان إليه ليعود إلى الطريق القويم :

الدكتور راتب :

قيل: لاعب ولدك سبعاً، وأدبه سبعاً، وراقبه سبعاً، ثم اترك حبله على غاربه، أول مرحلة لا يجدي إلا الإكرام، لكن بعد الوعي وترسيخ القيم يجدي التأديب، أما في سن المراهقة فهناك حساسية كبيرة راقبه، لكن بعد الواحد والعشرين اجعله صديقاً لك، حاول أن تقنعه بالأدلة الدقيقة، وأن تحسن إليه، ولا تملك فوق ذلك، وإن نجحت في المراحل الثلاث الأولى يغلب على الظن أنك تنجح في المرحلة الثالثة الأخيرة.

المذيع:

ما حكم الاستهزاء بأمر الله ورسوله ﷺ ؟

حكم الاستهزاء بأمر الله ورسوله :

الدكتور راتب :

هذا نوع من الكفر، هناك كفر اعتقادي، وكفر كلامي، وكفر عملي، يمكن أن يقع الإنسان في معاصي كثيرة، لكنه لا يستهزئ، هذا مغلوب على أمره، لكن حينما يستهزئ ويخف ويحقّر وينتقد هذا وقع في حالة أرجو الله أن ينجي شبابنا منها.

المذيع:

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

طالب جامعي يتعلم العلم الدنيوي ليس الشرعي يسأل عن هذه الآية؟

انسجام كيان الإنسان مع سرّ وجوده يكون بالتعرف إلى الله واتباع منهجه :

الدكتور راتب :

العلم المعني بالقرآن الكريم أن تعرف الله، ومنهجه، وسر وجودك، وغاية وجودك، وأن يأتي عملك مطابقاً لمعتقدك، أما حينما أتقن اختصاصاً أنتفع به، وأنفع به الناس، لكن هذا الاختصاص لا ينجيني، ذكرت في مقدمة الكلمة أنك قد تجد أعلم علماء الدين أمام تخطيط قلب أمياً، وقد تجد إنساناً يحمل أعلى شهادة أمام حقائق الدين أمياً، فلا ينجي الإنسان أن يتعلم العلم المادي فقط، هذا نوع من الحرفة الراقية يسمونها: اختصاصات راقية فكرية، لكن هذه تبقى في الدماغ، أما حينما تتعرف إلى الله، وتتعرف لمنهجه، وتزكي نفسك بالاتصال به، يصبح كل كيانك منسجماً مع سر وجودك.

المذيع:

ما وصية فضيلتكم بالنسبة للآباء الذين يتركون أولادهم أمام فعل المعاصي كشرب الخمور بحجة أنهم سيقلعون عنها عندما يتذوقونها لأول مرة بأنفسهم؟

الابتعاد عن المعاصي و اتباع حدود الله :

الدكتور راتب :

فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها إن الطعام يقوي شهوة النهم

***



يوجد مشكلة خطيرة جداً، أحياناً يوجد معاص إذا توهمت أنك تفعلها وتتذوقها ثم تقلع عنها قد تكون واهماً، تماماً كما لو رأيت قنبلة تتساءل قنبلة ليست قنبلة فأمسكتها فإذا هي قنبلة فانفجرت، لم تبق لك وقت كي تنتفع من هذا الدرس، هناك معاص فيها صفة الإدمان، قال تعالى:

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ ﴾

[سورة البقرة: 187]

تيار عال يكتب وزير الكهرباء أمامه: ممنوع الاقتراب من هذا التيار، لو قال: ممنوع مس التيار يوجد خطأ كبير، لأنك إذا اقتربت من التيار إلى مسافة أقلّ من ثمانية أمتار تصبح قطعة من الفحم، فهناك معاص تجذب، لو لم يعبأ الإنسان وانجذب قد لا تبقى عنده الإرادة على ترك المعصية، وقد يقع ضحية لها، وقد لا تبقي له وقتاً ينتفع بهذه التجربة، فأعظم شيء في الحياة أن تستخدم خبرة الخالق لكي تنجو.

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾

[سورة فاطر:14]

المذيع:

شاب جامعي يقول: إذا ترك العلم من أجل الوظيفة فهل يحاسب على ترك العلم؟ وما السبيل إلى التوفيق بين العلم والوظيفة في آن معاً؟

قضية العلم قضية مصيرية :

الدكتور راتب :

فكرة دقيقة: سائق شاحنة يحمل عشرين طناً، مرّ على جسر مكتوب: الحمولة القصوى عشرة أطنان، نظر هل يوجد شرطة؟ الموضوع ليس موضوع شرطة، الموضوع موضوع سقوطك في النهر، فعندما يسأل نفسه: هل أنا آثم؟ الموضوع ليس إثماً، العلم الشرعي إن لم تتعلمه ستخطئ، وستقع بالظلم والعدوان، وستدفع ثمن المعصية كبير جداً، وستزل قدمك، فقضية العلم قضية مصيرية، طلب العلم فرض على كل مسلم كائناً من كان، لكن قلت: أي علم؟ العلم الذي يعلم بالضرورة، فإن لم تتعلم فتح المظلة نزلت ميتاً، الموضوع هالك أم ناج.

المذيع:

البعض يسأل عن قسوة القلب، ما نصيحتكم؟

قسوة القلب علامة البعد عن الله :

الدكتور راتب :

القرب من الله، علامة البعد عن الله قسوة القلب.



﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾

[سورة الزمر:22]

علامة قربك من الله رقة القلب، الراحمون يرحمهم الله، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء:

((إن كنتم تحبون رحمتي فارحموا خلقي))

[الديلمي عن أبي بكر]

المذيع:

قال تعالى:

﴿ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً ﴾

نرجو أن تتكرم علينا بربط الإحصاء بين القرآن وعلم الإحصاء اليوم؟

الفرق بين العد و الإحصاء :

الدكتور راتب :

عندي في الصف خمسون طالباً أما الإحصاء فالمتفوقون كم واحد؟ الذين عندهم قدرة كلامية من؟ المتفوقون بالرياضيات من؟ من أمه مطلقة؟ من أبوه مثقف؟ من يوجد في بيته مكتبة؟ عندما تعرف وضع طالب طالب بكل ملابسات حياته، بتربيته المنزلية، بأمه، بأبيه، بأخواته، بصفاته، بقدراته العامة والخاصة، واللغوية، والفكرية، عندما تعرف كل شيء عنهم هذا أحصاهم، العد غير الإحصاء، عندما أقول: سكان لبنان كذا مليون فقط هذا عد، لكن أعرف الطاقة المنتجة، نسب الشباب، نسب الشيوخ، والمهن الصناعية والتجارية، كم واحد يحمل دكتوراه

بالألف، أعطيك دراسات مطولة جداً عن بنية الشعب اللبناني هذا اسمه إحصاء، فالله عز وجل خبير بكل ما نفعل:

﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً﴾

[سورة مريم:94]

العد شيء والإحصاء شيء.

المذيع:

ما هو حكم لبس البنطال تحت الجلباب وأليس حقاً ما ندعو به: اللهم بحقنا به أو بجاهنا به نسألك كذا وكذا؟

حكم لبس البنطال تحت الجلباب :

الدكتور راتب :

قبل البنطال الله عز وجل خصّ الرجال بعبادة يحضرون الجمع والجماعات ويحضرون الجهاد، وخص النساء بعبادة لا تقل خطورة عن عبادة الرجال، خصهم بعبادة أقترح أن تسمى عبادة إعفاف الشباب، حينما تستر المرأة مفاتنها، وتحفظ شبابنا من الفتنة والانحراف، تكون قد عبدت ربها بطريقة لا نشعر بها، إنها أبعدت من في الطريق عن أن يفتتنوا بها، هي تقول: لا يستطيع أحد أن يكلمني كلمة، صحيح، لكن ماذا فعلت بشاب بينه وبين الزواج عشرين سنة وأنت أظهرت مفاتنك أمامه؟ من أولى عبادات المرأة أن تعف الشباب عن الحرام بستر مفاتنها، فثياب المرأة متعلقة بدينها.

المذيع:

عملية الاستغاثة بالنبي عليه الصلاة والسلام أو السؤال بحقه أو بجاهه عليه السلام.

حكم الاستغاثة بالنبي أو بحقه :

الدكتور راتب :

حينما تتوهم أن للنبي إرادة مستقلة عن إرادة الله فهذا شرك، أما حينما لا تفهم الأمر هكذا، تفهم أنك إذا أحببت الله من لوازم حب الله حب نبي الله لا مشكلة.

مثل أوضح: لو أنك قلت: لله رجال إذا أرادوا أراد، إذا ظننت أن لهؤلاء الرجال إرادة مستقلة عن إرادة الله فهذا عين الشرك، أما إذا قلت مستجابو الدعوة فهذا عين التوحيد، فإذا استغثت بالنبي على أن له إرادة مستقلة عن الله عز وجل هذا شرك، أما إذا كانت محبتك للنبي عين محبة الله أو بالعكس بدليل قول الله عز وجل:

﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾

[سورة التوبة:62]

ضمير مفرد، إرضاء رسول الله عين إرضاء الله لا مشكلة أبداً.

المذيع:

هل يجوز للمرأة أن تحضر درساً دينياً حتى لو رفض الزوج مع العلم أن نسبة كبيرة من السناء بحاجة لتعلم العلم الشرعي؟

وجوب عدم خروج المرأة دون إذن زوجها :

الدكتور راتب :

ينبغي أن تقنعه أنها إذا حضرت هذا الدرس كانت زوجة مثالية له، وعرفت حقه وقدره، بهذه الطريقة تقنعه أنها ستكون كما يتمنى، ستعرف حقوقه وواجباته، بهذه الطريقة تقنعه وإن فشلت نبحث عمن يمون عليه ليكلمه، أما أن تخرج من دون أذنه مستنكفة عن طاعته وقد يكون له وجهة نظر نحن لا نعلم ملابساتها.

المذيع:

أخت تقول: إنها تصلي وتصوم غير أنها تشعر أنها بعيدة ومقصرة بحق الله.

المعاصي حجاب بين العبد و ربه :

الدكتور راتب :

لو الإنسان صلى يحجب عن الله لأنه يكون مرتكباً لبعض المخالفات بدليل:

﴿وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾

[سورة البقرة:45]

إنسان واقع بمخالفة ومعصية فهي بينه وبين الله حجاب، فإذا أراد أن يصلي فالصلاة صعبة عليه، إلا على الخاشعين، هل يستطيع جندي غر التحق بالسكنة البارحة أن يدخل على لواء من دون إذن؟ لكن إذا رأى ابن اللواء وهو يسبح قد غرق يدخل في اليوم الثاني من دون إذنه.

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً﴾

[سورة الكهف:110]

إذا كان لك عمل صالح وكنت مستقيماً فالصلاة ممتعة، أرحنا بها، وإن لم تكن مستقيماً أرحنا منها، والفرق كبير بينهما.

المذيع:

هل قدم المرأة عورة وما حكم الجلباب القصير نحو شبر أو أقل تقريباً؟

الدكتور راتب :

ليس هناك حرج بذلك.

خاتمة و توديع :

المذيع:

لا يسعنا في هذا اللقاء الكريم والذي نهلنا من علم شرعي من فضيلة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي حفظه الله، إلا أن نتقدم منه بجزيل شكرنا وامتناننا، حيث تكبد مشاق السفر وأتى إلينا، فشكراً له على ما أجاد، وشكراً لحضوركم معنا، نأمل منه أن تتكرر هذه اللقاءات، وإلى لقاء آخر إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2 – 8) : الشباب هم الأمل في إحياء مجد الأمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الشباب هم المستقبل :

أيها الأخوة الأكارم؛ أيها الشباب الكرام؛ الشيوخ يمثلون الماضي، والكهول ونحن منهم نمثل الحاضر، والشباب يمثلون المستقبل، هذا أول تعريف لكم، أنتم المستقبل، وأنتم تنتمون أيها الشباب إلى خير أمة أخرجت للناس، تألقت تألقاً مذهلاً، وحملت رسالة الإسلام إلى شتى بقاع الأرض، ثم كبا الجواد، وعليكم مقل الآمال، سيدنا عمر رضي الله عنه كان يمشي في المدينة فإذا أطفال صغار يلعبون، فلما رأوه تهيبوه وتفرقوا إلا واحداً منهم لفت نظره، فقال له: يا غلام لمَ لم تهرب مع من هرب؟ قال: أيها الأمير لست ظالماً فأخشى ظلمك، ولست مذنباً فأخشى عقابك، والطريق يسعني ويسعك.



هذا نموذج، دخل على أحد خلفاء بني أمية وفد للتهنئة، تقدمهم غلام – والخليفة هو عبد الملك بن مروان– غضب عبد الملك من حاجبه الذي سمح لهذا الغلام بالدخول إلى مجلسه، فقال له: ما شاء أحد أن يدخل عليّ إلا دخل حتى الصبيان، فتقدم هذا الغلام يخاطب خليفة المسلمين وكان يحكم ثلثي الأرض، قال: أيها الأمير إن دخولي عليك لن ينقص من قدرك ولكنه شرفني، أصابتنا سنة أذابت الشحم، وسنة أكلت اللحم، وسنة دقت العظم، ومعكم فضول مال، فإن كان هذا المال لله فنحن عباده، وإن كان

هذا المال مالكم فتصدقوا به علينا، وإن كان لنا فعلام تحبسوه عنا؟ فقال الخليفة: والله هذا الغلام ما ترك لنا في واحدة عذراً.

فصاحة ما بعدها فصاحة، جرأة ما بعدها جرأة.

دخل وفد آخر على عمر بن عبد العزيز، الخليفة الراشد الخامس، تقدمهم غلام، فقال الخليفة: اجلس أيها الغلام وليقم من هو أكبر منك سناً، فقال الغلام: أصلح الله الأمير المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإذا وهب الله العبد لساناً لافظاً، وقلباً حافظاً، فقد استحق الكلام، ولو أن الأمر كما تقول لكان في الأمة من هو أحق منك بهذا المجلس، القضية قضية علم، وقضية فصاحة، وقضية جرأة.

نماذج و بطولات في التاريخ الإسلامي تفوق حدّ الخيال :

أيها الأخوة، في تاريخكم الإسلامي والعربي بطولات تفوق حدّ الخيال، من منكم يصدق أن جيشاً فيه سيدنا الصديق، وسيدنا عمر، وسيدنا عثمان، وسيدنا علي، قائده أسامة بن زيد لا تزيد سنه عن سبعة عشر عاماً، كان يركب الناقة، ويمشي الخليفة الصديق مشياً، قال: يا خليفة رسول الله لتركبن أو لأنزلن، قال: والله لا نزلت ولا ركبت، وما عليّ أن تغبر قدمي ساعة في سبيل الله.

شاب في السابعة عشرة من عمره يقود جيشاً فيه عمر، وفيه عثمان، وفيه علي، وفيه شيوخ الصحابة، هكذا كان تاريخنا، تاريخ البطولات.

قلت قبل قليل: أنتم تنتمون إلى خير أمة أخرجت للناس لكنها كبت، هذه الأمة كبت وتحتاج إلى سواعدكم، وإلى علمكم، وإلى إخلاصكم، وإلى ولائكم، وإلى انتمائكم، فلذلك كان أسامة بن زيد هذا الشاب الصغير قائداً للجيش، في الإسلام الصغير بطل، والغلام بطل، والشاب بطل، والشيخ بطل، وكل من انتمى إلى هذا الدين شرفه الله بخدمته.

شاب صغير استشهد أبوه في معركة أحد، تزوجت أمه ثرياً من أثرياء الأوس، وكان عمه زوج أمه من أثرياء يثرب، أغدق عليه إكراماً ما بعده إكرام، أحبه حباً شديداً، وتعلق هذا الغلام أيضاً بزوج أمه، وفي معركة من المعارك، استعد الصحابة لها أشدّ الاستعداد لم يجد من عمه ما يدعوه إلى أن يستعد، ذكره بفعل سيدنا عثمان، وفعل سيدنا عبد الرحمن بن عوف، وفعل الصحابة الأغنياء الذين بذلوا كل ما يملكون، وعمه قاعد لا يتحرك،

استحثه وذكره ببذلهم وتضحيتهم وبعطائهم، فقال كلمة؛ قال: والله لو أن محمداً صادقاً فيما يقول لكنا شراً من الحمر، هذه كلمة الكفر، قال: يا عماه والله ما كان على وجه الأرض من أحد بعد رسول الله أحبّ إليّ منك والآن – طفل صغير جداً – قلت كلمة الكفر، إني إن ذكرتها للناس فضحتك، وإن سكت عنها خنت الله ورسوله، فأنا ذاهب إلى رسول الله لأنقل له ما قلت فتدبر أمرك.

قضية أمانة، وأنت محسوب صحابي، ومحسوب من أولياء رسول الله تقول هذا الكلام؟! فذهب إلى النبي عليه الصلاة والسلام وحدثه بما قاله عمه، فاستدعاه النبي وقال: ما الذي قلته؟ قال: والله ما قلت شيئاً إنه يكذب، فلما اتهمه بالكذب وهذا الطفل بريء وصادق ذاب من شدة الخجل، فقال: يا رب أنزل على نبيك وحياً يصدقني، ما هي إلا هنيهة حتى جاء الوحي إلى النبي عليه الصلاة والسلام، غشيه الوحي وتصبب عرقاً، بعد أن انتهى الوحي جاءت الآية الكريمة:

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾

[سورة التوبة : 47]

قال: بل أتوب يا رسول الله، لقد قلت هذا، وصدق الغلام فاغفر لي ذلك، فأمسك الرسول عليه الصلاة والسلام أذن الغلام مداعباً وقال: يا غلام صدقك الله من فوق سبع سموات، وكانت توبة هذا العم الثري على يد هذا الغلام، الشيء الغريب أنه أكرمه إكراماً ما بعده إكرام، بسبب أن هدايته وتوبته كانت على يديه.

ضرورة إحياء مجد الأمة :

أيها الأخوة الشباب؛ يمكن أن تكون من بين هؤلاء الملايين الذين يستمتعون بالحياة، يمكن أن تأكل أطيب الطعام، وأن تشرب أفخر الشراب، وأن تسكن في أفخر بيت، وأن تركب أحدث مركبة، إنك واحد من هؤلاء الملايين، ولكنك إذا فكرت أن تحيي مجد أمتك، مرة قلت لبعض الطلاب: من يأتيني باسم ثري عاش في عام ألف وثمانمئة وسبعة وستين في دمشق وسأعطيه علامةً تامة، فكر هؤلاء الطلاب وفكروا، قلت لهم: وأنا مثلكم لا أعلم، ولكن من منكم لا يعلم من هو عمر بن الخطاب؟ عثمان بن عفان؟ علي بن أبي طالب؟ صلاح الدين الأيوبي الذي رفع شأن هذه الأمة؟ هؤلاء الأبطال خلّدهم التاريخ، وأنت أيها الشاب إما أن تكون واحداً من هذه

الملايين تأكل وتشرب وتستمتع بالحياة، ويأتي الموت فينهي وجودك، وينسى الناس ذكرك، وإما أن تكون بطلاً تحيي مجد أمة، إما بعلمك، وإما بأخلاقك، وإما بإنجازك، لا تكن كعامة الناس، لا تكن مع الدهماء.

يقول سيدنا علي كرم الله وجهه: " الناس ثلاثة، عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، لم يستضيئوا بنور العلم، و لن يلجؤوا إلى ركن وثيق، احذر يا كميل أن تكون منهم." يمكن أن تكون مع الخط العريض في المجتمع، ملايين مملينة لا نقيم لهم يوم القيامة وزناً، لهم صغار عند الله، هان أمر الله عليهم فهانوا على الله، قال تعالى:



﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾

[سورة محمد : 12]

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آَمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آَمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾

[سورة البقرة : 126]

وارزق من أمن منهم فقط، فأجابه الله تعالى:

﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾

[سورة البقرة : 126]

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾

[سورة الأنعام: 44]

ترون بأعينكم أبواب كل شيء مفتحة على أهل الدنيا، كل شيء مبذول، كل شيء ميسر، كل شيء ممتع، كل شيء فيه لذة، ولكن البطولة قليلة، البطل واحد من ألف، وهناك ألف كأف. قالوا: الحزن خلاق، إذا أنت شعرت أنك تنتمي إلى أمة لها مجد عريق، ولها بطولات عظيمة، ولها تاريخ مشرف، ثم كبت، فلعل الله سبحانه وتعالى

يجعل تقدمها على يديك، إما بعلمك، وإما بعملك، وإما بإنجازك، وإما ببطولتك، وإلا فأنت واحد من هذا الخضم الكبير من دهماء الناس، من سوقتهم وعامتهم.

الوجود الإنساني هو الوجود الراقي الذي ينتمي إليه الإنسان :

أيها الأخوة الكرام؛ كل واحد منا له وجودان، وجود حيواني ووجود إنساني، هناك حاجات دنيا، وهناك حاجات عليا، حاجات الإنسان الدنيا أن يأكل، ويشرب، وينجب، ويسكن، ويتنزه، ويستعلي على الناس، ويتحدث عن طعامه، وشرابه، وبيته، وشهاداته، وإنجازاته، هذا وجود لا يليق بالإنسان، إن الوجود الراقي الذي تنتمي إليه هو الوجود الإنساني، تلبية الحاجات العليا، معرفة الحقيقة، معرفة الله، معرفة الكتاب الذي شرفنا الله به، قال تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾

[سورة الأعراف : 54]

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً﴾

[سورة الكهف: 1]

الكون في كفة والكتاب في كفة، الكتاب منهج الله، هذا القرآن الكريم بمثابة تعليمات الصانع، نحن نعيش عصر الآلة، الإنسان أعقد آلة في الكون، ولهذا الإنسان صانع عظيم، ولهذا الصانع تعليمات تشغيل وصيانة، فأنت حينما تحبّ ذاتك، وتحبّ وجودك، وتحبّ سلامة وجودك، وتحبّ كمال وجودك تطبق تعليمات الصانع، لذلك ورد في بعض الأحاديث: " إن الله ليباهي الملائكة بالشاب المؤمن، يقول: انظروا عبدي ترك شهوته من أجلي" . إما أن يسقط الشاب مع هؤلاء الملايين المملينة التي لا تزن عند الله جناح بعوضة، يسقط هذا الشاب مع هذا الكم الكبير الذي لا يلقي الإنسان له بالاً، أو أن يبرز بين الأبطال، لو تعلمت العلم وعدت وخدمت به أمتك الإسلامية، لو حققت إنجازاً كبيراً و وضعته في خدمة أمتك التي أنجبتك، لو فعلت شيئاً ذا بال لكنت مع الخالدين.

أيها الأخوة الكرام؛ الإنسان عنده دوافع يطمح إليها؛ عنده دافع إلى الطعام، هذا الدافع يحقق وجوده الشخصي، وعنده دافع إلى الزواج هذا يحقق بقاء النوع، وعنده دافع إلى الذكر، دافع إلى التفوق، دافع إلى تأكيد الذات، هذا يحقق بقاء الذكر، والإنسان بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منه، هذه مقولة قالها الإمام الحسن البصري وقالتها السيدة رابعة العدوية.

وما من يوم ينشق فجره إلا وينادي يا بن آدم أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة.

الدين الإسلامي دين واقعي منهجي :

أريد أن أضع بين أيديكم حقيقة ثانية؛ أن ديننا دين عظيم، دين واقعي، دين منهجي، ليس في الإسلام حرمان، هناك من يتوهم أن في الإسلام حرماناً، الإسلام فيه تنظيم، ما من شهوة أودعها الله سبحانه وتعالى في الإنسان إلا وجعل لها قناة نظيفة تسري خلالها، فالإنسان إذا طبق منهج الله سعد سعادة ما بعدها سعادة، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾

[سورة فصلت : 30]

أي إذا عرفتم الله عز وجل، وعرفتم منهجه، طلبتم الآخرة، فربحتم الدنيا والآخرة، وإذا جهل الإنسان عن الحقيقة الكبرى، وآثر الدنيا، خسر الدنيا والآخرة، من آثر دنياه على آخرته خسرهما معاً، ومن آثر آخرته على دنياه ربحهما معاً.



الشيء الأول الذي أتمنى عليكم أن تطلبوه العلم الشرعي، هذا العلم الدنيوي علم سليم لكن هو نوع من الحرفة، حرفة راقية، لو نلت أعلى الشهادات كسبت رزقاً وفيراً، وأنت في حرفة راقية، لكن العلم الديني يحقق وجودك الإنساني، كل علم ممتع، هناك علم ممتع فيه دخل، أما العلم الشرعي الإسلامي فعلم ممتع، نافع، مسعد، في الدنيا والآخرة، فلذلك الذي أتمناه عليكم وأتمناه على آبائكم الكرام أن يحيطوكم بجوّ علمي حتى تكتشف أنت الحقيقة، أنا متأكد أن حبك لذاتك، وحبك لسلامة وجودك، وكمال وجودك، واستمرار وجودك، يدفعك إلى طاعة الله عز وجل.

العاقل من عرف سرّ وجوده وغاية وجوده :

يا أيها الأخوة الكرام؛ مستحيل أن يعصي الإنسان الله عز وجل ويربح، ومستحيل أيضاً أن يطيع الله ويخسر، قال تعالى:

﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾

[سورة الأحزاب : 71]

طبعاً في هذه المحاضرة القصيرة لا أملك التفاصيل الكثيرة، لكن لابد من أن تقتطع من وقتك الثمين وقتاً لمعرفة الله، هذا العلم الذي تعلمته جيد وثمين ولكنه للدنيا، ومن أجل كسب الرزق، تعلم حرفة لا يسمو بك، لذلك كل من أتقن هذا العلم يسمى ذكياً ولا يسمى عاقلاً، العاقل من عرف الحقائق الكلية، من عرف سرّ وجوده وغاية وجوده، لو أنك سافرت إلى بلدة ما، أرسلك والدك إلى بلد لمدة محدودة، ونزلت في أحد الفنادق، واستيقظت في صبيحة اليوم الأول، إلى أين تذهب ؟ يقال لك: لماذا جئت إلى هنا؟ أول سؤال أتمناه عليكم أن تعرفوه، لماذا أنت في الدنيا ؟ لا في أمريكا في الدنيا، لماذا جاء الله بك إلى الدنيا؟ من أجل أن تعرف الله، قال تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

[سورة الذاريات : 56]

كما أنك أنت لو سافرت إلى بلد أجنبي من أجل أن تدرس ينبغي أن تكون الدراسة واضحة في ذهنك، فإذا كان طلب معرفة الله، ومعرفة منهجه واضحاً في ذهنك إذاً تقتطع من وقتك الثمين وقتاً لمعرفة الله، تستمع إلى شريط، تقرأ كتاباً قيّماً، تقرأ القرآن، تقرأ السنة المطهرة هذه تصلك بأمتك، هذه تصلك بأمتك، هذه تشدك إليها، تشدك إلى عصر البطولات، إلى عصر التألق، وينبغي أن تعرف الحقيقة كاملة، لا أن تعرف وجهاً منها بحكم وجودك في هذا البلد، هناك تغذية ثقافية، وهذه التغذية الثقافية قد توقعك في وهم كبير، أمة كبيرة عظيمة أنجبتك، تاريخ عريض، متألق، مشرق تملكه فينبغي أن تنظر إلى هذه الأمة، وهذا التاريخ، وأن تكون مسهماً بشكل أو بآخر في استعادة مجد هذه الأمة، قال تعالى:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

[سورة النور : 55]

فإذا عبدنا الله عز وجل وعدنا الله أن يستخلفنا، وأن يمكننا، وأن يطمئننا، أما حال المسلمون اليوم قال تعالى:

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾

[سورة مريم: 59]

الإقبال على الله و الإيمان به :

يا أيها الشباب الكرام؛ أهلوكم جزاهم الله خيراً أنجبوكم، قال: لك أب أنجبك ؛ رقم واحد، ولك أب زوجك – عمك– ولك أب دلك على الله، الأب الذي أنجبك فضله ينتهي في الحياة الدنيا، والذي زوجك ما دامت الزوجة معك، أما الذي دلك على الله ففضله يستمر إلى أبد الآبدين، إذا عرفت الله من خلاله فله فضل عليك، فأنت يجب أن تبر أباك الذي أنجبك، و أن تعتني بالأب الذي زوجك، وينبغي أن تنتبه إلى الأب الذي دلك على الله، ابحث عنه، ابحث عن الحقيقة، قد تعجب أن أحد كبار علماء الفيزياء أنشتاين قال: كل إنسان لا يرى في هذا الكون قوة هي أقوى ما تكون، عليمة هي أعلم ما تكون، حكيمة هي أحكم ما تكون، هو إنسان حي ولكنه ميت. لو قرأت تاريخ كبار العلماء لوجدتهم آمنوا بالله من خلال الكون، والكون صفحة بين يديك، اقرأ آيات الله في الكون يقشعر جلدك، وترتجف أضلاعك، وتعرف أن الله عظيم، وأن الله خلقك وسيحاسبك، وفي أي مكان يحاسبك، لا تتوهم أن هناك مكاناً لا يوجد محاسبة فيه، أينما كنت سوف تحاسب، والآية التي أريد أن تبقى في أذهانكم آية مهمة جداً، قال تعالى:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾

[سورة الجاثية: 21]

شاب نشأ في طاعة الله، برّ والديه، أطاع الله عز وجل، هذا الشاب له حياة مفضلة، والشعار الذي ينبغي أن يكون هو هذه الآية قال تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[سورة النحل : 97]

والله أيها الأخوة الشباب لو لم يكن في كتاب الله إلا هذه الآية لكفت، والآية المقابلة قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾

[سورة طه: 124]

فأنت إذا أقبلت على الله لك حياة طيبة، وإن أعرضت عنه لك معيشة ضنكاً، قال تعالى:

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ﴾

[سورة السجدة : 18]

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾

[سورة القصص : 61]

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾

[سورة الجاثية: 21]

الاستفادة من حكمة الآباء و توقد الشباب :

أيها الأخوة الشباب؛ آباؤكم – جزاهم الله خيراً– عرفوا الحياة واختبروها وكونوا خبرات، أنتم في أمس الحاجة إليها، اقبلوها من آبائكم، فإن رفضتموها رفضتم خبرتهم، إن رفضتموها رفضتم تجربتهم، إن رفضتموها رفضتم تراث أمتكم، رفضتم خبرات أجدادكم، فيجب أن تقبلوا هذه الخبرات التي يملكها الآباء، والآباء لا شك أنهم حصّلوا خبرات عالية أنتم في أمس الحاجة إليها، والشاب يملك توقداً والشيخ يملك حكمة، فما أروع أن تجتمع حكمة الشيوخ إلى توقد الشباب.

وقد ورد أن العدل حسن لكن في الأمراء أحسن، وأن الورع حسن لكن في العلماء أحسن، وأن الحياء حسن لكن في النساء أحسن، وأن التوبة حسن لكن في الشباب أحسن، وأن الصبر حسن لكن في الفقراء أحسن، وأن السخاء حسن لكن في الأغنياء أحسن.

التوبة أفضل شيء في حياة الشاب :

الشباب أحسن ما في حياتهم التوبة، وأكبر منزلق ينتظرهم الفتاة، لذلك قال تعالى:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾

[سورة النور: 30]

هذا الذي تسمعونه في بلاد الغرب أن الإنسان إذا لم يكن له صديقة يكون معقداً، هذا كلام اركلوه من أفكاركم، كلام لا أصل له، وليس له وجود في تاريخنا، ولا في أمتنا، ولا في منهجنا العظيم، ومن تعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه، كل شيء له أوان، ويوجد منهج تفصيلي، وأسرة صالحة إن شاء الله، وبيت إسلامي سعيد، وأبناء أبرار.



أيها الشباب الكرام؛ بارك الله بكم، وهداكم الله عز وجل إلى سبل السلام، قال تعالى:

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

[سورة المائدة: 16]

وأرجو منكم أن تسألوا بعض الأسئلة، وأنا على استعداد للإجابة عنها.

أسئلة و أجوبة :

1 . كيفية التوفيق بين الدراسة و طلب العلم الشرعي :

س: كيف نستطيع أن نوفق بين الدراسة وطلب العلم الشرعي؟

ج: الصلوات الخمس تستغرق من الوقت ساعة، أربع وعشرون ساعة للدنيا، ثماني ساعات نوم، وثماني ساعات دراسة، وأربع ساعات مع أهلك، والصلوات الخمس ساعة واحدة، هذه زكاة الوقت، أنت في الصلوات الخمس تتصل بالله عز وجل، يأتيك المدد، الراحة النفسية، الثقة بالنفس، صمود أمام الشهوات، وأنت محصن، قال تعالى:

﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾

[سورة العنكبوت : 45]

أنت متاح لك بالصلاة أن تتصل بخالق الكون، فمن ابتغى أمراً بمعصية كان أبعد مما رجا وأقرب مما اتقى. الفجر أربع ركعات عشر دقائق، والظهر عشر دقائق، والعصر والمغرب والعشاء، أنت حينما تصلي أنت في مظلة الله عز وجل، في حفظ الله، قال رسول الله ﷺ:

((عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ كَانَ كَقِيَامِ نِصْفِ لَيْلَةٍ وَمَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ كَانَ كَقِيَامِ لَيْلَةٍ))

[أحمد عن عثمان]

من صلى الصبح في جماعة فهو في ذمة الله حتى يمسي، فالصلاة أحد أركان الدين، وهي الفرض الذي لا يسقط إطلاقاً، وأنت في الصلاة تستمد من قوة الله، ومن علم الله، ومن حكمة الله، وتستمد سعادة ما بعدها سعادة، الصلاة الصحيحة التي أرادها الله ليس أرحنا منها بل أرحنا بها، هذا هو الفرق بين الصلاتين.

2 . كيفية التوفيق بين الدراسة و العبادة :

س: كيف نستطيع أن نوفق بين الدراسة والعبادة ؟

ج: الدراسة نوع من العبادة لا يتعارضان.

3 . شرح سبعة يظلهم الله في ظله :

س: سبعة يظلهم الله في ظله، لو سمحت أن تشرح هذا الحديث للشباب.

ج: ((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلا ظِلُّهُ؛ الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ..))

هذا الشاب تحفظه عناية الله، ويكلؤه الله، ويوفقه الله عز وجل، الله إذا أعطى أدهش، الشاب أحياناً يُشد إلى الدين بأفكار منطقية، و أنت عندما تتوب إلى الله توبة نصوحة وتعامله معاملة صادقة يشد إلى الدين فيكون من أسعد الناس.

4 . على الشباب اختيار مستقبلهم بذاتهم :

س: هل نستطيع أن نترك للشباب أن يختاروا مستقبلهم بحدّ ذاتهم أم نضغط عليهم كما يقول هذا الشاب؟

ج: أنا من أنصار أن يترك الأب لابنه الحرية، الإنسان لا ينبغ إلا باختصاص يحبه، فإذا أجبره أبوه على اختصاص لا يحبه لا ينبغ، وهذه ثابتة الآن في التعليم، ويوجد عندنا ذكاء نظري وذكاء عملي، وفي أكثر الدول الطلاب ثلاثة أنواع، ضعف ذكاء، وذكاء عملي، وذكاء نظري، الذي يملك ذكاء عملياً يذهب إلى المعاهد العملية، والذي يملك ذكاء نظرياً إلى الجامعات والكليات النظرية، أما نحن فنجبر طالباً بالشيء النظري وهو ميوله علمية فنكون قد أخطأنا بحقه، وهذا الكلام موجه إلى الآباء، عميد الأدب العربي أراده أبوه قاضياً لم يفلح في القضاء، وهناك الكثير من الحالات. يقول سيدنا علي: " ربوا أبناءكم وأدبوهم فإنهم خلقوا لزمن غير زمنكم."

الأب في الخمسينات أما الابن ففي التسعينات. الأب يقدم خبراته لابنه ويعطيه الأدلة والبراهين والشواهد، ويسمح لابنه بهامش حركة، هذا الهامش مهم جداً بحيث أن هذا الفرع يختاره هو.

وأنا لي كلمة في الشام أقولها لأخواننا الكرام: إن أبناءكم أغلى عندي منكم، يقولون: لماذا؟ أقول: أنتم زبائن مضمونون، أما أبنائكم فهناك من يخطفهم منكم، ألف جهة تخطفه، الابن مهم جداً الآن، وأنا أول مرة ألتقي معكم، وقد التقيت مع آبائكم كثيراً، وأتمنى أن تكونوا قرة عين لآبائكم، ولا تقدم لأبيك عملاً أعظم من أن تكون قرة عين له.

5 . الممنوعات والمحظورات في البيئة :

س: تكلم لنا عن الممنوعات والمحظورات في هذه البيئة ؟

ج: أنا ذكرت كلمة سريعة؛ أخطر شيء على الشباب الفتاة المتفلتة، لأنه من هنا يؤخذ الشاب، وكل إنسان له جهة يؤخذ منها.

((مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ))

[مسلم عن أسامة بن زيد]

والشباب أولاً، الشاب أول حياته متفتح، يحتاج إلى خبرة والديه في هذا الموضوع، ويحتاج إلى منهج الله في هذا الموضوع وإلا زلت قدمه، والحقيقة زلة القدم لمرة واحدة تجعل الشاب يدمن عليها، وإذا أدمن على المعصية ضع عليه إشارة لقد انتهى، فأخطر شيء يمكن أن يؤدي بالشاب إلى زلة القدم فتاة متفلتة قال تعالى:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾

[سورة النور: 30]

والأجر مضاعف، غض البصر في بلاد فيها تفلت له أجر كبير جداً، ولذ بالبيت، واجعل البيت ملاذك، في آخر الزمان البيت هو الكهف، قال تعالى:

﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقاً﴾

[سورة الكهف : 16]

في البيت تصلي، وتقرأ القرآن، وتدرس، وتجلس مع أمك وأبيك، أنا أقول المؤمن بيته جنته، أمه وأبوه وأخوته وغرفته وحاسوبه ومكتبته هي جنته، أما الطرقات والنوادي والملاهي فهذه مشكلة.

6 . كيفية تشجيع البنات على لبس الحجاب :

س: الحجاب في هذا البلد صعب جداً، فكيف نستطيع أن نشجع البنات على لبس الحجاب ؟

ج: قال تعالى:

﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

[سورة النور : 31]

كلما كثرت الفتيات اللواتي يرتدين الحجاب صار أسهل، ما معنى قوله تعالى:

﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾

[سورة محمد : 7]



إذا الفتيات الكثيرات ارتدين الحجاب صار سهلاً على كل فتاة، وكلما قلّ عدد المتحجبات صار صعباً، فمن نصر دين الله عز وجل أن يشيع الحجاب بين الفتيات المؤمنات، وأنا أتصور أن هنا يوجد حرية أديان - هكذا يقولون- أنا زوجتي ترتدي حجاباً كاملاً لا أحد يتكلم كلمة أليس كذلك؟ سأقول كلمة: شاب يدعو إلى الله عز وجل التقى برجل أمريكي وزوجته إلى جانبه، فلما مدت يدها لتصافحه امتنع أن يصافحها وقال: أنا إسلامي يمنعني أن أصافحك، وعقب تعقيباً وقال لها: الملكة إليزابيت لا يستطيع أحد أن يصافحها إلا أشخاص معدودون ورد اسمهم في القانون الإنكليزي لعظم شأنها، قال هذا الداعية: أما نحن المسلمون فكل الفتيات ملكات عندنا، لا يستطيع أحد أن يصافحهن إلا ضمن قانون إلهي.

7 . حكم المشروبات الروحية والمخدرات والتدخين :

س: حكم المشروبات الروحية والمخدرات والتدخين ؟

ج: أسوأ تسمية في حياتي كلمة مشروبات روحية، قيم روحية ومشروبات روحية، هذه التسمية سيئة جداً، قل: الخمر ولا تقل: المشروبات الروحية، لا علاقة لها بالروح، بل تتلف الروح، طبعاً محرمة أشد أنواع التحريم، والاتحاد السوفيتي قبل أن ينهار حرمها بكل بلاده، معنى هذا أنه شيء مخيف، وفي أمريكا عام ثلاثة وثلاثين كانت محرمة تحريماً قاطعاً، فهذا شيء، والعلاقة بين المعصية ونتائجها علاقة علمية، الخمرة تدمر العقل، جمع الشر كله في بيت ثم كان مفتاحه السكر.

الإنسان باختياره يلغي عقله بالخمر والمخدرات والتدخين، أنا يوجد عندي شريط عن التدخين أتمنى على كل من يدخن أن يسمعه، أنا أتحدى إنساناً يسمع ويفهم عمقه ويدخن بعدها لفافة واحدة بالأدلة العلمية، ليس موضوع حلال وحرام، موضوع مصلحة وسلامة، فلذلك أرجو من الدكتور أحمد موضوع التدخين إذا كان هناك أحد يدخن أن يسمعه هذا الشريط. أحد دلائل حرمة التدخين، هل سمعتم إنساناً في الأرض أمسك لفافة الدخان وقال: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وعندما انتهى قال: يا رب لك الحمد ؟

8 . كيفية تحصين الشباب أنفسهم تجاه المغريات :

س: كيف يحصن الشباب أنفسهم تجاه المغريات في هذا البلد، الرجاء التوضيح بلغة سهلة قريبة من العامية؟

ج: إذا الإنسان عاش مع المؤمنين، ولزم بيته وعمله، و لم يذهب يمنة ولا يسرة في الأعم الأغلب إن الله يحصنه، لأن ما حرم فعله حرم النظر إليه، وما حرم فعله حرم استماعه، صحبة الأراذل تسقط العدالة، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

[سورة التوبة : 119]

أهم شيء البيئة، وأهم شيء في حياة الشاب أن يختار أصدقاءه، وأن يلزم بيته، وأن يكتفي بعمله وبيته، وإن كان له صاحب مؤمن تقي يستفيد منه، يصحبه، هذا الذي يحصن، وأكبر منزلق صاحب السوء، أخطر شيء في حياتكم بعد الفتاة صاحب السوء، لأنه يدعوك إلى مزلة القدم، وكلما كان عقل الشاب راجحاً كان الشاب موفقاً في حياته، وكان قرة عين لوالديه، يوجد شيء ثان هو أنه يمكن للإنسان أن يعرف مضار المعاصي والإنسان يحبّ ذاته وإذا كشف مضار المعاصي في الأعم الأغلب يبتعد عنها.

9 . الزواج المبكر :

س: هل تنصح الشباب الصغار السن بالزواج المبكر ؟

ج: أنا من أنصار الزواج المبكر جداً، لأن الزوجة حصن، وخاصة في هذه البلاد.

10 . حكم التبرع بالأعضاء :

س: هل حرام التبرع بعضو من أعضاء الجسم بعد الموت لإنقاذ مريض ما؟

ج: موضوع خلافي، وأنا أرجح جواز التبرع بعد الموت، أما بيع العضو فحرام، إذا الإنسان با ع كليته بألف دولار في الهند يكون قد انتحر، أو با ع شيئاً أكرمه الله به.

11 . حكم الفائدة :

س: ما حكم الفائدة هنا في أمريكا؟ أنا واثقة ومؤمنة بحرمته ولكن هناك كثيراً من المسلمين ضد ذلك فما هو حكمها في هذا البلد؟

ج: الحرام حرام في أمريكا وفي الشام، وإن كان هناك ضرورة فليقدرها صاحبها، لك أن تأكل لحم الخنزير عندما تكون مضطراً، لك أن تشرب الخمر، لك أن تنطق بكلمة الكفر إذا كنت مضطراً، والله وحده يعرف ضرورتك، وكل إنسان معه مفتي صغير، استفت قلبك ولو أفتاك المفتون وأفتوك، ولا تحرج الناس بفتوى ضد كلام الله عز وجل.

س: ما معنى الضرورة التي ذكرتها؟

ج: أحدهم يلزمه مكيفاً فذهب وأخذ قرضاً ربوياً من أجل مكيف، الضرورة هي أن تخشى الهلاك- الموت- أنت وأسرتك جوعاً وعرياً وتشرداً، وهذا التعريف هو التعريف الجامع والمانع للضرورة، حالات نادرة جداً لن تجدها إطلاقاً.

12 . أسوأ شيء للفتاة شاب متفلت :

س: أسوأ شيء للشاب الفتاة، ما أسوأ شيء للفتاة ؟

ج: الشاب طبعاً أسوأ شيء للفتاة، علاقة مع شاب لا ترضي الله، أما الزواج فلا مانع.

مرة ثانية ليس في الإسلام حرمان، ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا وجعل لها قناة نظيفة تسري خلالها، ومن تعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه، والزواج جحيم أو نعيم، كل إنسان يغض بصره قبل الزواج ويحصن نفسه له مكافأة عند الله، زواج ناجح، وكل إنسان يتفلت قبل الزواج له مكافأة، زواجه جحيم.

13 . أفضل المدارس للأولاد مدارس فيها سلامة الدين :

س: أي المدارس يضع الأب أولاده فيها؟ هناك مدارس مستوى التدريس فيها عال وهي العامة، وهناك مدارس لا يوجد اختلاط ومستواها أقل؟

ج: نريد مدارس فيها سلامة الدين.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-8) : الشباب و المراهقة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صاحبته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين . أيها الأخوة الكرام ، أشكر لجميعة الرشيد الخيرية هذه الدعوة الكريمة التي إن دلت على شيء فعلى الحسن الظن بي ، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن أكون عند حسن ظنكم ، وإن وجدتم فيما سألقيه بعض الفائدة فالفضل لله عز وجل ، وإلا فحسبكم الله ونعم الوكيل .

اختلاف واقعنا عن واقع الغرب :

أيها الأخوة الكرام ، النقطة الدقيقة الأولى : أن الغرب مجتمع يختلف عن مجتمع المسلمين ، مجتمع بعيد عن الضوابط والقيم التي يؤمن بها المسلمون .



من هذا البعد ، ومن هذا التفلت نشأ واقع يختلف عن واقع شبابنا في عالم المسلمين ، فنحن مشكلتنا نستورد مشكلة من الغرب ، ثم نبحث لها عن حلٍّ، نحن في حياتنا آية كريمة تبين معنى المراهقة :

﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ﴾

(سورة الكهف الآية : 13)

فتوة :

﴿ آَمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾

(سورة الكهف)

العالم الغربي عالم متفلت ، ينشأ من هذا التفلت سلوك منحرف هذا السلوك يبدأ في سن المراهقة ، فنحن توهمنا، أو أوهمونا أن كل أمراضهم هي الأصل ينبغي أن نستوردها ، أن نبحث عن حلول لها ، لا والله ، لو أن المجتمع الإسلامي طبق منهج الله عز وجل يمكن أن أقول وأنا واثق مما أقول أن هذه المشكلة أصلاً لا وجود لها ، لأن الإنسان أودع الله فيه الشهوات ، وما أودع الله في الإنسان الشهوات إلا ليرقى بها إلى رب الأرض والسماوات .

الشهوة حيادية ترقى بنا أو تهوي بنا :

إذاً هي سلم نرقى بها ، والشهوة نفسها يمكن أن تكون دركات نهوي بها ، سلم نرقى بها ، أو دركات نهوي بها ، بتعبير آخر الشهوة حيادية ، أضرب لكم مثلاً ذكرته كثيراً :

زرت جاراً لي من كبار علماء دمشق ، قال لي : عندي ثمانية و ثلاثون حفيداً ، ثلاثة عشر منهم من حفاظ كتاب الله ، وعشرة أطباء ، خطر في بالي هذه الموازنة ، هذا الكم من الأحفاد المتفوقين ، الأطباء ، حفاظ كتاب الله ، وبناته وأزواجهن ، وأولاده وزوجاتهن ، هذا الكم الكبير أساسه علاقة جنسية ، أليس كذلك ؟ هذه العلاقة جعلت هذا الكم الكبير من الفتيات والشباب ، المؤمنين والمؤمنات ، وحفاظ كتاب الله ، والأطباء والمهندسين ، وفي أي بيت دعارة في علاقة جنسية ، أرأيتم إلى هذه الشهوة ؟! يمكن أن ترقى بنا إلى أعلى عليين ويمكن أن تهوي بنا إلى أسفل سافلين ، الشهوة حيادية .

تماماً كالبنزين في السيارة ، إذا وضع في السمتودعات المحكمة ، وسال في الأنابيب المحكمة ، وانفجر في الوقت المناسب ، وفي المكان المناسب ، ولّد حركة نافعة أقلتك أنت وأهلك إلى الزبداني ، أما إذا صُبت هذه الصفيحة من البنزين على المركبة أعطيتها شرارة أحرقت المركبة ومن فيها .

الشهوة كالبنزين ، حيادية سلم نرقى بها ، أو دركات نهوي بها .

أمر الله عز وجل ليست حدّاً لحرية الإنسان ولكنه ضمان لسلامته :

بالمناسبة : ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا وجعل قناة نظيفة تسري خلالها ، ليس في الإسلام حرمان ، في الإسلام تنظيم ، لابدّ من توضيح :

متى تلغى المراقبة ؟ حين يتعلم هذا الشاب أن أمر الله ليست حداً لحريته ولكنه ضمان لسلامته ، ما في إنسان على وجه الأرض إلا يحب وجوده ، ويحب سلامة وجوده ، ويحب كمال وجوده ، ويحب استمرار وجوده ، هذه جبلة في الإنسان ، فإذا قنع الشاب أنه إذا غضّ بصره عن محارم الله ارتقى عند الله ، ما من شيء أحب إلى الله من شاب تائب ، إن الله يباهي الملائكة بالشاب التائب يقول : انظروا عبدي ترك شهوته من أجلي ، الشاب التائب شيء ثمين جداً .

فحينما ينشأ الشاب في أسرة مؤمنة ، يتلقى التعليم الصحيح ، يا بني أوامر الله ليست حداً لحريتك ، ولكنها ضمان لسلامتك ، أضرب مثلاً :

تمشي في الفلاة فإذا لوحة كتب عليها حقل ألغام ممنوع التجاوز ، أيها الإنسان إذا قرأت هذه اللوحة هل تشعر بحقد على من وضعها ؟ لا ، تشعر بامتنان ، لأن هذه اللوحة ليست حداً لحريتك ، ولكنها ضمان لسلامتك .

تطبيق منهج الله عز وجل في حياتنا يبعدنا عن المشاكل :

أخوانا الكرام ... أخواتنا الكريمات ... الإنسان يتحرك وفق تصوره دائماً ، فإذا أعطى الأب ابنه التصور الصحيح انضبط الابن ، فنحن نتوهم لابدّ من فترة في حياة الشاب ، سوف ينحرف ، سوف تطيش سهامه ، سوف يضطرب ، سوف يكون ردّه عنيفاً ، هذا مجتمع الغرب ، مجتمع التفلت ، مجتمع المواقع الإباحية في الانترنيت ، مجتمع الفضائيات الفاسدة ، مجتمع المجلة الساقطة ، مجتمع المرأة المتبرجة ، طبعاً هذا المجتمع يفرز مراهقة ، أنا لا أتكلم بالمثاليات ، نحن عندنا في الإسلام شيء دقيق اسمه الواقعية المثالية ، أو المثالية الواقعية ، المثالية في الإسلام واقعية ، مطبقة ، ورواد المساجد الملتزمون بدعوة الله عز وجل منضبطون أشد الانضباط .

أؤكد لكم وأنا أعني ما أقول يمكن لو طبقنا منهج الله في حياتنا ، لو أن الآباء أحسنوا تربية أولادهم ، لو أن المدرسة أحسنت تربية الشباب ، لو أن الإعلام كان موجهاً توجيهاً صحيحاً ، لو أن البيت كان واعياً جداً ، أقسم لكم بالله ولا أبالغ ، وليس من عادتي أن أبالغ هذه المشكلة تختفي من حياتنا .

أولادنا الورقة الرابحة الوحيدة في أيدينا فعلينا الحفاظ عليهم :



أيها الأخوة الكرام ، النقطة الدقيقة أنه لم يبقَ في أيدي المسلمين من ورقة رابحة إلا أولادهم ، الأولاد يعني المستقبل ، الأولاد يعني أن تستعيد الأمة دورها القيادي ، الأولاد يعني أن تعتز هذه الأمة بمستقبلها إن شاء الله .

فلذلك مهمة تربية الأولاد تعد أكبر مهمة أمام الآباء والأمهات ، بل أمام القائمين على التربية والتعليم في العالم الإسلامي .

هناك نقطة دقيقة جداً وهي كنت أقولها دائماً : يمكن أن نقابل القنبلة الذَّرية بقنبلة الذُّرية ، مجتمع متفلت ، الشهوات مستعرة ، الفتن يقظة ، التفلت في الانضباط ، مواقع ، مناظر ، مجلات ، قصص ، أصدقاء سوء ، شاب في ريعان شبابه استيقظت عنده الشهوات ، فبدأ يبحث عن إروائها بلا ضابط ، وبلا قيد ، وبلا شرط ، هذه المراهقة في المجتمعات الغربية نحن نستورد المشكلات ، ونبحث عن حلول لها أما لو طبقنا منهج الله عز وجل، وكم من أسرة منضبطة ما شكا الأب ولا الأم المراهقة إطلاقاً ؟.

المراهقة في المجتمعات الغربية :

هذا الذي أتمنى أن يكون في بادئ هذه المحاضرة من تعريف المراهقة ، شاب لم يتلقَ توجيهاً صحيحاً ، في مجتمع متفلت ، الشهوات مستعرة ، الفتن يقظة ، كل شيء غير معقول ، وغير صحيح يمكن أن يصل إليه ، والأب غافل ، والأم غافلة ، في هذا المجتمع يمكن أن تنشأ مشكلة اسمها المراهقة ، يعني شاب منحرف فقط ، أو شاب فاسق ، أو شاب سفيه ، أما نحن عندنا :

﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آَمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾

((أحب الطائعين ، وحبي للشاب الطائع أشد ، أحب المتواضعين ، وحبي للغني المتواضع أشد ، أحب الكرماء ، وحبي للفقير الكريم أشد ، وأبغض العصاة ، وبغضي للشيخ العاصي أشد . هذه المراهقة المتأخرة ، بالخمسين . وأبغض العصاة ، وبغضي للشيخ العاصي أشد ، وأبغض المتكبرين ، وبغضي للفقير المتكبر أشد ، أبغض البخلاء وبغضي للغني البخيل أشد))

[ورد في الأثر]

ابن أحب فتاة في العالم الغربي ، فاستأذن والده بالزواج منها ، قال له الأب : لا يا بني ، إنها أختك وأمك لا تدري ، أبوه كان زير نساء ، أحب فتاة ثانية فاستأذن والده فقال : إنها أختك أيضاً وأمك لا تدري ، أحبّ الثالثة استأذن والده للزواج منها ، قال له : لا يا بني إنها أختك أيضاً وأمك لا تدري ، فضجر هذا الشاب وحدّث أمه بما جرى مع أبيه قالت له : خذ أياً شئت فأنت لست ابنه وهو لا يدري .

هذه مراهقة ، هذه المراهقة في بلادهم .

أخطاء الأبناء بسبب جهل الآباء فالأبوة مسؤولية كبيرة جداً :

أخوانا الكرام ، القصة واقعية ، رجل من أبناء هذه المدينة ، أرسل ابنه إلى أمريكا ليدرس ، يبدو أن هذا الابن أحبّ فتاة من هذه البلاد رائعة الجمال ، أحبها حباً جماً ، فلما عرض على والده الزواج منها أقام عليه الدنيا ، وهدده أن يتبرأ منه ، وأن يحرمه من كل شيء ، بعد شهر أرسل الابن رسالة إلى والده ، يا أبتِ لو أنها أسلمت هل توافق ؟ قال له : أوافق ، فاختل توازن الشاب من الفرح ، ما الذي فعله ؟ اشترى عشرة كتب باللغة الإنكليزية عن الإسلام ، والقرآن ، والسنة ، والسيرة ، والفقه .

قال لها : إن قرأت هذه الكتب وأسلمت أتزوجك ، وهي تحبه أيضاً ، هي ذكية جداً طلبت إجازة أربعة أشهر حتى تقرأ الكتب قراءة دقيقة ، بعيدة عن ضغوط هذا الشاب ، ومضت عليه هذه الأشهر الأربعة كأربع سنوات ، فلما انقضت اتصل بها ، فسمع الخبر الذي اختل له توازنه ، قالت له : لقد أسلمت ولكن لن أتزوجك لأنك بحسب ما قرأت لست مسلماً ، هذه المشكلة .

المراهقة شاب شارد ، متفلت ، لا يوجد ضوابط ، الشهوات يقظة ، الفتن مستعرة الوضع العام متفلت، طبعاً استيقظت شهواته ، وبحث عن إرواء هذه المتعة بشكل مشروع أو غير مشروع ، هذا بشكل أو بآخر مراهق .

الإنسان إذا تفلت تتغير أخلاقه ، ويصبح قاسياً ، ومتطاولاً على أهله ، أنا مضطر أن أقول هذه الكلمة هي مؤلمة لكنني أنطلق دائماً من أن الحقيقة المرة أفضل مرة من الوهم المريح ، الحقيقة المرة : معظم أخطاء الأبناء بسبب جهل آبائهم ، الأبوة مهمة كبيرة جداً الإنسان أحياناً يتزوج وينجب أولاداً فقط ، هذا الابن يحتاج إلى توجيه، يحتاج إلى توعية ، يحتاج إلى تدريس من مستوى رفيع ، يحتاج إلى متابعة ، يحتاج إلى عناية ، فحينما تحقق نجاحاً في كل شيء ، وتخسر أولادك لم تحقق شيئاً .



أنا كنت في أمريكا بعهد كلينتون ، قلت لهم : لو بلغت منصباً ككلينتون ، وثروة كأوناسيس ، وعلماً كأنشتاين ، ولم يكن ابنك كما تتمنى فأنت أشقى الناس .

أشقى الناس من لم يكن ابنه كما يتمنى :

أؤكد لكم أن الشقاء الذي يعانيه الأب حينما يرى ابنه متفلتاً صعب أن يوصف ، لا يوصف ، أشقى الناس ، فالذي يريد أن يسعى بأسرته عليه أن يعتني بأبنائه .

زارنا عالم من علماء الخليج ويحمل اختصاصاً نادراً في صناعة القادة ، أخبرنا أنه ما لم تعتنِ بابنك من السنة الأولى وحتى السابعة لم تستطع أن تجعله كما تتمنى ، وقال كلمة باللغة الخاصة بهم قال : بعد سبع سنوات العوض بسلامته .

فحينما يكون الطفل صغيراً ينبغي أن نعتني به ، بأخلاقه ، بعاداته ، بوسائله ، بدراسته ، بتهذيبه ، حتى إذا كبر يكون هذا الابن كما نتمنى ، وبعيد عن مشكلة المراهقة .

المحاضر :

الأصل الأوربي أيها السادة ، المراهق الغربي الذي حدثنا عنه أستاذنا أصل ثابت ، شبابنا في محضر آخر ، وفي بيئة أخرى

﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آَمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾

وننتقل مع أستاذنا إلى المحور الثاني هو أننا نطلب منه أن يسلط لنا بعض الضوء عن الإمكانيات العقلية والعلمية والجسدية والنمو في هذه المرحلة ، وكيف يتعامل الآباء مع هذا التطور ، وهذا التغير ؟.

على الإنسان أن يصادق ابنه دائماً :

الدكتور راتب :

لاعب ولدك سبعاً ، وأدبه سبعاً ، وراقبه سبعاً ، ثم اترك حبله على غاربه ، أي كن صديقاً له . هناك مرحلة لا يصح فيها أن تؤدبه إطلاقاً ، طفل صغير ، هناك آباء لو أن ابنهم بكى في الليل يضربه ، عمره سنتان ، لاعب ولدك سبعاً ، أما من سبع سنوات إلى أربع عشرة سنة تكلم كلمة غير صحيحة ، كلمة غير لائقة، معه حاجة ليست له ، يجب أن تبالغ بتأديبه ، لكن بعد أن بلغ الرابعة عشرة شعر بكيانه ، لا هو راشد يرضيك ، ولا هو صغير تعلمه ، أثناء شراء الألبسة يقول لك : هناك سن محير ، وهذا السن بعد الرابعة عشرة يحير ، تعالمه كراشد يخيب ظنك ، يعامله كطفل لا يحتمل .

لذلك هنا جاء التوجيه وراقبه سبعاً ، ثم اترك حبله على غاربه .

بطولة الإنسان أن يُحترم و يُحب بين أولاده لا أن يحترم فقط :



أنا أقول دائماً الثقافة الإسلامية ، أو بتعبير آخر الثقافة الشرق أوسطية الأب محترم ، لكن البطولة لا أن تكون أباً محترم أن تكون أباً محبوباً ، أؤكد على هذه الحقيقة ؛ كل أب وكل أم محترمان في ثقافتنا .

القرآن يؤكد ذلك ، وعاداتنا ، وتقاليدنا ، لكن البطولة لا أن يحترمك أبناؤك أن يحبوك ، يعني إذا أتيت إلى البيت يجب أن يكون العيد ، هناك عيد لأب سيء حينما يخرج ، فالعيد حينما تدخل لا حينما تخرج ، هناك أب يكون العيد بعد الخروج ، تنفس الصعداء خلصنا منه ، وهناك أب العيد يكون مع الدخول .

الحقيقة صعب تتصوروا أن النبي عليه الصلاة والسلام يؤكد أن الخيرية المطلقة للمؤمن في البيت ، لأنه خارج البيت بالتعبير العصري "برنز" ، تتأنق ، تبتسم ، تصافح ، ينحي نصفين ، مصلحتك ، من أجل مكانتك ، بالبيت لا يوجد قيود ، تجده بالخارج عصفور بالبيت والعياذ بالله .

فالنبي الكريم يقول :

((خيرُكُم خيرُكُم لأهْلِهِ ، وأنا خيرُكُم لأهْلِي))

[أخرجه الترمذي عن عائشة أم المؤمنين]

يقول عليه الصلاة والسلام :

((أكرموا النساء فوالله ما أكرمهن إلا كريم ، ولا أهانهن إلا لئيم ، يغلبن كل كريم ، ويغلبهن لئيم ، وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً ، من أن أكون لئيماً غالباً))

[ابن عساكر عن علي بسند فيه مقال كبير]

المودة و الحب أساس الحياة الأسرية السعيدة :

بالمناسبة : بيت فيه مودة ، بيت فيه حب ، بيت فيه تسامح ، بيت فيه هدوء ، بيت فيه رعاية للأولاد ، أنا لا أتحدث عن المال إطلاقاً يكون أصغر بيت يقدر بستين متراً ، الأثاث متواضع جداً ، الأكل متواضع جداً ، لكن فيه حب ، وهناك بيت أربعمئة متر ، السُباب والعداوة والبغضاء لا يحتمل ، فأنا أتمنى بيت فيه جنة ، و يجب أن يكون البيت جنة ، وبيدك تفعل هذا .

هناك دائماً تصورات غير صحيحة ، أنه بعد فترة تصبح الحياة مألوفة جداً بل مملة ، لا ، يمكن أن تكون الحياة في البيت فيها الحب ، وفيها الود ، وبتنامٍ مستمر ، الحب تصنعه أنت ، بيدك أن يكون الحب في بيتك مستمراً . والله أجمل جلسة يجلسها الأب والأم مع أولادهم ، في مداعبة ، في طرفة لطيفة ، في تعليق لطيف ، في سؤال عن دراسته ، في أطرف شيء اليوم سمعه بالمدرسة ، فالمشكلة أن الشاشة ألغت الأب ، ألغت الأم ، ألغت الأسرة ، الوضع بالبيت لا يرضي أبداً ، أما حينما يكون البيت فيه انضباط ، فيه لقاء ، فهو بيت رائع .

أنا كان لي درس بجامع سعد كان عن الحوار فقط ، الحوار مع الأولاد ، أكثر الآباء يعطي أوامر ، ويسب ، ويذم ، آباء محترمون ، لهم مكانة اجتماعية ، ببيته فقط أوامر ، وقمع ، وأنت حمار ، وأنت لا تفهم ، ما هذا الكلام ! ما هذا البيت ؟ بيت فيه ود ، فيه حب ، هذا البيت ينشأ الطفل عنده حاجات عاطفية رويت في هذا البيت .

درسنا بالجامعة أنه حتى الأم حينما ترضع ابنها بقسوة ، تسمم خلصني ، ينشأ ابنها قاسياً ، الابن بحاجة إلى حب .

البيت المنضبط بيت شبيه بالجنة :

أنا مرة لفت نظري إلى حاضنة ، فيها ثقبان ، سألت عنهما فقال لي الطبيب : هذا الطفل الصغير بحاجة إلى أن توضع عليه يد ، وأن تمس جلده ، فتح ثقبين حتى الممرضة تمس الطفل ، فالطفل آكل ، شارب ، نائم ، لابس، لا يكفي ، يحتاج إلى من يحضنه ، يحتاج من يقبله ، يحتاج من يحمله ، يحتاج من يداعبه ، يحتاج من يمشي على أربعة ويركب ابنه فوقه .

هكذا النبي فعل ، سيد الخلق وحبيب الحق ، أثناء الصلاة تأخر في السجود كثيراً ظنوه قد مات ، شخص رفع رأسه وجد الحسن فوقه ، فقال النبي الكريم : كرهت أن أعجله .

عندك إمكان أن تكون هكذا في البيت ؟ إن كنت هكذا لم يعد هناك مراهقة ، يلتغى الموضوع كله ، أما المواضيع المستوردة الهجينة ليست من أخلاق المسلمين ، شاب عندما أنت علمته يا بني هذه الشهوات لا يوجد حرمان بالإسلام كل شيء له وقت ، عندما يعرف أنه لا يوجد حرمان ، ما من شهوة أودعها الله بالإنسان إلا جعل لها قناة نظيفة تسري خلالها ، مستحيل أن ينتهي ، اطمأن .

هناك غض بصر ، والبيت منضبط ، ليس هناك ثمانمئة محطة بالصحن ، أربعمئة إباحية ، الابن منضبط ، والأب منضبط ، والبيت في تدين ، في صلاة ، ما في مراهقة ، أنا هذا إيماني وأنا لا أبالغ ، وأنا لست حالماً ، هناك أسر كثيرة هكذا .

الله هناك أسر سمعت عنها الاستيقاظ قبل الفجر بساعة ، يصلون قيام الليل ، يقرؤون القرآن ، يصلون الفجر ، ويجلس الطالب على دروسه ، والأم تهيئ الطعام والشراب وينطلقون إلى أعمالهم ، هناك انضباط عجيب بالبيت، الأب قائد ناجح ، والأم صالحة جداً البيت يصبح جنة ، ما الذي يمنع أن تكون بيوتنا كلها جنات ، بيدنا والله ، والدخل ليس له علاقة ، البيت صغير ، والدخل قليل ، والأكل خشن ، فيه حب ، الحب يغني عن كل شيء .

المحاضر :

أتوجه الآن بالسؤال إلى الآباء والأمهات كم كتاباً قرأتم عن تربية الطفل ؟ وهو ما يشير إليه الأستاذ ، عن نمو هذا الطفل من الطفولة إلى الرجولة ؟.

الالتفاف والانفضاض :

الدكتور راتب :

الآية الكريمة :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾

(سورة آل عمران الآية : 159)

هي معادلة رياضية الاتصال بالله الحقيقي ، إنسان مستقيم ، له اتصال يشتق من الله الرحمة ، هذه الرحمة تنعكس ليناً ، هذا اللين يسبب التفاف الناس حولك ، مدير جامعة ، مدير مستشفى ، قائد ، وزير ، مدير مدرسة، أب ، أم ، معلم ، أي منصب قيادي إذا كنت متصلاً بالله امتلأ القلب رحمة ، وانعكست الرحمة ليناً ، اللين سبب التفاف الناس حوله .

الآن :

﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ ﴾

لو كنت منقطعاً عن الله امتلأ القلب قسوة ، والقسوة انعكست غلظة ، والغلظة سببت انفضاضاً ، هذا القانون ينطبق على الآباء ، والأمهات ، والأبناء ، وعلى المعلمين ، والمدرسين ، وعلى أي منصب قيادي ، لك اتصال بالله ؟ تشعر برحمة ، الرحمة تنقلب إلى لين ، اللين يسبب التفافاً ، فأنت بين الالتفاف والانفضاض .

العمل عبادة :

لا يوجد ابن إلا ويرى والده محباً له ، مهتماً بمستقبله ، حريصاً على نجاحه ، حريصاً على مستقبله الإنسان عبد الإحسان .

((يا داود ذكر عبادي بإحساني إليهم ، فإن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها ، وبغض من أساء إليها))

[حديث قدسي رواه البيهقي عن عمير بن وهب]



هذا الكلام يسوقني إلى فكرة ليس لها علاقة باللقاء، العمل عبادة ، الشاب عندما يتقن عمله يكون دخله معقولاً ، يغطي حاجات أولاده ، حاجات زوجته ، ماذا قال الصحابي الجليل ؟ حبذا المال ، أصون به عرضي ، وأتقرب به إلى ربي ، أما أب مهمل لعمله ، إهماله شديد ، لا يحب المال ، ليس معه مال ، بابا أريد كومبيوتر ، ما معي ، ما معي ، ما معي ، ما معي ، مل من أبيه ، له صديق منحرف غني التصق به ، طبعاً أطعمه طعاماً طيباً ، وأخذه نزهات ، لكن علمه عادات سيئة جداً .

فلما الأب يتقن عمله ، ويسعى إلى رزق حلال ينفق على عياله ، كأنه في عبادة .

أقول لكم مرة ثانية : حرفتك ، أو مهنتك ، المهنة خدمة الزوجة ، كان عليه الصلاة والسلام في مهنة أهله ، نحن عندنا خطأ شائع ، يقول مثلاً : الطبيب الإخصائي أي يخصي ، يقول لك هذا الإنسان محترم ، من الحرمان ، يقول : فلان مولع ، أي ثور أحمر ، عندنا أخطاء شائعة كثيرة جداً .

فالإنسان حينما يتقن عمله ويؤمن حاجات أولاده أصبح العمل عبادة ، بمعنى حرفتك التي تحترفها ، إذا كانت في الأصل مشروعة ، وسلكت بها الطرق المشروعة ، وابتغيت منها كفاية نفسك ، وأهلك ، وخدمة الآخرين ، ولم تشغلك لا عن عبادة ، و لاعن عمل صالح ، انقلبت إلى عبادة ، ما قولك أن كل واحد منا حرفته عبادة ، إذا أتقنها ، وخدم بها المجتمع ، وساهم في بناء أمته ، وكسب المال ، وأنفقه على عياله ، الإنفاق على العيال صدقة من أعلى أنواع الصدقة ، وأن تضع اللقمة في فم زوجتك ، هي لك صدقة ، في بعض الأحاديث يراها يوم القيامة كجبل أحد .

الود الأسري وإتقان العمل أحد أسباب إلغاء سن المراهقة :

هذا الود الأسري ، وإتقان العمل ، أحد أسباب إلغاء سن المراهقة ، في إتقان للعمل في دخل معقول ، الدخل المعقول يحل مشاكل الابن ، طلب كومبيوتراً جاهز ، له غرفة خاصة ، ثيابه في الشتاء جيدة معقولة ، أنا لا أطلب الرفاه إطلاقاً ولا الترف ، محرم هذا يعني له معطف في الشتاء ، يستطيع أن يأكل أكلاً معقولاً ، مع أنه في أسعار مرتفعة جداً الأب يعمل ، والله أشعر أحياناً أن هذا الذي يسعى لكسب رزق أولاده بطريق مشروع ، والله في عبادة مستمرة .

لذلك أيها الأخوة الأمور متداخلة ، المراهقة متعلقة بالدخل ، متعلقة بالإنفاق ، متعلقة بأب واعٍ ، متعلقة بأب متفهم ، مثلاً :

يذهب الأب لمكان بعيد ليأتي بأموال ، ترك زوجته وأولاده ، بالطريق أولاده ، يرجع معه ثمن بيت لكنه خسر أولاده .

النجاح لا يسمى نجاحاً إلا إن كان شمولياً :

أنا أقول لكم كلمة دقيقة الآن : أنا لا أؤمن بنجاح جزئي ، النجاح شمولي ، النجاح الشمولي أساسه أربع فقرات ، أن تنجح مع الله معرفة ، وطاعةً ، وقرباً ، هذا أول نجاح ، وأن تنجح مع أهلك وأولادك ، أنا لا أتصور أن إنساناً ناجحاً مع الله بيته خرب ، بيته في مشكلات ، بيته في عداوة ، في بغضاء ، في تفلت ، ناجح مع الله ناجح في بيته ، وناجح بعمله ، وناجح بصحته ، أربعة أشياء ، أي خلل في أحدها ينعكس على الثلاثة ، خلل حتى بالصحة ينعكس على عبادتك ، على بيتك ، وعلى عملك ، خلل بعملك ، تأخرت ساعة أهانك مدير المدرسة ، تبقى مزعوجاً شهراً ، انعكس على بيتك ، يدك والضرب ، زعجك المدير ، لأنك أنت تأخرت .



الخلل بالعمل ، أو بالبيت ، أو بالصحة ، أو بعلاقتك مع الله ينعكس على الثلاثة فاعتقدوا معي جازمين ليس هناك نجاح جزئي ، النجاح الجزئي لا يسمى نجاحاً أصلاً ، لا يكون النجاح إلا شمولياً .

المحاضر :

قد يظن الشاب ، أو قد تظن الشابة ، أن معارضتها ، أو معارضته لوالديه هو إثبات لذاته ، فتختلف وجهات النظر ، وهنا يأتي دور الأب العاقل كيف يعالج هذا الموضوع بحكمة ؟ كنت أقرأ عن علماء التربية يقول : ما المانع أن أخاطب هذا الولد وقد خالف رأيي بأمور لنتعلم أن الاحترام يولد الاحترام ، أقول له : وجهة نظرك جيدة ، إلا أني أرى غير ذلك ، أو بعبارة أخرى ، علينا أن نتفق أن آراءنا مختلفة في هذا الموضوع، أفضل من الشتائم ، أو أن نقول لا بأس أن يكون لكل منا رأيه في هذا الموضوع ، أو أن نقول إني لا أرى الأمر كما تراه ، وهذا من حقك ، اختلاف وجهات النظر ظاهرة صحية ، ولكن كيف تعالج ؟ وكيف أصل بهذا الولد إلى جادة الأمن والأمان ؟ دون أن ينفر فلا يعود أبداً ، نريد في المحور الرابع أن نقف مع شيخنا على نماذج متميزة من التاريخ أو من واقعنا المعاصر ، ثم نسأل أنفسنا هل عاش هؤلاء مرحلة المراهقة ؟.

كلما صحت عقيدة الشاب صحّ عمله :

الدكتور راتب :

شاب عمره سبعة عشر عاماً ، عينه النبي ﷺ قائداً للجيش ، من جنوده أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، هذا الشاب سيدنا أسامة ، كان يركب الناقة وسيدنا الصديق يمشي ، قال له يا خليفة رسول الله : لتركبن أو أنزلن، قال له : والله لا ركبت ولا نزلت ، وما عليّ أن تغبر قدماي ساعة في سبيل الله .

الآن هذا الشاب قائد ، سيدنا الصديق بحاجة لسيدنا عمر ، قال له : يا أسامة أتأذن لي بعمر ؟ هذا النظام ، الآن معه الهمبرغر وذاهب إلى الملعب ، اختلف الوضع شاب قائد جيش عمره سبع عشرة عاماً !. صدقوا أيها الأخوة شباب المسلمين في عصور الازدهار كانوا آيات تدل على عظمة الله ، شهد الله الآن أحياناً أدخل إلى مسجد كله شباب ، أرى عدداً كبيراً من الشابات المؤمنات الطاهرات العفيفات المحجبات ، هذه ظاهرة

طيبة جداً الآن ، نحن عندنا تصور غير صحيح ، نظن أن الشاب همه أن يتزوج فقط ، والشابة همها أن تتزوج، لا ، هناك هموم ثانية ، أحياناً الشاب يحمل همّ أمته ، والشابة تحمل همّ أمتها أحياناً ، هذا شيء يرفع من مستوى الشباب ، فكلما صحت عقيدة الشاب صحّ عمله ، وكلما تلقى توجيهاً صحيحاً صار بطلاً ، مثلاً : من منا يصدق أنه إلى جانب رسول الله غلام صغير ، جاءت ضيافة ، بحسب توجيه النبي من حقّ الصغير أول شيء ، قال له سيد الخلق ، حبيب الحق ، سيد الأنبياء والمرسلين يا غلام أتأذن لي أن أعطي الأشياخ قبلك ؟ قال له : لا والله هذا حقي ، هذا لمن التوجيه ؟ هذا التوجيه لنا ، نمّى له شخصيته ، استأذنه ، وضعه إلى جانبه.

قبل أن آتي كنت في درس بمسجد ، إنسان بعيد عن اللباقة ، دخل ليصلي في المسجد ، كان هناك صف واحد فقط ، إلى جانبه طفل صغير فدفعه نحو الخلف ، لا يوجد صف ثانٍ ، هذا الطفل يقسم بالله ترك الصلاة خمسة و خمسين عاماً ، لم يدخل إلى المسجد إلا بعد خمسة و خمسين عاماً .

هناك قصة بالمقابل ابن صغير والده اشترى له حذاء جيداً على العيد ، دخل إلى الجامع ، سُرق ، صار يبكي ، أخذه رجل وقور إلى محل أحذية ، اشترى له حذاء أجمل من حذائه السابق ، يقسم بالله ما ترك الصلاة بحياته ، المعاملة واحدة ، هذا الطفل كيف النبي احترمه ، كيف النبي كرمه .

الإسلام انضباط و حبٌّ :

أنا أرى أنت حينما تحترم ابنك أحياناً تحترمه تسأله ، ما قولك بابا نعمل هكذا ، أنا أحب أن أسمع رأيك ، بماذا شعر ؟ أما إذا قلت له اخرس أنت لا تفهم ، هكذا الآباء ، أي أب هذا ؟ ابنك هذا ، نعم بابا طمئني عنك ، أما كلام عنيف !! .

والله أنا سمعت طالبة قالت لها معلمتها أنت حمارة ، تعقدت ، عشرون سنة هذه الكلمة حطمتها ، لا يصح أن تقول هذا الكلام ، والله يوجد كل كلمة تعد جريمة .

((إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً))

[الترمذي عن أبي هريرة]

كلمة واحدة ، عفواً ، قصيرة السيدة عائشة قالت عن صفية أنها قصيرة ، الآن يشرحوها مليون تشريح ، قصيرة ، قال : يا عائشة لقد قلت كلمة لو مزجت بمياه البحر لأفسدته ، هذا الإسلام ، الإسلام انضباط ، بيت منضبط لا يوجد فيه مراهقة ، بيت فيه حب ، نحن نفهم الحب بعيد الحب مثلاً ، الحب ضمن الأسرة مهم جداً .

مرة كنا بجامعة دمشق بكلية التربية ، أنا علّمت فيها ثلاثين سنة ، أحد كبار المدرسين الدكتور فاخر العاقل ، أحيل على التقاعد الآن مريض عافه الله ، فأقيم له احتفال ضخم جداً ، فقال كلمة مفادها : أي إنسان لا يشعر بحاجة إلى أن يُحِب ، ولا بحاجة إلى أن يُحَب ليس من بني البشر ، هذا الحب يجب أن يكون في البيت ، لأن البيت أقرب شيء لك .

مساواة النبي عليه الصلاة والسلام في الحب بين الحسن بن علي و أسامة بن زيد :

المحاضر :

أستاذنا جزاه الله خيراً ، وأريد أن أعود معكم إلى سيدنا أسامة لنربط بين أسامة وبين الحب ، أسامة بن زيد والده زيد بن حارثة ، وأمه أم أيمن ، بركة الحبشية ، ويقول الرواة : إنه كان أسود أفطس الأنف كأمه ، رضي الله عنه وعنها ، كان رسول الله ﷺ كما ورد في السيرة يمسكه مع سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنه وعن أبيه وعن أمه ، وكان أبيضاً وأزهر كجده عليه الصلاة والسلام ، ويضمهما إلى صدره قائلاً : اللهم إني أحبهما فأحبهما ، هذا أسامة ، هذه بطولة أسامة ، الذي قاد الجيش وهو ابن سبعة عشر عاماً ، لأنه نشأ على حب النبي عليه الصلاة والسلام ، وهو يدعو له : اللهم إني أحبه فأحبه ، ﷺ ، وهو سيد المربين .

المساواة في المعاملة بين الأولاد :

الدكتور راتب :



أريد أن أعلق تعليقاً ، أحياناً يكون في البيت ولدان، ولد ذكي ، وجميل الصورة ، والثاني أقل ذكاء وأقل جمالاً ، وأحياناً معه قليل من الغلاظة ، أنت كمؤمن عليك أن تعامل الاثنين نفس المعاملة ، تقبل الاثنين ، تحضن الاثنين ، تشم الاثنين ، تعطي الاثنين ، بهذه الطريقة تلغي له هذه العقدة . أما أكثر الآباء يهتم بالابن الذكي قليلاً ، أو الذي صورته جميلة ، أو عينه عليه دائماً ، بابا أكلت ؟

والثاني تاركه ، أنت بهذا حطمت الثاني ، أنت مؤمن ، لا يمكن أن تميز واحداً على واحد بقبلة إطلاقاً ، يجب أن تكون عدلاً تماماً .

في بعض الروايات وضع سيدنا أسامة على إحدى رجليه ، وسيدنا الحسن على الثانية ، ما في نسبة بالشكل بينهما ، ضمهما وشمهما .

أحياناً هناك بنت أقل جمالاً من أختها ، إذا سمعت كلمة قاسية من أخوتها الذكور يجب أن تقيم القيامة عليهم ، لا يوجد أي تعليق على الشكل إطلاقاً ، تعليق على السلوك فقط ، هذه أشياء أساسية بالبيت ، أب عادل ، أم عادلة ، برعاية فائقة يلغي كل العقد عند أولاده الأب ، تلتغى العقد كلها ، و إلا كلها تصبح عقداً .

المحاضر :

كلما سمعنا نستفيد أيها الأخوة أننا أمام مرحلة المراهقة ، نصنفها كأنها حياة بناء وإنتاج ، وليست مرحلة تشتت ولا مرحلة ضياع ، نحن لنا قدم نتكلم بلسان أخواني وأخواتي من الشباب ، لنا قدم في المستقبل ، قدم في الحاضر ، وأعيننا ترنو إلى المستقبل ، أهم مشكلات المراهق عند من اختص بذلك الحب ، إضاعة الوقت ، نظرة من حوله له ، بكلمات سريعة أستاذنا كيف نوجه أخواننا من المراهقين ، وأخواتنا من المراهقات ؟.

الحب قيمة واسعة جداً و له وقت معين :

الدكتور راتب :

يعني إذا قلنا الحب له وقت معين ، لا أعني أن أغيب الحب ، الحب قائم ، لكن نحن كلمة الحب نفهمها فهماً محدوداً جداً بعلاقة لا ترضي الله ، ليس هذا هو الحب ، الحب ما كان وفق منهج الله عز وجل ، أنا لما أعطي ابني قناعات ، أعطي حباً بالبيت لا يحتاج الشاب إلى حب آخر ، بأول حياته أمه قاسية جداً عليه ، أمه مشغولة مع الجيران ، مشغولة بحظوظها الشخصية ، تهمله ، ودائماً لسانها قاسٍ عليه ، سُباب ، بحاجة إلى أنثى تقول له أنا أحبك ، هو بأول سن والدته كافية ، لو شعر بحب من والدته ، وعطف ، واهتمام ، عنده حاجة تحققت ، أما لا يجد كلمة طيبة بالبيت ، قال لي شخص ابني يأتي الساعة الثانية إلى البيت ، بعد ما فهمت وضعه بيته جحيم ، قلت والله معه حق يأتي الساعة الثانية ، لا يوجد كلمة طيبة بالبيت ، فينبغي أن يكون في البيت كلام طيب ، وحب ، والحب غذاء أساسي .

أنا أرى عندما يعرف الشاب أن هذا الحب إذا كان بالوقت المناسب ، وبالوضع المناسب يثمر عطاء كبيراً ، والآن وقت بناء الذات ، هذه المعاني يجب أن يقولها الأب لابنه معقول إنسان بالعشرين نزوجه ، ما في إمكانية، عندما نحن نوجهه توجيهاً دينياً صحيحاً ، نعلقه بقيم عالية جداً ، ونقول هذا الوضع له وقت ، لا تطلبه قبل أوانه، يقبل معك ، أما لا يعرف شيئاً ، الله فطره على حب الأنثى فقط ، يسمع كلمة من إنسانة تجده اختلف الوضع .

أنا أقول لكم بصراحة : قلّما يجلس الآباء مع أولادهم ، وقلّما تجلس الأمهات مع بناتها ، يعني آكلة ، شاربة انتهى ، أكلوا ؟ أكلوا ، تعشوا ؟ تعشوا ، كتبوا ؟ كتبوا ، أما الابن ما وضعه ؟ ما علاقته ؟ لا يوجد شيء من هذا.

أنا أرى أن موضوع الحب ليس شرطاً أن يكون بين شاب وأنثى مبدئياً ، الحب قيمة واسعة جداً ، إن كان بيت فيه حب الحاجة تأمنت ، فالزواج له وقت ثانٍ .

المحاضر :

نحرص عليه من باب الحلال ، الأمر الثاني إدارة الوقت أيها الأخوة ، قرأت لبعض علماء الغرب يقول : إن الذين تعودوا السمسرة لا يستطيعون أن يستمعوا صوت أقدام الوقت وهو يمضي ، لأن حياته تافهة ، لا قيمة لها، ويمضي الوقت وقت البناء ، وقت العمل ، دون أن يسمع لأقدامه صوتاً وهو يمشي فنصيحة لأخواننا عن إدارة الوقت .

إدارة الوقت :

الدكتور راتب :

أنا أؤمن أنه من أدق التعاريف للإنسان أنه وقت ، تعريف الإمام الحسن البصري الإنسان بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منه ، أنت وقت ، والوقت إما أن ينفق استهلاكاً ، أو أن ينفق استثماراً ، معظم الناس أكلنا ، شربنا ، نمنا بعد الظهر ، جلسنا ، سهرنا ، تنزهنا ، عملنا عزيمة ، صار بالخامسة والسبعين ، جاءت الأزمة القلبية إلى المستشفى إلى القبر ، ليس مستعداً للآخرة ، عندما تعرف أنك أنت بضعة أيام ، كلما انقضى يوم انقضى بضع منك ، أخطر مفهوم الإنسان وقت ، بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منك . لذلك بطولتنا أن نعد أعمارنا عداً تنازلياً ، ذهبت إلى حمص ، مئة و ستون ، مئة و أربعون ، مئة و عشرون ، مئة ، ثمانون ، ستون ، بعدها خمسة ، حمص ترحب بكم ، نفس الشيء عمرك ، أنا كم يوم بقي لي ، كم سنة؟

كل واحد ، هناك أشخاص تعمر ، كم يوم ؟ كم سنة ؟ لا تقل : عمري خمسة و ستون ، لا ، كم سنة بقي لي ؟ ماذا أفعل بهذه الأيام ؟ فالوقت أساسي جداً ، إما أيها الأخوة ، ينفق استهلاكاً كشأن معظم الناس ، أو أن ينفق استثماراً .

إنفاق الوقت استهلاكاً أو استثماراً :

ما معنى إنفاق استثماري ؟

﴿ وَالْعَصْرِ﴾

(سورة العصر)



أقسم الله بمطلق الزمن ، بهذا المخلوق الأول ، الذي هو في حقيقته زمن ، أقسم له فقال :

﴿و العصر * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾

(سورة العصر)

جواب القسم أيها الإنسان أنت خاسر ، لماذا يا رب؟ قال : لأن مضي الزمن يستهلكه فقط مضي الزمن ، لذلك تلافي الخسارة :

﴿ إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

(سورة العصر)

ما لم تبحث عن الحقيقة ، وما لم تعمل وفقها ، وما لم تدع إليها ، وما لم تصبر على البحث عنها ، والعمل بها، والدعوة إليها فأنت خاسر ، هذه السورة كما قال عنها الإمام الشافعي لو تدبرها الناس لكفت .

أخوانا الكرام ، مفهوم الوقت حضارة ، الوقت ثمين جداً ، وهو كالسيف إن لم تقطعه قطعك .

المحاضر :

أستاذنا عند هذه النقطة ، بعض علماء بغداد "علماء السلف" يقول : فهمت سورة العصر من بائع متجول في شوارع بغداد كان يبيع ، القضية الأخير نظرة من حولنا بالنسبة للمراهق ، كيف ينظر الناس إليه ، وكيف يهتم بهذه النظرة ؟.

الأب الواعي عليه استيعاب أخطاء أبنائه و مساعدتهم على عدم تكرارها :

الدكتور راتب :

الأب عندما يكون واعياً جداً ، أفقه واسع ، وأبنه أخطأ ، الخطأ يجب أن يستوعبه ، أما على كل خطأ في تعليق صار هناك شرخ بين الأب وبين ابنه ، أحياناً السكوت على خطأ الابن أفضل من أن تحاسبه عليه ، وأحياناً عد الخطأ شيء طبيعي .

أنا مرة أذكر إنساناً توظف بوظيفة ، فأخطأ فقال له مديره : لا ، الوضع طبيعي ، لكن لا تعيدها .

عود نفسك البطولة ، ليست البطولة أن تكون مخطئاً ، البطولة ألا تبقى مخطئاً ، ليست البطولة أن تجهل ، الخطأ أن تبقى جاهلاً ، فإذا تعاملت مع ابنك ممكن يغلط ، ممكن يجهل ، فالخطأ يصحح ، والجهل يصحح بهذا الشكل .

العقل أصل بالدين :

هناك شبهة كبيرة جداً ، وخطيرة جداً في العالم الغربي ما في منع أذكرها ، أحياناً يظنون الشاذ عنده جينات شاذة، لذلك الآن يعاملونه معاملة عادية جداً ، كلينتون قبل ما تنتهي رئاسته ألقى قنبلة علمية ، لما وصلوا إلى خارطة الجينات ، ماذا قال ؟ قال : لا علاقة للجينات بالسلوك ، واضحة ؟ لا علاقة للجينات بالسلوك ، لو شخص جيناته غلط ، كيف الله يحاسبه ؟ هل يوجد معك دليل إيماني ، إنسان أعطاه الله جينات شاذة وقام شذ ، والله عاقبه ، الكلام غير منطقي ، العقل أصل بالدين ، فقال : هذه الخارطة الجينية تؤكد أنه لا يوجد علاقة أبداً بين الجينات والسلوك ، إذا صدقناها يجب ألا نعاقب المجرم ؟!

المحاضر :

فضيلة الدكتور إذا كنا ننتقد الغرب كل هذا النقد الشديد ، ونلصق به كل مشكلاتنا هل بقي من شيء نستفيد منه من هؤلاء ، نستفيد منها ، ولا تضرنا وكيف ؟.

ثقافة أية أمة ملك البشرية جمعاء :

الدكتور راتب :

أحد كبار المفكرين سُئل ماذا نأخذ وماذا ندع من حضارة الغربيين ؟ فقال : نأخذ ما في رؤوسهم ، وندع ما في نفوسهم ، إحساسنا ملكنا ، وإحساسهم ملكهم ، والثقافة قاسم مشترك بيننا .

والله كنا بألمانيا وزرنا كنيسة كبيرة ، يقول لنا رئيس الكنيسة : لكم فضل علينا حضارتنا منكم ، كان واقعياً ، فنحن لنا فضل على الأمة .

لذلك قالوا : ثقافة أية أمة ملك البشرية جمعاء ، لأنها بمثابة عسل استخرج من مختلف زهرات الشعوب ، على مرّ الأجيال ، وهل من العقل إذا لدغتنا جماعة من النحل أن نقاطع عسلها ؟ لا نأخذ عسلها .

المحاضر :

أستاذ عندنا سؤال من مراهق يسأل الحب بين شاب وبنت حرام لماذا ؟.

الحب قبل أوانه مشكلة :

الدكتور راتب :

في منهج الله عز وجل افعل ولا تفعل ، الحب قبل أوانه في مشكلة ، صار في تعلق شديد ، لأن الله عز وجل أودع في كل شاب محبة للأنثى ، أودع في نفس الأنثى محبة للشاب ، هذا الحب مبرمج في الإسلام على الزواج ، الزواج في مستقبل ، في أولاد ، أول المحاضرة قلت : هذا العالم الذي تزوج ،عنده ثمانية و ثلاثون حفيداً ، ثلاثة عشر حفيداً منهم حافظ لكتاب الله هذه العلاقة أساسها زواج ، وفي أي بيت دعارة علاقة جنسية ، فالحب قبل أوانه له مشكلات ، وسائل وإمكانيات الزوج غير متوفرة .

المحاضر :

نصيحة أخيرة للمفكرين والمربين .

نصيحة أخيرة للمفكرين والمربين :

الدكتور راتب :

أخطر فئة عندنا هي الشباب ، يريدون أربع حاجات ، يحتاجون فرصة عمل ، وزواجاً ، وبيتاً ، ما لم يسعَ الجميع مسؤولين وأولياء أمور إلى تأمين زواجهم ، وبيتهم ، وفرصة عمل لهم (للشباب والشابات)فهناك مشكلة كبيرة جداً ، والأغرب من ذلك نسبة العنوسة في سوريا 50% ما لم نسعَ إلى تزويج الشباب والشابات ، ونؤمن بيوتاً وأعمالاً عندنا مشكلة كبيرة جداً تنتظرنا ، هذه كلمة أقولها هي حقيقة مرة ، لكن لابدّ من أن أقولها .

خاتمة و توديع :

المحاضر :

جزاكم الله خيراً ، في ختام هذه الجلسة الطيبة المباركة أريد أن أختم بإشارة قرآنية بدأها شيخنا جزاه الله خيراً بوصف المراهقة بالفتوة بقول الله تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آَمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾

أنا أريد أن أقف معكم لدقيقتين فقط كيف تحاور هؤلاء الفتية في سورة الكهف عندما استفاقوا من نومهم ، وحاور بعضهم كيف تكون أخلاق الفتوة في الإسلام ، قالوا :

﴿ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً ﴾

(سورة الكهف)

في رسائل ربنا يصف حال الفتية المؤمنين

﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آَمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾

الشاب المسلم لا يعتمد على غيره

﴿ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ﴾

من مالكم لا من مال غيركم ،

﴿ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ ﴾

أعاد الضمير على الله تبارك وتعالى فنعمة نستدل بها على المنعم ،

﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ ﴾

ذوق وأدب ،

﴿ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً ﴾

حيطة وحذر ، هذه أخلاق الشباب الذين آمنوا بربهم وزادهم الله هدى .

أسأل الله أن يعصم شبابنا ويحفظ فتياتنا ، ويقر أعين الآباء والأمهات بذلك ، وجزى الله أستأذنا الكريم خير جزاء على ما أتحفنا به ، وإلى لقاء قريب قادم أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-8) : اغتنام مرحلة الشباب في مرضاة الله

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الشباب:

صح في الحديث الشريف أن النبي ﷺ قال لرجل و هو يعظه: اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك و صحتك قبل سقمك و غناك قبل فقرك و فراغك قبل شغلك و حياتك قبل موتك.

فكيف يغتنم الشاب شبابه ؟

1- التعرف إلى الله تعالى:

2- ويكون ذلك من خلال النظر في آياته الكونية (خلقه) وآياته القرآنية (كلامه) وآياته التكوينية (أفعاله)

أما النظر في خلقه فلأن الله تعالى يقول

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآَيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

(سورة يونس)



وأما تدبر كلامه فلأنه ﷻ يقول

﴿فَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآَنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾

(سورة محمد)

وأما النظر في أفعاله فلقوله تعالى:

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُالْمُكَذِّبِينَ ﴾

(سورة الأنعام)

2- طلب العلم الشرعي: فالعلم الشرعي علم نافع وممتع ومسعد وهو السبيل إلى الاستقامة على أمر الله تعالى والتزام منهجه .

يقول ﷺ (ما من خارج خرج من بيته في طلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضا بما يصنع).

3- الاستقامة على أمر الله تعالى: وهي نتيجة حتمية لمن تعرف إلى الله تعالى وتعرف إلى أمره ونهيه قال صلى الله عليه وسلم: (استقيموا ولن تحصوا.واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة.ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن)

4- العمل الصالح: فالمؤمن باستقامته على أمر الله يسلم لكنه لا يسعد ولا ترتفع درجته عند الله تعالى إلا بعمل صالح يفعله ابتغاء وجه الله الكريم.

قال تعالى:

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾

(سورة فاطر)

5- تسخير كل الطاقات والإمكانيات لخدمة المسلمين .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه و سلم إذ طلع علينا شاب من الثنية فلما رأيناه بأبصارنا قلنا لو أن هذا الشاب جعل شبابه ونشاطه وقوته في سبيل الله قال فسمع مقالتنا رسول الله صلى الله عليه و سلم قال وما سبيل الله إلا من قتل؟! من سعى على والديه ففي سبيل الله ومن سعى على عياله ففي سبيل الله ومن سعى على نفسه ليعفها ففي سبيل الله ومن سعى على التكاثر فهو في سبيل الشيطان .



أيها الإخوة الشباب: تلك خطوط عريضة لاغتنام الوقت في مرضاة الله وفي مقالات أخرى نفصل في هذه الموضوعات والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5 – 8) : قيمة الشباب المسلم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة :

المذيع :

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ، والحمد لله رب العالمين ، وأتمّ الصلاة وخير التسليم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أهلاً ومرحباً بكم مشاهدينا الكرام ، نتحدث وإياكم في ملفات شبابية ساخنة مهمة جداً إلى الشباب .

ربنا سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم علمنا أفلا يتدبرون ، أفلا يتفكرون ، وغيرها كثير من الآيات القرآنية التي دعتنا إلى التدبر والتفكر فيما يحصل حولنا ، كيف يمكن للشباب أن يكون حقيقة هو نقطة التغيير لهذه الأمة ؟ لا بد في البداية أن نحدد من أنا ؟ هل أنا كشاب لي قيمة في هذه الحياة ؟ هل أنا رقم ضمن الأرقام الكثيرة الموجودة من باقي البنات وباقي الشباب في المجتمع ؟ أم يمكن أن أكون أنا الرقم الصعب الذي يغير المعادلة كاملة في المنطقة حينما علمنا النبي ﷺ إنما نصرت بالشباب ؟ لم تكن فقط للماضي فكل من يستن بسنة النبي يستطيع أن يعيد هذا التاريخ من جديد ، وأن يكون النصر حليفاً للأمة من خلال الشباب .

يسعدنا أن نبدأ حوارنا من أنا ؟ نحن كشباب ما قيمتنا ؟ مع فضيلة الداعية الكبير الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي ، السلام عليكم شيخنا وأهلاً ومرحباً بكم .

الدكتور راتب :

عليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

المذيع:

شيخنا الفاضل نسعى في بداية هذا البرنامج أن نتحدث في مفهوم الأنا ، فكثير من الشاب لازال سؤال من أنا ليس واضحاً لديه ، كشاب ، كمسلم ، كإنسان .

الشباب عماد الأمة و مستقبلها :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألوِيَتِه ، وارضَ عنّا وعنهم يا ربّ العالمين .



الحقيقة الدقيقة أن الشباب عماد الأمة ، والشباب قوام الأمة ، والشباب مستقبل الأمة ، وحينما نعتني بالشباب نعتني بقوميتنا ، نعتني بمستقبلنا ، نعتني بتقدمنا ، نعتني بحضارتنا ، والشباب لهم حيز كبير في هذا الدين القويم ، فلذلك حينما نتفهم حاجات الشباب هذه نقطة دقيقة جداً هذا الشاب يسعى إلى أشياء ثلاثة وكلها طلبات متواضعة ، يسعى إلى دار سكن ، وإلى زوجة ، وإلى فرصة عمل ، فإذا أمنا لهؤلاء الشباب حاجاتهم الأساسية ملكناهم ، وكانوا في دعم هذه الأمة ، وفي قوتها ، وفي انتصاراتها ، أما إذا أهملنا الشباب فهناك مشكلة كبيرة جداً ، فأنا أرحب بهذه السلسلة من اللقاءات التلفزيونية التي تتمحور حول الشباب ، إنهم عماد الأمة ومستقبل الأمة ، والشباب طاقة كبيرة جداً ، الأمة بحاجة إلى الشباب لأنهم كالمحرك في السيارة ، وأما الشيوخ كالمقود ، وأما المنهج كالطريق ، يوجد طريق ويوجد مركبة فيها محرك وفيها مقود ، فإذا ضبطنا سير المركبة على الطريق عن طريق المقود نجحنا . أنا أرحب بهذه الحلقات المتعلقة بالشباب .

المذيع:

دكتور ؛ كثير من الشباب يعتقد أن لا قيمة له ، ولا يستطيع أن يغير ، يعيش في دول تسمى العالم الثالث ، أين نحن وأين الغرب وأين ؟ من هذه الجمل المليئة بالإحباط ، وقلة الثقة بالنفس ، ما رأيك دكتور ؟

الشيء الذي تتوهم أنك لا تستطيع أن تفعله هو الذي لا تريد أن تفعله :

الدكتور راتب :

أولاً : الشيء الذي نتوهم أننا لا نستطيع أن نفعله هو الشيء الذي لا نريد أن نفعله، هذه حقيقة دقيقة وخطيرة ، أي إنسان غير الشباب ، الشيء الذي تتوهم أنك لا تستطيع أن تفعله هو الشيء الذي لا تريد أن تفعله ، لكن الإنسان يضع مبررات لتقصيره ، أما حينما قال الله عز وجل :

﴿ وَآَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾

[سورة إبراهيم : 34]



فلمجرد أن تقبل بصدق تصل ، هذه الحقيقة أضعها بين يدي الأخوة المشاهدين ، أي إنسان بأي عمر بأي وظيفة بأي مكون إذا أراد شيئاً الله عز وجل جاء به إلى الدنيا ليحقق مراده ، ولكن الله لا يتعامل مع الكاذبين يتعامل مع الصادقين ، إن القرار الذي يتخذه الإنسان في شأن مصيره قلّما تنقضه الأيام ، إذا كان صادراً حقاً عن إرادة و إيمان ، أي قرار يتخذه الإنسان كائناً من كان شاباً أو كهلاً أو شيخاً أو صغيراً أو كبيراً ، ذكراً أو أنثى ، أي شيء يصبو الإنسان إليه ، ويقدم أسبابه ، أنا أرى ومتيقن من رؤيتي لا بد من أن تصل إليه ، لأن الله قال :

﴿ وَآَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾

[سورة إبراهيم : 34]

جاء بك إلى الدنيا ليحقق مرادك ، ليحقق رغبتك ، ليحقق اختيارك ، فالبطولة أن تحسن الاختيار .

المذيع:

دكتور سنعود إلى نقطة عن الشباب ما المطلوب من الشباب شرعاً حينما خلقنا الله عز وجل كشباب يعيشون في هذه الأمة الإسلامية ؟ ما هو الدور والواجب ؟

ضرورة تأمين حاجات الشباب :

الدكتور راتب :

والله أنا قلت قبل قليل : الشاب له حاجات وعليه واجبات ، فالبطولة أن نؤمّن له الحاجات كي نطالبه بالواجبات.

المذيع:

ثلاث حاجات ؛ فرصة عمل ، وسكن ، وزوجة .

الدكتور راتب :



علينا أن نؤمن حاجات الشباب لكي نطالبهم بالواجبات

ولكن بعد أن تؤمّن له هذه الأشياء قد يكون أكبر قوة ، ريح الجنة في الشباب ، الشباب طاقة ، الشباب قدرة ، الشباب اندفاع ، كل شيء له خصائص ، ومن أهم خصائص الشباب الاندفاع بقوة ، لكن يحتاج إلى شيخ يخطط له ، شيخ أقصد إنساناً واعياً متقدماً في السن عنده خبرات متراكمة ، هذا الشيخ مهمته أن يخطط لهذا الشاب حركته .

المذيع:

دكتور الاندفاع في الشباب ميزة إيجابية أم سلبية ؟

الاندفاع في الشباب ميزة حيادية :

الدكتور راتب :

حيادية ، الشهوة سلم نرقى بها ، أو دركات نهوي بها ، صفيحة البنزين ، إن وضعت في المستودعات المحكمة ، وسالت في الأنابيب المحكمة ، وانفجرت في الوقت المناسب ، وفي المكان المناسب ولّدت حركة نافعة ، أقلتك إلى مكان جميل ، أما إذا صُبت على المركبة ، وأصابتها شرارة أحرقت المركبة ومن فيها ، فإما أن تكون الشهوة قوة دافعة أو قوة مدمرة ، لذلك نحن في أمس الحاجة إلى تعليمات الصانع ، تعليمات الخالق .



المذيع:

الاندفاع والإدارة الصحيحة لهذه الشهوات ، تؤدي إلى أن يقوموا بواجباتهم ، ما هي الواجبات المطلوبة من الشباب شرعاً واجتماعياً ؟

الواجبات المطلوبة من الشباب :

الدكتور راتب :

يرتبط الشاب بأهداف الأمة ، كل أمة لها أهداف تنبثق من عقيدتها ، من خصائصها ، العقيدة والخصائص هذه ترسم الأهداف ، المعول على الشباب في تحقيق الأهداف أن يكون توجيه الشيوخ فيه تكامل ، دائماً التكامل هو الأصل في العلاقات الاجتماعية .

المذيع:

دكتور أكثر نقطة تعين الشباب على تحقيق هذا الأمر ما هي ؟

الدكتور راتب :



الأعمال تلد المال هي المعادلة الصحيحة

الشاب يطمح بمأوى قد يكون ستين متراً ، ويطمح إلى فرصة عمل تغنيه عن السؤال وأن يبقى عالة على الآخرين ، هذه حاجات أساسية جداً ، لذلك أنا حينما أرى إنساناً عنده معمل وعنده ألف فرصة عمل ، أنا أراه إنساناً قديساً آمن فرص عمل .

أذكر أن أحد أصحاب المعامل استأذنني أن يوقف هذا المعمل ، قلت له : كم عامل عندك ؟ قال : أولاً الربح صفر ، ستة وثمانون عاملاً عندي ، قلت له : أنت تفتح ستة وثمانين بيتاً ، وست وثمانين أسرة ، الأسرة خمسة أشخاص ، حوالي خمسمئة إنسان يأكل ويشرب بفضل هذا المعمل الذي لا يربح ، فحينما تفهم أنه أنت حينما تفتح ستة وثمانين بيتاً والبيت فيه خمسة أشخاص وأنت لا تربح هذا بميزان الأخلاق والقيم والمبادئ والوطن هذا أكبر ربح ، فالشاب حينما توفر له فرصة عمل تكون قد ملكته ، و لكن حينما يلد المال المال يكون الربا ، وما من معصية توعد الله مرتكبها بالحرب إلا الربا ، أما في الأعمال فالأعمال تلد المال .

أنت حينما تفتح محلاً ، تحتاج إلى أن تستأجر محلاً ، ربح صاحب المحل ، تحتاج إلى أثاث ، ربحوا من صنعوا الأثاث ، تحتاج إلى بضاعة أصحاب البضاعة ربحوا ، أنت عندما تشكل عملاً تجارياً أو صناعياً أو زراعياً ، تستخدم مئة إنسان دون أن تشعر ، حتى أنني سمعت معمل سيارات في فرنسا يتعامل مع مئتي معمل حتى يحقق حاجته .

المذيع:

هذا عن التجارة ماذا عن الربا ؟

الدكتور راتب :

الربا المال يلد المال ، أساس المشكلات أن إنساناً يملك مليون ومليوناً لا يملكون واحداً ، هذه الحالة المرضية الخطيرة التفاوت الطبقي وراء الثورات ، أعمال العنف ، وراء أي مشكلة نعاني منها التفاوت الطبقي الكبير ، وكلما ارتقت الأمة تجد الفروق صغيرة جداً ، معظم الناس لهم بيوت وعندهم مركبات صغيرة ، إذا كان التفاوت قليلاً فالحالة صحية جداً ، وإذا كان التفاوت كبيراً فهناك تنشأ الأحقاد .

المذيع:

الشباب أمل الأمة ، ويجب تأمين فرص عمل وطموحاتهم في المستقبل ، سوف نطرح سؤالاً : كيف لهؤلاء الشباب أن يواجهوا الظروف الصعبة التي تحيط بهم ؟ يريدون فرص عمل لكن لا يوجد فرص عمل ، يبحث عن زوجة ، يبحث عن بيت لا يستطيع أن يصل إلى بيت بعد أربعين عاماً...

شيخنا محمد لنكن واقعيين ومنطقيين الظروف التي تحيط بالشباب ، الغلاء ، ارتفاع أسعار المهور ، قلة فرص العمل ، هذه نقطة من عوامل الإحباط التي تصيب الشباب ، كيف يمكن أن نتجاوزها ونتعامل معها ؟

كيفية التعامل مع عوامل الإحباط التي تصيب الإنسان :

الدكتور راتب :

والله الشاب أولاً يحتاج إلى عقيدة صحيحة ، هذه العقيدة الصحيحة ترشده إلى الطريق الصحيح ، رد الفعل إما أن يكون منطقياً واقعياً وفق ضوابط معينة ، أو رد فعل عشوائي عنيف ، فحينما أغرس في نفوس الشباب علة وجود الإنسان في الدنيا ، من هو الإنسان ؟ هو المخلوق الأول رتبة عند الله ، حين عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال أبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان ، لأنه قبل حمل الأمانة كان المخلوق الأول رتبة ، وهذا المخلوق الأول مكلف بعبادة الله ، وهذا المخلوق الأول مكرم ، مخلوق أول مكرم مكلف ، فإذا عرف الإنسان قيمته تحرك حركة صحيحة وفق هذه القيمة ، وذاك الهدف ، حينما أغرس في نفوس الشباب حقائق الدين الصحيحة المتوازنة الوسطية فهذه الحقائق تكون كالمصباح في طريق الشباب ، قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ ﴾

[سورة الحديد: 28]



فالذي يمشي في طريق ومعه مصباح كشاف لا يتعثر ، لا يصدم بصخرة ولا يقع في حفرة ، صحة الحركة تحتاج إلى مصباح ، فالقيم الدينية ، والمبادئ الدينية ، وعلة وجود الإنسان ، ومن هو الإنسان ، وما حقيقة الحياة الدنيا ، وماذا بعد الموت ، ولماذا خلقنا في الدنيا، هذه حقائق كبرى ما لم نفهمها ونقنع بها تأتي الحركة عشوائية ، فيها مبالغة ، وفيها تطرف ، وفيها قهر وعنف ، فكل ما نعاني منه في حياتنا الاجتماعية واليومية من مشكلات بسبب خطأ في الرؤية ، إن صحت الرؤية صحت الحركة ، وإن لم تصح الرؤية لم تصح الحركة، فأنا حينما أدرج المناهج ، الحقائق الأصيلة الصحيحة اليقينية لهذا الدين العظيم ، هذا الشاب حمل رسالة ، الفرق كبير كبير بين المرتزق وبين من يحمل رسالة ، فأنت حينما تعرف هذا الشاب بسرّ وجوده عن طريق المناهج والتعليم وغاية وجوده وما الذي يرفعه عند الله ؟ وما الذي يحقق للمجتمع سعادته ؟ هذه الكليات الدينية الأساسية حينما تبعدها عن الشباب يتحرك حركة عشوائية ، محرك قوي لكن بلا مقود ، يوجد حوادث ، ممكن أن نمشي بطريق كله انعطافات ليلاً من دون مصابيح ؟ الحادث حتمي ، أنا عندما أبعد الدين عن الشباب ، لا يوجد منظومة قيم ، ولا منظومة مبادئ أتحرك وفقها ، فالمبادئ الصحيحة والرؤية الصحيحة والقيم الأصيلة هذه ترشد الحركة ، فالإنسان كائن متحرك شاء أم أبى ، ما الذي يحركه ؟



علينا أن نعرف الشباب بسر وجودهم لتصح حركتهم

أولاً الحاجة إلى الطعام والشراب تحركه ، والذي يحركه أيضاً الحاجة إلى الزواج ، ثم الذي يحركه الحاجة إلى التفوق ، يحتاج إلى أن يأكل ويشرب حفاظاً على بقاء الفرد ، ويحتاج إلى شريك في الحياة، إن أنثى بحاجة إلى شاب يخطبها حفاظاً على بقاء النوع ، إن شاب بحاجة إلى أن يخطب أنثى، ويحتاج إلى التفوق ، إلى أن يشار إليه بالبنان حفاظاً على بقاء الذكر .

المذيع:

دكتور في قضية التفوق هل الأصل كشباب مسلم نسعى إلى أن يشار إلينا بالبنان أن نكون متميزين أم نكون متواضعين ؟

تفوق الإنسان يزيد من تواضعه :

الدكتور راتب :



التواضع ليس له علاقة بالتفوق ، قد يكون المتفوق متواضعاً ، وكما قال الإمام الشافعي : " كلما ازددت علماً ازددت علماً بجهلي ". وكلما تفوق الإنسان ازداد تواضعه ، الكبر يأتي من الفراغ ، السيارة المحملة بالبضاعة ليس لها صوت ، الصندوق الفارغ من البضاعة أصوات لا تحتمل ، يأتي الصوت العالي من الفراغ .

المذيع:

أحياناً العكس ، زاهد على ألا يعمل ، لا يمتلك مالاً .

عادات المؤمن عبادات :

الدكتور راتب :

العمل أحد أسباب وجودنا في الدنيا ، إنسان يخرج من بيته باكراً ، ويستقبل عملاً شاقاً ، ويؤديه بالتمام والكمال ، ويعود إلى البيت ومعه حاجات أولاده وزوجته ، هذا الإنسان في عبادة ، كلمة دقيقة جداً عادات المؤمن عبادات، إذا أكل ، وشرب ، وذهب إلى عمله ، وأخذ أهله نزهة يوم العطلة ، وجلس مع أولاده ودعا لهم ، كلها عبادة ، قال تعالى :

﴿ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ﴾

[سورة التوبة: 120]

في خطأ كبير أن نفهم الدين عبادات شعائرية ، الدين حركة واسعة جداً تبدأ من العلاقات الأسرية وتنتهي بالعلاقات الدولية ، حركة ، هذه الحركة إذا كانت هادفة كلها أعمال صالحة ، إنسان أخذ أهله نزهة أراد أن يمتن علاقته بزوجته وأولاده ، هذا في عبادة :

﴿ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا ﴾

[سورة التوبة: 120]

أي موطئ ؟

﴿ إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ﴾

[سورة التوبة: 120]

عادات المؤمن عبادات وعبادات المنافق سيئات .



عادات المؤمن عبادات

المذيع:

هل يصح القياس على هذه القاعدة ، الشاب الذي يخرج إلى الجامعة طلباً للعلم هو في عبادة ؟

الدكتور راتب :

نعم ، لأنه حقيقة يسعى إلى أن ينال ليسانس اختصاص يسهم في بناء الأمة ، كان السلف الصالح إذا فتح المحل التجاري يقول : نويت خدمة المسلمين .

المذيع:

وإذا لم يستحضر النية هكذا أنا ذاهب إلى الجامعة ؟

الدكتور راتب :

حينما يكون مؤمناً عنده نية شمولية ، ليس شرطاً كلما دخل الجامعة يا رب نويت ، لما هو آمن وعرف سر وجوده وغاية وجوده ودرس حتى يقدم شيئاً لأمته ويكفي نفسه .

المذيع:

دكتور كل هذا الكلام باعث إلى الأمل والمزيد من الثقة بالنفس ، وأن يبحث عن فرص عمل وتفوق ونجاح ، نصطدم بالواقع الظروف عكس ذلك ، نتخرج من الجامعة زميل لك له واسطة يعمل وأنت لا تعمل ، تبحث عن فرصة عمل عاماً وعامين يتولد الإحباط لدى الشباب .

الدعاء مخ العبادة :

الدكتور راتب :

أنا ما عندي غير جواب ديني بهذا الموضوع :

((إذا كان ثلث الليل الأخير نزل ربكم إلي السماء الدنيا فيقول : هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من سائل فأعطيه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من طالب حاجة فأقضيها له ؟ حتى يطلع الفجر))

[أخرجه أحمد عن أبي هريرة]

أنا لا أصدق إنساناً توجه إلى الله ودعاه مخلصاً بشأن يصلح له دنياه ودينه إلا و أجابه الله ، الحقيقة الدين كله دعاء ، قال تعالى :

﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾

[سورة الفرقان: 77]



نحن عندنا أسباب ونتائج ولكن عندنا دعاء ، الدعاء مخ العبادة ، هذا الشاب الذي نال شهادة عليا ولم تتح له فرصة عمل ، ألا يقدر أن يقول : يا رب أتمنى أن يكون لي عمل ؟ ألا يقدر أن يدعو إلى الله عز وجل ؟ الدعاء مخ العبادة ، الله عز وجل حينما خلق هذا الإنسان تكفل له برزقه . مداخلة دينية محضة ، إذا كان هناك مشكلة يعاني منها الشاب هناك إله يرى هذه المشكلة ، يستجيب له ويسمعه ، لكن نحن نأخذ بالأسباب لكن الموقف الإيماني أن نأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء ثم نتوكل على الله وكأنها ليست بشيء ، سهل جداً أن تأخذ بالأسباب، وتعتمد عليها ، وأن تؤلهها ، وأن تنسى الله ، وأسهل منها ألا تأخذ بها أصلاً ، فالغرب أخذ بالأسباب ، واعتمد عليها ، وألهها وقع في وادي الشرك ، والشرق لم يأخذ بها أصلاً، وقع في المعصية ، فبين أن تقع في الشرك أو المعصية ، الموقف الإيماني المتوازن أن نأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء ثم نتوكل على الله وكأنها ليست بشيء ، تقرأ الكتاب قراءة دقيقة عميقة مع التلخيص والمراجعة والحفظ ويأتي يوم الامتحان تقول : يا رب يسر لي النجاح ، هذا الموقف الكامل .

عنده سفر راجع السيارة ، المحرك ، العجلات ، كل شيء راجعه في السيارة ، الزيوت ، الأشرطة ، تمام يا رب أنت الحافظ ، أما أنت الحافظ من دون مراجعة !!

المذيع:

دكتور النصيحة الشرعية الاجتماعية للشباب حتى يواجهوا الإحباط ، أن يأخذوا بالأسباب ما استطاعوا ، أن يبحثوا عن فرص عمل ، ويبحثوا في أكثر من مكان ، وألا يتوقفوا عن البحث ، وبذات الوقت في الثلث الليل الأخير سهام الليل لا تخطئ .

ضرورة الأخذ بالأسباب و التوكل على الله :

الدكتور راتب :

نأخذ بالأسباب كأنها كل شيء ثم نتوكل على الله وكأنها ليست بشيء .

المذيع:

دكتور الترتيب مقصود ثم .

الدكتور راتب :



علينا أن نأخذ بالأسباب ثم نتوكل على الله تعالى

سيدنا عمر رأى جملاً أجرب ، سأل صاحبه يا أخ العرب ، ما تفعل بهذا الجمل الأجرب ؟ قال : أدعو الله أن يشفيه ، قال : هلا جعلت مع الدعاء قطراناً ؟

المذيع:

دكتور لدينا دقيقة إذا تغير حال الشباب وانتقلنا من حال الإحباط إلى النجاح ، وانتقلنا من عدم إدراك دورنا إلى إدراكه ، ماذا يمكن أن يتغير في واقع الأمة الإسلامية ؟

خلاص العالم بالإسلام القائم على المبادئ و القيم :

الدكتور راتب :

أنا أعتقد أن أمة إسلامية تملك نصف ثروات الأرض ، وهي أكثر الأمم فقراً ، أمة تملك نصف ثروات الأرض حصراً وهي أكثر الأمم فقراً ، معنى ذلك هناك خلل عندنا ، فنحن عندما نستخرج ثرواتنا ، ويكون هناك عدالة اجتماعية بالتوزيع ، عندما يكون الرجل المناسب بالمكان المناسب ، عندما نعتمد وسائل علمية بالتوزيع ، علمية في الترفيع ، في التقدير ، نربح و نفوز ، و لكن عندنا خللاً اجتماعياً نحن وخللاً عقائدياً



القيم والمبادئ التي يحملها دين الإسلام هي مفتاح خلاص العالم

أما حينما نصحو من غفلتنا من أخطائنا ونعتمد منهج الله عز وجل والله نحن من أغنى الأمم ، ومن أغناها بالمبادئ والقيم ، يقول أحدهم : لا بد أن العالم كله سيركع أمام أقدام المسلمين ، لا لأنهم أقوياء ، هم ضعاف ، ولكن لأن خلاص العالم بالإسلام .

خاتمة و توديع :

المذيع:

دكتور بارك الله بكم .

مشاهدينا الكرام ؛ كان حديثنا في هذه الحلقة عن الشباب تحت عنوان :"من أنا" ، فإذا أدرك كل واحد منا من أنا، وأدرك أنه غال وله قيمة كبيرة أولاً عند الله عز وجل ، ثم عند نبيه سيد البشرية ، ثم عند عائلته ومجتمعه ، وأدرك أن هذه الأمة أمة غنية ، وأن أساس غناها وثروتها الشباب الذين هم عماد الأمة كما وصفهم الدكتور راتب النابلسي ، وأخلص النية ، وحدد المسار بطريقة صحيحة ، فأصبحت حتى عاداته عبادة يؤجر عليها عند الله ، وأخذ بالأسباب ثم توكل على الله حق التوكل ، وناجاه في ليله وقد أدى ما عليه ، الله سبحانه وتعالى يجعل النصر على يد هذا الشاب .

شكراً دكتور راتب النابلسي ، وما زالت سلسلة حلقات هذا البرنامج متواصلة ، وحديثنا عن الشباب متواصل ، سبحانك اللهم وبحمدك ، نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك ، تحية طيبة لكم ، والسلام عليكم .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (6-8) : الشباب قوتهم في أخلاقهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

الأستاذ منير:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين.

أخوتي في الله، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلاً بكم معنا في رحاب إذاعة القرآن الكريم بالجزائر، وفي رحاب هذا اللقاء الخاص الذي يجمعنا بأحد علماء الأمة الإسلامية وأحد دعاتها، ومفكريها، هذا الرجل الذي من حيث جئته وجدته، سواء في علوم القرآن، والتفسير، والحديث، والدعوة، والفقه، والإعجاز العلمي، إنه الأستاذ الفاضل الدكتور محمد راتب النابلسي الذي نسعد اليوم باستضافته في رحاب إذاعة القرآن الكريم، مرحباً بكم شيخي الفاضل الدكتور محمد راتب النابلسي.

الأستاذ منير:

للإشارة فإن الشيخ الفاضل هو موجود بالجزائر بدعوة من الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ونرحب أيضاً بأحد أعضاء هذه الهيئة الأستاذ فوزي رمضان، كما نرحب في هذا اللقاء المباشر الأستاذ الفاضل فاروق الشويكي، مدير أعمال الشيخ محمد راتب النابلسي.

للإشارة فإن الأستاذ الفاضل الشيخ النابلسي له مجموعة من المؤلفات في مجال الدعوة والفتح والفكر، نذكر منها على سبيل المثال لا سبيل الحصر: نظرات في الإسلام، تأملات في الإسلام، كلمات مضيئة، الإسراء والمعراج، موسوعة الأسماء الحسنى، هذا البرنامج الذي يذاع حالياً على أمواج إذاعة القرآن الكريم، أيضاً نذكر كتابه الهام موسوعة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة وكتب أخرى لا يكفي الوقت لذكرها كلها.

كما يسعدني أن أرحب بأختي وزميلتي وداد التي ستشاركني مرحباً بكم جميعاً.

الأخت وداد:

مرحباً بكم أخ منير بارك الله فيك، ونتشرف باستضافة الدكتور محمد راتب النابلسي في رحاب إذاعة القرآن الكريم من الجزائر، ومرافقيه، ونشير فقط أن الدكتور فوزي رمضان هو نائب رئيس مكتب الجزائر للهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

الأستاذ منير:

شكراً لك أخت وداد، قبل أن نبدأ رحلة السؤال والجواب، والخوض في مجمل هذه القضايا قضايا الدعوة، والفقه، والفتاوى، بودنا لو يتفضل الشيخ الفاضل محمد راتب النابلسي كي يتحدث قليلاً عن تجربته في الحياة حتى يكون قدوة لمستمعي القرآن الكريم وللشباب المسلم حتى يكون قدوة ونموذجاً للرجل الذي احتل مكانة مرموقة في قلوب المسلمين جميعاً.

الدعوة إلى الله دعوتان؛ فرض عين و فرض كفاية :

الدكتور راتب:

بارك الله بكم، ونفع بكم، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين.



بادئ ذي بدء: يتوهم بعض الناس أن الدعوة إلى الله هي اختصاص يقوم به بعض الخبراء، مع أن الحقيقة التي قد لا ننتبه إليها أن الدعوة إلى الله فرض عين على كل مسلم، ولكن في حدود ما يعلم ومع من يعرف، والدعوة إلى الله كفرض عين على كل مسلم، في حدود ما يعلم ومع من يعرف، أي إنسان حضر خطبة جمعة، تأثر بموضوعها تأثراً كبيراً، ذكر مضمونها لأهله، ولأولاده، ولزوجته، ولأقربائه، في لقاء، في سهرة، فحينما تنقل ما سمعت والنبي قال:

((بلِّغُوا عني ولو آية))

[أخرجه البخاري والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

فالدعوة إلى الله بهذا المعنى فرض عين على كل مسلم، لكن الشرط في حدود ما تعلم ومع من تعرف، الدعوة إلى الله كفرض كفاية على قلة من العلماء تعمقوا في الدين، تبحروا فيه، تفرغوا له، هذا العمل الدعوة إلى الله فيما يقول الله:

﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾

[سورة آل عمران الآية: 104]

هذه الدعوة فرض كفاية إذا قام بها البعض سقطت عن الكل، مثلاً أنا تاجر يجب أن آخذ من الدين ما لي علاقة به، وأحكام البيع والشراء، وأركان الإيمان، وأركان الإسلام، أما الداعية فينبغي أن يتبحر، أن يتعمق، أن يقدم الإجابة الصحيحة، أن يجيب عن أي سؤال مهما بدا عويصاً لأنه متفرغ لهذا العمل.

فالذي أريد أن أقرره بهذا اللقاء الطيب، وأنا أسعد الناس بهذا اللقاء، أن الدعوة إلى الله دعوتان، دعوة فرض عين على كل مسلم في حدود ما يعلم، ومع من يعرف، أما الدعوة إلى الله كفرض كفاية فيقوم به البعض متبحرين، متعمقين، متوسعين، ويملكون الأدلة، والإجابات الصحيحة، هذا العمل من أعظم الأعمال إلى الله.

الأستاذة وداد:

هو يشبه نشاط التجار الصغار الآن أمام الشركات الكبرى، أنت كداعية تعمل الآن على كل الأصعدة كي تدعو العالم الإسلامي لما فيه خيرهم وصلاحهم في شتى المجالات، لكن نشاطكم يبقى نشاطاً صغيراً إذا لم تدعمه الحكومات هل هذا صحيح؟.

دور الحكومة في دعم الداعية الإسلامي :

الدكتور راتب:

والله لا شك أن دعم الحكومة له أثر كبير جداً، أنا لي دروس في إذاعة أربع ساعات في اليوم، يستمع لهذه الدروس ملايين، طبعاً لولا أن الحكومة موافقة على هذا لما سمحت بذلك فلها دور إيجابي، ودائماً الحكومة تريد من الداعية أن يكون في اختصاصه، أما إذا تجاوز اختصاصه فهناك مشكلة، فما دام أنت تدعو إلى الله وفق

منهج الله، وبشكل حكيم، وتسقط آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية على واقعنا، وتقدم حلولاً لهذه الأمة فهذا الشيء ترحب به الحكومة أيما ترحيب.

الأستاذ منير:

نريد أن نخوض أكثر في جوهر هذه القضية قضية الدعوة إلى الله في الواقع المعيشي، بعد إذنكم شيخي الفاضل الشيخ محمد راتب النابلسي، إذا نحن قمنا بعملية تحليلة للواقع المعيشي الذي فرض على العالم الإسلامي نجد أن تطور وسائل الاتصال، وأجهزة الإعلام، ومراكز المعلومات أضحت تساهم في تشكيل العقول، وصياغة العادات، وتنظيم العلاقات الاجتماعية، وتربية الأذواق حتى إنها صارت تخطف الأولاد من آبائهم، والأزواج من أزواجهم، وأصبح المجتمع المسلم في دور المتلقي المتأثر، لا الفاعل المؤثر، قراءة الدكتور النابلسي لهذا الواقع الذي يعيشه المجتمع في عهد التكنولوجيا، والانترنيت، وغزو الفضاء، والمجتمع الإسلامي يعيش هذا التخلف، والغرب ينظر إلينا كأمة متخلفة لا تصلح أن تقود العالم.

أية أمة تريد أن تتقدم عليها أن تعنى بالشباب لأنهم عصب الأمة وقوامها :

الدكتور راتب:



أقول لك هذه الكلمة: كان القوي فيما مضى يجبرنا بالقوة المسلحة على أن نفعل ما يريد، لكنه الآن يجبرنا بالقوة الناعمة- المرأة - على أن نريد ما يريد، لذلك هناك خطط مخيفة تريد من هذا المواطن أن يبتعد عن مبادئه وقيمه عن طريق إثارة شهواته، فتدعم المحطات الإباحية من قبل جهات قوية جداً من أجل تمزيق العالم الإسلامي، وصرف الشباب عن مبادئهم وقيمهم، وأهدافهم الوطنية والقومية، إلى الانغماس في الملذات الآنية، وضياع هذا الشعب، لذلك الخطة كبيرة جداً، نحتاج إلى وعي كبير، نحتاج إلى توعية، نحتاج إلى أن ننهض بهؤلاء الشباب، أنا أرى أن أية أمة تريد أن تتقدم عليها أن تعنى بالشباب، لأنهم عصب الأمة، وقوام الأمة ومستقبل الأمة.

الأستاذ منير:

بعد إذنك أخت وداد دائماً في النفس نقطة بنقطة، الغرب يملك القوة ولا يملك الحق، ونحن نملك الحق ولا نملك القوة، كيف تقرؤون هذه المفارقة العجيبة؟

القوة لا تصنع الحق ولكن الحق يصنع القوة :

الدكتور راتب:

والله الحقيقة القوة لا تصنع الحق، ولكن الحق يصنع القوة، هذه مقولة مهمة جداً: القوة وحدها غاشمة، والناس ينفرون منها، لكن الحق إذا دعمته القوة يفعل المستحيل، فلذلك أنا لا أريد إسلاماً ضعيفاً، إسلاماً متلقياً، إسلاماً يخضع لتخطيط بعيد عنه، أريد إسلاماً قوياً، هو يخطط، لذلك قالوا: إن لم تخطِط يُخطَط لك، إن لم تكن رقماً صعباً أصبحت رقماً سهلاً وتافهاً في خطة العدو، لا بد من التوعية، الأمة بحاجة إلى أن ننهض بفكرنا، بمبادئنا، بقيمنا، ودائماً وأبداً يريد الغرب من البلاد الإسلامية أن تنسى ماضيها المشرف، أن تنسى مبادئها وقيمها، وأن يكون هذا الإنسان ألعوبة بيد المحطات الفضائية، فلذلك هذه المحطات الفضائية التي تهدف إلى انحلال المجتمع بعرض الأفلام الإباحية هذه المحطات يجب أن تحارب محاربة قوية.

الأخت وداد:

في ظل التكنولوجيا ووسائل الاتصال الحديثة دكتور في زمان مضى كان الدعاة يكونون على المباشر مع الشعوب، مع المتلقين، مع المدعوين، يدعونهم، ويجيبون عن أسئلتهم، الآن أنتم وراء شاشات التلفزيون كيف تتفاعلون مع هذه الجماهير التي قد تفهمكم وقد لا تفهمكم التي قد تصوغ فتواكم أو آراءكم عكس ما تريدون؟

تأليف القلب أعمق أثراً وأقصر أمداً :

الدكتور راتب:

قيل: إما أن تؤلف القلوب، وإما أن تؤلف الكتب، ويقاس على الكتب الفضائيات والشاشة، والتواصل، أنا أرى أن تأليف القلب أعمق أثراً، وأقصر أمداً، الإمام الغزالي بدروسه كان عنده أربعمئة عمامة بدرسه، لكن لولا الإحياء لما كان الغزالي، أما التواصل عبر الفضائيات فهذه أقل أثراً، لكنها أطول أمداً، فإما أن تؤلف القلوب، وإما أن

تؤلف الكتب، أنا أحمل على الكتب الفضائيات، والنشر التلفزيوني، تأليف القلوب أعمق أثراً، وأقصر أمداً، ما دام الداعية حي يرزق فدعوته حينما يستخدم وسائل النشر الحديثة وهناك شاهد قرآني لهذا:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾

[سورة إبراهيم الآية: 4]

وقال بعض علماء التفسير: لسان القوم وسائل النشر في عصره، فأنا حينما ألقي خطبة في جامع ضخم لمدة نصف ساعة عندي أربعة آلاف في الأسبوع ، أما حينما أستخدم الانترنيت فهناك موقع يدخل على الانترنيت مليون إنسان في اليوم، يسحب ثمانمئة ألف ملف باليوم، هذه دعوة واسعة جداً، فأنا من أنصار أن نجمع بينهما، أن نجمع بين تأليف القلوب و تأليف الكتب و استخدام وسائل النشر في الحديث.

الأستاذ منير:

طبعاً ومنهاج الرسول كان في تأليف القلوب بأنه ألف هذه القلوب، وهذا هو منهج الدعوة الحق.

الأخت وداد:

أخ منير عفواً، نريد أن نتحدث وأن نسألك منهجية الدعوة الحديثة الدعوة إلى الله، لكن أظن بأن مسألة الدعوة إلى الله، ومنهج الدعوة إلى الله قد تجاوزه الزمن، قد كتب فيه الدعاة القدماء، وقد أسسوا، ووضعوا نقاط الدعوة، وكيف يكون الداعية، وصفات الداعية، طور إثبات عظمة الإسلام هو الطور الأول وصلاحيته لكل زمان ومكان، ودعوة الناس إلى التمسك به والفخر بتعاليمه، جاء طور بعده، هو طور بيان طرق الدعوة إلى الله تعالى، وتثبيت الدعاة وطرد الشبهات عن طريقهم، الطور الذي ينبغي أن نعتني به الآن في هذا الزمان و أن نتحدث عنه هو الطور المخصص إلى الدعاة إلى الله، وكيف نورث لهم الدعوة، أي مسألة التوريث الدعوي كيف تورثون بحسبانكم عالماً وبحسبانكم داعية الدعوة إلى من يأتي بعدكم؟

رجل الدين لا يمكن أن يُتبع إلا إذا رأى الناس أن واقعه مطابقاً لأقواله :

الدكتور راتب:

بادئ ذي بدء: أنا أنتفع من أي طبيب بصرف النظر عن سلوكه، أنتفع بمهندس عملاق بصرف النظر عن سلوكه، إلا عالم الدين لا ينتفع به إلا إذا جاء سلوكه مطابقاً لأقواله، ينفرد عالم الدين من بين جميع العلماء أنه لا ينتفع به إلا إذا وجد الناس في سلوكه ما يؤكد كلامه، وإلا صار هناك انفصام خطير جداً، لأن عالم الدين إذا كان بيته غير إسلامي، سلوكه غير إسلامي، يقال له: يا طبيب طب لنفسك، يقال له: أنت تتحدث عن نظام لا يطبق، والدليل أنك لا تطبقه.

لذلك أنا أقول: بيت الداعية جزء من دعوته، عمل الداعية جزء من عمله، أنا أرى الآن الداعية إلى الله لابد من أن يراه الناس مسلماً متحركاً، لأن الكون قرآن صامت، والقرآن كون ناطق، والنبي عليه الصلاة والسلام قرآن يمشي، المسلم الآن يريد أن يرى داعية يمشي على قدمين أمامه، صادق، أمين، بالعكس أنا اخترعت هذا المصطلح: الدعوة الصامتة، أنت أمين أمانتك وحدها دعوة صامتة، أنت صادق صدقك دعوة صامتة، يستطيع أي تاجر، أي موظف، أي صناعي باستقامته والتزامه بمنهج النبوي الكريم أن يكون داعية وهو ساكت، الناس يتعلمون بعيونهم لا بآذانهم، وبين الأذن والعين أصابع، يتعلمون بعيونهم.

أنا أقول: رجل الدين لا يمكن أن يُتبع إلا إذا رأى الناس واقعه مطابقاً لأقواله، هذه نقطة دقيقة جداً، لذلك أي عالم آخر أنت بحاجة إلى مهندس للبناء، لا يهمك اتجاهه الديني، لا يهمك أفكاره، يهمك علمه فقط، إلا عالم الدين أنت بحاجة إلى سلوكه الذي يؤكد صدقه في الدعوة.

الأستاذ منير:

حتى الفتوحات الإسلامية انتشرت عن طريق المعاملات وسلوكات التجار، ولم تنتشر عبر السلاح كما يدّعي الغرب.

الدكتور راتب:

فيما أذكر أن عشرة مسلمين ذهبوا إلى ماليزيا، الآن ماليزيا مع إندونيسيا فيهما مئتان و خمسون مليون مسلم عن طريق التجار المسلمين، فمادام المؤمن صادقاً، أميناً، منصفاً، عادلاً، هذه دعوة كبير، فالذي ضعف الإسلام وجود فكر نير لكن تطبيق لا يوجد.

الأخت وداد:

هذا الشريف أبو بكر بن زين العابدين نشر الإسلام في جزر المالايو، فدانت الرقاب لله سبحانه وتعالى بعد أن كانوا يعبدون الأوثان، كان وده أمة، دكتور أريدك أن تعود إلى النقطة التي ابتدأتها مع حضرتك كيف تورثون الدعوة إلى من بعدكم، ما هي طرق توريث الدعوة؟.

طرق توريث الدعوة :

الدكتور راتب:

والله طبعاً أقول لك كلمة وقد تكون مؤلمة: أن الداعية إذا تفوق في دعوته ولم يفكر فيمن يخلفه ضاعت دعوته، بمجرد موته انتهت دعوته، لكن البطولة أن تعيش ما بعد الدعوة، أن تهيئ رجالاً على منهجك، وعلى شاكلتك، وعلى مبادئك، وعلى أسلوبك، ليكونوا خلفاء لك، لذلك سيدنا زكريا:

﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آَلِ يَعْقُوبَ ﴾

[سورة مريم الآية: 5]



فمنهج القرآن أن يبحث الداعية عمن يخلفه في الدعوة، من يجعل هذه الدعوة مستمرة، وأنا أرى وهذا من فضل الله عز وجل أن العلماء الصادقين، أنا أرى أن إكرام الله لهم أن دعوتهم استمرت بعد وفاتهم، الله يهيئ أناساً تعلموا منهم علماً صحيحاً، وأخلصوا في دعوتهم، فكان هؤلاء التلاميذ الذين تربوا على يد هذا العالم الجليل خلفاء له في الدعوة.

أنا أذكر علماء كثر في الشام دعوتهم مستمرة بعد موتهم بعشرين عاماً، هذه بطولة، أنا أقول: من علامات الإخلاص لا أن تفكر في حياتك، أن تفكر بعد مماتك، من يخلف هذه الدعوة؟.

الأستاذ منير:

دائماً في مجال الدعوة أود أن أتطرق إلى نقطة طرحها البعض، وهي أن الداعية المسلم الحالي أضحى يخاطب المجتمع خطاباً عاطفياً في ظل هذا التطور الرهيب الذي يشهده العالم، وخاصة العالم الغربي، ونحن نعلم أن الغرب المادي قد تجاوز الخطاب العاطفي الذي لا يزال بعض الدعاة متمسكين به، ولعل هذا سبب من أسباب تعثر الدين كما يرى البعض، ألم يحن الوقت كي نخاطب الغرب خطاباً عقلياً علمياً عملياً حتى نكون في موقع المؤثر لا المتأثر؟ ما رأيك في هذا؟.

الداعية الموفق يجب أن يغذي عقول أخوانه بالعلم الصحيح وقلوبهم بالقيم الأخلاقية :

الدكتور راتب:

للإجابة عن هذا السؤال أقول: ما الإنسان؟ الإنسان عقل يدرك، وقلب يحب، وجسم يتحرك، ما غذاء العقل؟ العلم، ما غذاء القلب؟ الحب، ما غذاء الجسم؟ الطعام والشراب، فحينما يقدم الداعية لتلاميذه غذاء لعقولهم وهو العلم، وغذاء لقلوبهم وهو الحب، حب الله عز وجل، ويدفعهم إلى العمل ليأكلوا من كسب أيديهم، هذا الداعية يكون عند الله موفقاً، لأنه أعطى كل جانب في الإنسان حاجته، فالعقل حاجته العلم، والقلب حاجته الحب، والجسم حاجته الطعام والشراب.

فالعالم والداعية الذي لا يحث أخوانه على العمل للكسب المشروع أخطأ خطأ كبيراً، هذا زهد في غير محله، والعالم الذي لا ينمي عقول أخوانه بالمعرفة الصحيحة الدقيقة بالشواهد والنصوص أخطأ خطأ جسمياً حينما اكتفى بالقلب، والعالم الذي ينمي عقل أخوانه ولا ينمي قلوبهم بالحب لله عز وجل أخطأ خطأ كبيراً، كما أن الإنسان عقل يدرك، وقلب يحب، وجسم يتحرك، الداعية الموفق يجب أن يغذي عقول أخوانه بالعلم الصحيح، بالأدلة القاطعة، ويغذي قلوبهم بالقيم الأخلاقية والجمالية، ويغذي أجسامهم بدعوتهم إلى العمل، لأن:

((اليدُ العليا خير من اليدِ السُّفْلى))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي ومالك عن عبد الله بن عمر]

الأخت وداد:

لعل هذه خطوة أستاذ إلى الوصول إلى المحور الثاني الذي نريد أن نتحدث عنه ألا وهو محور الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، فقط أستاذ هذا يذكرنا بقوله تعالى سبحانه:

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾

[سورة محمد الآية: 19]

هي دعوة من الله سبحانه وتعالى كي يتلازم العلم والإيمان، ويرتبط الدين بالمعرفة العقلية، وأن يتجانس العلم العقلي والنقلي مع الدين ويتساندا.

لولا الدليل لقال من شاء ما شاء :

الدكتور راتب:

أنا أريد أن أذكر الآية التي ذكرتها، قوله تعالى:

﴿ فَاعْلَمْ ﴾

ما قال: فقل، ألم يقتضِ البحث والدرس والدليل والتحليل؟

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾

[سورة يوسف الآية: 108]

ما معنى بصيرة؟ أي هناك دليل، و تعليل، و حكمة.

﴿ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾

[سورة يوسف الآية: 108]

فالذي يقدم الدين على أنه شيء مفروض فرض على الإنسان دون محاورة، دون تعليل، دون تحليل، هذا لا يكون على منهج رسول الله،

﴿ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾

لذلك لولا الدليل لقال من شاء ما شاء.

الأستاذ منير:

نذكر مستمعينا الأفاضل بأن ضيف إذاعة القرآن الكريم اليوم هو الأستاذ الفاضل الدكتور محمد راتب النابلسي، رئيس هيئة الإعجاز للقرآن الذي هو بزيارة للجزائر، مستضافاً من هيئة الإعجاز للقرآن والكتاب والسنة، من مكتب الجزائر، وذلك من أجل إلقاء الندوات والمحاضرات في كافة أنحاء القطر الجزائري.

نعود للحديث مع الأستاذ الفاضل محمد راتب النابلسي بعد الاستراحة قليلاً مع هذا الفاصل الإنشادي.

الدكتور راتب:

إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً.

الأستاذ منير:

مرحباً بكم من جديد في إذاعة القرآن الكريم في رحاب خاص يجمعنا بالشيخ الفاضل محمد راتب النابلسي رئيس هيئة الإعجاز القرآني الذي هو موجود حالياً في الجزائر من طرف الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، في مكتب الجزائر، والذي يمثله اليوم في إذاعة القرآن الكريم الدكتور الفاضل فوزي رمضان، كما يسعدني أن أرحب بالضيف العزيز فاروق الشويكي مدير أعمال الشيخ محمد راتب النابلسي.

إذاً قبل هذا الفاصل كنا قد دخلنا إلى محور الإعجاز العلمي في القرآن والسنة وأعتقد أن الأخت وداد لديها ما تقول في هذا المحور.

الأخت وداد:

صحيح أخي منير، فضيلة الدكتور يرى البعض أن الحديث عن الإعجاز العلمي للقرآن الكريم بدعة اختلقها الدكتور موريس بوكاي، وأن المسلمين أعجبتهم هذه البدعة المساعدة فطاروا بها هنا وهناك، فما ردكم؟.

شهادة الله لخلقه أن هذا الإنسان الذي بعثه هو رسوله تكون عن طريق المعجزة :

الدكتور راتب:

الحقيقة التي لابد من البحث فيها أن الأنبياء السابقين، أسأل أنا هذا السؤال كيف يشهد الله لهم أنهم رسله؟



الله عز وجل أرسل نبياً كريماً، قال لهم: أنا رسول الله، كيف يشهد الله لخلقه أن هذا الإنسان رسوله، شهادة الله لخلقه أنه رسوله عن طريق المعجزة الحسية، سيدنا موسى ضرب البحر فأصبح طريقاً يبساً، سيدنا عيسى أحيا الموتى، إلى آخره. لكن النبي عليه الصلاة والسلام هو خاتم الأنبياء والمرسلين، ورسالته خاتمة الرسالات، فإذا كانت المعجزة حسية، المعجزة الحسية كتألق عود الثقاب تألق هذا العود واشتعل ثم انطفأ، أصبح خبراً يصدقه من يصدقه، ويكذبه من يكذبه، لكن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لكل أمم الأرض.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾

[سورة الأنبياء الآية: 107]

وهي خاتمة الدعوات، فلابد من أن تكون المعجزة التي يشهد الله له بها مستمرة مع دعوته إلى قيام الساعة، ولن تكون المعجزة مستمرة إلا إن كانت علمية، الأنبياء السابقون المعجزات حسية، هم لأقوامهم.

﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾

[سورة الرعد الآية: 7]

لأقوامهم فقط، فالمعجزة حسية، هذا العود انطفأ لكن أصبح خبراً، قومه شاهدوه، أما النبي لكل الأمم والشعوب، إذاً فلابد من أن تكون معجزته علمية.

شهادة الله لنبيه أنه نبيه عن طريق آيات الإعجاز العلمي :

الذي يلفت النظر أن النبي ﷺ فسر القرآن الكريم كله من خلال أحاديثه، إلا أن الذي لا يصدق أن ألفاً وثلاثمئة آية ما تحدث النبي عنها إطلاقاً، ولا كلمة لماذا؟ ما الحكمة؟ لو أن النبي عليه الصلاة والسلام شرحها شرحاً يوافق المستوى العلمي في عهده لأنكرنا عليه هذا الشرح نحن، ولو شرحها شرحاً يقنعنا لأنكر عليه أصحابه، كيف أعرض النبي عن شرح الآيات الكونية شيء لا يصدق، حكمة بالغة جداً، فهذه الآيات كل آية لها عصر، هذا العصر يظهر عظمتها، فكأن شهادة الله لنبيه أنه نبيه عن طريق آيات الإعجاز، فكلما تقدم العلم كشف جانباً من جوانب هذه الآيات، أضرب مثلاً قال تعالى:

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴾

[سورة الطارق الآية: 11]

قديماً الشيء الذي بين أيدي العلماء أن بخار الماء يصعد إلى السماء يرجع مطراً، فلما اكتشف طبقة الأثير اكتشف أن هذه الطبقة هي التي ترد الموجات الكهرطيسية إلى الأرض، لولا هذه الطبقة ما كان بث تلفزيوني، ولا هذا الدرس الإذاعي، لولا أن هناك طبقة في أعالي الجو اسمها طبقة الأثير ترد الأمواج الكهرطيسية إلى الأرض ما كان تواصل تلفزيوني، ولا إعلامي، ولا إذاعة إطلاقاً.

فتقول:

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴾

تخرج طبقة الأثير، الآن تقدم العلم ثبت أن هناك آلاف ملايين المجرات، وكل مجرة فيها آلاف ملايين الكواكب، وكل كوكب يدور حول كوكب آخر، ويرجع إلى مكان انطلاقه النسبي،

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴾

موضوع الإعجاز العلمي هو المادة الأولى التي تقنع الغرب بالإسلام :

شيء دقيق جداً، آيات القرآن الكريم العلمية تعد أحياناً سبقاً علمياً، لذلك هناك مئات كبار العلماء في العالم أسلموا عن طريق الإعجاز، هو كشف حقيقة الآن يأتي القرآن قبل ألف و خمسمئة عام يذكرها بشكل واضح جداً:

﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * مِنْ نُطْفَةٍ ﴾

[سورة النجم الآية: 45]

كون الجنين ذكر أو أنثى من النطفة، هذه مذكورة بآية قرآنية الآن كشفت، فلذلك أنا أرى أن موضوع الإعجاز العلمي هو المادة الأولى التي تقنع الغرب بالإسلام، لكن هذا الإعجاز له منهج، هذا الإعجاز منهجه أن تكون القضية العلمية مقطوعاً بصحتها، لا يختلف عليها اثنان في الأرض، وأن تكون الآية القرآنية قطعية الدلالة، وأن يكون التطابق عفوياً وتاماً، إذا توافرت الآية الكونية الواضحة الدقيقة الصحيحة، والآية القرآنية ذات المعنى الواضح الأساسي، وكان هناك تطابقاً تاماً وعفوياً فهذا إعجاز، وإلا كان الإعجاز معولاً لتهديم الدين، لأن الغرب خبيث جداً، يأخذ هذا التفسير لهذه الآية، ينقض القضية العلمية فيها، فإذا نقضه فهذه القضية نقض للآية، فلذلك أخطر شيء أن يكتب بالإعجاز من ليس خبير فيه، أن يأتي بمقوله علمية يربطها بآية ربطاً عشوائياً متكلفاً، يقول لك: هذا إعجاز، يقول لك مثلاً:

﴿ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴾

[سورة الطور الآية: 3]

قال: سيدي هذا.

﴿ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴾

[سورة الهمزة الآية: 9]

الكهرباء، شيء مضحك، مضحك جداً، الإعجاز العلمي يعد أكبر أداة إقناع الآن للغرب، وقد يكون معولاً لتهديم الإسلام.

الأستاذ منير:

أنا كنت قد استمعت إليكم في محاضرة حول الإعجاز العلمي عن البعوضة، كنت قد استمعت إلى هذه المحاضرة الهامة جداً، أن الله سبحانه وتعالى جعل المعجزات في أحقر الحيوانات ليس فقط في المجال العلمي في السماء.

آيات الله في الآفاق :

الدكتور راتب:

الحوت وزنه مئة و خمسون طناً، والبعوضة واحد على ألف من الغرام، هذه البعوضة في رأسها- طبعاً متى عرفت ذلك الحقيقة؟ حينما صنع المجهر الإلكتروني، المهجر التقليدي العادي الميكروسكوب يكبر ثمانية أضعاف، أما هذا فيكبر خمسمئة ألف مرة، وضعت البعوضة تحت هذا المجهر- مئة عين، وفي فمها ثمانية و أربعون سناً، وفي صدرها ثلاثة قلوب، قلب مركزي، وقلب لكل جناح.

الآن هذه البعوضة تملك جهازاً لا تملكه الطائرات، جهاز استقبال حراري، هي لا ترى الأشياء لا بأشكالها، ولا بألوانها، ولا بأحجامها، ولكن ترى الأشياء بالحرارة فقط، حساسية هذا الجهاز في البعوضة واحد على ألف من الدرجة المئوية، حضرتك تمسك الميزان الحراري بدقة بالغة، ببصر قوي جداً، فترى أن حرارتك مثلاً سبع و ثلاثون وثلاثة أرباع الدرجة، أنا أعتقد أن الإنسان طاقته ربع درجة، أما هذه البعوضة فحساسية هذا الجهاز واحد على ألف من الدرجة المئوية، هذه البعوضة عندها جهاز تحليل دم، ما كل دم يناسبها، ينام أخوان على سرير واحد، الأول يستيقظ وقد ملئ بلسع البعوض، والثاني لا يوجد معه شيء إطلاقاً، تفحص الدم، فإذا ناسبها أخذت منه، الآن لو أنها غرزت خرطومها في جسم الطفل لضربها وقتلها، تضع مادة مخدرة، ثم تعطي مادة مميعة للدم لأن دم الإنسان سمج، أولاً تحلل الدم، تميع الدم، تمتص الدم، متى يشعر الإنسان بوخز البعوضة؟ بعد أن تطير البعوضة إلى سماء الغرفة بحيث ينتهي المخدر، فيحس بألم يقوم ويضربها، وهي تضحك عليه في سماء الغرفة.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾

[سورة البقرة الآية: 26]

الأخت وداد:

الله تعالى قد أرانا آياته في الأفاق، فهل نزعم دكتور بأن القرآن كتاب علم أم لا؟ أو كتاب طب أو فلك؟.

القرآن كتاب هداية للبشر :

الدكتور راتب:

لا، لا، كله غلط، القرآن كتاب هداية للبشر، استخدم قضايا علمية، لكن ليس كتاب علم، أنا لا أقدر أن أقرأ عن الجيولوجيا في القرآن الكريم، هناك إشارة بسيطة، وكتاب هداية، فإذا حملناه شيئاً بالأصل الله تعالى ما أراده، أراده هداية لنا، هناك قضايا علمية كثيرة جداً، لكن ليس كتاب علم، ليس كتاب جيولوجيا.

الأخت وداد:

هو خاتم العقول، هو يربط بين عقل الإنسان وعجائب الكون، مع إرشاد إلهي يكمل قصور هذا العقل، ويضبط مسيرته.

الدكتور راتب:

القرآن الكريم بعد قرأته بتدبر وتعمق، يكتشف الإنسان حقيقة بديهية، أن الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل هذا القرآن.

الأستاذ منير:

سبحانه وتعالى، ما دمنا نتحدث عن الإعجاز العلمي، لو تحدثتم لنا قليلاً عن هذه الهيئة التي ترأسونها هيئة الإعجاز القرآني في الكتاب والسنة، نشاطات هذه الهيئة عبر العالم، هي ليست نفس هيئة التي يرأسها عبد الله المصلح؟.

لمحة عن هيئة الإعجاز القرآني في الكتاب والسنة التي يرأسها الدكتور راتب :

الدكتور راتب:

لا هيئة ثانية، أنا أقول لك: أنا عندي قناعة دقيقة جداً أن هذا العصر عصر علم، وحينما تأتي بحقيقة دينية مدعومة بالعلم الصحيح، هذه مقبولة الآن، لذلك أنا من خلال خطبي لخمس وثلاثين سنة، دائماً الخطبة الثانية موضوع علمي بالإعجاز تقريباً، ما الذي فعلته؟ جمعت هذه الموضوعات العلمية في الخطبة الثانية في خمس وثلاثين سنة في مؤلف، نقحته، دققته، وأصبح موسوعة الإعجاز العلمي، مطبوع بعشرين طبعة إلى الآن خلال سنتين تقريباً، فهذا الكتاب هو مستقى من خطب علمية، ألقيتها بخمس وثلاثين سنة، كنت أربط بها قضية علمية بآية كونية، فهذا الربط دقيق جداً، أحياناً الإنسان يتوهم أن الدين شيء قديم، وعنده قناعة أن العلم شيء كبير،

أما حينما يقرأ آيات الإعجاز يرى أن الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل هذا القرآن، يعتز أن العلم المعاصر ضمن القرآن الكريم موجود كله بشكل مذهل.

فأنا أقول الآن: لا يوجد موضوع يقنع الطرف الآخر – وليكن من يكن – بهذا الدين إلا الإعجاز العلمي، وبعض علماء الإعجاز طافوا حول العالم فأسلم على أيديهم مئات العلماء الكبار، عالم كبير اكتشف شيئاً يجد أن القرآن الكريم ذكره قبل ألف وأربعمئة عام، شيء لا يصدق هذا كلام الله عز وجل.

هناك دليل مقنع لكن هناك دليل قطعي صعب أن يكون له تفسير آخر، فهناك آيات في القرآن تؤكد أن القرآن من عند الله عز وجل قولاً واحداً.

الأستاذ منير:

نفهم من قوله تعالى:

﴿إنما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

[سورة فاطر الآية: 28]

هم الذين يخشون الله حق الخشية، ويدركون عظمة الله سبحانه وتعالى.

عظمة الله عز وجل في الكون :

الدكتور راتب:

أقرب نجم ملتهب أربع سنوات ضوئية، أي يقطع الضوء في الثانية الواحدة ثلاثمئة ألف كيلو متر، في الدقيقة ضرب ستين، في الساعة ضرب ستين، في اليوم ضرب أربع وعشرين، في العام ضرب ثلاثمئة و خمسة و ستين، بأربع سنوات ضرب أربع، ابنك الصغير بدقائق على الآلة حاسبة يذكر لك كم بعد الأرض عن هذا النجم الملتهب عدا الشمس، لو أن هناك مركبة أرضية من أرقى المركبات، وسرعة أرضية، وصلنا إلى هذا الكوكب، أقرب كوكب ملتهب، أقرب نجم ملتهب، بعده عنا أربع سنوات ضوئية، لكن أربع سنوات أي ثلاثمئة ألف كيلو متر ضرب ستين ضرب ستين، ضرب أربع و عشرين، ضرب ثلاثمئة و خمسة و ستين، ضرب أربع، لاحتاج هذا الإنسان ليصل لهذا الكوكب بسيارة أرضية إلى خمسين مليون عام، ما معنى أربع سنوات ضوئية؟ أي خمسون مليون عام قياساً مع هذه السيارة، تاريخ هذه البشر عشرة آلاف سنة، هذا أقرب نجم ملتهب، انطلق إلى نجم القطب، أربعة آلاف سنة ضوئية، كنا أربعة، أربعة آلاف، المرأة المسلسلة مجرة، مليونا سنة ضوئية، أحدث مجرة الآن تبعد عنا أربعة و عشرين ألف مليون سنة ضوئية، أقرأ الآية:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾

[سورة الواقعة الآية: 75-76]

لذلك

﴿يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

الأخت وداد:

لذلك يحس الإنسان بنفسه لا يساوي شيئاً في هذا الكون.

الأستاذ منير:

تبرز عظمة الله سبحانه وتعالى في مخلوقاته.

الأخت وداد:

لتسمح لي أخي منير فقط قبل أن ننطلق إلى نقاط أخرى، هيئتكم العالمية هذه تعنى بالإعجاز العلمي في القرآن، هل هي مربوطة بهيئات عالمية أخرى؟ هل تدعون إلى هذا الدين بالإعجاز؟.

الدكتور راتب الداعية الوحيد بالإعجاز العلمي في بلاد الشام :

الدكتور راتب:

أنا بالشام تقريباً الداعية الوحيد بالإعجاز العلمي، أنا أستاذ الإعجاز في الجامعة، فهناك عمل علمي بالجامعة، وهناك دعوة في جامعي، وهناك مؤلفات لي، أي هذا الموضوع ليس أكبر من ذلك.

الأستاذ منير:

بلاد الشام عزيزة في قلوبنا.

إعجاز الله في الكون :

الدكتور راتب:

قبل ذلك، الأرض تدور حول الشمس دورة في العام، هناك نجم اسمه قلب العقرب طبعاً الشمس يزيد حجمها عن حجم الأرض بمليون وثلاثمئة ألف مرة، أي مليون وثلاثمائة ألف أرض تدخل في جوف الشمس، وبينهما مئة و ستة و خمسون مليون كيلو متر، يقطعها الضوء في ثماني دقائق، عندما تغيب الشمس هي غابت قبل دقائق، فبين الأرض والشمس مئة و ستة و خمسون مليون كيلو متر، والشمس تكبر الأرض بمليون وثلاثمئة ألف مرة، هناك نجم صغير ببرج العقرب اسمه قلب العقرب، يتسع للأرض والشمس مع المسافة بينهما، اسم هذا النجم قلب العقرب، في برج العقرب قال تعالى:

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾

[سورة البروج الآية: 1]

حينما تدور الأرض حول الشمس تمر باثني عشر برجاً، من هذه البروج برج العقرب، هناك نجم صغير أحمر اللون متألق اسمه قلب العقرب، يتسع للأرض والشمس مع المسافة بينهما، فهذا الإله العظيم يعصى؟ ألا يخطب وده؟ ألا ترجى جنته؟ ألا تخشى ناره؟.

الأستاذ منير:

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾

[سورة الأنعام الآية: 91]

كما يقول المولى عز وجل، طبعاً هذا الذي نعلمه، وما خفي أعظم، الذي استطاعت عقولنا أن تتحمله، وما خفي أعظم، أختي وداد هل لديك ما تضيفينه في هذا المجال؟.

الأخت وداد:

نعم، قد عجبت لهذه الهيئات العالمية، ولماذا أيضاً طلبتك، أو من يسعون للانتماء إلى هذه الهيئة العالمية لماذا لا ينشرون هذه الدعوة؟ لماذا لا يكتبون حول الإعجاز العلمي في القرآن الكريم كي ينشر في الغرب؟ ونعلم أن لديكم موقعاً خاصاً في الإعجاز العلمي.

الموقع الخاص للدكتور محمد راتب النابلسي :

الدكتور راتب:

موقعي في الانكليزي والفرنسي، أنا موقعي يرتاده ألوف يومياً.

الأستاذ منير:

نذكر موقع الدكتور محمد راتب النابلسي www.nablsy.com حتى نذكر الأخوة المستمعين.

الدكتور راتب:

الأخوة المستمعين يعرفون كوكل أكتب أي كلمة على كوكل، اكتب راتب فقط، اكتب نابلسي فقط، اكتب بالعربي، بالانكليزي، الموقع يظهر بتسعمئة ألف مكان، أربع ملايين وستون ألف مكان.

الأستاذ منير:

أنا أذكر كلمة، نعم دكتور فوزي رمضان.

لمحة عن الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة :

الدكتور فوزي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أنا أريد أن أشير إلى قضية الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة، هي هيئة أنشأت سنة ألف و أربعمئة هجرية، بمكة المكرمة، وهي تحت رابطة العلم الإسلامي، الذي أنشأها هو فضيلة الدكتور العلامة عبد المجيد زنداني هو رئيس الهيئة العالمية في القرآن والسنة، الآن يترأسها شيخنا الصالح عبد الله المصلح، وهذه الهيئة لها مكاتب في كل الدول العربية، وكذلك عندنا تمثيل حتى في الدول الغربية، أخيراً زرنا المؤتمر العاشر للهيئة العالمية في تركيا وحضر عدة علماء، وقدمت أنا بحثاً عن عدة المطلقة، وكان البحث جديداً على مستوى العالم، عن الحكمة الإلهية، والمعجزة العلمية، وإن شاء الله سنعقد مؤتمراً في 2011 - 2013 في فرنسا، وهذا المؤتمر سيكون متميزاً، مثلاً أنا كمختص بالإعجاز الطبي، آتي بالحقيقة القرآنية، ويأتي معي دكتور فرنسي يتكلم الحقيقة بالعلمية على مرأى ومسمع الناس، ونثبت للعالمين أن هذا الكتاب من عند الله سبحانه وتعالى، وأن محمداً حق، ورسولنا حق، ونحن على الحق، وغيرنا على باطل، والهيئة العالمية لها مؤلفات كثيرة، ونحن الحمد لله ما نزال ندرس منهاج الإعجاز، وهذه السنة سيدخل كمنهج تدريس في الجامعة الجزائرية، نجمع بين علم الأديان وعلم الأكوان، وهذا هدفنا نحن في الهيئة العالمية، نحن

نستنير من – كلما ضيق علينا الحال– الدكتور الفاضل راتب النابلسي، حتى نستقي من علمه، وكيف وصل إليه، لأنه الذي ليس له شيخ لا يستطيع أن يتعلم، ولذلك نحن شيخنا هو أستاذنا الذي يعلمنا هذا الطريق، ونحن كلما ضعف إيماننا، نشحن هذه البطارية، حتى نخاطب الناس بالخطاب الديني المتميز الذي يعتمد على العقل، فإذا اقتنع العقل اطمأن القلب، وإذا اطمأن خضعت الجوارح، وهذا هو هدفنا نحن في الهيئة العالمية، نحن نتكلم بالعلم ولغة العصر، ونحن نتكلم بلغات كثيرا منها الفرنسية، والانكليزية وخاصة بالجامعات نحن عندنا خطاب متميز في الجامعات.

وأريد لسيدي قضية أخيرة، سيدي في قضية التحريم بالرضاعة، لماذا في شرعنا الأخ تحرم عليه ما حرم على الأخ بالرضاعة، سبحان الله كما قلت في حكمة الأحكام: ما شرع الله إلا لحكمة، وما حرم إلا لغاية، سيدي الآن هناك عالم أسترالي، وجد في حليب الأم في كل واحد ميلي لتر من حليب الأم هناك مئة ألف خلية جذعية، الخلايا الجذعية تتشكل كما تريد، فهذا الأخ وأخوه عندهما نفس الخلايا الجذعية عند التمايز، إذاً عنده نفس التركيبة الجينية للخلايا، وهناك عالم ياباني زرع تلك الخلايا وجد أن أكبر نسبة في الخلايا الجذعية وهي الخلايا التي تشكل العمود الفقري والعظام، وكما تعلمون أن العمود الفقري والنخاع العظمي هو الذي يشكل الزمرة الدموية، ويشكل كل الدم وكذلك الكريات البيضاء والحمراء، وهذا دليل قاطع على أن الذي شرع هذا هو الله سبحانه وتعالى، وأن محمداً ﷺ هو رسول الله، فنحن أخواننا الكرام نحن الأمة الوحيدة في هذا الوجود التي نملك الدليل العلمي والعقلي على صحة ديانتنا.

الأخت وداد:

لهذا سألت الدكتور هذا السؤال أي هل يصدر هذا العلم إلى الخارج؟ حتى إن الدكتور زنداني التي اعتمدت بعض بحوثه كانت مقدمات في كتب يابانية.

الإسلام هو الأصل :

الدكتور راتب:

لكن لي تعليقاً دقيقاً، تعليق على كلام الدكتور جزاه الله خيراً، نحن لا نثني على الإسلام إذا وافق العلم، لكن نثني على العلم إذا وافق الإسلام، الأصل هو الإسلام، الأصل هو وحي السماء، وحي السماء مطلق.

الأستاذ منير:

بارك الله فيكم دكتور فوزي رمضان على هذه المداخلة الهامة جداً، متعلقة بنشاطات الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، أنا أذكر قولاً سمعته للدكتور زغلول النجار، كذلك هو مهتم بالإعجاز العلمي، قال له أحد المسيحيين عندما أسلم: ما ذنب والدي قد مات مسيحياً أنه سيدخل النار بسبب عجزكم أنتم بأنكم لم تبلغوا، ولم توصلوا هذه الأمانة للناس، ما ذنب والدي أن يذهب للنار بسبب عجزكم أنتم؟

الدعوة إلى الله فرض عين على كل مسلم :

الدكتور راتب:

والله كنت في إسبانيا، وقفت امرأة أسبانية وقالت: أنا في رقبتكم، أنا ما ذنبي؟ والله على أثر هذه الكلمة أدخلت في إميل موقعي اللغات كلها، لأي سؤال يأتي بأي لغة هناك مترجمون مكلفون بالترجمة، هذه الكلمة أثرت بنفسي كثيراً، ما ذنبنا نحن؟ الحق معكم.

الأخت وداد:

لذلك قال الدكتور في أول حديثه بأن الدعوة فرض عين على كل مسلم.

الخير كله في هذا الدين و نحن لسنا في المستوى الذي نخاطب به الغرب :

الأستاذ فوزي:

نحن عندما ذهبنا إلى أميركا ووجدنا العالم، أنا الحمد لله كرمني الله في بحث الهيئة العالمية، زرت أفريقيا، وأوربا، وأميركا، وآسيا، والله شيخنا قد زار أميركا مرات ومرة أقسم بالله العلي العظيم أن الإنسان عندما يعيش معهم هم بهائم يمشون على قدمين، مرة نحن كنا في المغرب، وكان مؤتمر الإعجاز في المغرب في فاس، فحضر معنا نائب رئيس جمعية أشبيليا وزوجته، عالم كبير مع زوجته، حضر معنا، وكان المجمع فيه علماء منهم شيخنا المصلح، فبدأت أنا أترجم لهم بالفرنسية، وتكلمت معه على خلق الإنسان بين الطب والقرآن، كيف تكلم محمد ﷺ في آيات سورة النور عن خلق الإنسان، من نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظام، ثم كسا العظام لحماً، وتكلمت عن الحقائق العلمية، وتكلمت عن البحثين، والله أقسم بالله الذي لا إله إلا هو وأنا عندي صورة في الجوال، عندما جاء أحد المغاربة و قرآ القرآن الكريم، بكى هذا الرجل، ولا يعرفون العربية، ولا الإسلام، ماذا

قال هذا الرجل للشيخ المصلح؟ قال: نحن نعيش كالبهائم في أوربا، وهذا أحسن يوم عشته في حياتي ولم يكسف، نحن لا نبلغ هذا الكلام، ولا نبلغ ديننا، نحن أخوننا الكرام مقصرون، وتقصيرنا سنحاسب عليه أمام الله سبحانه وتعالى لأن الخير كله في هذا الدين، ونحن للأسف الشديد لم نكن في المستوى الذي نخاطب به الغرب.

الأخت وداد:

ونبرز عجائب هذا الدين، لأننا لا نعرف هذا الدين.

الإعجاز العلمي وتوصيل الفكرة للآخر :

الدكتور راتب:

طالب في بلد غربي، له أب قاس جداً، فلما قصر في زيارة الكنيسة، ضربه ضرباً مبرحاً فترك البيت واعتنق الإلحاد، وترقى في دراسته حتى أصبح أستاذاً للرياضيات في جامعة لوس أنجلوس، فهو في هذه الجامعة طبعاً يعتنق الإلحاد، تدخل عليه فتاة طالبة جامعية في أيام الصيف الحارة، محجبة حجاباً كاملاً، طبعاً أرسلها أستاذه، أستاذه هو أقوى من أستاذه، إذا كان هناك قضية عويصة عند أستاذه يحيلها إليه، فلما رأى هذه الطالبة بهذا الشكل، قال: لا بد من أن هذه الفتاة عندها قناعات أنا لا أعرفها، هي خالفت معظم فتيات أميركا، في الصيف البنات شبه عرايا فبدأ يقرأ القرآن واتصل بموريس بوكاي، وكان سبب إسلامه، فصار يبكي في الصلاة، فقاله له أحدهم منتقداً: أنت لا تفهم بالعربية شيئاً، كيف تبكي؟ قال له: كيف يطمئن الطفل في حضن أمه وهو لا يعرف أن يخاطبها ولا أن تخاطبه، حقيقة قصته مذهلة، طبعاً طبعت في كتاب، والكتاب مترجم للغة العربية، جفري لنك الآن من أكبر الدعاة في أمريكا، وكان ملحداً.

الأستاذ منير:

ما دمنا نتحدث عن الإعجاز العلمي وتوصيل الفكرة للآخر، أريد أن نقف قليلاً عند موقف الإعلام دور الإذاعات الموضعية، ومنها إذاعة القرآن الكريم، كيف ترون هذا الدور الذي يجب أن يلعبه الإعلام ومنها إذاعة القرآن الكريم في توصيل هذه الفكرة.

الأخت وداد:

أخي منير، النابلسي كانت له حصص في إذاعة القرآن الكريم ولا تزال تبث حول الإعجاز العلمي، حول أسماء الله الحسنى، حول صحابيات وسيدات بيت النبوة.

الدين توقيفي لا يتبدل و لا يتغير :

الدكتور راتب:

أنا أرى أن الدين لا يتبدل، ولا يتغير، الدين توقيفي، لكن ينبغي أن نبدل الخطاب الديني، أن نخاطب القلوب، أن نخاطب الحياة، ينبغي أن يكون الخطاب علمياً، وينبغي أن يكون صادقاً، وينبغي أن يكون معمقاً، وينبغي أن يضع المستمع يده على حقائق هذا القرآن العظيم لأنه في حقيقة إنسانية، الإنسان يقبل على شيء عظيم، فإذا أريته عظمة الدين خضع له.

أنا أقول الآن: لأن هناك تواصل بين العالم كله لم يعد يكفي الخطاب التقليدي، الخطاب الديني التقليدي لا يقنع الآن، لابد من خطاب ديني تجديدي، مبني على العلم، أكثر شيء أعلق عليه إسقاط آيات القرآن الكريم وما صحّ من أحاديث النبي الكريم على واقعنا إسقاطاً دقيقاً جداً، حتى أرى أن مشكلاتي تحل بالإسلام، بالقرآن تحل مشكلاتي، أما حينما يأتي الخطاب تقليدياً بعيداً مأخوذاً من كتب صفراء بعيداً عن واقع الحياة فلا يؤثر.

الأستاذ منير:

الدكتور الفاضل محمد راتب النابلسي، نود أن نقف قليلاً عند برنامج يبث حالياً في إذاعة القرآن الكريم والمتعلق بأسماء الله الحسنى نحن عندما ندعو الله سبحانه وتعالى ندعوه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، نريد أن نقرب هذا المفهوم للمستمع في إذاعة القرآن الكريم الفاضل ونبين له أسماء الله تعالى، وصفاته.

العقيدة الإسلامية يأتي في مقدمتها أسماء الله الحسنى :

الدكتور راتب:

قبل ذلك، الله عز وجل قال:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً ﴾

[سورة فصلت الآية: 33]

وهناك آية قرآنية:

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾

[سورة الأعراف الآية: 180]



كيف؟ أنا حينما أقرأ عن اسم الشكور وأكون شاكراً لله عندئذٍ أتوكل على الله، حينما أقرأ عن اسم الله العفو وأعفو عمن خاصمني أتقرب إلى الله، وكأن الله أراد أن نقتبس كمالاً من أسماء الله الحسنى، يكون هذا الكمال أداة الإقبال على الله عز وجل، فأنا أرى أن العقيدة الإسلامية يأتي في مقدمتها أسماء الله الحسنى.

أنت أحياناً يزورك إنسان، تقول له: الاسم الكريم؟ أخذت اسمه، العمل؟ متزوج؟ أين تسكن؟.

الأسماء الحسنى أصل في العقيدة :

أنت كيف تعرف الله؟ يجب أن أعرف عن عفوه، عن كرمه، عن حلمه، عن قوته، عن قدرته، عن انتقامه ممن يعادي هذا الدين، فأسماء الله الحسنى أصل في العقيدة، لكن مع الأسف الشديد، أكثر الكتب السابقة الاسم عبارة عن سطرين أو ثلاثة، العبد الفقير بتوفيق من الله وحده عملت سلسلة الأسماء الحسنى، الدرس عبارة عن ثلاثين دقيقة، الاسم يأخذ درسين أو ثلاثة، أنا توسعت في بيان عظمة هذه الأسماء من خلال الخلق، الكون، أي اسم من أسماء الله الحسنى الودود مثلاً، كم شاهد من حياتنا اليومية فيه مودة من الله، القوي كم شاهد؟ فحينما أدرس الأسماء الحسنى من خلال القرآن والخلق، الخلق آيات لا تنتهي، أي اسم من أسماء الله الحسنى يمكن أن تأتي بمئة دليل من خلق الله عز وجل، اسم اللطيف، الطفل حينما يفقد أسنانه بدون أي ألم يجد السن مع لقمة الطعام، أكبر طبيب أسنان لا يقدر قلع السن إلا بألم، أو مخدر، فالله لطيف عز وجل، نأخذ من لطف الله أشياء كثيرة جداً، فأنا أرى أن الأسماء الحسنى أصل في العقيدة، وهي آتية بالعقيدة، لكن شرحها من خلال الله عز وجل، الله له ثلاث آيات، له آيات كونية، وله آيات تكوينية، وله آيات قرآنية، هي الطرق السالكة إلى الله، الآيات الكونية خلقه، والآيات التكوينية أفعاله، والآيات القرآنية كلامه، فأنا من خلقه، ومن أفعاله، ومن كلامه أتعرف إليه، هذه معنى قوله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾

أي اشتق أيها المؤمن كمالاً من أسماء الله الحسنى، وتقرب بهذا الكمال إلى الله، فأنت بعفوك عما أساء إليك، أنت بلطفك، أنت بكرمك، تتقرب إلى الله عز وجل.

الأستاذ منير:

أعتقد أن الأستاذ الفاضل الفاروق الشويكي مدير أعمال الدكتور محمد راتب النابلسي يريد أن يدله بدلوه في هذا المجال.

القدوة شيء أساسي في الدعوة إلى الله عز وجل :

الأستاذ فاروق:

جزى الله شيخنا الكريم كل خير ، أنا مما أكرمني الله عز وجل بخدمته منذ سنوات طويلة، كان شيخي الجليل يؤكد على موضوع القدوة، قلت له ذات مرة: أكرمني الله عز وجل أن أستمع إلى علمك، وأن أتعلم من علمك، لكنني الآن أتعلم من عملك، وهذا هو المهم، وهذا هو الشيء الذي يؤكد عليه جزاه الله خيراً القدوة ثم القدوة ثم القدوة، هناك قصة صغيرة إن سمح لي شيخي، طبيب أكرمه الله عز وجل بدخول الإسلام، والعودة إلى الدين بفضل الشيخ جزاه الله خيراً، والسبب في ذلك هو القدوة، هو استمع إلى علمه، وانبهر بهذا العلم الكبير بفضل الله عز وجل، وكان هناك لقاء مع الشيخ، فهذا الطبيب حينما اتصل بالشيخ قال له: أنا في مصر وسوف أعود بعد أسبوع إن شاء الله تعالى، وألتقي بك، بعد أسبوع تقريباً أو عشرة أيام اتصل هذا الطبيب بالشيخ فرحب به، و أتى هذا الطبيب إلى المسجد، ثم ذهب الشيخ به إلى بيته جزاه الله خيراً، ودعاه إلى الغداء، الشاهد في القصة قال له: والله يا شيخ لقد استمعت إلى علمك الغزير الكبير جداً، ولكن هذا اللقاء وهذه الدعوة وهذه المعاملة في كفة وعلمك في كفة أخرى، القدوة شيء أساسي، وهذا ما تعلمناه من شيخنا الفاضل جزاه الله خيراً.

الأخت وداد:

كنت أريد أن أستثمرك في آخر الحصة لكي تحكي لنا عن فضيلة الشيخ راتب النابلسي في حياته اليومية.

القدوة قبل الدعوة والإحسان قبل البيان :

الدكتور راتب:

كتعليق على كلام فاروق جزاه الله خيراً، القدوة قبل الدعوة، والإحسان قبل البيان، أي افتح قلب المستمع بإحسانك ليفتح عقله لبيانك.

الأستاذ منير:

كان هذا منهج الرسول ﷺ قديماً، إذاً هذا المعنى الذي تبادر إلى ذهني هو الذي تحدث عنه فاروق، وتحدث الدكتور فوزي رمضان عن استشاراتكم فيما يخص هيئة الإعجاز القرآني، فأنا قد استمتعت بأخلاقكم، بتواضعكم قبل علمكم دكتورنا الفاضل محمد راتب النابلسي.

الأخت وداد:

ننتقل إلى محور آخر، نأخذ فاصلاً ثم نعود إليه، فهو محور مهم جداً، نريح مستمعينا الأفاضل، ونلقاكم بعد قليل.

كل إنسان خاسر لا محالة لأن مضي الزمن يستهلكه :

الدكتور راتب:

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً *الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴾

[سورة الكهف]

لذلك ورد في بعض الآثار: إن روح الميت ترفرف فوق النعش، تقول : يا أهلي، يا والدي، لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي، جمعت المال مما حلّ وحرم، فأنفقته في حله وفي غير حله، فالهناء لكم والتبعة علي، لذلك حينما قال الله عز وجل:

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

[سورة العصر]



أي كل إنسان خاسر لا محالة، لماذا؟ لأن مضي الزمن يستهلكه، الإنسان بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منه، من هو الذي ينجو من الخسارة؟

﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

أي ابحث عن الحقيقة، واعمل وفقها وادعُ إليها، واصبر على البحث عنها، والعمل بها، والدعوة إليها، تنجو من الخسارة،

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

الأستاذ منير:

كان إذاً هذا صوت الأستاذ الفاضل الدكتور محمد راتب النابلسي، الذي نسعد بلقائه على المباشر هنا، في رحاب إذاعة القرآن الكريم، أختي وداد نمر إلى المحور الآن.

الأخت وداد:

المحور الأخير هو محور مؤلم جداً، وهو واقع العالم الإسلامي، لا نريد أن نخرج أوراقه، لا نريد أن نتحدث عنه بالتفاصيل، لكن هذا الراهن هو راهن مرير، كيف نخرج منه؟ هل للدكتور محمد راتب النابلسي رؤية معينة؟

الموضوعية قيمة علمية وأخلاقية في الوقت نفسه :

الدكتور راتب:

هناك حالة منتشرة في العالم الإسلامي، هذه الحالة نجلس مع بعضنا بعضاً، نتحدث عن أخطائنا، أنا أسمي هذه الجلسة جلد الذات، لا نستطيع أن نقف بعد ذلك، هذا خطأ كبير، عندنا إيجابيات كبيرة جداً.

مرة إنسان واقف على نهر السين بباريس، رآه شخص طالب علم، أحب أن يتدرب على الحديث باللغة الفرنسية مع هذا الإنسان، قال له: بمَ تفكر؟ قال له: بقتل أبي، قال له: عجيب! لِمَ؟ قال له: أحب فتاة فأخذها مني. أنا أفكر بالإنسان في المشرق، همه الأول تزويج أولاده، ويسعد أشد السعادة إذا تزوج أولاده كلهم، فأنا حينما أنسى فضائل العالم الإسلامي، أنسى الإيجابيات، أنسى الأشياء الطيبة في حياتنا، لكن سبحانه الله أحياناً نتعامى عنها، ونبحث بأخطائنا فقط، أنا أتمنى من أجل التوازن إن ذكرنا أخطاءنا نذكر خصائصنا، الأسرة عندنا مقدسة، الأب أب، الأم أم، البنت بنت، الصهر صهر، أما في بلاد أخرى فالأسرة ضائعة، المجتمع متفكك، مجتمع وقع في وحول الإباحية، عندنا ميزات كبيرة جداً، فأنا أتمنى من منطلق علمي أقول دائماً: الموضوعية هي قيمة علمية وقيمة أخلاقية في الوقت نفسه، أنت إذا كنت موضوعياً فأنت علمي، وأنت إذا كنت موضوعياً فأنت أخلاقي، فالعالم الإسلامي يعاني ما يعاني، لكن هناك ايجابيات كبيرة جداً.

مرة دكتور في الجامعة يعد من أكبر علماء النفس وكان أستاذي توفي رحمه الله حضر مؤتمراً في ألمانيا، قال: إن الشعب الألماني، نسب الأمراض النفسية فيه مئة و سبعة و خمسون بالمئة أنا استغربت، بينما بالشرق الأوسط بسبب الإيمان وحده النسب ضئيلة جداً.

فنحن عندنا ايجابيات في بلدنا، أنا أقول أنت لأنك عالم يجب أن تكون موضوعياً فاذكر ما لنا وما علينا، واذكر ما لهم وما عليهم، أما نحن دون أن نشعر فنأخذ إيجابياتهم ونأخذ سلبياتنا، طبعاً مسافة كبيرة جداً، الموقف غير موضوعي، الموقف الموضوعي أن تأخذ هذا وهذا.

الأستاذ منير:

وهذا من حق الداعية، والمفكر هو الذي عليه يأخذ هذا العمل الجبار.

الدكتور راتب:

أي الأب في بلاد المسلمين همه أولاده، همه بناته، هناك حواجز رائعة جداً أخلاقية، هناك حواجز علمية، كل إنسان واقف عند حده، هذه أشياء ملموسة، بينما في عالم آخر بعيدون بعد الأرض عن السماء عن هذه القيم والمبادئ.

الأخت وداد:

أمام الدعوة الآن فضيلة الدكتور عقبات كأداء، كيف ترون الحلول لهذه العقبات؟ أو كيف ترون المخارج على الأقل؟.

التركيز على الإيجابيات يجعلنا متماسكين :

الدكتور راتب:

إذا كان هناك انفتاح بلا حدود على الغرب فالإصلاح صعب، لا بد من وقاية، والدليل:

﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾

[سورة الكهف الآية: 16]

فإذا كان هناك جهة لا تعبد الله، تعبد الشهوة.

﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾

[سورة الفرقان الآية: 43]

هذه الجهة التي تعبد الشهوات ينبغي أن نبتعد عنها، أما إذا كان هناك اختلاط شديد و انفتاح و تبادل بكل شيء، والله أنا لا أرى أن هذا الاختلاط الشديد مع الطرف الآخر الغير المنضبط مشكلة، نحن ما هي المشكلة؟ سألوا أحد كبار المفكرين ماذا نأخذ وماذا ندع عن الغرب؟ فقال: نأخذ ما في رؤوسهم وندع ما في نفوسهم، نأخذ ما في رؤوسهم من علم، وندع ما في نفوسهم من شهوات، فكيف إذا أخذنا ما في نفوسهم وتركنا ما في رؤوسهم؟ هذه المشكلة، فهناك ايجابيات عندنا كبيرة، أنا أقول التركيز عليها من حين لآخر يجعلنا متماسكين.

حقيقة أقولها بكل صراحة عقب الهزائم المتتالية في العالم الإسلامي تراكم عند الأمة الإسلامية حالة اسمها الشعور بالإحباط، واليأس، والطريق المسدود، جاء انهيار النظام العالمي المالي جرعة منعشة، جاء انتصار أخوتنا في فلسطين عشرة آلاف مقاتل على أكبر جيش في المنطقة، جرعة منعشة، جاء تبدل وضع تركيا من وضع يعادي الدين إلى وضع إسلامي، جرعة منعشة، فالله رحمة بنا أعطانا جرعات منعشة، أي بحياتنا جرعات منعشة، قوية جداً، عشرة آلاف إنسان معهم بندقية فقط، يقفوا أمام أكبر جيش بالمنطقة، هذه جرعة منعشة، فكأن الله عز وجل رحمنا بهذه الحالة من الإحباط واليأس والطريق المسدود، أعطانا جرعات منعشة، هذه الجرعات يحب أن نذكرها، وأن نؤكد عليها، وأن نعتز بها، تعطينا دفعاً، والحقيقة أخطر هزيمة أن نهزم من الداخل، هزيمة الحرب قضية سهلة لكن أخطر هزيمة أن نهزم من الداخل، فلذلك ذكر الأخطاء بشكل مستمر ندخل في اليأس، في الإحباط، في الطريق المسدود، الله أعطانا جرعات منعشة ينبغي أن نأخذ من هذه الجرعات.

الأستاذ منير:

والله كنت أريد أن نطيل لقاء الدكتور محمد راتب النابلسي، لا نريد أن نتعبكم أكثر، حسبنا في ختام هذه الجلسة الدكتور النابلسي يريد أن يقدم نصيحة لمستمع إذاعة القرآن الكريم، أو يود الدكتور محمد راتب النابلسي أن يبوح بشيء في هذا اللقاء الحميم.

من هان أمر الله عليه هان على الله :

الدكتور راتب:

أنا أقول كلمة قد تكون مؤلمة، الواقع السلبي الذي نعيشه بسبب أن أمر الله هان علينا فهنا على الله، ولو عظمنا أمر الله لكنا في حال آخر، فلذلك الشيء الدقيق جداً أننا حينما نعظم هذا الدين نعظم هذا النبي الكريم، نعظم هذا القرآن الكريم، حينما نعيش هذا القرآن في بيوتنا، في مدارسنا، في حياتنا، في كسب أموالنا، في إنفاق أموالنا، عندئذٍ الله عز وجل قال:



﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾

[سورة الأنفال الآية:33]

قال علماء التفسير: ما معنى وأنت فيهم وقد توفي النبي؟ أي سنتك مطبقة فيهم، منهجك مطبق فيهم، مادام منهج النبي مطبق فينا من سابع المستحيلات أن نصاب بأذى

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ ﴾

ما كان هذه أقوى صيغة بالنفي، العلماء أعطوها اثني عشر فعلاً

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ ﴾

لا يرضيه، ولا يفعل، ولا يريد، ولا ولا ولا،

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾

الآن:

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾

[سورة الأنفال الآية: 33]

نحن عندنا فسحة من الأمل أن نتبع سنة النبي عليه الصلاة والسلام.

الأستاذ منير:

نصيحة للشباب المسلم، للشباب الجزائري المسلم كي يتمسك بالكتاب وسنة الحبيب ﷺ.

نصيحة للشباب الجزائري المسلم :

الدكتور راتب:

والله أنا أقول: الشعب الجزائري بجهاده الطويل، من أجل التحرر، والاستقلال، هذا الجهاد الطويل وسام شرف يضعه على صدره، أتمنى أن يضع وسام الشرف بطاعة الله عز وجل، بالإقبال عليه، فهذا النصر المؤزر الذي أصابه الشعب الجزائري يجب أن يحافظ عليه باتباع سنة النبي عليه الصلاة والسلام.

الأستاذ منير:

ونحن نعتبر هذا اللقاء وسام شرف لإذاعة القرآن الكريم أنا وزميلتي الأخت وداد.

الأخت وداد:

وقد تشرفنا بلقائك فضيلة الدكتور، وبجناب الأستاذ فارق الشويكي، والأستاذ فوزي رمضان، بارك الله بكم على حضوركم معنا هنا في إذاعة القرآن الكريم، ولا شك بأن المستمعين من الأفاضل قد استروحت نفوسهم، وعاشوا فرحة.

خاتمة و توديع :

الدكتور راتب:

هل وصل هذا الياسمين إلى المستمعين؟.

الأستاذ منير:

نشكر المخرج كمال الذي قدم هذه الورود وهذا الياسمين، الذي هو عطر، وجعل أيامكم كلها عطراً ووروداً. كان هذا إذاً الأستاذ الفاضل محمد راتب النابلسي، الذي شرفنا في رحاب إذاعة القرآن الكريم، وكذلك الدكتور فوزي رمضان، والأستاذ فاروق الشويكي مدير أعمال الشيخ محمد راتب النابلسي، نشكر جزيل الشكر باسمي وباسم إذاعة القرآن الكريم، وعمال إذاعة القرآن الكريم، ومستمعي إذاعة القرآن الكريم، على أمل أن نلقاكم في مشيئة الله تعالى، الله يشهد أننا نحبكم في الله، وإقامة طيبة في بلدكم الجزائر، لا أقول بلدكم الثاني، بلدك الأول الجزائر دكتور راتب النابلسي.

الدكتور راتب:

بارك الله بكم ونفع بكم على هذه الإذاعة و التي هي منبر للحق.

الأستاذ منير:

شكراً لكم مستمعينا الأفاضل على أمل أن نلقاكم في فرص أخرى، دمتم بخير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدكتور راتب:

لا شيء يعلو على مرتبة العلم، إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئا، ما من معرفة تعلو على أن نعرف الله.

والحمد لله رب العالمين

الدرس : (7-8) : الاستقامة في حياة الشباب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

الشيخ نبيل :

أهلاً بكم من جديد في هذا الأستوديو، في تلفزيون الوطن، في ليالي فبراير في الأيام الوطنية لدولة الكويت، ومعنا البرنامج الديني الحافل في هذا العام بالذات بالضيوف المميزة، معنا في هذه الحلقة أستاذ كريم الدكتور محمد راتب النابلسي، أهلاً بكم.

الدكتور راتب:

بارك الله بكم.

الشيخ نبيل :

دكتور محمد راتب النابلسي، طبعاً هو معروف بالفضائيات، وأنا لا أريد أن أكثر من الكلام، دكتور أنا أبدأ معك مباشرة، دكتور أول مرة تشاركنا في أعيادنا الوطنية في الكويت، نحن عندنا فبراير مميز، عدة مناسبات؛ استقلال الكويت أولاً، وعيد التحرير، فصار الشهر كله أعياداً وطنية، وأنت أول مرة دكتور تشاركنا ماذا يمثل مثل هذا لك؟

النبي عليه الصلاة و السلام جاء بأقدم مفهوم للمواطنة والتعايش :

الدكتور راتب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين، الشيخ نبيل جزاك الله خيراً.

بادئ ذي بدء: عندما دخل النبي عليه الصلاة والسلام يثرب قال كلمة في أول اتفاق عقده بين أطراف يثرب، قال: أهل يثرب أمة واحدة. مفهوم المواطنة والتعايش جاء به النبي عليه الصلاة والسلام، فالإنسان حينما ينتمي إلى وطن هناك تحديات مشتركة، و هناك مصالح مشتركة.



الشيخ نبيل :

عفواً دكتور، كان في المدينة مسلمون ويهود.

الدكتور راتب:

هناك أوس مسلمون، وخزرج مسلمون، وهناك أوس وثنيون، وخزرج وثنيون، وفيها يهود، وفيها نصارى، وفيها موالي وأعراب، وفيها مهاجرون، أول كلمة في الوثيقة: أهل يثرب أمة واحدة، سلمهم واحد، أقدم مفهوم للمواطنة والتعايش جاء به النبي عليه الصلاة والسلام، والناس قد لا ينتبهون لهذه الصيغة، أول سطر من اتفاقية أبرمها مع كل الأطراف، قال: أهل يثرب أمة واحدة، سلمهم واحد، وحربهم واحدة.

الشيخ نبيل :

ولهذا دكتور أنت شاركتنا في الأعياد الوطنية من هذا المنطلق، أنا عندي أسئلة كثيرة، دكتور كثير من الناس لا يعرف لماذا هو على هذه البسيطة؟ شكله، أعماله، لا يعرف حتى الهدف من حياته، ما هو السبب دكتور؟

الإنسان كائن متحرك و حركته إما أن تصح فيسلم أو لا تصح فيشقى :

الدكتور راتب:



السبب أن الإنسان كائن متحرك، يتحرك بدافع إلى الطعام والشراب حفاظاً على بقائه كفرد، يتحرك بدافع إلى الزواج حفاظاً على بقاء النوع، يتحرك بدافع إلى تأكيد الذات حفاظاً على بقاء الذكر، ثلاث حاجات تحرك الإنسان، فهو كائن متحرك، هذه الحركة إما أن تصح فيسلم ويسعد، أو ألا تصح فيشقى ويهلك.

الشيخ نبيل :

دكتور الحياة الغربية التي يعيشها الناس في الغرب حياة حلوة، وطبيعة حلوة، ومدينة، وقطارات، ونظام، ومعاشات، وقوة اقتصادية، والناس يعيشون في أرقى مستوى، أليست هذه الحياة هي الحياة الأكمل والأمثل؟

من ترك الأبد واكتفى بالدنيا يعد ذكياً لا عاقلاً :



الدكتور راتب:

ما كل ذكي بعاقل، قد يكون الإنسان في أعلى مستويات الذكاء، يعيش حياة ناعمة، ولكن حينما غفل عن سرّ وجوده، خُلق لجنة عرضها السموات والأرض، خلق لينعم بالقرب من الله إلى الأبد، فحينما ترك الأبد، وخسر الأبد، واكتفى بالدنيا، لا يعد عاقلاً يعد ذكياً، ما كل ذكي بعاقل، الذكاء محدود، أتقنا الدنيا، جعلنا فيها رفاهاً منقطع النظير، سخرنا كل شيء لمصالحنا، عشنا حياةً ناعمة، ولكن الله عز وجل خلقنا للأبد، لجنة عرضها السماوات والأرض.

الشيخ نبيل :

دكتور أنتم تمنعون على الناس كل شيء، كل شيء حرام، كل شيء لا يصح، والغرب يعيش أحلى حياة، كل شيء عنده مباح؟

ليس في الإسلام حرمان بل تنظيم :

الشيخ نبيل :

ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا وجعل لها قناة نظيفة تسري خلالها، ليس في الإسلام حرمان. مرة ثانية: ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا وجعل لها قناة نظيفة تسري خلالها، لا يوجد حرمان ولكن في الإسلام تنظيم، أي هذه الشهوات لها قنوات نظيفة رائعة، مثل إنسان يتزوج، يقترن بأنثى تملأ عينه بجمالها، وبوفائها، وبحبها، تنجب له أولاداً يملؤون البيت فرحة، هذا المشروع أساسه شهوة أودعها الله في الإنسان، والشهوات التي أودعها الله في الإنسان جعل لها قناة نظيفة تسري خلالها.

الشيخ نبيل :

أي هناك جنس مباح وجنس مشروع وجنس ممنوع.

من اتبع هواه وفق هدى الله عز وجل لا شيء عليه :

الدكتور راتب:

المؤمن يتزوج، وينام مع زوجته، ويقوم الليل، ويبكي في الصلاة، لأنه وفق منهج الله، أما أي علاقة شائنة أو علاقة بخلاف منهج الله، تحجبه عن الله عز وجل، النقطة الدقيقة جداً أن في الإسلام لا يوجد حرمان ولكن هناك تنظيماً، والدليل:

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾

[سورة القصص : 50]



المعنى المخالف عند علماء الأصول، الذي يتبع هواه وفق هدى الله لا شيء عليه.

الشيخ نبيل :

دكتور الشباب اليوم بحالة من اليأس، كثير منهم يحس أنه غارق في المعاصي ولا يوجد مجال لنجاته، هو يغبط أهل الأيمان لكن بالنسبة له لا يوجد أمل، أنا انتهيت، أنا ميئوس مني.

الله عز وجل يفتح للناس باب التوبة على مصراعيه إلى يوم القيامة :

الدكتور راتب:

الجواب في القرآن الكريم:

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً ﴾

[سورة الزمر: 35]

﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾

[سورة النساء: 27]

النبي عليه الصلاة والسلام تكلم عن قصة الأعرابي الذي ركب ناقته ليقطع بها الصحراء، جلس ليستريح فاستيقظ فلم يجد الناقة، اختل توازنه من شدة الألم أيقن بالهلاك بكى وبكى حتى نام قليلاً، فلما أفاق رأى الناقة من شدة فرحه قال:

((اللهم أنا ربك وأنت عبدي))

[مسلم عن أنس بن مالك]



قال عليه الصلاة والسلام:

((لله أفرح بتوبة عبده من ذلك البدوي بناقته))

[متفق عليه]

فمعنى ذلك عندما يرجع الشاب إلى الله، ويصطلح معه، إذا رجع العبد إلى الله نادى منادٍ في السماوات والأرض أن هنئوا فلاناً فقد اصطلح مع الله، بل إن الشاب الذي أسرف على نفسه في المعاصي والآثام

الله ينتظره، بل إذا قال العبد: يا رب وهو راكع، يقول الله له: لبيك يا عبدي، فإذا قال: يا رب وهو ساجد، يقول الله له: لبيك يا عبدي، فإذا قال: يا رب وهو عاصٍ يقول الله له: لبيك، ثم لبيك، ثم لبيك.

الشيخ نبيل :

دكتور أنا أريد أن أتكلم عن فئة من الناس من كثرة انغماسهم بالشهوات، واعتمادهم على العقل فقط دون النقل والوحي، ودخولهم على بعض المواقع في الانترنيت، وجلوسهم مع بعض الناس، وقع بالإلحاد الذي ينفي حتى وجود الرب، أنا أريد أن أفتح معك هذا الموضوع بسبب أنك متخصص في موضع الإعجاز العلمي، وكيف لك كلام بأن الكون يدل على الله عز وجل، أحياناً الأم تقول: انظر إلى ولدي لا يؤمن بالله، أو ابنتي تسأل أسئلة تدل على أنها لا تؤمن بوجود الله عز وجل، بل بعضهم يتحدى أنه لا يوجد رب.

التفكر في آيات الله عز وجل أفضل طريق للإيمان به :

الدكتور راتب:



أحقر مخلوق في حياتنا البعوضة، البعوضة بعد أن اكتشف المجهر الإلكتروني، وجدوا أن في رأس البعوضة مئة عين، وفي فمها ثمانية وأربعون سناً، وفي قلبها ثلاثة قلوب، قلب مركزي، وقلب لكل جناح، وفي كل قلب أذينان، وبطينان، ودسامان، وتملك البعوضة جهازاً لا تملكه الطائرات، تملك جهاز استقبال حراري، حساسيته واحد على ألف من الدرجة المئوية، بهذا الجهاز ترى الأشياء لا بأشكالها، ولا بأحجامها، ولا بألوانها، ولكن ترى الأشياء بحرارتها، تملك جهاز تحليل للدم، فما كل دم يناسبها، تملك جهاز تمييع للدم، وتملك جهاز تخدير، في خرطومها ست سكاكين، أربع سكاكين لإحداث جرح مربع وسكينان يلتئمان على شكل أنبوب لامتصاص الدم، وفي أرجل البعوضة مخالب و محاجم .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يستحي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾

[سورة البقرة: 26]

أحقر مخلوق في حياتنا البعوضة، وزنها واحد على ألف من الغرام.

وفي كل شيءٍ له آيةٌ تدل على أنه واحد

***

أقرب نجم ملتهب إلى الأرض أربع سنواتٍ ضوئية، الضوء يقطع في الثانية الواحدة ثلاثمئة ألف كيلو متر في الثانية، فكم يقطع في الدقيقة؟ ثلاثمئة ألف ضرب ستين، كم يقطع في الساعة؟ ثلاثمئة ألف ضرب ستين ضرب ستين، كم يقطع في اليوم؟ ضرب أربع وعشرين، كم يقطع في العام؟ ضرب ثلاثمئة وخمسة وستين، كم يقطع في أربع سنوات؟ ضرب أربع، الابن الصغير بربع ساعة يعطيك كم هي المسافة بين الأرض وبين أقرب نجمٍ ملتهبٍ إلى الأرض، هذه المسافة لو أردنا أن نقطعها بمركبة أرضية، بسرعة مئة، نقسم على مئة كم ساعة، على أربع وعشرين كم يوم، على ثلاثمئة وخمسة وستين كم سنة، نحتاج إلى خمسين مليون عام بمركبةٍ أرضية كي نصل إلى أقرب نجمٍ ملتهبٍ إلى الأرض، الآن السؤال: متى نصل إلى نجم القطب الذي يبعد عنا أربعة آلاف سنة ضوئية؟ متى نصل إلى المرأة المسلسلة التي تبعد عنا مليوني سنة ضوئية؟ متى نصل إلى أحدث نجم اكتشف؟ نحتاج إلى أربع وعشرين مليون سنة ضوئية، الأربع سنوات تحتاج إلى خمسين مليون عام بمركبةٍ أرضية فكيف أربع وعشرين مليون سنة ضوئية؟

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾

[سورة الواقعة: 75-76]

القرار الذي يتخذه الإنسان بشأن مصيره قلّما تنقضه الأيام إذا كان صادراً عن إرادة :

الذي يريد أن يؤمن:

﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴾

[سورة الذاريات: 20]

وفي كل شيءٍ له آيةٌ تدل على أنه واحد

***

انتقلنا من البعوضة أحقر مخلوق إلى الكون، فلذلك:

﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴾

[سورة الذاريات: 20]



إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً، إن القرار الذي يتخذه الإنسان في شأن مصيره قلّما تنقضه الأيام إذا كان صادراً عن إرادة و إيمان:

﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ ﴾

[سورة الأنفال: 23]

فأي شاب يبحث عن الحقيقة والله زوال الكون أهون على الله من ألا يدله عليها، أطمئن الشباب.

الشيخ نبيل :

دكتور هذا الذي يقول: لا يوجد رب، أو عندهم مواقع في الانترنيت يسمونهم: الملحدون العرب، والملحدون الخليجيون، يفتخرون بهذا، هو لا يؤمن بوجود الرب.

الإلحاد موقف شكلي خارجي أما الإيمان فمغروز بأعماق الإنسان :

الدكتور راتب:

اسمع قوله تعالى:

﴿ وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ *انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾

[سورة الأنعام: 23-24]

والله بأعماق أعماق الملحد، مرة مجموعة خبراء بالاتحاد السوفيتي ركبوا طائرة، من دمشق إلى موسكو، دخلت في غيمة مكهربة، فكادت تسقط، فإذا بهؤلاء الذين أنكروا وجود الله يقولون: يا الله، يا الله، الإلحاد موقف شكلي خارجي، أما الإيمان فمغروز بأعماق أعماق الإنسان، الكون قرآن صامت، والقرآن كون ناطق، والنبي قرآن يمشي، شيخ نبيل بارك الله بك في القرآن ألف وثلاثمئة آية تتحدث عن الكون، وكل آية أعظم من أختها، إذا

شاب أراد أن يصل إلى الله والله الطريق سهل جداً، إذا رجع العبد إلى الله نادى منادٍ في السماوات والأرض أن هنئوا فلاناً فقد اصطلح مع الله.

أطع أمرنا نرفع لأجلك حجبنـا فإنا منحنا بالرضا مـن أحبنـا

ولذ بحمانا واحتمِ بجنــابنـا لنحميك مما فيه أشرار خلقنــا

وعن ذكرنا لا يشغلنك شاغـل وأخلص لنا تلقى المسرة و الهنـا

*** * ***

وسلِّم إلينا الأمر في كلِّ ما يكن فما القرب والإبعاد إلا بأمرنــا

*** * ***

فيا خجلي منه إذا هو قال لي أيا عبدنـا ما قرأت كتابنــا؟

أما تستحي منا ويكفيك ما جرى؟ أما تختشي من عتبنا يوم جمعنـا؟

أما آن أن تقلع عن الذنب راجعاً وتنظر ما به جـاء وعدنـــا؟

فلو شاهدت عيناك من حسننا الذي رأوه لما وليت عنا لغيرنـا

ولو سمعت أذناك حسن خطابنا خلعت عنك ثياب العجب و جئتنـا

ولو ذقت من طعم المحبة ذرة عذرت الذي أضحى قتيلاً بحبنـا

فما حبنا سهل وكل من ادعـى سهولتـه قلنا لـه قــد جهلتنـا

***

الشيخ نبيل :

دكتور، هناك شبهات كثيرة، والوقت قصير عندي، واقع المسلمين، صلواتهم في المساجد، جعلت لكثير من الناس ردة فعل سلبية عن الدين والإسلام، الغرب منظم، انظر المسلمين أكثر الناس فوضى، كذب، تعامل سيئ، غش، واقع بعيد جداً عن الإسلام في كثير من النواحي، الناس أصيبت بإحباط من واقع المسلمين وجعلتها ردة فعل ما تفسر ذلك؟

بطولة الإنسان أن يبحث عن الحقيقة من مرجعها :

الدكتور راتب:



هناك خطأ كبير أساسه أن الدين يُعرف من مرجعياته الأساسية، لا من أخطاء أتباعه، هذا خطأ استراتيجي، أنا حينما أكتشف حقيقة الدين من مسلم مقصر، من مسلم يخالف أحكام الدين، سوف أقع في خيبة أمل كبيرة جداً، فالبطولة أن أبحث عن الحقيقة من مرجعها، قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾

[سورة العنكبوت: 69]

هذا الجهاد النفسي والله تولى هداية الخلق، قال تعالى:

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴾

[سورة الليل: 12]

والله أي أخ من أخواننا الشباب إذا أراد أن يصل إلى الحقيقة والله زوال الكون أهون على الله من ألا يصل إليها، لكن يحتاج إلى إرادة، إن القرار الذي يتخذه الإنسان في شأن مصيره قلّما تنقضه الأيام، إذا كان صادراً عن إرادة و إيمان.

الشيخ نبيل :

دكتور كلامك جميل، والناس تشاهد منظر الدكتور ما شاء الله بلباسه، ببذلته، ومع هذا يجوب الأرض، أنا شاهدتك في استوكهولم في السويد، وما شاء الله عليك أبدعت في محاضراتك، ولما قرأت عنك ما شاء الله في دول كثيرة تدورها دكتور أنت سوف تطلع على المشاهدين من خلال تلفزيون الوطن في محاضرة تجمعك مع الشيخ محمد حسين يعقوب، وسوف أكون أنا ثالث ثلاثة متطفل عليكم.

الدكتور راتب:

أنت أستاذنا، والله أنت لك مقام كبير عندي.

الشيخ نبيل :

الساعة السابعة والنصف، يمكن أن يكون المشاهدون هنا منذ الساعة السابعة إن شاء الله، دكتور ما هو موضوع حديثك غداً؟

سلبيات المسلمين أعراض لمرض واحد هو ضعف الإيمان :

الدكتور راتب:

والله أنا خطر في بالي أن هناك مرضاً واسعاً جداً ومنتشراً، مرض وبائي اسمه ضعف الإيمان، النقطة الدقيقة أن كل سلبيات المسلمين ليست أمراضاً ولكنها أعراض لمرض واحد، والذي هو ضعف الإيمان، ضعف التوحيد، ضعف الصلة بالله، عفواً الطبيب الناجح إذا رأى طفلاً حرارته مرتفعة ليس طبيباً لو أعطاه خافض حرارة، الحرارة عرض لالتهاب عميق في الجسم، فما لم يعالج الطبيب الالتهاب لا ينجح في المعالجة، والآن هناك مشكلات لا تعد ولا تحصى في حياتنا ذكرت بعضها، ولكن الحقيقة هي أعراض لمرض واحد هو البعد عن الله عز وجل، أما القرب من الله:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾

[سورة فصلت: 30]

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾

[سورة الجاثية: 21]

﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

[سورة القصص: 61]

((مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ))

[الترمذي عن أنس]

فهذا الشاب بينه وبين الهدى، بينه وبين السعادة، بينه وبين الرقي، أن يقول: يا رب أريدك، أريد أن أتعرف عليك، أعنّي على نفسي يا رب، الله ينتظرنا، لو يعلم المعرضون انتظاري لهم، وشوقي إلى ترك معاصيهم، لتقطعت أوصالهم من حبي، ولماتوا شوقاً إليّ، هذه إرادتي بالمعرضين فكيف بالمقبلين ؟ المؤمن حينما يصل إلى الله وصل إلى كل شيء، ابن آدم اطلبني تجدني، فإذا وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء.

((إني والإنس والجن في نبأ عظيم، أخلق ويعبد غيري، وأرزق ويشكر سواي، خيري إلى العباد نازل، وشرهم إليّ صاعد، أتحبب إليهم بنعمي وأنا الغني عنهم، ويتبغضون إليّ بالمعاصي وهم أفقر شيء إليّ، من أقبل عليّ منهم تلقيته من بعيد، ومن أعرض عني منهم ناديته من قريب، أهل ذكري، أهل مودتي، أهل شكري، أهل زيادتي، أهل معصيتي، لا أقنطهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم))

[رواه البيهقي والحاكم عن معاذ، والديلمي وابن عساكر عن أبي الدرداء]

خاتمة و توديع :

الشيخ نبيل :

دكتور دع بعض الكلام لغد، لأن الناس المستمعين غداً سيأتون، أنا أعدك وأنا أولهم، كلنا مقصرون، كلنا شوق لسماعك، نحتاج لبعض التشجيع من فضيلتكم، وأنا أعد المشاهدين الكرام أنا سمعت كثيراً من محاضرات الدكتور محمد راتب النابلسي، الكل سوف يستمتع بحديثه، وسوف يعطي علاجاً لضعف الإيمان بخطوات عملية، وليس كلاماً إنشائياً ولا نظرياً، الدكتور عنده شيء عملي، بإذن الله غداً مع الشيخ محمد حسين يعقوب والدكتور محمد راتب النابلسي أرح قلبك بطاعة ربك، غداً إن شاء الله موعدنا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والحمد لله رب العالمين

الدرس (8-8) : الشباب عماد الأمة و سر نهضتها

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

المذيع :

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

أيها الأخوة والأخوات؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلاً ومرحباً بكم معنا إلى هذا اللقاء الجديد. أيها الأحبة؛ إن فتوة الشباب الواعي الذي يجمع بين الحق والقوة ونضارة الحياة وسمو الروح خير حافز على النهوض بالأمة، وتحقيق أهدافها، وهل يريد الإسلام غير إشاعة روح الفتوة في شبابه ومقاومة الانحراف والتطرف والوهن والانغلاق؟ وإنشاء جيل فتي في كيانه وتفكيره، طاهر في خلقه وسلوكياته ومنهجه في الحياة. الشباب أيها الأحبة هم أمل المستقبل، وعماد الأمة، وأسباب نهضتها وتقدمها، في حلقة هذا اليوم سنتحدث عن أهمية الشباب، ودور الشباب في نهضة الأمة، وللحديث حول هذا الموضوع يسرنا أن نرحب بعالم جليل من علمائنا الأجلاء، وداعية إسلامي من الدعاة المعروفين فضيلة الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي، فأهلاً ومرحباً بكم سماحة الدكتور.

الدكتور راتب :

بارك الله بكم، ونفع بكم.

المذيع :

هذه فرصة طيبة تكن ضيفاً لنا في هذا البرنامج.

الدكتور راتب :

أشكر لكم هذه الدعوة.

المذيع :

دكتور نحن نعرف أن شباب الأمة الإسلامية وخاصة في بدايات الدعوة كانوا من الشباب، من دخلوا بالإسلام من الشباب؛ أمثال علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عبد الله بن أبي بكر، وأيضاً بلال، وكلهم شباب استطاعوا أن ينهضوا بالأمة، وأن يبنوا كيانها، وأن ينشروا هذا الدين إلى العالم، لكن التكنولوجيا الحديثة وعصر الاتصال وما جرى فيه أثّر على شبابنا، كيف يمكن إصلاح الشباب من خلال العقيدة؟ رغم أن هناك مؤسسات لها دور كمؤسسة الأسرة، ومؤسسة المدرسة، مؤسسة الجامعة، النوادي والأحزاب وما شابه ذلك أيضاً نتعرض لهم إن شاء الله، تفضل سماحتك.

العناية بالشباب لأنهم عماد الأمة و مستقبلها :

الدكتور راتب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، و ارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات. الحقيقة الدقيقة أن الإسلام توقيفي، لا يضاف عليه ولا يحذف منه، إن أضفنا عليه هذا اتهام ضمني بالنقص، وإن حذفنا منه هذا اتهام ضمني بالزيادة، فالإسلام توقيفي ولكن التجديد يأخذ منحيين؛ المنحى الأول أن تنزع عن الدين كل ما علق به مما ليس منه، والتجديد الآخر أن ينجح الخطاب الديني في تحفيز الشباب، الشاب إنسان، والإنسان له عقل يدرك، وقلب يحب، وجسم يتحرك، فإذا خاطبنا عقله وزودناه بالعلم، وخاطبنا قلبه وزودناه بالحب، الحب الذي يسمو به، ثم فكرنا في إنعاشه بحرفة يحترفها، أو مصدر رزق يعيش به، نكون قد حققنا أهدافه كلها، هؤلاء الشباب إذا توافرت لهم حرفة، أو فرصة عمل، وتوافر لهم مسكن متواضع، وزواج من فتاة على شاكلته، نأخذ بيدهم إلى الله، وإلى الجنة، فهم عماد الأمة عندئذ وسبب نهضتها، لكن هؤلاء الشباب – لا سمح الله ولا قدر– إذا وجدوا في مجتمع لم يوفر لهم لا حرفة، ولا مسكناً، ولا زواجاً، هؤلاء الشباب إحباطهم وخيبة أملهم تنقلهم إلى التطرف، وهناك تطرف تفلتي كالإباحية، وتطرف تشددي كالتكفير والتفجير، فنحن أمام خطرين لأن الشباب عماد الأمة، الشباب مستقبل الأمة.

دور الشباب في نهضة الأمة :

لكن هناك ملمحاً دقيقاً أن سيد الخلق وحبيب الحق يعين شاباً لا تزيد سنه عن سبعة عشر عاماً قائداً لجيش من جنوده أبو بكر وعمر، هذا ملمح للمستقبل، هذا الشاب القائد الذي سيدنا الصديق أحد جنوده، وسيدنا عمر أحد جنوده، وهو في سن أولادهما، هذا الشاب سيدنا أسامة، كان يركب الناقة وسيدنا الصديق يمشي، قال له: يا خليفة رسول الله لتركبن أو أنزلن، قال له : والله لا ركبت ولا نزلت، وما عليّ أن تغبر قدماي ساعة في سبيل الله.



ما هذا الملمح الخطير؟ شاب في السابعة عشرة من عمره يقود جيشاً من جنوده الصديق، وعمر الفاروق، هذا ملمح خطير ودقيق للشباب، الشاب له دور كبير في الأمة، دور كبير في النهضة، دور كبير في التقدم، دور كبير في انتصار الأمة، لكن حينما نرعى الشباب، نوفر لهم فرص عمل، نوفر لهم تعليماً راقياً، نوفر لهم مسكناً يأوون إليه، نكون قد ملكناهم، ومستقبلنا في شبابنا، لكن يقول النبي ﷺ:

((ما من شيء أحب إلى الله تعالى من شاب تائب))

[أخرجه أبو المظفر السمعاني عن سلمان]

إن الله عز وجل ليباهي الملائكة بالشاب التائب، يقول :

((انظروا إلى عبدي ترك شهوته من أجلي))

[ابن السني الديلمي في مسند الفردوس عن طلحة]

فأنا أرى أن هذه الأمة نهضتها منوطة بشبابها، وهذا النهوض يحتاج إلى تعاون كبير، كأن الشيخ يحمل الحكمة، والشاب يحمل القوة، هذه السيارة لها محرك، الحقيقة الشاب هو المحرك، والمنهج هو الطريق، والذي يقود السيارة هي الأمة، هذا الشاب يأخذ بيد الأمة إلى التقدم على منهج الله ورسوله.

المذيع :

لابد من إعداد هذا الشاب إيمانياً، النبي ﷺ قال:

((سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ... شاب نشأ في طاعة الله...))

[البخاري عن أبي هريرة]

كيف يمكن إصلاح هؤلاء الشباب بالعقيدة؟ تجد الشاب المؤمن، الشاب الذي يلتزم بمنهج الله عز وجل وسنة النبي ﷺ يعلم علم اليقين أن الأنبياء عملوا في رعاية الغنم، والنجارة، والحدادة، هؤلاء الشباب يرفضون بعض المهن، وهو بالتالي يبقى عاطلاً عن العمل، ويبني مستقبله على آمال قد لا تتحقق، ويذهب إلى مجتمع الرفاق الذي قد يذهب به إلى جماعات التطرف، وإلى أخذ المال بسرعة، أي يريد أن يكون له مال كثير وبسرعة من خلال شراء هؤلاء الشباب أو توجيههم الوجهة غير الصحيحة، وينمي رغباته المادية والحياتية.

خطة الأقوياء السيئة في معاملة المسلمين :

الدكتور راتب :

والله أنا مضطر أن أقول كلاماً سلبياً كي ننتبه، هناك خطة لئيمة غادرة سيئة للأقوياء في معاملة المسلمين، أولاً: أكدوا على أن المرأة التي لا تعمل هذه ليست جيدة مع أن أعلى عمل ترقى إليه امرأة أن تكون سيدة بيتها وأولادها، فالمرأة حينما أقنعناها أن تخرج من البيت، وأن تدع أولادها للخدم، ثم انتبهنا إلى المدرسة فجعلنا دخل المعلم أقل دخل في المجتمع، من استقطبنا إذاً؟ الضعاف، الضعاف علمياً ومن شتى النواحي، ثم هاجمنا المراجع الدينية، ثلاث مؤسسات يعلق عليها الآمال الكبيرة في نهوض الأمة؛ الأسرة أولاً، والمدرسة ثانياً، والمرجعات الدينية ثالثاً، فإذا طعنا في المرجعيات الدينية ثم جعلنا المعلم في أدنى دخل، حتى لا نستطيع أن نستقطب الأذكياء والعباقرة، ثم هاجمنا المرأة التي تعيش لأولادها، نكون قد حققنا خطة من أعداء الأمة .



لأن الحقيقة أحد علماء النفس كورس رسم خطاً بيانياً فيه تقريباً خمسة بالمئة وتسعون بالمئة وخمسة بالمئة، بالذكاء يوجد خمسة بالمئة تفوق، وخمسة بالمئة تخلف، وتسعون بالمئة وسط، دائماً هؤلاء الخمسة العباقرة فلتات الزمان يعول عليهم في بناء الأمة، في توجيه الأمة، في الكشوفات العلمية، في قيادة الأمة، هؤلاء لأننا نحن ما عرفنا قيمتهم في الدول النامية غادروا إلى الغرب، فبقيت الأمة لا بأدمغتها، بل بعامتها وهؤلاء لا يستطيعون أن يحققوا شيئاً، هذه مشكلة اسمها سرقة الأدمغة، الإنسان إذا تفوق في أول سنة بالجامعة يعطونه أملاً أن يعطى جنسية، وبيت فخم، ودخل كبير، فنحن إذا سحبنا هؤلاء الأذكياء والمتفوقين من مجتمعاتهم بقي المجتمع بلا قادة.

وقد لا أبالغ إذا قلت: في في ديترويت وحدها خمسة آلاف طبيب من بلد عربي يحملون البورد، خمسة آلاف طبيب يحمل البورد في ولاية بأمريكا – ديترويت صغيرة– نحن هذا الذي علمناه الابتدائي والإعدادي والتوجيهي والجامعي حتى أخذ الدكتوراه في بلده، وانتقل إلى بلد غربي لينال الاختصاص هذا سرق منا.

أقول لك: هناك مشكلات نعاني منها، فحينما لا نعطي المتفوقين حقوقهم قد ينصرفون إلى بلاد أخرى، فأنا أقول: الشاب هو المعول عليه في تقدم الأمة، لكن يحتاج إلى حدّ أدنى، يحتاج إلى فرصة عمل، يحتاج إلى مسكن، إلى زوجة، أعطه حاجته، أعط الإنسان كرامته بالدخل وحريته وخذ منه كل شيء.

المذيع :

لكن سماحتك مرات الإمكانيات قد لا تخدم، قد لا تساعد أن يكون راتبه في بلده كراتبه في دولة أجنبية، تقوم بإغرائه، أليس من حق هذا البلد الذي عاش فيه وترعرع أن يضحي ويقبل بالمستوى المقبول لدى الجميع؟ خاصة أن النبي ﷺ أصحابه تركوا أموالهم وهاجروا بالدعوة، صهيب الرومي، لما سألوه قال: خلوا بيني وبين رسول الله ﷺ وخذوا مالي. قالوا له: هو موجود في المكان كذا وكذا، وبالتالي تنازل عن كل المال في سبيل بناء الدولة، وفي سبيل نهضتها، وفي سبيل نشرها للعالمين، نحن نحمل رسالة قبل أن نكون هدفاً مادياً بحتاً.

تكريم المعلم يدفعه إلى البذل و التضحية :

الدكتور راتب :

عندنا كان وزير تربية قال كلمة: إذا أردت أن أدعو على إنسان أن يكون أشقى الناس أدعو عليه أن يكون معلماً، و إذا أردت أن أدعو لإنسان أن يكون أسعد الناس أدعو له أن يكون معلماً.

المعلم حينما يحمل رسالة صار موجهاً، صار قطباً، صار منقذاً صار أحد أركان الأمة، فنحن نريد أن نقنع المعلمين الذين يتولون تربية هذا الجيل أن يتحرك بقيم بمبادئ، فهذه الحقيقة شيء خطير جداً أن أقلل من شأن المعلم، وقد بلغني أن المعلم في ألمانيا حينما يعين في قرية البيت الأول هو له، فكلما اعتنينا بالمعلم كان هو السبب الأول في بناء الأمة، من هنا كانت الأنظمة الحديثة تقتضي أن يكرم المعلم تكريماً يدفعه إلى البذل والتضحية، هذا لا يعني أن هناك إنساناً دخله قليل لكنه صاحب مبدأ، لكن بلغ حداً من الإيمان ركل بقدمه كل المغريات في أن يسافر إلى بلد آخر، وأنا أقول دائماً: الذي يحمل رسالة إنسان آخر، أنا أريد أن نكثر في التعليم من أصحاب الرسالات، إنسان معه رسالة إنسان آخر، والثاني مرتزق، هناك مرتزق وهناك صاحب رسالة، أنا أعرف أناساً عملوا في التعليم ثلاثين عاماً، جاءتهم فرص ليجمعوا الملايين فرفضوا، قال: أنا متاح لي أن أوجه خمسين طالباً بالقيم الإسلامية، بالمبادئ، أن أوجه هؤلاء لعلهم يكونون قادة الأمة، فلذلك التعليم كلما التقيت بأخ معلم أقول له: كرمك الله بهذه الحرفة لأن النبي ﷺ قال:

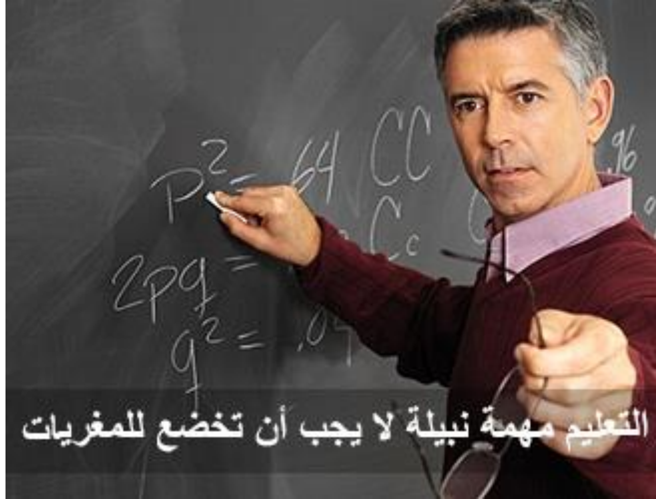
((وإنما بعثت معلماً))

[الحارث عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

((فَوَ اللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى الله بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ))

[متفق عليه عن سهل بن سعد الساعدي]

فلذلك قضية قيم، فنحن بالمناهج حينما نعتني بالمبادئ والقيم ونؤكد عليها غير لو أننا أهملنا المبادئ والقيم، صار المقياس مادياً، فالحرفة التي تدر عليه دخلاً أكبر يتجه الشاب إليها، نحن نريد شباباً يؤمنون بأمتهم وبدينهم وبقيمهم، وأصحاب رسالة، هذا يحتاج إلى مناهج، إلى معلم قدوة لطلابه.



المذيع :

سماحتك هناك هجمة شرسة على الإسلام والمسلمين، هناك اتهامات كثيرة نتيجة ممارسات لبعض من يسمون بمسلمين أعطوا صورة مشوهة عن الإسلام، كيف لنا أن نغير هذه الصورة في أبنائنا حتى يعطوا الصورة الحقيقية للإسلام؟ ذهبنا إلى الغرب إلى بعض الدول قيل لنا إننا كنا نتصور أن العرب والمسلمين عبارة عن وحوش يعيشون في الصحراء، إذاً هناك صورة غير حقيقية تنقل إلى الغرب، وعندما يرون معاملات المسلمين و خاصة المسلم الذي يفهم الدين الحقيقي ويعطي صورة صحيحة عنه تنقلب هذه الصورة وبالتالي يراجع الغرب نفسه، كيف لنا أن نربي أولادنا أن يحملوا كما حمل المسلمون الأوائل الدين إلى بقاع العالم وانتشر الإسلام إلى الصين بأخلاق المسلمين وبمعاملاتهم وسلوكاتهم؟

القدوة أشدّ الأساليب فعالية في بناء شخصية الإنسان :

الدكتور راتب :

و الله أنا أعتقد أن أشدّ الأساليب فعالية في بناء شخصية الإنسان هي القدوة، فأنا أقول: القدوة قبل الدعوة، أنت بالقدوة تعلمه بعينه لا بأذنه، وفرق كبير بين من يتعلم بأذنه أو بعينه، وقيل: الناس يتعلمون بعيونهم لا بآذانهم، فالقدوة قبل الدعوة، أب محترم لم يتكلم كلمة لا تليق في البيت لسنوات عديدة، هذا البيت منضبط، هذا البيت يخرج الأولاد متفوقين تفوقاً رائعاً جداً، القدوة قبل الدعوة، أنا ماذا أقول؟ ثم الإحسان قبل البيان، افتح قلب ابنك بالإحسان ليفتح لك عقله للبيان، العملية التعليمية معقدة تحتاج إلى قدوة، تحتاج إلى علم متين، تحتاج إلى شمول، له حياته الخاصة، له حياته مع أصدقائه.

العناية بدين الابن و إيمانه :

أنا أقول لك كلمة علمية: ثبت أن الأب والأم والعم والخال والأخ الأكبر وكل الأشخاص الكبار في البيت مع معلم المدرسة ومع شيخ المسجد ومع الداعية على الشاشة هؤلاء جميعاً تأثيرهم يقدر بأربعين بالمئة، ويأتي التأثير من أصدقائه ستين بالمئة، فأنا أناشد أي أب وأي أم أن يعلم الأب بالضبط من هو صديق ابنه، وأن تعلم الأم بالضبط من هي صديقة ابنتها، والتأثير ستون بالمئة، فنحن حينما نهتم بأولادنا، حينما نربيهم، مثلاً يدخل الأب يقول لزوجته أكلوا؟ كتبوا الوظائف؟ لكن لا يسألها صلوا العشاء؟ فحينما يكون البيت منضبطاً، الأب حريص على دين أولاده، الحقيقة هناك ملمح بالحديث دقيق جداً:

((كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ))

[أبو داود عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو]

هو يطعمه ويكسوه لكن ما اهتم بدينه، ما اهتم بإيمانه، فأنا أقول دائماً: عندنا عاطفة أبوية وعاطفة أم، أنت تتصور أن يصدر قانون بأي بلد بإلزام المواطنين بتناول طعام الإفطار؟ مستحيل، ليس له معنى، الله أودع محبة الأبناء في قلوب الآباء لكن هذه المحبة تترجم إلى حرص على الصحة فقط والدراسة، لكن نحن نهملهم دينياً، هذا الابن يصاحب رفقاء السوء، يطلع على مقالات غير ملتزمة ينحرف، فالأب يكتشف فجأة أن ابنه لا ينتمي إليه، فقلت في أمريكا كثيراً منذ عشرين سنة تقريباً أو خمسة عشر، قلت لهم : لو بلغت منصباً ككلينتون، وثروة كأوناسيس، وعلماً كأنشتاين، ولم يكن ابنك كما تتمنى فأنت أشقى الناس.

أيها الأخوة الكرام أتوجه للأخوة المشاهدين؛ الذي يعتني بأولاده يعتني بنفسه، لأن حالة قرة العين التي جاءت في القرآن الكريم لا يعرفها إلا من ذاقها، يكون عندك ابن صالح، محترم، صادق، أمين، عندك بنت صالحة، مهذبة، محتشمة، هذا الشيء لا يعرفه إلا من فقده، والآية تقول:

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً ﴾

[سورة الفرقان : 74]

أنا أقول كلمة لعلي أقنع الناس بها: بطولة الأب أنه إذا دخل البيت كان دخوله عيداً لأولاده، وهناك أب آخر إذا خرج يكون العيد، تحتاج إلى مودة، محبة، تأكل مع ابنك، تسأله عن دروسه، عن وظائفه، تجري حواراً معه، حدثني أخ أن البطولة أن يكون هناك وجبة طعام ثابتة في الأسرة يجتمع الجميع حولها، ولتكن طعام العشاء، طعام الصباح، لا بد من حوار، لا بد من سؤال وجواب، تربية الأولاد عملية معقدة جداً تحتاج إلى احتياطات كبيرة جداً، لكن أقسم لك بالله شعور الأب الذي نجح بتربية أولاده لا يوصف، تجد الناس تقول له: ابنك، يغمى عليه، أما حينما يعتني بابنه فسيقطف ثمار هذه العناية.



المذيع :

لا يمكن أن يكون هناك بر بالآباء- الأب والأم- إلا إذا كان هناك رعاية ومعاملة حسنة، معاملة طيبة مع هؤلاء الأولاد، وبالتالي هؤلاء الأولاد يريدون أن يكافئوا، وبالتالي لو تركنا الأولاد في مجتمع الرفاق أو الشلة يكون تأثيرهم ستين بالمئة على هؤلاء الأولاد أكثر من الأب والأم، خاصة إذا كان الأب والأم يعملان، وبالتالي هو لا يسأل عن هذا الولد، وبالتالي هذا الولد قد يزين له الشيطان كثيراً من المغريات، ونجد أن الولد إما أن يكون قد أدمن على المخدرات أو التحق بجماعات إرهابية وما شابه ذلك.

على كلّ إنسان أن يقيم أمر الله فيما كلف به :

الدكتور راتب :

والله يا سيدي الأم التي تعبد الله فيما أقامها - هناك ملمح لطيف- امرأة قامت قيام الليل، وصلت وبكت في الصلاة، وخشع قلبها، وسالت دموعها على الأرض، لكنها في الساعة السادسة تعبت فآوت إلى فراشها وعندها خمسة أولاد، فطلبت من أولادها أن يتدبروا شأنهم، أحد أولادها ثيابه غير نظيفة فتلقى عقوبة في المدرسة، والثاني لم يكتب وظيفته، أنا أقول: هذه المرأة لو استيقظت قبل طلوع الشمس بنصف ساعة، واهتمت بأولادها، بثيابهم، بهندامهم، بترجيل شعرهم، بوظائفهم، بكتبهم، هذه المرأة الثانية أقرب إلى الله ألف مرة من التي قامت

الليل كله، وأهملت أولادها، الثانية عابدة لله فيما أقامها، فلذلك أنا أقول دائماً: ما جعل الله الغني غنياً إلا ليصل بماله إلى أعلى درجات الجنة، وما جعل الله القوي قوياً إلا ليصل بقوته إلى أعلى درجات الجنة، وما جعل العالم عالماً إلا ليصل بعلمه إلى أعلى درجات الجنة، وما جعل الله المرأة امرأة إلا لتصل بأنوثتها وأمومتها إلى أعلى درجات الجنة، لذلك:

((أول من يمسك بحلق الجنة أنا، فإذا بامرأة تنازعني تريد أن تدخل الجنة قبلي، قلت: من هذه يا جبريل؟ قال: هي امرأة مات زوجها، وترك لها أولاداً فأبت الزواج من أجلهم))

[الأدب المفرد للبخاري]

لذلك حينما ذكر الله امرأة تشتكي إلى رسول الله زوجها، سمع الله شكواها من فوق سبع سموات، قالت للنبي؟ زوجي تزوجني وأنا شابة ذات أهل ومال، فلما كبرت سني، ونثر بطني، وتفرق أهلي، وتبدد مالي، قال: أنت عليّ كظهر أمي، ولي منه أولاد، إن تركتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إليّ جاعوا، أنا أربيهم وهو ينفق عليهم. أنا أقول: هذا البيت يجب أن يكون جنة، أنا أتمنى وأنا أعني ما أقول: لا علاقة للدخل ولا للرفاه ولا لنوع الطعام ولا لاتساع البيت في هذا، هذه كلها أشياء لا تقدم و لا تؤخر، هناك بيت فيه حب، بيت فيه ود، هذا البيت الذي فيه حب يجلب الأولاد إليه، يأتي إلى البيت وعنده عيد، وهناك بيت فيه شقاق، فيه صراخ، فيه كلام قاس، هذا البيت أول ظاهرة فيه يهرب الأولاد منه إلى أصدقائهم، إلى الطريق، فأنا أتمنى على الأخوة المشاهدين بجهد لا بأس به أن يجعلوا بيوتهم جنة، ومرة ثانية هذا الشيء لا علاقة له بالدخل، قد يكون الطعام خشناً، قد يكون البيت صغيراً، لكن فيه حباً، أنت تنجذب إلى الحب، فالبيت جنة، والبطولة الأكبر أن يكون دخول الأب إلى البيت عيداً.

المذيع :

السعادة ليست بالمال، بارك الله فيك لحظات ونعود إليكم .

أيها الأخوة والأخوات؛ أيها المشاهدون الأحبة؛ أهلاً ومرحباً بكم معنا من جديد، وأرحب بضيفنا الكريم فضيلة الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي، أهلاً ومرحباً بكم.

الدكتور راتب :

بارك الله بكم، ونفع بكم.

المذيع :

دكتور دور علماء الدين في تربية هؤلاء الأبناء، وتوجيههم التوجيه الصحيح خاصة وأن هناك قد يجدون ازدواجية، هناك من يفتي بفتوى الجهاد وقتل غير المسلم، وهناك من يفتي بحرمة ذلك، أي كيف يكون للعلماء دور في توجيه هؤلاء الشباب حتى يظهروا الصورة الحقيقية والمشرقة عن الإسلام؟

تربية الطفل على قوة الشخصية والجرأة والصراحة والاستقامة :

الدكتور راتب :

أولاً: كما أن الأمة بحاجة إلى من يموت في سبيلها، هي في أمس الحاجة إلى من يعيش في سبيلها، أنت حينما تتفوق في العلم، وتبني حياة تسهم في نهوض الأمة أنت بطل، الأمة بحاجة إلى أمثال هذا الإنسان، أنا حينما أوجه ابني إلى عمل يعود على الأمة بالخير، حينما أشعر ابني أن الحياة قيم، الحياة مبادئ، أذكر مرة أن سيدنا عمراً جاءه ملك الغساسنة مسلماً، يبدو أثناء طوافه حول الكعبة داس بدويٌّ من عامة الناس دون قصد طرف ردائه، فانخلع رداؤه عن كتفه، فالتفت إلى هذا الأعرابي ضربه ضربة هشمت أنفه، هذا الأعرابي ليس له إلا سيدنا عمر يشتكي إليه، ذهب إليه، واشتكاه، سيدنا عمر جاء بهذا الملك جبلة بن الأيهم، وهناك أعرابي من عامة الناس، من دهمائهم، من سوقتهم، وقف أمامه نداً لند، شاعر في سوريا صاغ الحوار شعراً فسأل سيدنا عمر جبلة: أصحيح ما ادعى هذا الفزاري الجريح؟ قال جبلة: لست ممن ينكر شيأً، أنا أدبت الفتى، أدركت حقي بيدي. فقال عمر: أرضِ الفتى، لابد من إرضائه، مازال ظفرك عالقاً بدمائه، أو يهشمن الآن أنفك و تنال ما فعلته كفك، صعق جبلة. قال: كيف ذلك يا أمير؟ هو سوقة، وأنا عرش وتاج؟ كيف ترضى أن يخر النجم أرضا؟ قال عمر: نزوات الجاهلية، ورياح العنجهية قد دفناها، أقمنا فوقها صرحاً جديداً، وتساوى الناس أحراراً لدينا وعبيداً. فقال جبلة: كان وهماً ما جرى خلدي أنني عندك أقوى و أعز، أنا مرتد إذا أكرهتني. فقال عمر:

عنق المرتد بالسيف تحز، عالم نبنيه، كل صدع فيه يداوى، وأعز الناس بالعبد بالصعلوك تساوى.



سيدي عندما تربي أمة على المبادئ ما قولك أن سيدنا عمر عملاق الإسلام القائد الكبير يمشي في أسواق المدينة، مجموعة أولاد لما رأوه هابوه فتفرقوا إلا واحداً بقي واقفاً، قال له عمر: أيها الغلام لمَ لم تهرب مع من هرب؟ قال له: أيها الأمير لست ظالماً فأخشى ظلمك، ولست مذنباً فأخشى عقابك، والطريق يسعني ويسعك.

هذا موقف حينما تنمي شخصية الطفل، مرة دخل وفد من الحجازيين على عبد الملك بن مروان خليفة الأمويين، فيبدو أنه قد تقدم هذا الوفد طفل صغير في العاشرة من عمره، الخليفة انزعج، قال له: أيها الغلام اجلس وليقم آخر مكانك، فهذا الطفل الصغير تبسم و قال: أصلح الله الأمير، المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإذا وهب الله العبد لساناً لافظاً، وقلباً حافظاً، فقد استحق الكلام، ولو أن الأمر كما تقول لكان في الأمة من هو أحق منك بهذا المجلس، صعق الخليفة، حينما نربي أولادنا على قوة الشخصية والبطولة والجرأة والصراحة والاستقامة، هذا الابن يسعد أمه، هناك ملمح في الآية:

﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾

[سورة آل عمران: 36]

الله يعلم أن هذه الأنثى سوف تنجب سيدنا عيسى، أنا أخاطب الأمهات جميعاً بهذا اللقاء الطيب، أنت حينما تنجبين طفلاً، وتعتنين بتربيته، حتى يكون علماً في أمتنا، كل أعماله في صحيفتك، والدليل قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾

[سورة الطور: 21]

المذيع :

دكتور نتحدث عن الدعوة والدعاة وإصدار أحكام دون الرجوع إلى المفتين أو أهل العلم، وبالتالي الله عز وجل يقول:

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

[سورة النحل: 125]

كثير من الآيات التي تبين طريقة الدعوة وأسلوب الدعوة، لكن نجد بعض الدعاة لا يلتزمون بقول الله عز وجل، ويصدرون بعض الأحكام التكفيرية التي تجر الشباب إلى الانحراف وإلى التطرف، هؤلاء كيف نستطيع أن نميزهم ونعرفهم؟ شبابنا خاصة الشباب المتحمس الذي يكون حريصاً على الإسلام ويسمع فتوى ثم ينخرط ويقتل وحكم القتل سواء كان مسلماً أو غير مسلم ما نشاهده في العالم العربي والإسلامي من قتل، ماذا نقول للناس حتى نكون التزمنا منهج الله وسنة النبي ﷺ؟

رعاية الأولاد رعاية تامة و تأمين حاجاتهم الأساسية :

الدكتور راتب :

سيدي الحقيقة أن الأمر منوط بالدعاة، كلام قطعي، لأنهم يملكون الخطاب الديني، والخطاب الديني إذا نجح أقنع غير المسلم، وإن لم ينجح رفضه المسلم، لذلك أخي الكريم بارك الله بكم، هذا الشاب حينما ينشأ في مجتمع يؤكد على قيمة الإنسان، الإنسان هو المخلوق الأول عند الله، كلام دقيق ومعه أدلة، قال تعالى:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ﴾

[سورة الأحزاب : 72]

حينما يقنعه أنه المخلوق الأول والمخلوق المكرم، قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾

[سورة الإسراء : 70]



والإنسان هو المخلوق المكلف، كلفه الله بعبادته، والعبادة هي طاعة طوعية، ممزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية. هؤلاء الشباب طاقة كبيرة، هؤلاء الشباب أمل الأمة، هؤلاء الشباب يقودون الأمة، لكن يحتاج الشاب إلى حاجات شبابية يجب أن نرعاها، وما لم نعتن بشبابنا المستقبل مخيف، لأن هناك صوارف وعقبات الآن الصوارف أمام أهل الحق كبيرة جداً، أحياناً مشهد من فيلم يغير طبيعة هذا الشاب، فهناك صوارف وعقبات، فإذا صببنا اهتمامنا على هذه الصوارف وتلك العقبات الصوارف منعناها والعقبات ذللناها كسبنا شبابنا، وصدق ولا أبالغ حينما يصلح الشباب تصلح الأمة، وما في أب أهمل أولاده في بداية زواجه ثم اكتشف أن هذا الابن لا ينتمي إليه عاش حياة لا يمكن أن توصف من الشقاء، لذلك قال تعالى:

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً ﴾

[سورة الفرقان : 74]

والله أنا أتمنى أن يرعى المسلمون أولادهم رعاية تامة.

المذيع :

لكن سماحتك تتصدى للجهلة من المفتين أو لمن يسمون بالمفتين، أو قد يكون مفتياً للجماعة، تصدر الجهلة لهذه الفتوى ألا يؤثر على رسالة الإسلام؟ وألا يؤثر على صورة الإسلام وشباب الإسلام؟ بحيث أنهم يظهرون العنف والتطرف والانغلاق والقتل، مع أن الله عز وجل يقول:

﴿ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾

[سورة المائدة: 32]

ما قال: من قتل مسلماً، قال: من قتل نفساً، والنفس لفظ عام.

ضرورة تعاون علمائنا و تناصرهم للنهوض بشباب الأمة :

الدكتور راتب :

والله هذا اجتهادي أنني ساهمت بفضل الله بتأسيس رابطة لعلماء الشام، أردت أن تكون الفتوى موحدة حينما نجتمع نقوى جميعاً في موقف واحد مما يجري في العصر، فتاوى موحدة، توجه واحد، فنحن إذا تمنينا على علمائنا أن يتعاونوا لا أن يتنافسوا، أن يتناصروا لا أن يتراشقوا التهم، أنا أقول لك كلمة: هؤلاء العلماء إذا تعاونوا وتناصحوا وتبادلوا الخبرات يرتفعون جميعاً عند الله وعند الناس، فإذا تنافسوا و تراشقوا التهم فيما بينهم حفاظاً على مصالحهم صدق ولا أبالغ سقطوا جميعاً من عين الله، ومن عين الناس، لذلك العالم الآن هو المعول عليه، الحضارة بالخمسينات متألقة ثم اكتشفنا أن الغرب متوحش هو يحقق مصالحه بأي أسلوب، أي إذا أتيح له أن يحققها بأسلوب ناعم ممكن، أما حينما تصطدم مصالحه مع أسلوبه فيختار الأسلوب المتوحش، نحن حينما سقط الغرب هذه نعمة كبيرة، الغرب لفت نظر الأمة، لفت نظر الشباب، حينما ترى الغرب قوة كبيرة لكن ليست ملتزمة، ليست هادفة، ليست إنسانية، نحن حينما سئل توفيق الحكيم ماذا نأخذ وماذا ندع من حضارة الغربيين؟ فقال: نأخذ ما في رؤوسهم، وندع ما في نفوسهم. فما قولك لو أخذنا ما في نفوسهم من تفلت ونسينا ما في رؤسهم من علم؟ وقعنا في شرّ اعمالنا، فنحن ينبغي أن نتخير من الغرب علمه، وأن نعتز بثقافتنا، كنت في أستراليا وحينما غادرتها ودعني رئيس الجالية هناك، وقال لي كلمة كأني صعقت قال لي: بلغ أخواننا في الشام أن مزابل الشام خير من جنات أستراليا، لما سألته لماذا؟ قال: صدق ولا أبالغ وإن شئت فاسأل معظم الشباب إما شواذ أو ملحدون، تصورت أسرة في عمان ترى الشاب مؤمناً، يبر والديه، الفتاة محجبة، نحن عندنا إيجابيات كبيرة جداً، لكن نحن نجلد ذواتنا كل يوم، تعودنا على جلد الذات، لكن والله عندنا إيجابيات لا يعلمها إلا الله. شاب أحب فتاة في أمريكا فاستأذن والده من الزواج منها، قال له: لا يا بني إنها أختك وأمك لا تدري، فلما أحبّ ثانية أختك وأمك لا تدري، و الثالثة كذلك، ضجر من أبيه، وشكا إلى أمه، قالت له: خذ أياً شئت أنت لست ابنه وهو لا يدري.

هناك تفلت كبير، وإباحية، وتطاول، أتقنوا الدنيا، الله أثبت لهم إتقان الدنيا قال تعالى:

﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

[سورة الروم : 7]

لكن أمور القيم والمبادئ ابتعدوا عنها، أو اخترعوا مبادئ جديدة متعلقة بالعمل فقط.

المذيع :

سماحتك إلى أي درجة الآن من الاستقرار والطمأنينة والتعاون والتكافل بين أفراد المجتمع الواحد هذا يحقق للإنسان أن يؤدي عبادته وأن يؤدي حياته بالصورة التي يريدها الله عز وجل؟

التعاون بين أبناء الأمة واجب عليهم :

الدكتور راتب :

سيدي التعاون فرض لأن العلماء يقولون: كل أمرٍ في القرآن الكريم يقتضي الوجوب. الله عز وجل قال:

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾

[سورة المائدة :2]



نحن حينما نأمر بالتعاون ينبغي أن نتعاون، لأن الحقيقة الدقيقة – سامحني –المسلمون يملكون نصف ثروات الأرض، والمسلمون معهم خطاب ديني واحد، يملكون مقومات الوحدة بما لا تملكها أمة أخرى، ومع ذلك بأسهم بينهم، الغربيون بينهم خمسة بالمئة قواسم مشتركة، والمسلمون يتقاتلون وبينهم خمسة وتسعون بالمئة قواسم مشتركة، وهذه وصمة عار في حقنا، المسلمون كما قلت قبل قليل نائمون في ضوء الشمس وأعداؤهم يعملون في الظلام الدامس، و الذي يعمل في الظلام ينتصر على النائم في ضوء الشمس.

أنا أقول: الحقيقة المرة أفضل ألف مرة من الوهم المريح، إذا إنسان معه شيك مزور الأفضل أن يعرف أنه مزور أو يقدمه إلى مصرف فيقاد إلى السجن، فأنا أقول: الحقيقة المرة أفضل ألف مرة من الوهم المريح.

المذيع :

سماحتك أنت عالم من علمائنا.

الدكتور راتب :

طالب علم.

المذيع :

الحقيقة تقال ولك جمهورك، احترامك ومحبينك كثر في هذا العالم.

الدكتور راتب :

جعلني الله أهلاً.

المذيع :

لكن نريد من سماحتك كلمة كيف يجب أن يكون المسلمون في علاقاتهم؟ هل يجوز قتل المسلم للمسلم؟ هل يجوز تدمير بيته؟ كيف نعيد حساباتنا ونراجع أنفسنا؟ لعل الله عز وجل يحقن دماءنا ويحفظ أمننا واستقرارنا في بلادنا.

تحقيق استقرار البلاد و أمنها بالتعاون و التناصر :

الدكتور راتب :

أعوذ بالله، والله شيء مؤلم جداً، والله شيء يتفطر القلب له، أنا الذي أشاهده في بعض البلاد، بلاد عديدة سيدي في اليمن في ليبيا شيء مخيف، شيء العقل لا يصدقه، أرجو الله عز وجل أن تكون هذه التجارب التي تعيشها منطلقاً لنا لحياة أخرى، وكنت أقول من باب التفاؤل: إن شاء الله نرى بلادنا في وقت لاحق بلاد أخرى، فيها تعاون، فيها تناصر، فيها تسامح، فيها فرص عمل، فيها نظام ديمقراطي يحقق حرية الإنسان وكرامته، هذا من باب الأمل.

المذيع :

كلمة في نصف دقيقة تقدمها لشباب الأردن في هذا البلد الآمن المستقر المطمئن.

استقرار البلاد يكون بالمحافظة على الأبناء و العناية بهم :

الدكتور راتب :

سيدي عقب عيد من الأعياد الإسلامية لو إنسان زار صديقه، ابنه الصغير عمره عشر سنوات قال له: يا عم أنا معي مبلغ عظيم، كم تقدره؟ أنا أقول: مئة دينار ، صح؟ فإذا قال مسؤول كبير بالبنتاغون: أعددنا لحرب العراق مبلغاً عظيماً، أنا قدرته بثلاثمئة مليار دولار ، فإذا قال الله عز وجل:

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾

[سورة النساء : 113]

أي أعظم شيء على الإطلاق أن تعرف الله:

((ابن آدم اطلبني تجدني، فإذا وجدتني وجدت كل شيء ، وإن فتك فاتك كل شيء ، وأنا أحب إليك من كل شيء))

[تفسير ابن كثير]

فإذا عرفنا الله، وعرفنا أمره ونهيه تفانينا في طاعته، أما إذا عرفنا الأمر ولم نعرف الآمر تفننا في معصيته، والقضية مصيرية، سيدي الإنسان ينجح من السابع إلى الثامن إلى التاسع إلى العاشر ، لكن التوجيهي علامته تحدد مصيره، طب أو طب أسنان أو هندسة أو أي اختصاص ليس له عمل إطلاقاً، أنا أقول: عندنا مراحل مصيرية، نحن حينما نربي أولادنا والأب والأم أقول لك كلمة لا يمكن أن يعفى الأب والأم من المسؤولية، تقول: هناك فساد، أنت أب وأنت تستطيع أن تعمل بيتك إسلامياً، أنت تستطيع أن تقيم الإسلام في بيتك، وفي عملك، والإنسان حينما يقيم الإسلام في نفسه أولاً، وفي بيته ثانياً، وفي عمله ثالثاً أدى الذي عليه بقي من الله الذي له.

المذيع :

إذاً هذه وصية للآباء والأمهات أن يحافظوا على أبنائهم كي نحافظ على بلدنا آمناً مستقراً مطمئناً.

الدكتور راتب :

وأنا أدعو أن يجعل هذا البلد أمناً سخياً رخياً وسائر بلاد المسلمين، وهناك شكر عام من الأخوة الذين قدموا لهذا البلد، وجلسوا فيها، حيث رأوا معاملة طيبة جداً، فأنا أدعو لهذا البلد من أعماق أعماقي أن يحفظه من كل شر.

خاتمة و توديع :

المذيع :

بارك الله فيك، أيها الأخوة والأخوات؛ أيها المشاهدون الأحبة؛ في نهاية هذا اللقاء أتقدم بجزيل الشكر وخالص الامتنان والتقدير لفضيلة الداعية المعروف سماحة الشيخ الدكتور العلامة الشيخ محمد راتب النابلسي، شكراً لكم، بارك الله فيكم، أنتم أيها الأخوة والأخوات؛ أيها المشاهدون الأحبة؛ لكم منا أجمل تحية، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثالث : الشباب و الشهوات

الدرس (1–4) : العفة و ضبط الشهوات

الدرس (2–4) : مواجهة الشهوات

الدرس (3 – 4) : السيطرة على الشهوات

الدرس (4 – 4) : سبل تحصين الشباب

الفصل الثالث : الشباب و الشهوات

الدرس (1-4) : العفة و ضبط الشهوات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده، ونستعين به، ونسترشده، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً ﷺ رسول الله، سيد الخلق والبشر، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، ما اتصلت عين بنظر، أو سمعت أذن بخبر، وارضَ عنا وعنهم، يا رب العالمين.

اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمتنا، إنك أنت العليم الحكيم.

اللهم علِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الشباب والشهوات :

أيها الإخوة الكرام، هذه الخطبة موجّهة إلى كل شاب وشابة يعيشان سن المراهقة.

وموجهة إلى كل شاب صالح وشابة صالحة، يسعيان لإعفاف نفسيهما، ويدركان خطورة الشهوة عليهما.
وموجهة إلى كل شاب وشابة، أطلقا لشهواتهما العنان، ويبحثان الآن عن مخرج.

وموجهة إلى كل شاب وشابة غافليْن، لم يستفيقا بعد من وحل الشهوة.

وموجهة إلى كل أب وأم، يدركان مسؤولية تربية الأولاد.

وموجهة أيضاً إلى كل معلم ومعلمة، يعنيهما واقع هذا الجيل، بمناسبة سعار الشهوات المستعرة، والتفلت الأخلاقي، وأن المرأة تعرض كل مفاتنها في أي مكان، وفي أي مجال، في الصحيفة، وفي المجلة، وفي الإنترنت، وفي الفضائيات، وفي أي مكان، وأن سعار الجنس وصل إلى درجة لم يسبق لها مثيل.
إلى هؤلاء جميعاً، أيها الإخوة الكرام، أوجّه هذه الخطبة.

ثمرات العفة :

نبدأ بالإيجابيات، لأن الله سبحانه وتعالى يصف أنبياءه العظام أنهم يعبدون الله رهباً ورغباً، ولابد من التوازن بين الرجاء والخوف.

ثمار العفة، أيها الإخوة الكرام، لا تقدر بثمن:

1) الشعور بالفلاح :

من ثمراتها أن صاحب العفة يشعر بالفلاح، ويسمع ثناء الله عليه.

فالناس عادةً يفرحون بثناء البشر والمخلوقين، ويعتزون بهذا الثناء، فالطالب أحياناً يفرح بثناء معلمه عليه، والطالبة تفرح بثناء معلمتها.

وحينما يكون الثناء والتزكية ممن لهم شهرة بين الناس، تعلُ قيمةُ الثناء، فكيف إذا كان هذا الثناء من خالق البشر ربّ العالمين؟



وفي الحديث عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:

((إن الله عز وجل ليعجبُ من الشاب ليست له صبوة))

[حديث أخرجه أحمد بإسناد حسن]

شاب مستقيم، وما من شيء أكرم على الله من شاب تائب.

أيها الإخوة الكرام، يقول الله عز وجل:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (*)الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ (*)وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (*)وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (*)وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (*)إِلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (*)فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾

(سورة المؤمنون 1-7)

2) الفوز بالجنة :

أيها الإخوة الكرام، إن ثناء الله عز وجل لا يعدله ثناء، إنه شهادة من الله عز وجل، الله عز وجل في وعده لعبادة المؤمنين بالجنة قال:

﴿ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ ﴾

(سورة الأحزاب : 35)

ثم يقول:

﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (*)الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

(سورة المؤمنون 10-11)

والنبي عليه الصلاة والسلام، وهو الذي لا ينطق عن الهوى يقول:

((مَنْ يَضْمَنْ لِي ما بين رجليه، وما بين لِحْيَيه أَضْمَنْ له الجنة))

[حديث صحيح، أخرجه البخاري والترمذي]



مَنْ ضبط لسانه، وضبط طعامه، فأكل من الحلال، وضبط فرجه، فله الجنة.

أيها الإخوة الكرام، حينما يعفّ الشاب عن محارم الله، وحينما يحفظ جوارحه، ينطبق عليه وعد الله بالجنة.

أيها الإخوة الكرام، اِسألْ عالماً أمضى وقته وحياته في طلب العلم، وتعليم العلم، اِسألْ عابداً تحمَّل متاعب العبادة ومشاقَّها، اِسألْ مجاهداً في سبيل

الله، اِسألْ داعيةً واصلَ سهر الليل بكد النهار، وهو يحمل هم الدعوة، اِسألْ هؤلاء جميعاً: لمَ يصنعون ذلك؟ إنهم سيجيبونك إجابةً واحدة: نريد الجنة، ووجهَ الله عز وجل.

والشاب الذي يعفّ عن محارم الله، والشاب الذي يغضّ بصره عن محارم الله، والشابة التي تتحجّب فلا تؤذي عباد الله، هؤلاء جميعاً في نصّ القرآن الكريم، ونصّ السنة النبوية الصحيحة لهم الجنة.

إذاً: هم استحقوا ثناءَ الله عز وجل، ولا ثناء يعدل ثناء الله عز وجل، واستحقوا وعد الله عز وجل بالجنة، والنعيم المقيم، ولا وعد يعدل هذا الوعد العظيم.

3) الشعور بالطمأنينة :

أيها الإخوة الكرام، ثمرة ثالثة للعفة: إنها الطمأنينة، وراحة البال.

راحة البال لا يعرفها إلا من فقدها، فالذي يسير وراء شهوته المحرمة يعاني عذاباً وجحيماً لا يطاق:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (*)قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً (*)قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾

(سورة طه 124-126)

أيها الإخوة الكرام، إن الهمَّ الذي يشغل سائر الناس لا يشغل المؤمن، وإن القلق الذي يعتري سائر الناس لا يعتري المؤمن، وإن الخوف من المجهول الذي هو ديدن الناس لا يصيب المؤمن:

﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى ﴾

(سورة طه : 123)

﴿ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

(سورة البقرة : 38)

4) الانتصار على النفس :

أيها الإخوة الكرام، من ثمار العفة والاستقامة وغض البصر وضبط الجوارح: لذة الانتصار على النفس. ولئن كان اللاهون العابثون يجدون لذة في ممارسة الحرام، فالشاب العفيف والشابة العفيفة يجدان من لذة الانتصار على النفس أعظمَ مما يجده أصحابُ الشهوات.

أصحاب الشهوات في الوحول، وأصحاب الطاعات في جنات القربات، وفرق كبير بين أن تكون في جنة القرب، وأن تكون في وحل الشهوة.

مخاطر اتباع الشهوات :

أيها الإخوة الكرام، أما المخاطر التي تنتظر مَن انساق وراء شهوته:

1) خطر عذاب الآخرة :

يقول الله عز وجل:

﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً (*)يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً ﴾

(سورة الفرقان 68-69)

أيها الإخوة الكرام، وقبل عذاب الآخرة هناك عذاب القبر، وثمة أحاديث كثيرة صحيحة تؤكد أن الزناة لهم عذاب في القبر قبل عذاب النار.

أيها الإخوة الكرام، والذي يلفت النظر أن الآيات الكريمة التي تنهى عن الفاحشة تنهى عن الاقتراب من الفاحشة، لأن طبيعة هذه الشهوة متميزة، فلو بدأ الإنسان بأول الخطوات، فهذه الخطوات الأولى لابد من أن تقوده إلى النهاية الحتمية، لذلك قال تعالى:

﴿ وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾

(سورة الإسراء : 32)

2) خطر فتنة النساء :

شيء آخر، إن الشيطان يجعل من المرأة أهمّ حبائله، وقد ورد أن النساء حبائل الشيطان، وأنه واثق من هذا الفخ الذي ينصبه للمؤمن:

﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (*)ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾

(سورة الأعراف 16-17)

هذا فعل الشيطان، والمرأة هي شبكته الأولى، وفخّه الأكبر:

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ:

((ما تركتُ بعدي فِتْنَة هي أضَرُّ على الرجال من النساء))

[حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم]

3) خطر خطوات الشيطان :

أيها الإخوة الكرام، قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ﴾

(سورة آل عمران : 155)

أنت حينما تطاوع الشيطان في خطوة أولى، جزئية بسيطة لا تلقي لها بالاً، هذه الخطوة الأولى البسيطة يستطيع من خلالها أن ينفذ إليك:

﴿ اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ﴾

(سورة آل عمران : 155)

أيها الإخوة الكرام:

أنت حينما تمشي في مكان مفتوح، وتقرأ لوحة مكتوب عليها: ممنوع التقدم، حقل ألغام، لا تجد حقداً في نفسك على من وضع هذه اللوحة، بل لعلك تشكره عليها، لا ترى أن هذه اللوحة هي حد لحريتك، بل هي ضمان لسلامتك، وفرق كبير بين من يفهم حدود الشرع حدوداً لحريته، ومن يفهمها ضماناً لسلامته.

4) خطر زيغ القلوب :

أيها الإخوة الكرام، إن قلب العبد وعاء لا يخلو من محبوب يرتجى، ويخاف فواته، والضدان لا يجتمعان:

﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾

(سورة الأحزاب : 4)

فإذا امتلأ القلب بحب الشهوات، فليس فيه مكان للطاعات، وإذا امتلأ القلب بحب خالق الأرض والسماوات، فليس فيه مكان للشهوات.

يجب أن تعلم علم اليقين، أن هذا الوعاء لابد من أن يملأ بصنف واحد، فإذا ملئ محبةً لله عز وجل، وانضباطاً وطاعةً له، وطلباً لمرضاته، فلا مكان فيه للشهوات.

قد يمارس الإنسان الشهوة التي سمح الله بها، وليس في الإسلام حرمان، والدليل قوله تعالى:

﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى ﴾

(سورة طه : 123)

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ﴾

(سورة القصص : 50)

المعنى المخالف: أنه من يتبع هواه وفق منهج الله عز وجل فلا شيء عليه.

أيها الإخوة الكرام، يقول ابن القيم رحمه الله، في قوله تعالى:

﴿ بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (*)وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴾

(سورة القيامة : 15.14)

فلو خُيّرَ العاشق بين رضا معشوقه ورضا الله، لاختار رضا معشوقه على رضا ربه، ولقاء معشوقه أحب إليه من لقاء ربه، وتمنيه لقربه أعظم من تمنيه لقرب ربه، وهربه من سخطه عليه أشد من هربه من سخط ربه، يسخِطُ ربَّه بمرضاة معشوقه، ويقدّمُ مصالح معشوقه وحوائجه على طاعة ربه.

هذه حقيقة ثابتة، لأن الله سبحانه وتعالى ما جعل لعبد من قلبين في جوفه.

5) خطر العقوبات الإلهية :



المصائب قد تكون تعبيراً للعقوبات الإلهية

يقول عليه الصلاة والسلام في حديث، وكأنه معنا، وهذا الذي ينبئنا به عن علم الغيب، وعن المستقبل، وعن آخر الزمان، وعن أشراط الساعة، هو مما أعلمه الله به، فالنبي عليه الصلاة والسلام لا يعلم بذاته إلا أن يعلمه الله:

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قَالَ:

((أقبل علينا رسول الله ﷺ، فقال: يا معشر المهاجرين، خمس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا،...))

حينما يقف وزير إيطالي يقول: أنا شاذ جنسياً، في مؤتمر صحفي، وحينما يقف وزير الصحة البريطاني، ويقول: أنا شاذ جنسياً، وحينما تقف ملكة، وتقول: أنا زنيت مرات عديدة، الأولى مع فلان، والثانية مع فلان، وحينما يعيَّن سفير لدولة عظمى، ومعه شريكه الجنسي، فالفاحشة قد ترتكب سراً، أما حينما تصل إلى درجة أن يعلن عنها، وأن يفتخر بها، وأن توضع إشارة في أذن الشاب على أنه منحرف، فهذا شيء بلغ حداً لا يطاق.

أيها الإخوة الكرام، نكمل الحديث:

((... ولم ينقصوا المكيال والميزان، إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم، إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله، إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله، إلا جعل الله بأسهم بينهم))

[حديث حسن، أخرجه ابن ماجه]

ثلاثمئة مليار دولار مودعة في بنوك الغرب، جمّدت عقب أحداث الحادي عشر من أيلول:

((.. إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله، إلا جعل الله بأسهم بينهم))

[حديث حسن، أخرجه ابن ماجه]

وكأن النبي عليه الصلاة والسلام معنا، وهذا من إخبار الله له.

أيها الإخوة الكرام، من بعض الإحصاءات المعتمدة:

أن مرض الزهري في إحصائية عام ألف وتسعمائة وسبعة وسبعين، بلغ خمسين مليوناً.

والسيلان مئتين وخمسين مليونًا.

في عام واحد وثمانين، بلغ المصابون بمرض الهيلبس التناسلي عشرين مليوناً في بلد غربي واحد فقط.

وأخيراً ابتلي العصر بطاعون العصر، وهو الإيدز، الذي انتشر بسلسلة هندسية، ويبلغ الذين ينقل إليهم المرض يومياً على مستوى العالم عشرة آلاف إنسان.

وفي كل دقيقة يصاب ستة أشخاص دون الخامسة بعدوى الإيدز.

وفي عام ألفين، لقي ما يقرب من ثلاثة ملايين شخص من حاملي هذا المرض مصرعهم في عام واحد.


سبب بعض الأمراض كالإيدز انتشار الموبقات

وقد تسبب الإيدز في إضافة ثلاثة عشر مليوناً من الأطفال إلى قائمة الأيتام.

ويقدر عدد المصابين في عام ألفين بأربعة وثلاثين مليون مصاب في العالم بهذا المرض.

والحقيقة الرائعة أن العالم الإسلامي بسبب تمسكه بأهداب الدين يعد الحزام الآمن الأخضر لهذا المرض.

أيها الإخوة الكرام، يقول الإمام علي رضي الله عنه: يا بنيَّ، العلم خير من المال، لأن العلم يحرسك، وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق.

رجل ثري ذهب إلى إيطاليا، ونزل في أحد فنادقها، وسمح لنفسه أن يلتقي بامرأة، فكتبت له رسالة على المرآة: مرحباً بك في نادي الإيدز، فما كان منه إلا أن انتحر.

أيها الإخوة الكرام، هذه العقوبات العاجلة في الدنيا، دققوا في قوله تعالى:

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا ﴾

(سورة الروم : 41)

هذا الطاعون، طاعون هذا العصر، هو بعض الذي عملوا، لعلهم يرجعون.

أسباب الفوضى والإباحية :

أيها الإخوة الكرام، ما أسباب هذا الفلتان؟ ما أسباب هذا السعار؟ ما أسباب هذه الفوضى؟ ما أسباب هذه الإباحية؟

1) ضعف الإيمان :



الإيمان أسّ الفضائل، ولجام الرذائل، إن الإيمان بالله عز وجل هو الضمانة والوقاية من المعصية، وهو الصخرة التي تتحطم عليها شهوات النفس الجامحة، فكلما ضعف إيمان العبد كان أكثر جرأةً على محارم الله، وقد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام أن العبد لا يواقع الفاحشة إلا حين يؤتى من ضعف إيمانه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:

((لا يزني الزَاني حين يزني وهو مؤمن))

[من حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم]

وأنا حينما أتحدث عن الزنا أقصد به كل مستوياته، فالعين تزني، وزناها النظر، واللسان يزني بالكلام، واليد تزني باللمس، وهناك الزنا الأكبر.

أيها الإخوة الكرام، السبب الأول ضعف الإيمان، إن أردت أن تتحصن من هذه الانحرافات التي شاعت بين الناس، فعليك بتقوية إيمانك، عليك بلزوم مجالس العلم، عليك بأن تكون محاطاً بمؤمنين أطهار:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:

((لا تُصَاحِبْ إلا مُؤْمِناً، ولا يأكُلْ طَعَامَكَ إلا تَقِيّ))

[حديث أخرجه أبو داود والترمذي بإسناد حسن]

2) رفاق السوء :

السبب الثاني: جليس السوء، يقول الله عز وجل على لسان هذا الخاسر:

﴿ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً ﴾

(سورة الفرقان : 28)



الإنسان عليه أن يقوّم أصدقاءه، ومن يتعامل معهم، ومن يسهر معهم، ومن يلتقي معهم، فإذا كانوا شاردين عن الله عز وجل، يزيّنون للإنسان المعصية، ويبغّضون له الطاعة، فهؤلاء:

﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾

(سورة المائدة : 51)

ثم يقال:

﴿ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً ﴾

(سورة الفرقان : 28)

هذا يقال يوم القيامة.

أيها الإخوة الكرام:

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال:

((المرءُ مع مَن أحبَّ))

[من حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم]

فانظر من تحب، هل تحب مؤمناً أم غنياً؟ هل تحب مؤمناً أم فاسقاً؟

﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ ﴾

(سورة السجدة : 18)

أيها الإخوة الكرام، في حديث آخر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:

((المرءُ على دِين خليله، فلينظرْ أحدُكُم مَن يُخَالِلْ))

[حديث أخرجه أبو داود والترمذي بإسناد حسن]

وفي حديث عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال:

((إِنَّمَا مَثَلُ الجليس الصالحُ والجليسُ السوءِ كحامِلِ المسك، ونافخِ الكِيْرِ))

[من حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم]

أيها الإخوة الكرام، حينما تشعر أن هذا الصديق يزيّن لك المعصية، وأن هذا الصديق ليس ملتزماً، وأن هذا الصديق يبغّضك بالطاعة، فلا ينبغي أن تقطعه تدريجياً، بل ينبغي أن تقطعه فوراً، وبشكل جدي، وإلا كان الهلاك منه.

3) إطلاق البصر :

أيها الإخوة الكرام، السبب الثالث: هو إطلاق البصر.

إطلاق البصر هو الشرارة التي تثير الغريزة المكبوتة، إن هذه الصور التي تخزنت في العقل الباطن، وتكون تحت الشعور بشكل دائم، هي التي تحمِّس الإنسان لارتكاب المعصية، لذلك قال تعالى:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (*)وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾

(سورة النور: 31،30)

أيها الإخوة الكرام، قال بعض العلماء: النظرة تولّد الخاطرة، والخاطرة تولّد الفكرة، والفكرة تولّد الشهوة، والشهوة تولّد الإرادة، ثم تقوى الإرادة فتصير عزيمة، ثم يقع الفعل.

هذه السلسلة، تبين كيف ينتقل الإنسان من نظرة إلى خاطرة، إلى فكرة، إلى شهوة، إلى إرادة، إلى عزيمة، إلى فعل.

لذلك، الشريف من يهرب من أول خطوة من خطوات الخطيئة، الله عز وجل يقول:

﴿ وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَا ﴾

(سورة الإسراء : 32)

الإنسان شهوته كأنها صخرة مستقرة في قمة جبل، فإذا زحزحتها عن مكانها بقصد أن تنحدر في الجبل متراً أو مترين، فلابد أن تستقر في قعر الوادي.

فالبطولة أن تبقي هذه الشهوة مكينة في مكانها، لا أن تزحزحها بقصد حركة بسيطة، ثم يفاجأ الإنسان أنه وصل إلى الفاحشة الكبرى.

4) الوحدة والفراغ :



أيها الإخوة الكرام:

نفسك إن لم تشغلها بالخير شغلتك بالشر، أخطر شيء عند الشباب الفراغ، إذا ملئ وقت الشاب بدراسة جادة، باكتساب مهارة عالية، بنشاط دعوي، بمطالعة كتاب، بلقاء مع إخوته الكرام، حينما يمتلئ الوقت بالإيجابيات يختفي وقت السلبيات.

علاج مشكلة الشهوة :

أيها الإخوة الكرام، العلاج قوة الإيمان، هذا العلاج يحصل باتباع ما يلي:

1) اتخاذ مرجع ديني :

أن يكون لك مرجع ديني:

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه :

((أن فتىً من قريش أتى النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي في الزنا، فأقبل القوم عليه وزجروه، فقالوا: مه مه، فقال: ادنه، فدنا منه قريباً فقال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم،

قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أتحبه لعمتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أتحبه لخالتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه، قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء))

[حديث رواه أحمد والطبراني، ورجاله رجال الصحيح]

الإنسان إذا كان له مرجع ديني، وله مسجد يرتاده، وله شيخ يثق بعلمه وورعه يسأله، ويستفتيه: ماذا أفعل؟ فهو بخير.

أما هذا الشارد غير المنضبط، فيرتكب الحماقة تلو الحماقة، ولا أحد ينصحه.

لذلك لابد من تقوية إيمانك، لأن الستة آلاف مليون إنسان في الأرض كلهم من دون استثناء يحبون وجودهم، وسلامة وجودهم، وكمال وجودهم، واستمرار وجودهم، لكنهم يشقَوْن بسبب الجهل، والجهل أعدى أعداء الإنسان، والجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به.

2) الالتجاء إلى الله :



أيها الإخوة الكرام، إذا كنت مع الله كان الله معك:

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إلا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾

(سورة الحجر : 42)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾

(سورة الأعراف : 201)

أيها الإخوة الكرام، هل من العقل، هل يليق بك وأنت مؤمن، أن تتصفح مجلات داعرة، أو أن تتابع مسلسلات فاجرة، أو أن تكون ممن يتصل ببرامج ليس فيها إلا عرض مفاتن النساء؟

المليارات تملأ جيوب من يديرون هذه البرامج، وأنت لا تشعر، وهناك أناس يموتون من الجوع.

3) الزواج المبكر :

أيها الإخوة الكرام، شيء آخر، الزواج المبكر.

هذا الشاب الذي عنده مأوى من أي نوع، ووجد فتاةً تعجبه، ومناسبة له، وعنده قوت يومه، يجب أن يقبل على الزواج، لقوله ﷺ في الحديث:



عن علقمة عن النبي ﷺ أنه قال:

((يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغضُّ للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وِجَاء))

[حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم]

يا ترى، هل الصوم عن الطعام والشراب هو المقصود؟

هذا المعنى المتبادر من الكلمة، ولكن هناك معنى آخر: أن تبتعد عن المثيرات، عن طرقات فيها كاسيات عاريات، مائلات مميلات، عن أماكن عامة، تعرض فيها المرأة بأبهى زينتها، عن مجلس يذكر فيه مغامرات الزناة، أن تُعرِض عن موضوع، أو عن عمل، أو عن مسلسل، أو عن مشاهدة لمحطة فيها المرأة تظهر بكل مفاتنها، الصيام يمكن أن يوسع بشكل أو بآخر، والله عز وجل يقول:

﴿ وَأَنْكِحُوا الأيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

(سورة النور : 32)

والحديث الصحيح الذي يملأ قلب كل شاب ثقةً وأملاً:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

((ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والناكح يريد أن يستعفف، والمكاتب يريد الأداء))

[حديث صحيح، أخرجه الترمذي والنسائي]

شيء آخر، الإنسان حينما يسعى للزواج فإن له عند الله أجراً كبيراً:

فعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

((وفي بُضْعِ أحدِكم صدقة، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدُنا شهوتَهُ، ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام، أكان عليه وِزْر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال، كان له أجر))

[من حديث صحيح، أخرجه مسلم]

فأنت حينما تبتغي العفاف، قد لا أملك لك الحل، ولكن الله متكفل لك بالحل، حينما تبتغي العفاف فإن معونة الله تكون معك، وإذا كان الله معك فمن عليك؟

4) اجتناب الصغائر :

أيها الإخوة الكرام، الإنسان حينما يطلق بصره، ويتوهم إطلاق البصر من الصغائر يقع في الكبائر.

أيها الإخوة الكرام، الصغائر يحتقرها الناس، ولكن هذه الصغائر من فتنة الشيطان:

((إن الشيطان قد أيس أن يعبد بأرضكم هذه، ولكن قد رضي منكم بما تحقرون))

[حديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده]

وعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((إياكم ومحقرات الذنوب، فإن مثل محقرات الذنوب كقوم نزلوا بطن واد، فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود، حتى أنضجوا خبزتهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه))

[حديث أخرجه أحمد ورجاله رجال الصحيح]



لا تنسَ أيها الشاب، ولا تنسي أيتها الشابة، أنكما في معركة دائمة مع عدو لدود يدعوكما للهلاك في كل سبيل:

﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾

(سورة الأعراف : 17)

لكن المؤمن المعتز بالله، الملتجئ إلى الله، هذا المؤمن في حصن حصين:

﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (*)إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾

(سورة النحل 99-100)

أيها الإخوة الكرام، الشاب حينما يقع في الصغيرة، ويكرر الوقوع فيها يستمرئها، وتهون عليه، وتصبح جزءاً من عاداته، فيأتي الشيطان فيغريه بالأكبر، وما يزال الشيطان يغريه من صغيرةٍ إلى أكبر، ومن كبيرةٍ إلى أكبر حتى يقع في الفاحشة الكبرى:

﴿ اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ﴾

(سورة آل عمران : 155)

5) مجالسة الصالحين :

أيها الإخوة الكرام:

من العلاجات النافعة، أن تختار الجلساء من الصالحين الأخيار، عندهم ابتسامة صادقة، عندهم علم غزير، عندهم رحمة، عندهم صدق، يجب أن تختار إخوانك من المؤمنين الصادقين:

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ﴾

(سورة الكهف : 28)

ورد في الأثر: إن أولياء أمتي إذا رؤوا ذكر الله.

إذا كنت مع المؤمنين كنت في حصن ما دمت معهم، لذلك:

عن حنظلة الأسيدي رضي الله عنه، قال:

((لَقِيَنِي أبو بكر، فقال: كيف أنتَ يا حنظَلَةُ؟ قال: قُلتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قالَ: سبحان الله، ما تَقُولُ؟ قال: قُلْتُ: نكونُ عند رسولِ الله ﷺ، يُذَكِّرُنا بالنَّار والجنَّةِ حتَّى كأنَّا رأيَ عَيْنٍ، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ، عافَسْنا الأَزْواج والأولاد، والضَّيْعات، ونسينا كثيراً))

[من حديث صحيح، أخرجه مسلم والترمذي]

أنت إذا دخلت بيتاً من بيوت الله، والتقيت بإخوانك المؤمنين الأطهار تشعر براحة، وتشعر بسمو، لذلك ورد في الأثر:

إن بيوتي في الأرض المساجد، وإن زوارها هم عمارها، فطوبى لعبد تطهر في بيته، ثم زارني، وحق على المزور أن يكرم الزائر.

أما لو اتخذ الإنسان أصدقاءَ وخلاناً من الشاردين العصاة المذنبين، ينطبق عليه قوله تعالى:

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴾

(سورة الفرقان : 27)

وفي آية أخرى:

﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ﴾

(سورة البقرة : 166)

هذه كلها آيات تؤكّد أنه لابد من أن تكون مع المؤمنين:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾

(سورة التوبة : 119)

6) الاستقامة على أمر الله :

أيها الإخوة الكرام، الإنسان حينما يعفّ، وحينما يستقيم، يشعر بالأمن الحقيقي.

قال تعالى:

﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (*)الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾

(سورة الأنعام: 81-82)

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:

((سَبْعَة يظِلُّهمُ الله في ظِلّهِ يوم لا ظِلَّ إلا ظِلُّه: الإمامُ العادلُ، وشابّ نشأ في عبادة الله عز وجل، ورجل قلبه مُعَلَّق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعودَ إليه، ورجلان تحابَّا في الله، اجتمعا على ذلك وتفرَّقا عليه، ورجل دَعَتْه امرأة ذاتُ مَنْصِب وجمال، فقال: إني أخافُ الله، ورجل تَصدَّق بصدقة فأخْفاها حتى لا تعلم شمالُه ما تُنْفِقُ يمينه، ورجل ذَكَرَ الله خاليا ففاضت عيناه))

[حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم]

أيها الإخوة الكرام، لماذا خصَّ النبيُّ عليه الصلاة والسلام الشباب في هذا الحديث؟

الجواب: لأن الشاب مظنّة غلبة الشهوة، لما فيه من قوة الباعث على متابعة الهوى، وهذا الكلام يشمل الشباب والشابات، ويقول بعض العلماء في شرح هذا الحديث: المتمسكون بأهداب الشرع في آخر الزمان كأن أحدهم يقبض على الجمر.

وأخيراً :

أيها الإخوة الكرام، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا.

الكيّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.

* * *

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صاحب الخلق العظيم، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أعمال اليوم والليلة :

أيها الإخوة الكرام، لو تتبعنا سيرة النبي عليه الصلاة والسلام، ماذا كان يفعل في اليوم والليلة؟

ناك من تتبع سيرته، واستخلص الحقائق التالية:

1) العمل :



أولاً: كان عليه الصلاة والسلام يعمل.

وفي إحصاء دقيق جداً: أن البلاد المتقدمة بالمقياس المادي فقط، البلاد التي سيطرت على العالم مادياً، يعمل فيها كل مواطن ما يزيد على ست ساعات عمل متواصل.

بينما الناس في بلاد متخلفة، لا يعملون إلا سبعاً وعشرين دقيقة فقط في اليوم.

فلو أردت أن تطبق قوله تعالى:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾

(سورة الأنفال : 60)

فلابد من أن تعمل، سواء كنت تاجراً، موظفاً، طالباً، امرأةً في البيت، فلابد من وقت للعمل، العمل الذي أسميه أنا: الجهاد البنائي.

هناك جهاد نفسي، وهو جهاد النفس والهوى، وهناك جهاد دعوي:

﴿ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً ﴾

(سورة الفرقان : 52)

وهناك جهاد بنائي: أعدوا لهم.

ينبغي أن يكون لك اختصاص، ينبغي أن تتقن حرفة، ينبغي أن تكون يدك هي العليا، ينبغي أن تستخدم المال الذي تكسبه في حل مشكلات المسلمين.

لا ينبغي أن تكون عالة، لا ينبغي أن تعيش على فتات الآخرين، ينبغي أن تكون الأول في كل شيء، فلابد من وقت تبذله للعمل.

2) العبادة :

وكان عليه الصلاة والسلام يعبد الله، يصلي الليل.

فلو أنك عاهدت نفسك أن تصلي ركعتين فقط قبل الفجر، وأن تقرأ صفحات من كتاب الله، وأن تذكر الله بالأذكار التي أثرت عن النبي عليه الصلاة والسلام، وأن تصلي الفجر في جماعة، فقد طبقت جانب العبادة في حياة النبي عليه الصلاة والسلام.

3) مخالطة الناس :

ولابد لك من ساعة تمضيها مع الناس، لتمتين العلاقة بهم:

إما مع زوجتك، أو مع أولادك، أو مع أقاربك، أو مع جيرانك، أو مع زملائك، أو في مسجد، أو في دعوة، هذا أيضاً له وقت.

4) العناية بالصحة والجسم :

ولابد من وقت تقوّي به جسمك، المسلمون يدفعون مبالغ فلكية لمعالجتهم من الأمراض التي أهملوا الوقاية منها في شبابهم.

5) الموازنة بين الأعمال اليومية :

فلو أن الإنسان وازن بين أموره، كما يقال في بعض الكتب النفسية: إن ثلاثة أشياء ما من واحدة منها إذا اختلت إلا وأثرت في الجانبين الآخرين: علاقتك بربك، وعملك، وصحتك، وينبغي أن نضيف: أسرتك.

إذاً: أربعة مرتكزات في حياة الإنسان، أيّ خلل بواحدة ينعكس على الجوانب الأخرى:

علاقتك بربك ينبغي أن تكون عامرة بطاعتك له، وأدائك للعبادة، وعملك الصالح.

وعلاقتك بأسرتك، فالآخرون أنت لهم، وغيرك لهم، أما أهلك فمن لهم غيرك؟

وصحتك قوام عملك الصالح.

ورزقك قوام كرامتك.

إذاً: حينما تنظم الوقت بين عمل جاد بنائي تحصّل به رزقاً، تكون فيه يدك هي العليا، وبين عناية بالصحة التي هي وعاء العمل، وبين عناية بالعلاقات الاجتماعية من دعوة إلى الله، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر، وصلة للرحم، وبين أن يكون لك رزق تكسبه، وتمرينات تجريها كي يبقى جسمك عماد حياتك، تكون مقتدياً برسول الله ﷺ.

الدعاء :

أيها الإخوة الكرام، إني داعٍ فأمّنوا:

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شرَّ ما قضيت، فإنك تقضي بالحق، ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، ولك الحمد على ما قضيت، نستغفرك ونتوب إليك.

اللهم اهدنا لصالح الأعمال لا يهدي لصالحها إلا أنت، اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت. اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، مولانا رب العالمين. اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك.

اللهم لا تؤمِنا مكرك، ولا تهتك عنا سترك، ولا تنسنا ذكرك يا رب العالمين.

اللهم بفضلك ورحمتك أعلِ كلمةَ الحق والدين، وانصر الإسلام، وأعز المسلمين، وأذل الشرك والمشركين، أذل أعداءك أعداء الدين، يا رب العالمين.

اللهم شتت شملهم، فرق جمعهم، خالف فيما بينهم، اجعل الدائرة تدور عليهم، يا رب العالمين.

اللهم أرنا قدرتك بتدميرهم كما أريتنا قدرتهم في تدميرنا، يا رب العالمين، إنك سميع قريب مجيب الدعاء.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-4) : مواجهة الشهوات

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الشباب: إن أكبر مشكلة يعاني منها شبابنا هي الشهوة وحتى نتغلب على أنفسنا لا بد أولاً أن نفهم الشهوة ثم لا بد أن نتحدث عن المعصية ثم التوبة والطريق إليها .

أولاً: حقائق عن الشهوة :

1- الشهوة هي الدافع المحرك نحو الله تعالى وهي حيادية تماماً فإما أن يرقى بها الإنسان إلى أعلى الدرجات أو يهوي بها إلى أدنى الدركات.

2- ليس في الإسلام حرمان ولكن في الإسلام ضبط وتنظيم، وما أودع الله في الإنسان من شهوة إلا وجعل لها قناة نظيفة تسري خلالها (إن اشتهى المال تاجر، وإن أراد المرأة تزوج، وإن أراد المكانة العلية استقام على أمر الله وأحسن إلى خلقه).



3- بالشهوة نرقى إلى الله مرتين مرة صابرين (عند عدم تحقق الشهوة) ومرة شاكرين (عند تحققها) .

ثانياً:حقائق عن المعصية .

1- للتخلص من المعصية لابد من معالجة أسبابها فهناك أمراض وهناك أعراض (والمعاصي أعراض لمرض واحد إنه البعد عن الله تعالى).



2-إياك أن تحدث بمعصيتك أحداً من الناس إلا إذا علمت يقيناً أنه يفيدك في التخلص منها، يقول ﷺ: (كل أمتي معافى إلا المجاهرون وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول يا فلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه).

3- إياك ثم إياك ثم إياك أن تضل إنساناً وتسوقه معك إلى المعصية فإنك لن تسامح نفسك بعد التوبة على ما فعلت.

ثالثاً: حقائق عن التوبة :

1- ليس هناك ذنب مهما بدا لك كبيراً لا يمكن التوبة منه قال تعالى:(إن الله يغفر الذنوب جميعاً).



2- انتبه فالله في عليائه يفرح بتوبتك وما أمرك أن تتوب إلا ليتوب عليك.

رابعاً: مراحل مواجهة الشهوات :

1- اخل بنفسك صادقاً وحلل أسباب المعصية التي تقترفها.

2- إياك أن تسمي المعصية بغير مسمياتها وكن صادقاً وصريحاً مع نفسك.

3- اتخذ القرار بصدق وإخلاص مع العزم على عدم العودة والندم على ما فات واعلم أن منادياً ينادي في السموات والأرض في هذه اللحظة أن هنئوا فلاناً فقد اصطلح مع الله، وأن الله يكون فرحاً بتوبتك فاجعل من هذه اللحظة عيداً حقيقياً لك .

4- ناج الله تعالى، واطلب منه بصدق وبدموع أن يتوب عليك، وحاول أن يكون ذلك ليلاً فهذا موسم التائبين.

قل له: أنا ضعيف، اعترف بذنبك باللغة التي تحب ودون حواجز واطلب منه أن يعينك بيقين تام أنه يسمعك وسيجيبك.



5- إذا كانت معصيتك ترتبط بزمان أو بمكان فاشغل زمان المعصية بشيء تحبه من الطاعات وإياك أن تقترب من مكانها وإذا كانت ترتبط بشخص فتخلَّ عنه قبل أن يأتي يوم يرديك فيه.

6- لا شك أن نفسك ستنازعك لتعود إلى المعصية التي كنت عليها،ومن أجل ذلك:

أ – أدبها بالحرمان وقاومها .

ب- من المؤكد أن في حياتك يوماً من أيام الله تكرم الله به عليك إما بالتجلي على قلبك أو بفضل دنيوي تذكر هذا اليوم واستح من الله الذي أحسن إليك أن تسيء إليه فهذا لا يقبل مع إنسان فكيف مع الواحد الديان؟! (وذكرهم بأيام الله) .



ج- من المؤكد أنك تتأثر بآية كريمة أو بأنشودة هادفة إما بصوتك أو بسماعها من مقريء أو منشد دعها في متناول يديك دائماً لتستمع إليها عندما تحدثك نفسك بالمعصية .

د- عندما تنازعك نفسك بالمعصية إياك أن تسير معها ولو خطوة واحدة لأنه سيصعب عليك ترك الخطوة الثانية أو الثالثة ولكن الأمر سهل جداً في البداية (ولا تتبعوا خطوات الشيطان).

7 – لا تؤجل التوبة ولا تقل سوف فإنها من جنود إبليس وما أدراك أنك ستعيش حتى تتوب

8– بعد أن يتوب الله عليك وتشعر بعدم الميل إلى المعصية وهذا سيكون بإذن الله بعد المجاهدة إياك أن تعتد بنفسك ولكن اعترف بالفضل لصاحب الفضل

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3 – 4) : السيطرة على الشهوات

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على حبيب قلوبنا ، على نبينا وسيدنا محمد ﷺ ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأهلاً ومرحباً بكم مشاهدينا الكرام في حلقة جديدة ومازلنا نتحدث عن ملفات الشباب متواصلاً معكم ، أهلاً وسهلاً بكم .

أرحب بفضيلة العالم الرباني الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي ، حياكم الله شيخنا .

الدكتور راتب :

بارك الله بكم ونفع بكم .

المذيع:

جزاكم الله عنا كل خير .

مشاهدينا الكرام ؛ لا زل حديثنا يرتبط ببناء الشباب ، فكم من قضية تشغل بال الشباب ، ومن حقهم أن تكون هذه القضية شاغلاً لهم ، كيف يمكن أن يتعاملوا مع الشهوات ؟ النزعات ؟ هذه التي أوجدها الله سبحانه بنا لم تكن عبثاً ، فالله عز وجل قادر على كل شيء ، وكان بإمكان الله أن يخلقنا بلا شهوات ، لكنه أمر الله ، فهل هذه الشهوات من أجل أن نقع في المعصية ونبتعد أكثر عن الرحمن ؟ أم أننا إذا استطعنا أن ندير هذه الشهوات إدارة ناجحة ففي لحظة من اللحظات يمكن أن نرتقي بها عند الله سبحانه وتعالى ؟ تعالوا نتوسع في هذا الموضوع في إدارة الشهوات مع فضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي ، شيخنا الحبيب لماذا أوجد الله عز وجل الشهوات عندنا كبشر ؟

العمل الصالح علة وجود الإنسان في الدنيا :

الدكتور راتب :

ما أودع الله فينا الشهوات إلا لنرقى بها إلى رب الأرض والسموات.



الإنسان بلا شهوة لا يتحرك ، لماذا يتحرك ؟ ليأكل ، ليعمل ، له حرفة ، له مهنة يرتزق بها ، حينما يرتقي بها هل يغش ؟ هل يصدق ؟ هل يكذب ؟ هل يبالغ ؟ هل ؟ هل ؟ مليون نقطة يمتحن بها وهو لا يشعر ، لأن الله سبحانه وتعالى خلق الموت والحياة ليبلوكم ، علة وجودنا في الدنيا الابتلاء ، والابتلاء هو الامتحان ، عفواً عندما نرى طالباً أرسله والده إلى باريس لينال الدكتوراه من السوربون ، باريس مدينة كبيرة جداً ، واسعة ، مترامية الأطراف ، فيها ملاه ، فيها حدائق ، دور سينما ، مسارح، مؤسسات ، وزارات ، بيوت سكنية ، متنزهات ، نقول : هذا الطالب علة وجوده في هذه المدينة العملاقة شيء واحد ، الدراسة .

السؤال الثاني : ما علة وجودنا في الدنيا ؟ العمل الصالح بعد الإيمان ، الدليل الإنسان إذا دنا أجله وليس له عمل صالح يقول :

﴿ رَبِّ ارْجِعُونِي *لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا ﴾

[سورة المؤمنون: 99-100]

آية ثانية ، حجمك عند الله بحجم عملك الصالح ، قال تعالى :

﴿ و لِكُلِّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ ﴾

[سورة الأنعام: 132]

أي العمل الصالح ليس وردة توضع على صدر الإنسان ، يضعها أو لا يضعها ، ليس فاكهة نادرة تأكلها أو لا تأكلها ، العمل الصالح هواء تستنشقه ، الحاجة إلى العمل الصالح كالحاجة إلى الهواء والماء فما لم يكن لنا عمل صالح لا معنى لوجودنا في الدنيا ، ما الذي يحصل؟ يوجد خط بياني صاعد ، كان طفلاً صغيراً دخل التعليم الابتدائي ، المتوسط ، الثانوي، الجامعي ، ثم بحث عن زوجة تزوج ، اشترى بيتاً ، يأتي الموت بنقطة من هذه النقط ، بالأرض إذاً لا معنى للحياة ، عملياً الإنسان يعد لحياته أربعين عاماً حتى يصبح دكتوراً ، عنده عيادة وبيت وسيارة ، هذه بالأربعين أو الخمسين ، بقي له عشرون سنة ، هل من المعقول أن يعمل أربعين سنة من أجل عشرين سنة ؟ ما لم يكن هناك حياة أبدية لا معنى للحياة الدنيا ، لا نفهم الدنيا إلا بالاخرة ، لا تكتمل الصورة إلا بالآخرة ، هناك غني وفقير ، ما ذنب الفقير ؟ تأتي فتاة من أندونيسيا تعمل في بلاد الشرق الأوسط بمئة دولار بالشهر أو مئتي دولار ، و أخرى تستيقظ الساعة الثانية عشرة ظهراً وتسكن في بيت أربعمئة متر ، وتملك سيارتين أو ثلاث ، وكل يوم بوليمة وسهرة ، وأخرى تترك زوجها وأولادها من عشرة آلاف كيلو متر وتشتغل عشرين ساعة باليوم على مئة دولار ؟ إن لم يكن هناك آخرة تنشأ مشكلة ليس لها حل ، لكن لأن هناك آخرة تسوى فيها الحسابات فيطمئن الإنسان



لا بد أن يأتي يوم يحاسب فيه كل إنسان على عمله

عندي غني وفقير مثلاً ، الفقير عاش بالكفاف ، دخله محدود ، دائماً عنده تقنين بالحسابات ، و آخر معه مليارات ، هل من المعقول أن تنتهي الحياة ولا شيء بعد الممات ؟ العلماء يقولون : الإيمان بالآخرة إيمان نقلي وليس عقلياً ، أنا أجتهد اجتهاداً أرجو أن يكون صواباً ، أنا أؤمن أن الإيمان بالآخرة إيمان عقلي .

المذيع:

هذا منطق .

الدكتور راتب :

إنسان مجرم وآخر قتل وانتهت الحياة ، أساساً في مسرح معين تبدأ المسرحية يرخى الستار لا أحد يقوم ، القصة لم تنته ، لتشاهد مصير المجرم ، ما دام هناك مشكلة وصار هناك قتل أرخوا الستار ، لم يقم أحد ، عندنا فصول في الحياة ، فالآخرة تكمل الدنيا ، تسوى فيها الحسابات ، المحسن له آخرة ينال بها جزاء إحسانه والمسيء يعاقب .

المذيع:

أستاذنا الكريم ماذا عن حسابات الشهوات حينما نفهمها بما يرتبط باليوم الآخر ؟

الشهوة مادة امتحان الإنسان :

الدكتور راتب :

الشهوات التي أودعها الله فينا ما أودعها فينا إلا لنرقى بها إلى رب الأرض والسموات



حاجات الإنسان تدفعه للتحرك

الشهوة محرك ، أنت إذا ما تحركت ، إذا كان الإنسان لا يأكل ولا يشرب ، جالس لا يتحرك ، ما الذي يدفعه إلى الحركة ؟ يريد أن يأكل ، يحتاج إلى الطعام ، إذاً يحتاج إلى ثمن الطعام ، لما الله عز وجل وصف الأنبياء بم وصفهم ؟

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ﴾

[سورة الفرقان: 20]



الإنسان عندما يعرف الله يعرف سر وجوده فتصح حركته

مفتقرون في وجودهم إلى الطعام ، ومفتقرون إلى ثمن الطعام ، علامات البشرية ، الإنسان خلق لمهمة جليلة أنه لا بد من أن يدفع ثمن الجنة من خلال عمله ، كيف يعمل ؟ الحاجة إلى الطعام والزواج والتفوق حاجات أساسية، أنت كائن متحرك تتحرك بدافع إلى الطعام والشراب حفاظاً على بقائك كفرد ، تتحرك بدافع إلى الزواج حفاظاً على بقاء النوع ، تتحرك بدافع إلى تأكيد الذات حفاظاً على بقاء الذكر ، أول شيء الطعام ، بعد أن أكل وشرب يريد أن يتزوج، أنجب يريد أن يشعر أن له مكانة ، أنه

مشهور ، طبيب أول ، مدرس أول ، أستاذ جامعي أول، تاجر أول ، الحاجة للتفوق ، فمن خلال حاجته إلى الطعام والشراب حفاظاً على بقاء جسمه حياً يرزق ، وانطلاقاً من حاجته للزواج لبقاء النوع ، وانطلاقاً من حاجته للتفوق حفاظاً على بقاء الذكر يتحرك وعندما تحرك امتحن .

إن هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء ، هناك شباب ثم هرم ثم شيخوخة ، ومنزل ترح لا منزل فرح ، قد تتوفى زوجته أو أحد أولاده ، أو يتوفى أبوه ، فمن عرفها لم يفرح لرخاء ، لأنه مؤقت ، ولم يحزن لشقاء ، لأنه مؤقت ، قد جعلها الله دار بلوى ، وجعل الآخرة دار عقبى، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سبباً ، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً ، فيأخذ ليعطي ويبتلي ليجزي . الإنسان عندما يعرف الله ، ويعرف سرّ وجوده ، وغاية وجوده، تأتي الحركة صحيحة.

المذيع:

أستاذنا الكريم لماذا الشهوات موجودة لدينا ؟ تكلمت عن نقطة مهمة أن الشهوات هي محرك للإنسان ، و عندما يبدأ بالحركة هنا يبدأ بالامتحان .

وجوب أن تكون طرائق كسب رزق الإنسان مشروعة وفق منهج الله عز وجل :

الدكتور راتب :

هو جائع يحتاج إلى عمل ، مثلاً تفاحة بحاجة لها وقد يتسولها ، وقد يسرقها ، وقد يشتريها ، قد تقدم له هدية ، التفاحة هو بحاجة إليها خلقها الله له بالأصل ، لكن طريقة وصولها إليه باختياره .

المذيع:

هذا هو الامتحان .

الدكتور راتب :

قد يأكلها هدية ، وقد يأكلها ضيافة – هدية لبيته ، أما الضيافة فعند شخص – وشراء وسرقة وتسولاً ، خمس طرق لوصول التفاحة إليه ، فالمؤمن مرزوق عند الله ، ولكن طرائق كسب رزقه مشروعة وفق منهج الله عز وجل .

المذيع:

الشهوات هي محرك داخلي لإنجاز مهامه في الحياة ، وبأي اتجاه نتحرك يكون هنا الامتحان حلال أو حرام ، نتوقف مع فاصل ..

إدارة الشهوات أن نكون على مقدرة بالتحكم بالشهوات بما يقربنا إلى الله تعالى ...

حياكم الله من جديد ، ونتابع حديثنا حول إدارة الشهوات ، بعلمي إدارة الأزمات وإدارة المشاكل يقولون : الخروج الناجح من الأزمة هو خروج بأقل قدر من الخسائر ، لكن بالتعامل مع الله سنحاول أن نخرج بلا سيئات ، بلا خسائر ، لكننا إذا وقعنا بها فخير الخطائين التوابون .

مرة أخرى أرحب بفضيلة العالم الرباني الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي ، حياكم الله شيخنا ، شيخ الشباب في برنامج الشباب ، أرشدتنا قبل الفاصل أن الإدارة الصحيحة للشهوات تجعل الإنسان يرتقي بها إلى الله ، أنا سأسألك كيف ؟ الامتحان صعب ، اسمح لي أن أكون واقعياً ، أنا كشاب صغير في مقتبل عمري لا أستطيع الزواج ، تحركني عدة شهوات منها حبي للمال ، للجنس الآخر، هذه شهوة أسكنها الله فيّ كإنسان ، مع مغريات هذا الزمان كيف أزيل هذه الشهوات؟ كيف أسيطر عليها حتى لا تقودني إلى السيئات ؟

السيطرة على الشهوات حتى لا تقود الإنسان إلى السيئات :

الدكتور راتب :



هناك جواب دقيق جداً هو أن هذا المنهج الإلهي منهج متكامل ، بمعنى أننا لا نستطيع أن نطبق جزءاً منه وندع الأجزاء الأخرى ، نقع في مطبات كبيرة ، فالمرأة ستر مفاتنها عن الشباب ، وإذا عندنا صفة للإنسان عالية جداً للإنسان هي الجهاد.

الجهاد للرجال وهو ذروة سنام الإسلام ، أعلى شيء بالإسلام المجاهدة ، الآن والمرأة لها عمل وذروة سنامها إعفاف الشباب ، حينما تستر مفاتنها عن العامة ، وتحفظ مفاتنها لزوجها ولمحارمها ، هذا المنهج الإلهي ، أما حينما تبرز كل ما عندها من مفاتن في الطريق ، فهذا الشاب صار عنده إثارة وكبت ، إثارة وكبت ، هنا أتت المشكلة ، إذا لم يكن هناك إثارة مثلاً لو ذهبت فرضاً إلى المدينة المنورة الحجاب إلزامي ، لا تر شيئاً ، قد يمضي شهر ولا يأتيك خاطر نسائي واحد ، لأنه لا يوجد مثير ، أما إذا كان هناك إثارة غير معقولة تكاد تبدي كل مفاتنها في الطريق ، والشاب أول حياته وبينه وبين الزواج عشرين سنة قادمة فهنا المصيبة .

المذيع:

أستاذنا الكريم ماذا يفعل الشاب إذا كان هذا الواقع ؟

الدكتور راتب :

لذلك حصننا الله بغض البصر ، قال تعالى :

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾

[سورة النور: 30]

لأن غض البصر سبب حفظ الفرج :

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾

[سورة النور: 30]

ما دام هناك غض بصر إذاً هناك حفظ للفرج ، هذا منهج إلهي ، المرأة قد تتفلت من منهج الله ، قد تبرز كل مفاتنها في الطريق .

المذيع:

في إدارة الشهوات مثلاً يحب الرجال النظر للنساء ، المرأة مأمورة بستر زينتها ، لكنها إن لم تستر فالرجل مأمور بغض البصر ، لكن لا يعني هذا أنها إذا كانت تمشي كاشفة لعوراتها من حقي أن أنظر ، أنا أيضاً شريك بهذا الإثم لأني لم أتقيد بفريضة غض البصر .

الفرق بين الفطرة و الصبغة و الطبع و التكليف :

الدكتور راتب :



موضوع يجب أن أطرقه متعلق بهذا السؤال ، نحن عندنا فطرة ، وعندنا صبغة ، وعندنا طبع ، فالفطرة متوافقة مع الدين تماماً ، إن هذا الدين دين الفطرة ، الذي أمرك الله به تسعد إذا طبقته ، والذي نهاك الله عنه تتألم إذا فعلته ، هذا دين الفطرة ، لكن لا تعني الفطرة أنك كامل ، لكنها تعني أنك تحب الكمال ، أن تحب الكمال شيء وأن تكون كاملاً شيء آخر ، الفطرة أن تحب الكمال ، الفطرة صفحة بيضاء ، أما حينما تتصل بالله وتكسب منه الكمال فتشتق منه الكمال من خلال اتصالك به ، تنقلب هذه الفطرة إلى صبغة .

عندنا شيء ثالث دقيق جداً الطبع يقتضي أن تأخذ المال ، والتكليف يقتضي أن تنفقه ، الطبع يقتضي أن تملأ عينك من محاسن المرأة ، والتكليف يقتضي أن تغط بصرك ، الطبع يقتضي أن تخوض في فضائح الناس ، والتكليف يقتضي أن تصمت ، صار عندنا فطرة وصبغة وطبع ، الطبع متناقض مع التكليف ، وهذا التناقض ثمن الجنة ، قال تعالى :

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾

[سورة النازعات : 40-41]

المذيع:



الطبع يناقض التكليف فهذا التناقض ثمنه الجنة

لمن خالف طبعه .

الدكتور راتب :

الطبع يقتضي أن تملأ عينك من محاسن المرأة ، قال تعالى :

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ ﴾

[سورة آل عمران: 14]

هذه شهوة أودعت فينا ، الرد عليها بغض البصر .

المذيع:

لكن الله عز وجل لم يجعل مبدأ غض البصر شيئاً صعباً غير قابل للتطبيق .

الدكتور راتب :

ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا وجعل لها قناة نظيفة طاهرة تسري خلالها ، في الإسلام لا يوجد حرمان، والدليل :

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ﴾

[سورة القصص: 50]



هناك معنى في علم الأصول يدعى المعنى المعاكس ، المعنى الخلافي ، أي الذي يتبع هواه وفق هدى الله لا شيء عليه ، في الإسلام لا يوجد حرمان ، والذي يتبع هواه وفق هدى الله لا شيء عليه ، اشتهى المرأة فتزوج ، اشتهى المال فعمل عملاً شريفاً ، ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا وجعل لها قناة نظيفة راقية تسري خلالها .

المذيع:

الشباب وهذا ينطبق على كل البشر لديهم محركات أو شهوات ، هناك طرق حلال للوصول لها ، وهناك طرق حرام ، أنا أحب المال فأسعى في طرق التجارة والوظيفة والعمل ، ومن بحث عن الحرام ، الربا ، السرقة ، فيحمل هذا الوزر .

الشهوات سبيل رقي الإنسان إلى رب الأرض و السماء :

الدكتور راتب :

الحركة في الشهوة مئة وثمانون درجة ، أعطاك مئة درجة حلالاً ابق بها ، قال تعالى :

﴿ بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة هود: 86]

ما تبقى لكم من الشهوات هو الخير .

المذيع:

قنوات التعبير عن الشهوات الحلال أم الحرام ؟

الدكتور راتب :

قال تعالى :

﴿ وَيَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾

[سورة الأعراف : 19]

هناك مليون شراب مسموح لك أن تشربه ، و لكن حرم الخمر عليك ، وهناك مليون نوع لحم وحرم الخنزير فقط ، عدد المحرمات إلى المباحات واحد بالمليار ، ما أودع الله فينا الشهوات إلا لنرقى بها إلى رب الأرض والسموات، ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا وجعل لها قناة نظيفة طاهرة تسري خلالها.

المذيع:

الشاب أو الفتاة الذي يستطيع أن يدر الشهوات بشكل ناجح وينضبط بهذا المنهج ما هي آثار ذلك ؟

آثار غض البصر :

الدكتور راتب :

أولاً :

((إِنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ))

[النسائي عن عمرو بن العاص]



الزوجة الصالحة التي إن نظرت إليها سرتك ، وإذا غبت عنها حفظتك ، وإذا أمرتها أطاعتك ، لا يوجد شاب يغض بصره عن محارم الله إلا وله مكافأة من جنس عمله ، زوجة صالحة، تسره إن نظر إليها ، وتحفظه إذا غاب عنها ، وتطيعه إن

أمرها .

المذيع:

الطيبون للطيبات .

الدكتور راتب :

أنا حينما أغض بصري أنا لست بالحرمان ، أنا في وعد إلهي ، وزوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين ، أقسم لك بالله إذا لم يقل الشاب وهو يغض بصره : ليس على وجه الأرض من هو أسعد مني فأنا مسؤول ، غض بصره لكن الله وعده بزوجة صالحة ، تسره إن نظر إليها ، وتحفظه إذا غاب عنها ، وتطيعه إن أمرها .

المذيع:

أستاذنا الكريم مكافأة من يغض بصره في الدنيا أم الآخرة ؟

مكافأة من يغض بصره تكون في الدنيا قبل الآخرة :

الدكتور راتب :

الدنيا قبل الآخرة ، قال تعالى :



﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾

[سورة الرحمن: 46]

له جنة في الدنيا وجنة الآخرة .

المذيع:

نريد مثالاً للبنات ، كانت الأمثلة للشباب .

الدكتور راتب :

هذه البنت محببة لكل البشر ، هكذا طبيعة الحياة ، فحينما سترت محاسنها عن الأجنبي ، وادخرت مفاتنها لزوجها ومحارمها – الابن والأخ والعم والخال – مفاتن

المرأة الزوج له حالة خاصة ، والمحارم لهم حالة ، فحينما سترت مفاتنها عن الأجنبي ، وادخرت مفاتنها لزوجها بطريقة ، ولمحارمها بطريقة أخرى ، حققت كل أهدافها ، عفواً السيارة الخاصة أغلق الباب له نغمة رائعة ، هذه لواحد ، أما السيارة العامة فالباب له ترتيب ثان ، حينما تغلقه مستعمل في اليوم مليون مرة ، فهذه المفاتن التي جعلها الله مرغوبة إذا ادخرتها لزوجها ولمحارمها ، وحجبتها عن العامة ، ارتقت عند الله ، والمكافأة زوج صالح يكرمها ويحفظها ويحبها .

المذيع:

ولا ينظر لغيرها ، وتؤجر من التزمها بحجاب الله الشرعي بحسنات عند الله .

السؤال قبل الأخير ماذا على من لم ينضبط بإدارة الشهوات وأطلقها هكذا ؟

الإسراع إلى التوبة لمن لا ينضبط بإدارة الشهوات :

الدكتور راتب :



يتوب ، إذا رجع العبد إلى الله نادى منادٍ في السموات والأرض أن هنئوا فلاناً فقد اصطلح مع الله ، قال تعالى :

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾

[سورة الزمر: 53]

هناك خطأ يصحح ، يوجد توبة مقبولة عند الله .

المذيع:

أستاذنا الكريم نصيحة للشباب كيف ندير شهواتنا بما يرضي الله ؟

كيفية إدارة الشهوات بما يرضي الله :

الدكتور راتب :

لا بد من طلب العلم الديني بشكل أم بآخر ، ليعرف الشاب لماذا خلق في الدنيا ، ليعرف ما نظرة الدين للشهوات، ليعرف ما البدائل ، ليعرف ما المهمات الكبرى ، الإنسان يأتي إلى الدنيا معه رسالة كبيرة جداً



لا بد من طلب العلم ليعرف الإنسان لماذا خلق في الدنيا

أما إذا لم يكن معه رسالة فعنده ضياع ، تشتت ، عنده وهن ، ضعف ، الشهوة قوية لكن الدين أقوى ، الإيمان يخلق بالإنسان دوافع كبيرة جداً للعمل الصالح ، هذا الذي يحمل رسالة لا يلتفت إلى هذه الأشياء الصغيرة .

خاتمة و توديع :

المذيع:

أستاذنا الكريم جزاك الله خيراً فضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي الداعية الإسلامي الكبير ، كما نشكركم أيضاً مشاهدينا الكرام ، لمتابعة هذه الحلقة وكان حديثنا تحت عنوان : إدارة الشهوات ، نعم ما خلقها الله كشهوات أو كغرائز فينا كشباب إلا لحكمة منه ، ومن استطاع أن يديرها بشكل ناجح كان مرتاحاً في هذه الحياة ، فمن

يتعامل معها بشكل صحيح ، ومن يديرها بشكل ناجح ، يؤجر عند الله يوم القيامة ، ويتنعم في هذه الدنيا بجنة الدنيا ، أما من لا يستطيع أن يديرها بشكل ناجح فهو بعيد عن الله تعالى :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً ﴾

[سورة طه: 124]

نسأل الله حياة جميلة للجميع ، نصل إلى الختام ، سبحانك اللهم وبحمدك ، نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك ، تحية طيبة لكم ، والسلام عليكم .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4 – 4) : سبل تحصين الشباب

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة :

الأستاذ بلال :

السلام عليكم ؛ لماذا كانت مرحلة الشباب من أهم المراحل في حياة الإنسان ؟ ما الذي يريده الشاب من مجتمعه؟ وكيف يمكن أن يكون الشاب أداة بناء في المجتمع ؟ ما هي العلاقة بين الشباب والشيوخ في المجتمع الإسلامي ؟ كيف يمكن أن ينجو الشاب من تطرف التفلت وتطرف التشدد ؟ كيف يواجه الشبهات من جهة والشهوات من جهة أخرى ؟ كيف تعامل الإسلام بشكل عام مع الشباب ؟ تابعوا هذا اللقاء لتجدوا فيه إجابة عن هذه الأسئلة وغيرها ، لقاؤنا اليوم بعنوان : قيم الإسلام في التعامل مع الشباب .

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، وأصلي وأسلم على سيد الأولين والآخرين محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أخوتي الكرام ؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، في مستهل حلقة جديدة من برنامجكم درر ، حيث نتناول فيه قيم الإسلامية في التعامل بين أفراد المجتمع ، بداية يسرني أن أرحب باسمكم جميعاً بفضيلة أستاذنا الدكتور محمد راتب النابلسي ، السلام عليكم .

الدكتور راتب :

عليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم نحن في اللقاء السابق تحدثنا عن قيم الإسلام في التعامل مع الأطفال، اليوم ننتقل إلى المرحلة العمرية التالية وهي مرحلة الشباب ، أولاً : لماذا هذه المرحلة – مرحلة الشباب – مرحلة مهمة ؟

العناية بالشباب ضمان للرقي و التقدم في المجتمع :

الدكتور راتب :

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألوِيَتِه ، وارضَ عنّا وعنهم يا ربّ العالمين .



الحقيقة أن المجتمع شرائح ، الطفولة شريحة ، والشباب شريحة ، والكهول شريحة ، والشيوخ شريحة ، لكل شريحة خصائصها ، وكأني بشريحة الشباب في هذا السن تتشكل القيم ، تتوضح الأهداف ، الشاب في أعلى درجة من نشاطه وقوته، فلذلك ورد في الأثر : "ريح الجنة في الشباب ".

والشباب عماد الأمة ، وقوام الأمة ، ومستقبل الأمة ، فأي مجتمع يعتني بالشباب يضمن لهذا المجتمع الرقي والتقدم ، وأي مجتمع يهمل الشباب يدفع الثمن غالياً ، لأن الشباب إن لم تحقق أهدافهم المعقولة ، مطالبهم المعقولة ، الشاب يحتاج إلى فرصة عمل .



وأكبر مرض يصيب المجتمع البطالة ، والشاب يحتاج إلى زوجة ، وإلى مأوى ، فأي مجتمع يسعى جاهداً لتأمين حاجات الشباب الأساسية الثلاث يضمن ولاءهم لمجتمعهم ، ويضمن قوة مجتمعهم، والنهوض به ، وأي مجتمع آخر يهمل مطالب الشباب يصاب بإحباط شديد ، لأن القوة الفعالة قد تهجر ، والحقيقة الدول النامية تعاني مشكلة كبيرة جداً حيث لا نوفر للشباب حاجاتهم الثلاث

يهاجرون فإذا هاجروا ، هناك نقطة دقيقة جداً في المجتمعات ، دائماً المتفوقون جداً الذين يطورون الحياة يحدثون تغييراً جذرياً في الحياة ، هؤلاء الشباب المثقفون ثقافة عالية إذا غادروا بلادهم أصبح المجتمع عاجزاً عن أن يبدع ، وعن التفوق والتقدم ، فلذلك خطر كبير جداً أن نحبط مساعي الشباب حتى يفكروا بهجرة أوطانهم ، هذا الشيء وقع في بعض البلاد الإسلامية .

إذاً يحتاج الشاب إلى فرصة عمل ، وإلى زوجة ، وإلى مسكن ، ومطالبهم معقولة ، هذا الذي أتمنى أن يتضح عند أولي الأمر من الأهل أو أصحاب القرار .

الأستاذ بلال :

جميل جداً أستاذنا الكريم هناك إشكالية دائمة بين الشباب والشيوخ كيف تكون العلاقة بين الشاب والشيخ ؟

العلاقة بين الشاب والشيخ :

الدكتور راتب :

أنا أفهم العلاقة الطبيعية المعتدلة المنبثقة عن توجيه صحيح ، لأن الشاب قوة محركة ، والشيخ يحمل المقود ، كأنها سيارة ؛ الشاب يمثل المحرك ، والشيخ يمثل المقود، والمنهج الصحيح من وحي السماء يمثل الطريق ، فبطولة قائد السيارة من خلال المقود أن يحافظ على بقاء السيارة في الطريق ، عندئذ تندفع بقوة المحرك ، فهناك قوة محركة و منهج و مقود .

الأستاذ بلال :

جزاك الله خيراً ، أستاذنا الفاضل لو انتقلنا إلى موضوع يخص الشباب وهو شغل العالم الشاغل اليوم وهو التطرف .

الشباب أمام تطرفين إن لم يهتم المجتمع بهم :

الدكتور راتب :

الحقيقة أنا أرى ما لم يهتم أولي الأمر بهذه الشريحة الخطيرة المهمة الأساسية في حياة الأمة ، وما لم يهتم أولي الأمر بتأمين فرص عمل للشباب ، ومساكن معقولة ، وفرص زواج ، هناك نتائج خطيرة تصيب المجتمع بأكمله، عندئذ ما الذي يحصل ؟



أنا أقول : هناك تطرفان ، تطرف تفلتي يعني الإباحية ، هناك طاقات كبيرة جداً و في أوج هيجانها و لا يوجد إمكان كي تصرف هذه الطاقات ، إذاً يتجه إلى الطريق الغير مشروع في تصريف هذه الطاقات، عبرت عنها بالإباحية ، والتطرف الثاني الذي له منبت ديني ، منبت أخلاقي ، يتشدد، إما تطرف تفلتي الأول أو تشددي ، التشددي إحباط من نوع آخر يكفر ويفجر ، فنحن أمام تطرفين تطرف تفلتي الإباحية ، وتشددي التكفير ثم التفجير ، أما أن توظف هذه الطاقات الكبيرة والمتألقة والمتقدة في خدمة الأمة ، وفي خدمة مستقبل الأمة ، وفي خدمة رفع شأن الأمة ، و إلا نقع في إشكال كبير.

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل أعجبني ما تفضلتم به كنتم تقولون دائماً : إن المجتمع ما لم ينتبه إلى مظاهر الإباحية والتفلت على الشاطئ وفي المدرسة وفي الجامعة عليه أن يستعد لأنماط مختلفة من الغلو .

الحرص على التوازن بين فئات المجتمع :

الدكتور راتب :

الآن طبيعة الحياة حتى يستطيع الشاب أن يتزوج لا بد من أن يبلغ عمره ثلاثين عاماً تقريباً ، هذه الشهوة متأججة بالخامسة عشرة ، خمسة عشر عاماً يوجد إثارة بالمجتمع المتفلت ، إثارة كبيرة جداً في الشاشة ، في الانترنيت ، في الطريق ، في سواحل البحر ، في بعض دور اللهو ، إثارة عالية جداً ، وإرواء لا يوجد ، يأتي

الانحراف هنا من إثارة بلا إرواء ، أما لو كان المجتمع منضبطاً انضباطاً إسلامياً ، لا يوجد إثارة ، هناك انضباط عام ، أنت ممكن أن تضبط بيتك فقط الآن ، أما الطريق فلا يمكن أن تضبطه ، والشاشة فيها كل شيء، فنحن بوضع استثنائي ، فلا بد من أن ننتبه إلى مشكلة الشباب ، لذلك توفير فرص عمل ، والإنسان عندما يكون له عمل يكون له دخل ، فيخطب فتاة ، عندنا مشكلة كبيرة جداً اسمها العنوسة ، وفي دول معينة نسب العنوسة بلغت خمسين بالمئة ، وهذه أنا أعدها أكبر مشكلة لأن الزواج كل فصول الفتاة تقريباً ، إذا كانت عانساً فكأنها لم تنجح في الحياة ، وهذه مشكلة كبيرة قد لا ننتبه إليها ، إذاً نحن بحاجة إلى إقامة توازن ونجاح لكل فئات المجتمع .

الأستاذ بلال :



المجتمع الإسلامي الذي يؤمن احتياجات الشباب أقام التوازن بين جميع فئاته

جزاكم الله خيراً أستاذنا الكريم ، وأحسن إليكم ، أخوتي الأكارم ؛ ما زال في حديثنا عن قيم الإسلام في التعامل مع الشباب المزيد فتابعوه بعد فاصل قصير ..

السلام عليكم ؛ عدنا إليكم من جديد لنتابع الحديث عن قيم الإسلام في التعامل مع الشباب ، أستاذنا الفاضل كنا قبل الفاصل كنا قد انتهينا من الحديث عن التطرف التفلتي والتشددي الذي يمكن أن يصيب الشباب عندما لا

يعتني المجتمع بهم ، وكأني بكم قد تحدثتم أن مشكلة الإرهاب التطرف الذي يجتمع العالم اليوم لمواجهتها ينبغي أن تعالج من الأسباب لا من النتائج أليس كذلك ؟

معالجة كل مشكلة من أسبابها لا من نتائجها :

الدكتور راتب :

البطولة في البحث عن المشكلة ، أن تعالج هذه المشكلة من أسبابها ، أذكر موقفاً للنبي الكريم في منتهى الروعة، هذا الموقف أنه جاءه أنصاري يقود شاباً دخل إلى بستانه من غير إذنه ، وأكل من الفواكه ، فشكاه الأنصاري إلى النبي عليه الصلاة والسلام على أنه سارق ، فكأن النبي ﷺ غضب ، قال له : هلّا علمته إذا كان جاهلاً ، وهلّا أطعمته إذا كان جائعاً .

قبل أن تقول : سارق ، يجب أن تعالج المشكلة من أسبابها ، والدول كلما ارتقت تعالج أسباب المشكلة لا من نتائجها ، فنحن إذا عالجنا النتائج كنا في غفلة كبيرة عن الأسباب الكبيرة التي وصلنا إليها ، إذاً ينبغي أن نعالج هذه المشكلة من أسبابها ، فإذا كانت المناهج متوازنة لا يوجد فيها تناقضات ، لا يوجد أستاذ ديانة يذكر آدم وحواء في بداية الخلق ، وأستاذ آخر أستاذ الطبيعيات يذكر نظرية داروِن ، هذه تنشئ حالة انفصام ، منهج يقرر شيئاً ومنهج آخر يقرر شيئاً آخر ، كلاهما معتمدان في حياتنا اليومية ، فما لم يكن هناك انسجام في المناهج والمواد الدرسية ، ما لم يكن هناك قدوات أمام الشباب ، ما لم يكن هناك حد أعلى من الوعي هناك ضياع ، وهذا الضياع تعاني منه الأمة كثيراً .

الأستاذ بلال :



علينا أن نعالج مشاكل الشباب قبل أن نحاسبهم على أخطائهم

وينتج غلواً وتشدداً .

الدكتور راتب :

ينشأ تطرف تفلتي إباحية ، وتشددي تكفير وتفجير .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل أحسن الله إليك ، الشاب اليوم لنقل بعبارة أخرى يتعرض إلى الشبهات من جهة تصرفه عن دينه وللشهوات من جهة أخرى ، كيف يحصن نفسه من الشبهات أولاً ؟

ضرورة انطلاق الخطاب الديني من الواقع :

الدكتور راتب :

والله هذا يكون بنجاح الخطاب الديني ، هناك خطاب ديني تقليدي لا يروي ، أما حينما يطرح الداعية شبهة تسربت إلى الشباب ، ويوضح تفاصيلها ، ويأتي بالنص ، يأتي بالدليل الذي يؤيد هذا النص ، يأتي بالتاريخ ، يأتي بالنتائج الرائعة ، يتلقاها الشاب كدواء لجراحه .



وهذا الشيء مهم جداً ، فالخطاب الديني يجب أن ينطلق من الواقع ، أية شبهة رائجة بين الشباب ينبغي أن تعالج هذا الموضوع ، هذا الخطاب الديني الصحيح الناجح الذي يتضافر فيه العقل والنقل معاً ، والماضي والحاضر معاً ، والعصرنة والأصالة معاً ، إذا جمع الخطاب الديني بين العصرنة والأصالة وبين الواقع والمثل ، هذا الخطاب إذا نجح روى الشباب وجعلهم يتوازنون .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل بالنسبة للدعاة أن يجددوا في طريقة الخطاب .

الدكتور راتب :

أنا أقول لك كلاماً دقيقاً ، الدين لا يجدد لأنه توقيفي ، أية إضافة على الدين اتهام له بالنقص ، وأي حذف من الدين اتهام له بالزيادة ، الدين توقيفي لكن البطولة في الخطاب الديني ، نجاح الخطاب الديني ينقل هذه المعرفة إلى قلوب الشباب وإلى عقولهم .

الأستاذ بلال :

جميل هذه الشبهات ، كيف يحصن الشاب نفسه من الشهوات ؟

كيفية تحصين الشاب نفسه من الشهوات :

الدكتور راتب :

نحن إذا سمحنا بالتفلت ، وغضضنا الطرف عن التفلت في الطريق ، وفي النادي ، وفي المسبح ، وفي البحر ، وفي كل مظاهر حياتنا ، هذه مثيرات لا يحتملها الشاب ، إلا أن تروى بشكل غير مشروع ، إذاً لا بد من ضبط أخلاقي ، لا بد من ضبط أيديولوجي إن صح التعبير ، لتحصين الشاب بالفكرة الحقيقية الصحيحة ، بالخطاب الديني الناجح ، بتأصيل القيم والمبادئ ، ويحتاج إلى خطاب آخر يروي حاجته من الاستقرار .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل لكن الشاب الآن يجد نفسه في هذه الحياة ، والله ما كلفه فوق طاقته، لو كان المجتمع فاسداً هو كيف يحصن نفسه مع وجود المجتمع الفاسد ؟

كيفية تحصين الشاب نفسه مع وجود المجتمع الفاسد :

الدكتور راتب :



أنا أعتقد أن الله أودع في كيان الإنسان حاجة إلى التدين ، فالشاب يبحث عن الدين، لكن إذا رأى الدين فيه تناقض ، أي دعوة غير ناجحة ، أو رأى رجل دين حياته في واد وكلامه في واد ، هذه النماذج غير الصالحة تصرفه عن الدين ، فنجاح الخطاب الديني ونجاح رجل الدين ، هذا أساس كبير في إقناع الشاب بالدين، فإذا اقتنع بالدين هو بحاجة إلى الدين بفطرته ، فنحن نريد خطاباً دينياً ناجحاً يكون عند الشباب مقبولاً ومحققاً لنتائجه ، هذه واحدة .



يحتاج إلى بيئة صالحة ، فنحن حينما نضبط أمورنا الاجتماعية ، هناك انضباط و خطاب مقنع الشاب ينضبط، أما لا الخطاب مقنع ولا يوجد انضباط اجتماعي وهناك تناقضات كثيرة في حياتنا، بالمناسبة التناقض إذا استمر ينشئ حالة مرضية اسمها اللامبالاة ، مثلاً إذا دخل أستاذ الطبيعيات وذكر نظرية دارون ، ودخل أستاذ الدين الإسلامي وذكر نظرية آدم وحواء، ضاع الشاب ، فلابد من تناغم بين المناهج التعليمية ، لا بد من عقل مدبر يقيم توازناً وتناغماً بين حقائق الدين وحقائق العلم ، الدين دين الله ، والعلم قوانين الله عز وجل ، والمصدر واحد ، فلا بد من تطابق العلم مع الدين قطعاً .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل سأقتصر على لقطة من السيرة توضح طريقة تعامل النبي ﷺ مع الشباب ، لما جاءه هذا الشاب يستأذنه بالزنا ، قال : يا رسول الله ائذن لي بالزنا؟ كيف عامله النبي ﷺ ؟

طريقة تعامل النبي ﷺ مع الشباب :

الدكتور راتب :



أولاً الصحابة اضطربوا ، رأوا في هذا الشاب وقاحة ما بعدها وقاحة ، كإنسان التقى مع وزير الداخلية و قال له : ائذن لي أن أسرق .

قال لهم : دعوه ، تعال يا عبد الله ، الحقيقة علّمه تعليماً عن طريق الحوار ، اقترب اِقترب ، قال له : أتحبه لأمك ؟ قال : لا ، واضطرب ، قال : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم ، أتريده لأختك ؟ قال : لا

، وتابع لخالتك ؟ لعمتك ؟ لابنتك ؟ يقول هذا الشاب : دخلت على النبي ﷺ وما من شيء أحب إليّ من الزنا ، وخرجت من عنده وما من شيء أبغض إلي من الزنا .

معنى ذلك نجح النبي ﷺ بحواره ، وأنا أقول : الحوار أساسي جداً ، لا يوجد تلقين ، الدين لا يلقن ، يحاور ، إذا أنت حاورت الشاب تبنى هذا الدين ، إذا لقنته إياه من دون أدلة وبعنف نفر من هذا الدين .

خاتمة و توديع :

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل وضع النبي ﷺ يده على صدره وقال : " اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه ، وحصن فرجه ودعا له"، وهذا أسلوب ينبغي أن نتعلمه في التعامل مع الشباب في مساجدنا ، وفي جامعاتنا ، وفي بيوتنا . جزاكم الله خيراً أستاذنا الكريم ، وأحسن إليكم لما تفضلتم به في هذا اللقاء الطيب ، وأنتم أخوتي الكرام لم يبق لي في نهاية هذا اللقاء الطيب إلا أن أشكر لكم حسن متابعتكم ، سائلاً المولى جلّ جلاله أن ألتقيكم في أحسن حال مع الله ومع خلقه ، إلى الملتقى أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

الفصل الرابع : الشباب و كيفية الوصول إلى الله

الدرس (1 – 3) : أهمية العلم في بناء الأمة

الدرس (2 – 3) : أصل الدين معرفة الله

الدرس (3 – 3) : الطريق إلى معرفة الله تعالى

الفصل الرابع : الشباب و كيفية الوصول إلى الله

الدرس (1 – 3) : أهمية العلم في بناء الأمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

المذيع :

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين ، وأتمّ الصلاة وخير التسليم على نبي الرحمة ، على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، السلام عليكم وأهلاً ومرحباً بكم مشاهدينا الكرام ، لا زال حديثنا عن الشباب ، نتحدث في هذه الحلقة عن العلم ، وعن أهميته ، وعن دوره في بناء الشباب ، وعن دور الشباب المتعلم في بناء الأمة ، فأهلاً ومرحباً بكم .

لم يجعل الله سبحانه وتعالى الذين يعلمون و الذين لا يعلمون في مقام واحد ، قال سبحانه وتعالى :

﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

[سورة الزمر:9]

وأرشدنا النبي ﷺ أن طلب العلم هو طريق إلى الجنة :

((...من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة ...))

[ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه]

فما هي أهمية العلم في حياتنا ؟ وأي علم ذاك الذي ننشد ونبحث عنه ؟ وما هي مصادر العلم في هذه الحياة ؟ ماذا عن العلم الشرعي ؟ وماذا عن العلم الدنيوي ؟ أسئلة كثيرة ومهمة نطرحها في هذه الحلقة مع العالم الرباني الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي ، حياكم الله دكتور .

الدكتور راتب :

بارك الله بكم ونفع بكم .

المذيع:

شيخنا الفاضل نتحدث عن طلب العلم كواحدة من النقاط المهمة في حياة الشباب، وعن دور الجامعات ومصادرها ، ونبدأ بأهمية العلم وطلبه في بناء الأمة .

أهمية العلم في بناء الأمة :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألوِيَتِه ، وارضَ عنّا وعنهم يا ربّ العالمين .



لا شك أن معظم الطلاب تعلموا في المراحل الأولى أن الكون جماد ونبات وحيوان وإنسان ، فالجماد كائن يشغل حيزاً ، وله وزن ، وله أبعادٌ ثلاثة ، هذا الجماد، بينما النبات كائنٌ له وزن ، ويشغل حيزاً ، وله أبعادٌ ثلاثة ، لكنه ينمو ، يختلف عن الجماد أنه ينمو ، بينما الحيوان كائن يشغل حيزاً في الفراغ ، وله أبعادٌ ثلاثة ، وله وزن وينمو كالنبات ، أما الإنسان فيمتاز أنه كائنٌ يشغل حيزاً في الفراغ ، وله أبعادٌ ثلاثة ، وله وزن ، وينمو ، ويتحرك ، كبقية المخلوقات لكنه يفكر ، ميّز الله الإنسان بأنه أودع فيه قوةٌ إدراكية ، فما لم تُلبَّ هذه الحاجة العليا بطلب العلم هبط عن مستوى إنسانيته إلى مستوى آخر لا يليق به عندئذ ، قال تعالى :

﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾

[سورة النحل: 21]

﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾

[سورة الفرقان : 44]

﴿ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ ﴾

[سورة المنافقون: 4]

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً ﴾

[سورة الجمعة: 5]



فما لم يبحث الإنسان عن الحقيقة ، ما لم يطلب العلم ، ما لم يلبِّ هذه القوة الإدراكية ، ما لم يبحث عن سرّ وجوده ، وغاية وجوده ، ومآل وجوده ، وماذا بعد الموت ؟ ولماذا خلق الإنسان ؟ وماذا أعد الله له من عطاء لو أنه أطاعه ؟ هذه كليات يجب البحث بها ، لذلك يقال : دائماً هناك ذكي وقد لا يكون عاقلاً ، أي ما كل ذكي بعاقل ، فالذي يغرق بالجزئيات في الحياة الدنيا ، ويتجاوز الكليات الكبرى الأمور الأساسية في حياته ، وينسى أنه عبد لله ، وخلق لجنة عرضها السموات والأرض ، وجاء الله به إلى الدنيا كي يدفع ثمن الجنة هبط عن مستوى إنسانيته إلى مستوى لا يليق به ، ولا يليق بالقدرة الإدراكية التي ميزنا الله بها إلا أن تلبى بطلب العلم ، إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم ، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم ، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم ، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك ، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً .

المذيع:

شيخنا الفاضل لماذا كان لطلب العلم هذه الأهمية في شرعنا ؟ الله سبحانه تحدث عن العلماء ، بل إن أول آية كانت اقرأ ، لماذا للعلم هذه المكانة في الإسلام ؟

الإنسان هو المخلوق الأول سخر له الكون تسخير تعريف و تكريم :

الدكتور راتب :

الحقيقة ، قال تعالى :

﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾

[سورة الرحمن: 1-4]



قد يسأل سائل : أيعقل أن يعلم الإنسان قبل أن يخلق؟ نقول له : هذا الترتيب في الآية ترتيب رتبي ، وليس ترتيباً زمنياً ، بمعنى أن وجود الإنسان لا معنى له من دون منهج يسير عليه ، بمعنى أنك إذا اقتنيت آلة غالية الثمن جداً ، الآن هناك بعض الكومبيوترات الصناعية لتحليل الدم ، تضع نقطة دم يعطيك فوراً التحليلات كلها مطبوعة على ورق ، فهذا الجهاز غال جداً لأن نفعه كبير جداً ، ودخله كبير جداً ، لكنه معقد في تصميمه ، الشركة التي استوردت منها هذا الجهاز لسبب أو لآخر لم ترسل لك تعليمات التشغيل ، فهذا الجهاز الغالي جداً عظيم النفع ، معقد التركيب يعد إنجازاً علمياً كبيراً جداً ، هذا الجهاز لا قيمة له من دون منهج يسير عليه ، لا قيمة له من دون تعليمات الصانع ، والكتاب والسنة هي في الحقيقة تعليمات الصانع لهذا المخلوق الأزل الذي جعله الله فوق المخلوقات جميعاً ، ذلك أن الإنسان حينما عرضت الأمانة في عالم الأزل المخلوقات كلها أبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان ، فلما قبل الإنسان حمل الأمانة كان عند الله المخلوق الأول رتبة ، ولأنه المخلوق الأول كافأه الله بأن سخر الله له ما في السموات والأرض جميعاً منه ، تسخير تعريف وتكريم ، تسخير التعريف يقتضي أن يؤمن ، وتسخير التكريم يقتضي أن يشكر ، فإذا آمن وشكر حقق الهدف من وجوده ، وحينما يحقق الهدف من وجوده تتوقف كل المعالجات الإلهية، والدليل قوله تعالى:

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ ﴾

[سورة النساء: 147]

على مستوى الفرد إن آمن الفرد وشكر حقق سرّ وجوده ، وغاية وجوده ، عندئذ تتوقف جميع المعالجات الإلهية، هذا على مستوى الفرد أما على مستوى الأمة فهناك شأن آخر، قال تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾

[سورة الأنفال: 33]



وما كان الله ليعذب أمة محمد ما دامت سنته قائمة في حياتهم ، نطبقها في دخلنا ، في إنفاقنا ، في علاقاتنا ، في سرنا ، في جهرنا ، في أعمالنا ، في كل شؤون حياتنا ، فهذه الأمة مستحيل وألف ألف مستحيل أن تعذب :

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾

[سورة الأنفال: 33]

ما كان الله نفي الشأن ، فرق كبير بين نفي الحدث وبين نفي الشأن ، فقد تسأل إنساناً : هل أنت جائع ؟ يقول : لا ، لكن لو قال له : هل أنت سارق ؟ هل يكفي أن يقول : لا، لا يكفي ، يقول : ما كان لي أن أسرق ، هذا نفي الشأن ، ليس من شأني أن أسرق ، ولا من طبيعتي ، ولا من منهجي ، ولا من مبدئي ، ولا أقبل ، ولا أسمح ، وأرفض ، وألوم ، وأوبخ ، وأعاقب ، عدّ العلماء عشرة أفعال تنفى بكلما وما كان ، الله عز وجل يقول :

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾

[سورة الأنفال: 33]

مادامت سنة النبي قائمة في حياتهم نطبقها في دخلنا وإنفاقنا ، في زواجنا ، في يسرنا وعسرنا ، في إقامتنا وخلوتنا وجلوتنا ، مستحيل وألف ألف مستحيل أن نعذب .

المذيع:

شيخنا الفاضل الآن الشباب بكل صراحة طبيعة المناهج التعليمية في المدارس ، وفي جزء كبير من الجامعات هي مناهج رتيبة علمية ليست مشوقة ، وقسم كبير من الشباب ينزعجون منها ، والدافع الوحيد هو الإجبار ، والعلامة المدرسية والجامعية ، كيف يمكن أن نصنع علماً جميلاً للشباب ؟

مصادر إيصال العلم إلى الشباب :

الدكتور راتب :

والله كما تعلم هذا الإنسان يحتاج إلى توجيه ، فهناك الأسرة ، والمدرسة ، والإعلام، ثلاث مؤسسات كبيرة جداً تتولى توجيه الإنسان ، فالأسرة الأب مهمته الأولى أن يوجه أولاده والدليل :

((كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ))

[أبو داود عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو]



هو يطعمه ، يكسوه ، يضعه في المدرسة ، إذا ضيع ولده ، ولم يتعاهد ولده في التربية الإيمانية والأخلاقية والجسمية والعلمية والاجتماعية ، ما لم يتعهد هذا الابن بالتربية المنوعة بحكمة بالغة فقد ابنه ، وكثير من الآباء يكتشفون في لحظة حرجة أن ابنه لا ينتمي إليه، فكنت أقول في بلاد الغرب : عندما كان كلينتون رئيس الجمهورية ، أنا كنت في أمريكا بعهد كلينتون ، قلت لهم : لو بلغت منصباً ككلينتون ، وثروة كأوناسيس ، وعلماً كأنشتاين ، ولم يكن ابنك كما تتمنى فأنت أشقى الناس .

والحقيقة الدقيقة أن الله سبحانه وتعالى وصف مشاعر الأب تجاه ابنه الصالح بأن هذه المشاعر تتلخص بكلمة قرة عين ، قال تعالى :

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾

[سورة الفرقان: 74]

لا تصدق كم هي سعادة الأب إذا رأى ابنه سليماً في دينه ، وفي عقيدته ، وفي استقامته ، وفي سلوكه ، هذا الشعور لا يوصف ، كما أن الكون من آيات الله ، كما أن السموات والأرض من آيات الله ، كما أن الشمس والقمر من آيات الله ، قال تعالى :

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾

[سورة الليل : 1-4]

أي الأبوة آية من آيات الله ، قال تعالى :

﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾

[سورة البلد : 1-3]

الأبوة ذاتها ، والأمومة ذاتها ، أكبر آية دالة على عظمة الله ، فالأب لا يسعده إلا أن يكون ابنه كما يتمنى ، فلو لم يعتن بابنه واكتشف في وقت لاحق متأخر أن ابنه ليس على شاكلته ، ولا يؤمن بما يؤمن به الأب ، وبعيد عن هذا الجو ، كنت مرة في أستراليا ودعنا رئيس الجالية وكان إنساناً محترماً فقال لي : مزابل الشام خير من جنات أستراليا ، سألته : لماذا ؟ قال لأن ابنك خمسون بالمئة ملحداً ، خمسون بالمئة شاذاً ، وإن لم تصدق فاسأل .

نحن عندنا في بلادنا إيجابيات كبيرة جداً ، الابن ابن ، والأب أب ، والأخ أخ ، هناك علاقات أسرية جيدة جداً ، تماسك أسري ، أما حينما نبتعد عن الدين فالحياة مادة .

المذيع:

أول مصدر في إيصال العلم للشباب الأسرة .

الدكتور راتب :

ثم المعلم .

المذيع:

حديثنا متواصل عن أهمية العلم في بناء الشباب ، وأهمية الشباب المتعلم في بناء الأمة ، نرحب بشيخ الشباب فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، تحدثنا عن ثلاثة مصادر لإيجاد العلم عند الشباب ، بدأنا بالأسرة ونتحدث الآن عن دور المدرسة والإعلام .

دور المدرسة في إيجاد العلم عند الشباب :

الدكتور راتب :

الحقيقة الدقيقة أن هؤلاء الشباب ما طموحاتهم ؟ سؤال دقيق ، هذا الشاب يتمنى فرصة عمل يكسب منها رزقه ، يتمنى مأوى ، يتمنى زوجة ، ثلاثة طلبات ، فإذا لبينا لهم هذه الحاجات كانوا في خدمة الأمة ، وسبب ارتقاء الأمة ، وهم المستقبل ، وهم أمل الأمة .



لكن لابد من أن نوفر لهم الحاجات الثلاث بالحد الأدنى ، مسكن ، فرصة عمل ، زوجة ، فإن أغفلنا هذه الحاجات الأساسية وتعامينا عنها وانشغلنا بشؤوننا وجدنا هناك تطرفاً ، تطرفاً تفلتياً وتطرفاً تشددياً ، فحينما لا يرى هذا الشاب أهدافه الثلاثة الأساسية بسقفها الأدنى لا الأعلى متوافرة يتطرف، فإما أن يتفلت من منهج الله فيصبح إباحياً ، أو أن يتشدد فيكفر ويفجر ، فإذا أردنا أن نبتعد عن تطرف الشباب السلبي والإيجابي التشددي والتفلتي لا بد من توفير فرص عمل ، أنا عندما أصافح صاحب معمل يقول لي : أنا عندي أربعة آلاف وظيفة ، أنا أكبره كثيراً ، مرة أحد أصحاب المعامل من أخواننا الكرام استأذنني بإغلاق معمله، قال لي : ربحي صفر ، قلت له : كم عامل عندك ؟ قال : أربعة وثمانون عملاً ، قلت له : أنت تفتح أربعة وثمانين بيتاً ، إذا كل بيت فيه خمسة أشخاص حوالي خمسمئة إنسان يأكل من هذا المعمل ، مع أنك لا تربح ، فإبقاء العمل في هذا المعمل مع العلم أنك لا تربح هو أكبر ربح ، أنت فتحت أربعة وثمانين بيتاً ، لذلك الإنسان حينما يقيس أموره بالمادة فقط يقع بإشكال كبير ، هناك أرباح كبيرة جداً للإنسان ليس لها علاقة بالمال ، أنت وفرت فرص عمل للشباب ، فأنا حينما أقيس أموري بالمادة فقط أصبحت مادياً ، أما حينما أقيس بمجمل قيم الحياة أنا فتحت ستة وثمانين بيتاً ، المقاييس عندما تكون صحيحة يختلف الأمر .

المذيع: شيخنا الفاضل ما رأيكم بمستوى التعليم الذي يقدم الآن في الجامعات وعبر الإعلام؟

الاعتناء بالمعلم و تأمين رواتب جيدة له :

الدكتور راتب :



التعليم كلما اتسعت دائرته على حساب النوعية ، وكلما ارتفعت النوعية ضاقت دوائر التعليم أما أن يكون التعليم مجانياً بلا مقابل على مستوى الأمة ، وبأعلى مستوى فهذا مستحيل ، مثلاً : أنت عندك سيارة كبيرة مريحة بالسفر كأنها سفينة ، وسيارة صغيرة جداً مصروفها قليل ، إن طالبتني بسيارة كبيرة أربعة طن ، بمصروف الصغيرة هذا مستحيل ، لا تطلب جمع المتناقضات ، إذا أردت تعليماً جيداً لابد من دفع رواتب جيدة ، والمعلم إنسان ، أحياناً يعطى المعلم أجراً لا يكفيه عشرة أيام ، يضطر أن يشتغل عملاً ثانياً وثالثاً ، فحينما تتنوع أعمال المعلم حتى يؤمن قوت يومه لن يعطي كل ما عنده للطالب ، فأنا أقول دائماً : سمعت عن ألمانيا الدولة الأولى في العالم التي تكرم المعلم ، معلم في قرية أفضل بيت للمعلم، هذا الذي ينهض بالأمة ، بالاحتفالات الرسمية يدخل المعلم قبل رئيس الجمهورية ، هذا الترتيب الألماني ، هذا الإنسان كيف يعطي كل ما عنده من مبادئ وقيم إذا كان عنده معاناة مالية كبيرة جداً ؟ تجد المعلم يبحث عن أعمال كثيرة عنده بعد الظهر عمل ، وفي الليل عمل ، وباكراً عنده عمل ، قضية تخفيض رواتب المعلمين إذا اعتبرناها ظاهرة عشوائية فهي مشكلة كبيرة ، إذا اعتبرناها ظاهرة وراءها تخطيط فالمشكلة أكبر .

المذيع:

ماذا عن الإعلام دكتور ؟

دور الإعلام في توجيه الشباب :

الدكتور راتب :

هناك نقطة دقيقة ؛ أنت من هي الحواضن الثلاث التي تربي الإنسان ؟ الأسرة ، ثم المدرسة ، ثم الإعلام ، فإذا أوهمنا المرأة أنه إن لم يكن لك عمل فأنت لست امرأة حضارية ، تركت بيتها ، فلما ترك البيت من ربى الأولاد ؟

الخدم ، هذه أول خطة ذكية جداً لإضعاف الأمة، أن تقنع المرأة أن قيمتها بعملها خارج البيت ، وفي العالم الغربي أرقى مستوى للمرأة إن كتب على بطاقتها : سيدة منزل ، أرقى مستوى لأنها تربي الأولاد .

((أول من يمسك بحلق الجنة أنا ، فإذا بامرأة تنازعني تريد أن تدخل الجنة قبلي، قلت : من هذه يا جبريل ؟ قال : هي امرأة مات زوجها ، وترك لها أولاداً فأبت الزواج من أجلهم))

[الأدب المفرد للبخاري]



المرأة التي تربي أولادها تعبد الله فيما أقامها ، تربية الأولاد أعلى مستوى تصل إليه المرأة ، الإعلام والثقافة العامة، والطروحات في الانترنيت ، والفيس بوك ، توهم المرأة أنك لا تكوني امرأة حضارية إلا إذا كان لك عمل خارج البيت فأهملت زوجها و أولادها ، كما لو أقنعنا الطيار أن يجلس مع الركاب ، هناك أربعمئة راكب في رقبته ، هذا البيت الصغير مدرسة لقادة الأمة ، فإذا كان هناك قادة للأمة إذاً هناك أم متفرغة لأولادها ، ترعى شؤونهم ، دراستهم ، صحتهم ، عاداتهم ، تقاليدهم ، هذه أشياء دقيقة جداً ، أنا عندما أوهم المرأة أن مكانتك فقط في خروجك من البيت ، هذه مشكلة كبيرة جداً ، فإما أن تكون عفو الخاطر ، وإما أن تكون مبرمجة من أجل إضعاف الأمة .

هذا المعلم ، لماذا أقل دخل للمعلم ؟ هذا يتولى تربية أبنائك ، الحداد علاقته مع الحديد ، النجار مع الخشب ، والبناء مع الأسمنت ، وهذا المعلم علاقته مع من ؟ مع فلذة أكبادنا ، مع أغلى إنسان في حياتنا ، تسلم ابنك لمعلم ، يجب أن يعمل عدة أعمال حتى يكفيه رزقه ، إذاً ليس متفرغاً للتعليم .

المذيع:

شيخنا في حديثنا عن التعليم والمعلمين ، هل الجامعات هي المصدر الوحيد للمعلومات للشباب أم أن هناك مصادر أخرى ؟

تنوع مصادر العلم :

الدكتور راتب :

هناك مصادر كثيرة ، هناك تعريف لاذع للجامعة في الدول النامية ، هي مدرسة يدخلها الطالب متواضعاً جاهلاً يخرج منها جاهلاً متكبراً .


الاعتناء بالتعليم والمواد التربوية ينهض بشباب الأمة

إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم ، أخطر شيء نصف العالم ، دعني من الجامعة ، نصف العالم لا هو عالم يفيد من علمه ، ولا هو جاهل يقبل أن يتعلم ، معه شهادة أعطته كبراً لا يقبل أن يتعلم ، لذلك تعلموا قبل أن ترأسوا فإن ترأستم فلن تعلموا ، نحن إذا اعتنينا بالتعليم الابتدائي والإعدادي والجامعي ، صار الآن في الجامعات مواد توجيهية ، بأي فرع في الجامعة هناك مواد تربوية أخلاقية ، في جامعاتنا في سوريا هناك مادة اللغة العربية ، بأي فرع ، طب ، هندسة ، فلك ، فيزياء ، هذه لغتنا ، لو أضيف لهذا المادة في اللغة العربية مادة توجيهية قيمية أخلاقية ، طبيب يحتاج مبادئ وأخلاق ، فنحن عندما نعتني بالمناهج قطعنا خطوات كبيرة جداً .

نحن عندنا التعليم وعندنا الأسرة ، فإذا أقنعنا المرأة أن مكانتك الاجتماعية تتأتى من عمل خارج البيت أفقدناها مهمتها الأولى ، والتعليم الابتدائي والإعدادي والثانوي إذا لم يكن فيه مواد دينية يتولاها اختصاصيون يستطيعون تقديم الدين بشكل مبسط ، بشكل رائع محبب ، هذه مشكلة ثانية .

المذيع:

إذا كان مصدر العلم دول الغرب هل تشجع الشباب على يذهبوا إلى هناك ؟

ثقافة أية أمة ملك البشرية جمعاء :

الدكتور راتب :

سئل أحد الأدباء الكبار عن هذا الموضوع : ماذا نأخذ وماذا ندع عن الغرب ؟



قال: نأخذ ما في عقولهم وندع ما في نفوسهم . عندهم إباحية ، اختلاط ، إنكار للوجود ، وعندهم علم، نأخذ ما في عقولهم وندع ما في نفوسهم ، هناك منهج آخر قالوا : ثقافة أية أمة ملك البشرية جمعاء لأنها بمثابة عسل استخلص من زهرات مختلف الشعوب على مرِّ الأجيال ، وهل يعقل إذا لدغتنا جماعة من النحل أن نقاطع عسلها ؟ نأخذ ما في عقولهم وندع ما في نفوسهم ، نأخذ علمهم وندع عاداتهم وتقاليدهم ، فأما إذا أخذنا عاداتهم وتركنا علمهم فجمعنا السيئين .

المذيع:

شيخنا الفاضل مجموعة من الشباب يحبون أن يتثقفوا أكثر في دينهم ، هذا مهندس وآخر معلم ، ورياضي لا يمتلكون الوقت ليتفرغوا لدراسة الشريعة ، ما مصادر العلم الشرعي ؟

مصادر العلم الشرعي :

الدكتور راتب :

حينما يهبط إنسان من طائرة بالمظلة ، هناك حقائقُ كثيرة عن المظلة ، نوع قماشها، مساحته ، شكله ، لونه ، نوع حبالها ، أطوالها ، أقطارها ، ألوانها ، الحبال كم حبل ، لا يعرف إلا معلومة واحدة إذا جهلها نزل ميتاً. طريقة فتح المظلة ، يجب أن تُعلم بالضرورة .

فهذا عبر عنه العلماء بكلمة دقيقة ما ينبغي أن يعلم بالضرورة ، مهندس ، طبيب معه بورد ، كل هذه الشهادات وتلك العلوم لا تغنيه عن أن يعرف ربه ، وأن يعرف سرّ وجوده ، وغاية وجوده ، هذا سماه العلماء ما ينبغي أن يعلم بالضرورة ، هذا مبذول في كل مكان ، في الانترنيت ، في الجوامع، المعاهد ، في كل مكان مبذول ، الذي طلب الحقيقة يجب أن يتابعها من مصادرها ، فكما



أنني أنا رجل دين إن أعطيتني تخطيط قلب أنا أمي فيه ، أرى خطوطاً هكذا أما طبيب القلب فيقول لك : عنده انقباض ، هنا عنده ضعف في عضلة القلب ، تسرع ، يفهم من التخطيط أشياء كثيرة ، أنا أمي في قراءة تخطيط القلب ، وهو أمي في الدين ، ليس كل إنسان معه شهادة عليا يظنّ نفسه عالماً ويكتفي بعلمه ، العلم الدنيوي علم حرفة .

المذيع:

ما الحد الأدنى المطلوب من العلم الشرعي ؟

الحد الأدنى المطلوب من العلم الشرعي :

الدكتور راتب :

أركان الإيمان ، وأركان الإسلام ، والأحكام الفقهية المتعلقة باختصاصه ، هذا ينبغي أن يعلم بالضرورة كطريقة فتح المظلة لا بد أن تعرف بالضرورة .

المذيع:

شيخنا الفاضل هل تستبشر خيراً بالأمة إذا الشباب أصبحوا أكثر إقبالاً على العلم الحقيقي ؟

الاستبشار بالشباب إن أقبلوا على العلم الحقيقي :



الدكتور راتب :

نعم ، العلم سلاح ذو حدين ، إذا طلب الحقيقة ، وطلب الجامعة يستخدم كل شيء قرأه كأدلة إيجابية لصالح دينه دون أن يشعر ، أما إذا أراد شيئاً آخر فقد يستخدم بعض الأشياء السلبية كنظرية دارون مثلاً لمناقضة الدين.

خاتمة و توديع :

المذيع:

أشكر الدكتور العلّامة على هذه الكلمات الطيبة ، و الشكر لكم مشاهدينا الكرام في حديثنا عن أهمية العلم في بناء الشباب ، وأهمية الشباب المتعلم في بناء الأمة ، بحول الله عز وجل نقاط كثيرة مع فضيلة الدكتور ، والحديث يبقى متواصلاً على الملفات التي تهم الشباب في حلقاتنا المقبلة فابقوا معنا .

سبحانك اللهم وبحمدك ، نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك ، تحية طيبة لكم ، والسلام عليكم .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2 - 3) : أصل الدين معرفة الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

الأستاذ:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا أشرف خلق الله أجمعين محمد بن عبد الله الصادق الأمين، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

أيها الأخوة الكرام أينما ما كنتم، مشاهدو قناة الإيمان الفضائية نرحب بكم، في هذا اللقاء المباشر وعلى الهواء من جامع الصالح بالعاصمة صنعاء.



أخوة الإيمان أينما كنتم، ما أروع أن يتفقه المؤمن في دينه، وما أحسن أيضاً أن يتفهم المعاني الجليلة بنعمة ديننا الإسلامي الحنيف، كيف ينبغي لنا أن نتعلم هذا الدين؟ كيف ينبغي لنا أن نهيئ عقولنا وقلوبنا أيضاً لسماع الموعظة الحسنة بالحكمة؟ وكيف ينبغي لنا أن نتفقه في كل ما يتعلق بكتاب الله وسنة رسوله؟ كيف نتعرف إلى الإعجاز العلمي في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ؟ كيف نسخر عقولنا ونهيئها لما يفيد الأمة لما يفيدنا في دنيانا ويفيدنا في آخرتنا أيضاً؟ كيف ينبغي لنا أن نساعد أولئك الشباب الذين ينجرون أحياناً وراء الأهواء ووراء التأويلات الباطلة بدون بصيرة؟ كيف ينبغي لنا أن نفقه الشباب؟ كيف ينبغي لنا أن نفقه أنفسنا؟ كيف ينبغي لنا أن نتدبر آيات الله؟ بل كيف نعرف الله تعالى؟ كيف نعرف مخلوقاته؟ كيف ينبغي لنا أن نرسخ مبدأ الوسطية والاعتدال في سلوكنا وفي عبادتنا مع الله سبحانه وتعالى؟ وكذلك أيضاً في أسلوب الدعوة إلى الله؟.

معنا في هذا اللحظات المباركة وفي هذا المكان المبارك بجامع الصالح بالعاصمة صنعاء، لدينا ضيف كريم عزيز شرفنا، يزور بلده الثاني اليمن، إنه شيخٌ فاضلٌ، وأستاذ أكاديمي متفرد في طرحه، متفرد أيضاً في علمه، متفرد أيضاً في أسلوبه الجذاب، من سمعه أنصت إليه، وانجذب إلى حديثه الشيق، من أجل ألا نقطع تلك اللحظات الرائعة لا بد من أن نعرف بضيفنا الكريم العزيز، هو فضيلة الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي، أستاذ الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة، بكلية التربية بجامعة دمشق، فمرحباً بك في هذا اللقاء المباشر عبر نافذة قناة الإيمان وفي هذا الصرح الإسلامي الشامخ جامع الصالح بالعاصمة صنعاء.

الدكتور راتب:

بارك الله بكم، ونفع بكم، وجعل هذه القناة أسلوباً من أساليب الدعوة الحديثة إلى الله.

الأستاذ:

آمين يا رب العالمين، نرحب بك في هذا اللقاء، والمشاهد الكريم يعرفكم من خلال مشاهدته لدروسكم التي تبث عبر القنوات الفضائية المفيدة بإذن الله تعالى، حبذا لو أردنا من فضيلتكم أن تعرف المشاهد الكريم كيف ينبغي له أن يعرف الله تعالى من خلال مخلوقاته؟ من خلال قدراته في مخلوقاته؟

أصل الدين معرفة الله :

الدكتور راتب:



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى صحابه الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين، ندعو فنقول: اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

الحقيقة الدقيقة: أن أصل الدين معرفة الله، ذلك أن الإنسان إذا عرف الله أولاً، أو عرف الآمر ثم عرف الأمر تفانى في طاعة الآمر، أما إذا عرف الأمر ولم يعرف الآمر تفانى في معصيته، فإذا أردت أن تضع يدك على مشكلة المسلمين الأولى أنهم من خلال نشأتهم، ودراستهم، ومن خلال خطباء المساجد، تعرفوا إلى الأمر، إلى الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، تعرفوا إلى بعض أحكام الفقه، لكنهم غفلوا عن أصل الدين وهو معرفة الله عز وجل، الله عز وجل ذات كاملة لا تدركها الأبصار، ولكن العقول تصل إليها من خلال آثارها، فالكون كله أثر من آثار خالق السماوات والأرض، فنحن بالإمكان أن نعرف الله من خلقه.

العبادة الأولى هي التفكر في خلق السماوات والأرض :

لذلك التفكر في خلق السماوات والأرض هي العبادة الأولى، والشيء الذي يلفت النظر أنك إذا قرأت آية في كتاب الله فيها أمر هذه الآية تقضي أن تأتمر، وإذا قرأت آية فيها نهي هذه تقضي أن تنتهي، وإذا قرأت آية فيها وصف لحال أهل الجنة تقضي هذه الآية أن تسعى إلى الجنة، وإذا قرأت آية فيها وصف لحال أهل النار تقضي هذه الآية أن تفر من النار، وإذا قرأت قصة قوم سابقين عصوا ربهم فأهلكهم الله تقضي أن تعتبر، لكن إذا وجدت في القرآن ألف و ثلاثمئة آية تتحدث عن الكون والإنسان، هذه الآيات ما موقفك منها؟ أنا أراها وأظن أنني على صواب أنها منهجٌ للتفكر في خلق السماوات والأرض، لأن الله عز وجل يمكن أن نصل إليه من خلال خلقه، وكأن هذه العبادة فيها أمر قطعي الدلالة:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآَيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

[سورة آل عمران]

يتفكرون فعل مضارع يفيد الاستمرار:

﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

[سورة آل عمران]

التفكر في خلق السماوات و الأرض أرقى عبادة على الإطلاق :

نحن أستاذنا الجليل إذا تفكرنا في خلق السماوات والأرض عرفنا الله، وإذا عرفناه أطعناه، لأن الإنسان حينما يعرف الآمر ينفذ الأمر .



أما إذا غفلنا عن هذه العبادة واكتفينا بالأوامر فربما تغلبنا شهوتنا فلا نلبي هذه الأوامر، فلذلك أصل الدين معرفته، وطريق معرفته التفكر في خلقه، لله عز وجل آيات ثلاثة، موضوعات كبرى، له آيات كونية هي خلقه، وله آيات تكوينية هي أفعاله، وله آيات قرآنية هي كلامه، فالطريق إليه من خلال الآيات الثلاثة: الكونية والقرآنية والتكوينية.

وقد قيل: القرآن كون ناطق، والكون قرآن صامت، والنبي عليه الصلاة والسلام قرآنٌ يمشي، إذاً الذي يمكن أن نعالجه في هذا اللقاء الطيب، كيف نعرف الله من خلال خلقه؟ الأداة هي التفكر، وكأن الله أمرنا أن نتفكر في خلق السماوات والأرض، بل أن يأتي التفكر على شكل خبر وهذا أبلغ عند علماء البلاغة.

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ ﴾

[سورة البقرة الآية:233]

ولم يقل أيتها الوالدات أرضعوا أولادكن، هذا شيء لا بدّ من أن يكون، إذاً من صفات المؤمن:

﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

هذه العبادة تعد أرقى عبادة، بل إن هذه العبادة تضعك وجهاً لوجه أمام عظمة الله، هذه العبادة هي أقصر طريق إلى الله وأوسع بابٍ ندخل منه على الله.

الأستاذ:

العبادة بمفهومها الواسع، والعبادة بمفهومها الضيق عند من لا يفقه، هل هناك عبادة تستحق أن تكون عصرية غير العبادة المعروفة حتى نتقرب بها إلى الله من أجل أن نتفكر بمخلوقاته؟

العبادة طاعة طوعية و ليست قسرية :

الدكتور راتب:

بالأصل العبادة واسعة جداً، نحن ضيقنا مفهوم العبادة بخطأ منا، فالعبادة طاعة طوعية، خضوع لمنهج الله، لتفاصيله، طاعة طوعية وليست قسرية، لأن الله سبحانه وتعالى ما أراد أن تكون علاقتنا به علاقة إكراه، قال:

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾

[سورة البقرة الآية: 256]



أراد الله عز وجل أن تكون علاقتنا به علاقة حب، أن تكون المحبة أساس العلاقة بيننا وبينه، لذلك ما أراد أن يكرهنا بالدين،

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾

فهي طاعة طوعية، ممزوجة بمحبة قلبية، أي أرادنا أن نأتيه باختيار منا، أرادنا أن نأتيه بمبارده منا، أرادنا أن نأتيه محبين، أرادنا أن تكون علاقتنا به علاقة حب، هي طاعة طوعية، ممزوجة بمحبة قلبية، لذلك قالوا: ما عبد الله من أطاعه ولم يحبه، وما عبد الله من أحبه ولم يطعه، هي طاعة ليست قسرية ولكنها طوعية، ممزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية، في هذا التعريف أنا أسميه تعريفاً جامعاً مانعاً، هناك جانب سلوكي هو الأصل، وجانب معرفي هو السبب، وجانب جمالي هو الثمرة، أولاً: إذا ألغيت الاستقامة من الدين، إذا ألغيت تطبيق منهج الله بتفاصيله، إذا ألغيت المنهج القويم الذي جاء به سيد المرسلين، إن ألغيت التطبيق، إن ألغيت الحركة، وبقي الإسلام إعجاباً سلبياً، هذا الإسلام عندئذٍ لا يقدم ولا يؤخر.

ولا بدّ من التذكير بهذه الحقيقة، يقول سيدنا سعد بن أبي وقاص: ثلاثةٌ أنا فيهن رجل، وكلمة رجل في الكتاب والسنة والسيرة لا تعني أنه ذكر، تعني أنه بطل، قال: ثلاثة أنا فيهن بطل، وفيما سوى ذلك فأنا واحد من الناس، من هذه الثلاثة: ما سمعتُ حديثاً من رسول الله ﷺ إلا علمت أنه حقٌ من الله تعالى.

توجيهات النبي ليست من اجتهاده ولا من معطيات عصره إنما هي وحي يوحى :

ذلك أن النبي وحده الذي قاله ليس من خبرته، ولا من تجاربه، ولا من اجتهاده، بل ولا من معطيات عصره، الذي جاء به وحي من السماء.

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾

[سورة النجم]

هذا الذي جاء به النبي الكريم حقٌ صرف، لأن الله عصمه من أن يخفق في أقواله وأفعاله وإقراره، لأنه أمرنا أن نطيعه، فلو أنه يخطئ لكان الأمر بالمعصية، إذاً لا بد من أن نعتقد جازمين أن النبي عليه الصلاة والسلام معصومٌ في أقواله، وأفعاله، وإقراره، لكن قد يقول أحد الأخوة المشاهدين: ألم يقل الله عز وجل؟

﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ ﴾

[سورة التوبة الآية:43]

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴾

[سورة عبس]

أنا لي تأويل لطيف حول هذا الموضوع: هذا التصويبات هي وحي السماء، بل إن الله ترك للنبي الكريم هامشاً ضئيلاً جداً اجتهادياً، فإذا أصاب في اجتهاده سكت الوحي وأقره عليه، وإن لم يكن هذا الاجتهاد كما يريد الله عز وجل يأتي الوحي ويصوبه للنبي عليه الصلاة والسلام، لماذا؟ ليكون هناك فرقٌ بين مقام الألوهية المطلق وبين مقام البشرية، فهذا الاجتهاد إن لم يأت كما أراد الله يأتي الوحي ليصوبه ليكون هذا الإنسان بشراً لئلا يعبد من دون الله، لذلك النبي الكريم بشر يحب كما يحب البشر، ويكره كما يكره البشر.

والله عز وجل من حين لآخر يسمح له أن يجتهد، فإذا لم يأتِ اجتهاده كما أراد الله الوحي يصوب له، وهذا الهامش الضيق من الاجتهاد الذي سمح الله به ليكون الفرق الكبير بين مقام الألوهية ومقام البشرية.

الأستاذ:

من خلال هذا الطرح العبادة أحياناً الناس يظنون بأنها فقط بالصلاة، بالصيام، بالانزواء، أحياناً لا يشملون الحياة في أن تكون جزءاً من العبادة، وهو ما نريده و ما يحتاج إليه أبناؤنا.

الإسلام منهج تفصيلي :

الدكتور راتب:

صدق أستاذنا الجليل، صدق ولا أبالغ، إذا توهم الناس أن الإسلام العبادات الخمسة فقط فهذا خطأ فادح، والدليل يقول عليه الصلاة والسلام:

((بُنِي الإسلامُ على خَمْسٍ))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن عبد الله بن عمر]

الإسلام كيان آخر غير الخمس، الخمس دعائم.

((بُنِي الإسلامُ على خَمْسٍ))



بناء من عشرات الطوابق له خمسة أعمدة، هذه الأعمدة ليست هي البناء، هي أعمدة البناء، فالإسلام بني على خمس، إذاً ما الإسلام؟ الإسلام منهج تفصيلي، منهج لهذا الإنسان تفصيلي، أنا أقترح رقماً ولا أظنني مبالغاً، أي يبدأ هذا المنهج من فراش الزوجية وينتهي بالعلاقات الدولية، وقد يصل إلى خمسمئة ألف بند، الإسلام منهج تفصيلي، كيف تكسب مالك؟ كيف تنفقه؟ كيف تتزوج؟ كيف تكون علاقتك مع زوجتك؟ كيف تنجب الأولاد؟ كيف تربي الأولاد؟ كيف تؤدي عملك؟ كيف تحرص على أن يكون الدخل حلالاً؟ آلاف الأسئلة، آلاف الموضوعات، ولا أبالغ إن قلت قد يبدأ من فراش الزوجية وينتهي بالعلاقات الدولية، وقد يصل عدد قضايا الدين إلى خمسمئة ألف، هذا الذي أريد أن يكون واضحاً لدى الأخوة المشاهدين.

الأستاذ:

بارك الله فيكم، دكتور هناك أيضاً من الشواهد القرآنية التي تؤكد الإعجاز العلمي في هذا المجال، مثل البعوض ضرب الله به مثلاً أيضاً، وهناك أشياء كثيرة جداً حتى في أنفسنا لا ندرك، نحن نرى ونبصر ولكن لا ندرك ما وراء ذلك النظر؟ وما وراء تلك البصيرة؟.

الله عز وجل من حرصه على هداية خلقه أرسل لهم أنبياء ورسلاً :

الدكتور راتب:

ولكن أريد أن أقدم للإعجاز، ذلك أن الله عز وجل من حرصه على هداية خلقه يرسل لهم أنبياء ورسلاً، فيأتي إنسان يقول لمن حوله: أنا رسول الله، معه منهج، معه افعل ولا تفعل، فالذين ألفوا أن يعيشوا بلا ضوابط يكذبونه.

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً ﴾

[سورة الرعد الآية:43]



الآن، كيف يشهد الله لهذا الإنسان الذي هو رسوله أنه رسوله؟ لا بد من أن يجري على يديه خرقاً لنواميس الكون، وهذا الخرق لا يستطيعه إلا خالق السماوات والأرض، فإذا أجرى على يد النبي الكريم خرقاً لهذه النواميس فهذا أكبر دليل قطعي على أن هذا الإنسان رسول الله، أن يضرب إنسان البحر بعصاه فيصبح طريقاً يبساً، أن يلقي عصاً فإذا هي حية تسعى، أن يلقي إبراهيم عليه السلام بالنار فلا يحترق، هذه هي المعجزات، هي شهادة الله لعباده أن هذا الإنسان رسوله، لكن هذه المعجزات السابقة كانت حسية، ومعنى حسية أنها كتألق عود الثقاب، تتألق مرة وتنطفئ، تصبح خبراً يصدقه من يصدقه، ويكذبه من يكذبه.

الحقيقة المعجزة الحسية مقبولة إلى أقصى الحدود مع الأنبياء السابقين، لأن هذا النبي لقومه فقط، وتنتهي مهمته إذا جاء نبي آخر، ولكن النبي عليه الصلاة والسلام هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعثته خاتمة البعثات، وكتابه خاتم الكتب، فلا بدّ من أن تكون المعجزة مستمرة ولن تكن مستمرة إذا كانت حسية، إذاً لا بد من أنه تكون المعجزة عقلية.

لذلك هذا الكتاب المعجز القرآن الكريم فيه تقريباً ألفٌ وثلاثمئة آية تتحدث عن قضايا علمية، نسميها أحياناً السبق العلمي، قضية عالجها القرآن قبل ألف وأربعمئة عام، وبعد هذه العقود الطويلة، اكتشف العلم هذه الحقيقة،

فحينما يأتي القرآن بحقيقة علمية اكتشفناها الآن فهذا دليلٌ قطعيٌ لا يحتمل الشك أن الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل هذا القرآن.

أمثلة على أن الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل هذا القرآن :

لأوضح هذا بمثل: رائد الفضاء في أول رحلة إلى الفضاء الخارجي، إلى القمر، ركب مركبته، المركبة لها نوافذ، والجو حول المركبة نهار مضيء، ضوء الشمس، بعدما قطع مسافة تقدر بخمسة و ستين ألف كيلو متر صاح هذا الرائد بأعلى صوته: لقد أصبحنا عمياً لا نرى شيئاً، ما الذي حصل؟ طبقة الهواء يزيد سمكها عن خمسة و ستين ألف كيلومتر، فلما تجاوز رائد الفضاء طبقة الهواء، انتهت حادثة فيزيائية هي انتثار الضوء، حينما تسلطت أشعة الشمس على ذرات الهواء، هذه الذرات تعكسها على ذرات أخرى، فأنت في الأرض في مكان هناك شمس، وفي مكان آخر هناك ضوء، من أين جاء الضوء؟ من انعكاس أشعة الشمس على ذرات الهواء التي عكستها على ذرات أخرى، لكن عندما تجاوز رائد الفضاء طبقة الهواء، هذه الحادثة انتثار الضوء انتهت، فدخل الرائد في ظلام دامس، لأنه لم يعد هناك هواء، انتثار الضوء يحتاج إلى هواء، فلما تجاوزنا الهواء التغى انتثار الضوء، فدخل الرائد في ظلام دامس، فصاح بأعلى صوته لقد أصبحنا عمياً لا نرى شيئاً، هذه الحادثة من عشرين سنة، افتح القرآن الكريم:

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾

[سورة الحجر]

شيء لا يصدق، آية قرآنية نزلت قبل ألف وأربعمئة عام، رائد الفضاء قبل عشرين عاماً يقول: لقد أصبحنا عمياً لا نرى شيئاً، والله عز وجل يقول:

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴾

هذه آيةٌ من آيات الإعجاز.

البعوضة من آيات الله الدالة على عظمته :

مثلاً يقول الله عز وجل:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً ﴾

[سورة البقرة الآية:26]

أنا لا أتصور أن هناك مخلوقاً أحقر عند إنسان من بعوضة، بل إن النبي أشار إلى ذلك فقال:

((ولو كانت الدنيا تَعْدِلُ عند الله جَناح بعوضة ما سَقَى كافراً منها شَربة ماءٍ))

[أخرجه مسلم وأبو داود عن جابر بن عبد الله]



هذه البعوضة وضعت تحت مجهر إلكتروني، هذا المجهر يكبر خمسمئة ألف مرة، المجاهر السابقة تكبر ثماني مرات، هذا المجهر يكبر خمسمئة ألف، وضعت البعوضة تحت المجهر، الشيء الذي لا يصدق أن في رأس البعوضة مئة عين، وأنا عرضت الصور بالفضائية السورية، وفي فمها ثمانية و أربعون سناً، وفي صدرها ثلاثة قلوب؛ قلب مركزي، وقلب لكل جناح، وفي كل قلب أذينان وبطينان ودسامات، والبعوضة تملك جهازاً لا تملكه الطائرات، تملك جهاز استقبال حراري، فهي ترى الأشياء لا بأشكالها، ولا بألوانها، ولا بأحجامها، ولكنها ترى الأشياء بحرارتها فقط، جهاز استقبال حراري، حساسية هذا الجهاز واحد على ألف من الدرجة المئوية، أمامك إنسان حرارته تقدر بسبع و ثلاثين درجة وثلاث أرباع، أي أقصى شيء ربع درجة، أو معظم الناس نصف درجة، الذي يملك بصراً حاداً ربع درجة، أما البعوضة فحساسية هذا الجهاز واحد على ألف من الدرجة المئوية.



والبعوضة تملك جهاز تحليل، ما كل دم يناسبها، ينام أخوان على سرير واحد، تغرز خرطومها في جسم الأول وتفحص الدم، قد لا يعجبها دم الأول فتأخذ من الثاني، لذلك ينام أخوان على سرير واحد يستيقظ الأول وقد ملئ بلسع البعوض، والثاني لم يلسع أبداً، معها جهاز تخدير، فتخدر الإنسان ثم تغرز خرطومها في جسمه، فإذا انتهى مفعول التخدير شعر بلسعة بعوضة، فظنها على يديه فضرب يديه الأولى بالثانية بكل قوته، ثم يفاجأ أن البعوضة في سقف الغرفة تضحك عليه، لأنه عندما شعر بالألم انتهى مفعول التخدير، فمعها جهاز تخدير، معها جهاز تحليل، معها جهاز تمييع للدم، دم الإنسان سمج لا يسري في خرطومها، تميع الدم، وتخدر، وتفحص، معها جهاز استقبال حراري، وعندها برأسها مئة عين، بفمها ثمانية و أربعون سناً، بصدرها ثلاثة قلوب، أما خرطومها فكقطر الشعرة فيه ست سكاكين، أربع سكاكين على شكل مربع، وسكينان في داخل المربع، تلتئمان على شكل أنبوب لامتصاص الدم، هذه السكاكين الأربعة تحدث جرحاً مربعاً، ثم تنزل سكينان كل سكينة نصف دائرة، تلتئمان على شكل أنبوب تمص الدم.

الآن عندما أنت تقرأ قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً﴾



بعد اكتشاف المجهر الإلكتروني عرفنا قيمة هذه الآية، فالآية هذه من الإعجاز العلمي.

لذلك الله عز وجل جعل هذا الإعجاز شهادة له، أن هذا القرآن كلامه، وأن الذي جاء بالقرآن رسوله، هذه الشهادة مستمرة، أما جميع المعجزات الحسية السابقة فوقعت وانتهت وأصبحت خبراً يصدقه من يصدقه، ويكذبه من يكذبه، إذاً الإعجاز العلمي شهادة الله لمن أتى بعد النبي الكريم إلى يوم

القيامة، أن هذا القرآن كلامه، وأن هذا النبي نبيه.

الأستاذ:

هذه الشواهد هل يمكن أن تعكس أيضاً في عقل الإنسان وطريقة تفكيره؟ لماذا ينجذب الإنسان أحياناً لشخص ما فيعجبه حديثه ولا ينجذب للآخر مع أنه يكرر العبارات نفسها؟ هل هناك من إعجاز علمي يدخل في هذا؟.

الفرق بين الإنسان الموصول بالله والإنسان المرتزق بالدعوة :

الدكتور راتب:



والله أنا هذا الموضوع لي اجتهاد خاص فيه، يغلب على ظني أنه صحيح، لكن لا أجزم بذلك، الإنسان إذا تكلم بالحق وكان مطبقاً له، وكان مخلصاً في أدائه، الله عز وجل يهب لكلام هذا الإنسان قوة تأثير، هذه لا تملكها لا أنت ولا أنا، هذه يملكها الله عز وجل، أي يجعل القلوب تهفو إليه، يجعل هذا الكلام مقبولاً، يجعل هذا الكلام ذا تأثير كبير، أساس ذلك التطبيق هو الإخلاص، أما قد يتمتع الإنسان بذهن، بذاكرة قوية جداًً، وطلاقة لسان، وقدرة على التعبير، والتفنن في التعبير، فيتلو على الناس النصوص والآيات والأحاديث، لكنه غير مطبق لما يقول، فهذه القدرة الإلهية في قوة التأثير لا يملكها، لذلك قد تجد إنساناً يتمتع بأعلى درجات الفصاحة، وليست دعوته مؤثرة، يأتي إنسان آخر يتمتع بالصدق والمحبة لله عز وجل، لذلك قالوا: قول ألف في واحد، أي ألف إنسان محترف في واحد لا يؤثر، قول ألف متكلم فصيح اللسان، واضح الحجة، لا يؤثرون بواحد، وحال واحد في ألف، أي إنسان واحد يؤثر بألف وألف لا يؤثرون بواحد، هذا الفرق بين الإنسان الموصول بالله والإنسان المرتزق بالدعوة.

الأستاذ:

المرتزق بالدعوة الذي يتخذها وظيفة وليست دعوة؟

من يخلص فيما يقول ويطبق ما يقول يهبه الله قوة في التأثير :

الدكتور راتب:



يقول الإمام الشافعي: لأن أرتزق بالرقص أفضل من أن أرتزق بالدين، سمعت مرة قصة عن بلد إسلامي، قبل أربعين عاماً أعدموا عالماً كبيراً، كانت الظروف معقدة فجاؤوا له بشيخ ليلقنه الشهادة، هذا العالم ترك تفسيراً من أرقى التفاسير، وهذا الإنسان عالم كبير، لكن في ظروف معينة، ليس لنا علاقة بهذه الظروف الآن، جاؤوا له بشيخ ليلقنه الشهادة بحسب القوانين لئلا يموت كافراً، فقال له كلمة رائعة، قال: أنا أموت من أجل لا إله إلا الله، أما أنت فترتزق بها، مسافة كبيرة جداً. فلذلك المنتفع بالدعوة لا يؤثر أبداً، هذه الدعوة لا تحتمل أن تشوبها شائبة، هذه الدعوة إن لم تكن خالصة لا يكتب الله لها النجاح، فلذلك الدعاة الذين يؤثرون في الناس قد يكونون غير اختصاصيين، بعض الدعاة الكبار ليسوا مختصين بالشريعة، لكن معرفتهم بالله قوية جداً، فلذلك تركوا أثراً كبيراً.

أنا أقول: أنت حينما تخلص فيما تقول وتطبق ما تقول يهبك الله قوة في التأثير، لا يملكها إلا الله، هذه واحدة.

آيات الإعجاز شهادة الله للبشر أن هذا القرآن كلامه وأن هذا النبي رسوله :

مثلاً: تركب طائرة موديل 777 أحدث وحدة بالدرجة الأولى، كأنك جالس ببيتك، كل شي أمامك، أنا أتيت برحلة من دبي إلى الشام قبل أسبوعين، أمامي أربعمئة قناة، فكان كل شيء ليس معقولاً إطلاقاً، فضائية، والكرسي كأنك جالس بالبيت، فتركب طائرة تفتح القرآن الكريم تقرأ قوله تعالى:

﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا ﴾

[سورة النحل الآية:8]



أنت راكب طائرة 777 درجة أولى، كل ما يخطر على بالك موجود، تحب أن تنام تنام، تحب أن تستيقظ، تقرأ مجلة، تتابع قناة، هنا جاءت

﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا ﴾

ونكمل الآية:

﴿ وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة النحل]

لأنه كلام الله، هنا دخلت الطائرة،

﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

هذا من الإعجاز، لو لم يكن هذه الزيادة لما كان كلام الله،

﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

علم الأجنة تطور تطوراً كبيراً، وانتهى به المطاف بعد مئات السنين إلى أن الذي يحدد جنس الجنين ذكراً أو أنثى ليست البويضة، ولكنها الحوين، تفتح القرآن:

﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴾

[سورة النجم الآية:45]

شيء لا يصدق، هذا القرآن، بلغني أن كبار علماء العالم الغربي، أحد علماء اليمن جزاه الله خيراً، وكنت في زيارته، أطلع هؤلاء العلماء على آية قرآنية، جاءت قبل ألف وأربعمئة عام تتوافق مع أحدث كشف علمي، فأسلم عدد كبير، شيء لا يصدق، قرآن كريم، لأن الله عز وجل جعل إعجاز هذا القرآن في بعض آياته، فآيات الإعجاز شهادة الله للبشر أن هذا القرآن كلامه، وأن هذا النبي رسوله.

الأستاذ:

من خلال هذا الطرح أيضاً يتكشف لنا أنه قدرة الإنسان في أن يتفكر في خلق الله ضئيلة، ضعيفة، لأنه لا يعرف كيف يعمل هذا العقل، وكيف يفكر أصلاً.

جسم الإنسان من آيات الله الدالة على عظمته :

الدكتور راتب:



والله هذا سؤال مهم جداً، جزاك الله خيراً، هذا السؤال، أي الشيء أصله، أنت تصور أنه خرج من الرجل حوين، أو خرج ثلاثمئة مليون حوين في اللقاء الزوجي، حوين واحد دخل للبويضة، بعد تسعة أشهر صار طفلاً –جنيناً، بدماغه مئة و أربعون مليار خلية عصبية سمراء استنادية لم تعرف وظيفتها بعد، على قشرة الدماغ أربعة عشر مليار خلية قشرية، فيها الذاكرة، فيها المحاكمة، فيها التصور، فيها التخيل، الذاكرة مساحتها بحجم حبة العدس، تتسع لسبعين مليار صورة، الدماغ آية.

العين؛ في شبكية العين بالميليمتر المربع مئة مليون مستقبل ضوئي، وفي أحدث آلة رقمية – ديجيتل– احترافية غالية جداً، ثمنها بالملايين، بالمليمتر المربع عشرة آلاف مستقبل ضوئي، بالعين مئة مليون مستقبل ضوئي، من أجل أن ترى رؤية صافية شفافة شفافية تامة، جعل الله قرنية العين الطبقة الشفافة، هذه الطبقة تتميز عن كل أنسجة الجسم، أنها تتغذى لا بالأوعية الشعرية بل بالحلول، لو تغذت بالأوعية الشعرية لكنت ترى ضمن شبكة، لكنها الخلية الأولى تأخذ غذاءها وغذاء جارتها وينتقل الغذاء إليها عبر الغشاء الخلوي، تصميم من؟.

ماء العين، بالعين يوجد ماء، ولو سافرت إلى فنلندا لوجدت أن درجة الحرارة هناك تحت الصفر، ماء العين يلامس الجو، الإنسان يضع قبعة يغطي بها رأسه، يرتدي قفازات بيديه، جوارب صوف برجليه، ثياب صوفية، ثياب داخلية صوفية، معطف، كل شيء ممكن، لكن عينه لا يمكن أن يغطيها بالقماش الصوفي، يمشي في الطريق، فعينه فيها ماء، الشيء البديهي أن هذا الماء سيتجمد، وإذا تجمد الماء فقد الناس هناك البصر، أي كل أهل فنلندا والسويد والنرويج والدنمرك والقطب الشمالي يجب أن يفقدوا بصرهم، أودع الله في ماء العين مادة مضادة للتجمد.



﴿ سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ﴾

[سورة فصلت الآية:53]

من جعل هذا؟

الآن الشبكية، من آيات الله الدالة على عظمته، الشبكية لا يزيد حجمها عن ميلي وربع، من أجل أن ترى ثمانية ملايين لون، عين البشرية تستطيع أن تميز بين ثمانية ملايين لون، قال تعالى:

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴾

[سورة البلد]

الكون من آيات الله الدالة على عظمته :

لو فرضنا أننا انتقلنا من جسم الإنسان إلى السماء، بين الأرض وبين أقرب نجم ملتهب أربع سنوات ضوئية، ماذا تعني هذه الكلمة؟


نجم القطب يبعد عن الأرض أربعة آلاف سنة ضوئية

الضوء يقطع في الثانية الواحد ثلاثمئة ألف كيلومتر، بالدقيقة ضرب ستين، بالساعة ضرب ستين، باليوم ضرب أربع و عشرين، بالسنة ضرب ثلاثمئة و خمسة و ستين، بأربع سنوات ضرب أربع، ابنك الصغير بآلة حاسبة خلال دقيقتين يحسب لك هذا الرقم، وهو بعد أقرب نجم ملتهب للأرض عدا الشمس، هذا الرقم لو قسمناه على ثواني اليوم لكانت سرعة الضوء، شيء مذهل، لو أردنا أن نقطع هذه المسافة بمركبة، كم سنة نحتاج؟ قد لا تصدق، نحتاج إلى خمسين مليون عام حتى نقطع المسافة من الأرض لأقرب نجم ملتهب عدا الشمس، الشمس بيننا و بينها ثماني دقائق ، أما هذا النجم فبعده عنا أربع سنوات ضوئية، لو أردنا أن نصل لهذا النجم بسيارة أرضية لاحتجنا إلى خمسين مليون عام.


قلب برج العقرب يتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما

سؤال: متى نصل لنجم القطب؟ يبعد عنا أربعة ألف سنة ضوئية، كنا بأربع سنوات الآن بأربعة آلاف، المرآة المسلسلة بعدها عنا يقدر بمليوني سنة ضوئية بعض المجرات بعدها عنا يقدر بأربعة و عشرين ألف مليون سنة ضوئية.

الآن:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾

[سورة الواقعة]

أستاذنا الجليل، بين الأرض والشمس مئة و ستة و خمسون مليون كيلومتر، يقطعه الضوء في ثماني دقائق، والشمس تكبر الأرض بمليون وثلاثمئة ألف مرة، أي يدخل إلى جوف الشمس مليون وثلاثمئة ألف أرض، وبينهما مئة و ستة و خمسون مليون كيلومتر، وفي قوله تعالى:

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾

[سورة البروج]

أحد أبراج السماء برج العقرب، هو على شكل عقرب، أحد نجوم هذا البرج قلب العقرب، نجم صغير أحمر متألق، اسمه قلب العقرب، هذا النجم الصغير الأحمر المتألق في برج العقرب يتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما، هذا الإله العظيم يعصى؟ ألا يخطب وده؟ ألا ترجى جنته؟ ألا تخشى ناره؟.

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ذاك لعمري في المقال شنيعُ

لو كان حبك صادقاً لأطعتـه إن المحب لمن يحب يطيعُ

* * *

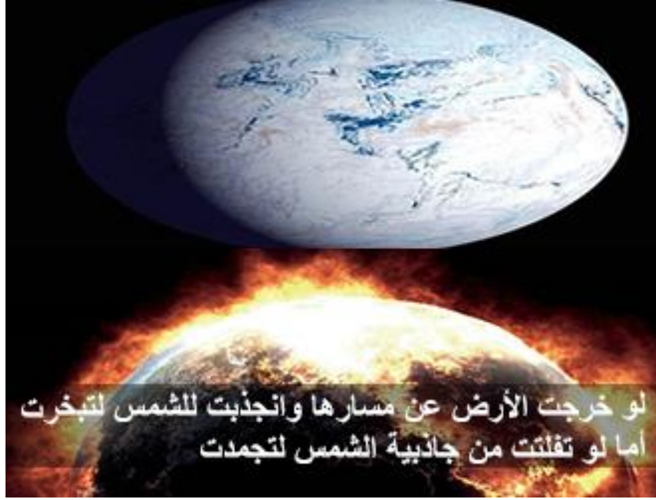
الآيات الرائعة في الكون :



الحقيقة يوجد بالكون آيات رائعة جداً، مثلاً الأرض تدور حول الشمس في مسار إهليلجي (أي بيضوي) دورة كل عام، وهذا الشكل له قطر أصغر و قطر أطول، فإذا اتجهت الأرض في مسارها حول الشمس إلى القطر الأصغر ضاقت المسافة بينها وبين الشمس، وقانون الجاذبية متعلق بالكتلة والمسافة، فكلما كبرت الكتلة ازدادت الجاذبية، وكلما قلّت المسافة بين الكتلتين ازداد الجذب، فإذا طالت المسافة قلّ الجذب، فلو بقيت هذه الأرض تمشي بسرعتها السابقة لانجذبت إلى الشمس، بفعل قصر المسافة ما الذي يحصل؟ لو أنها انجذبت للشمس لتبخرت في ثانية واحدة، ما الذي يحصل؟ قال: ترفع الأرض سرعتها لينشأ من رفع السرعة قوة نابذة تكافئ القوة الجاذبية فتبقى على مسارها، والآية الكريمة:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ﴾

[سورة فاطر الآية:41]



الآن الأرض وصلت إلى القطر الأصغر، الشكل بيضوي، قطر أطول وقطر أصغر، كانت هنا أصبحت هنا، سنتابع، لو أنها بقيت على سرعة عالية لتفلتت من جاذبية الشمس، وإن تفلتت أصبحت الحرارة صفراً مطلقاً، مئتان و سبعون تحت الصفر، لانتهت الحياة، قال الأرض هنا تخفض سرعتها، لينشأ من خفض السرعة قوة نابذة أقل تكافئ القوة الجاذبة الأقل فتبقى على مسارها، فإذا قرأت قوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ﴾

يجب أن يقشعر جلدك، معنى هذا أن الأرض تتحرك بيد الله عز وجل.

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾

[سورة الزمر الآية:67]

الآن هذه الأرض في نقطة دقيقة جداً القمر يدور حولها، لو أخذنا مركز الأرض ومركز القمر، وصلنا بينهما بخط، هذا الخط هو نصف قطر الدائرة التي هي مسار القمر حول الأرض، نصف القطر إذا ضربناه باثنين صار القطر، ضرب 3.14 البي نحصل على المحيط، فنحن من نصف قطر الدائرة التي هي مسار القمر حول الأرض نعرف محيط هذه الدائرة، ونعلم كم كيلومتر يقطع القمر في دورته حول الأرض، هذا في الشهر، في السنة نضرب باثني عشر، بألف سنة نضرب بألف، تأتي الآية الكريمة:

﴿ وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾

[سورة الحج]

الشيء الذي لا يصدق أنك إذا حسبت عدد الكيلومترات التي يقطعها القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام، وقسمتها على ثواني اليوم، لكانت سرعة الضوء، و هذا عمل أينشتاين حينما اكتشف أن السرعة المطلقة في الكون هي سرعة الضوء، والنظرية النسبية العملاقة الشهيرة التي قلبت مفاهيم الفيزياء أوردها الله في خمس كلمات بآية،



﴿وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ ﴾

أي ما يقطعه القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام، يقطعه الضوء في يوم واحد، هذه النظرية النسبية شيء لا يصدق.

الأستاذ:

الآية القرآنية:

﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾

[سورة الرحمن]

هل لهذه الآية علاقة بما تفضلتم به؟ وهل النفي هنا عندما قال:

﴿ لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾

قصد به شيئاً ما محسوساً؟

كلمة مواقع وحدها لو قرأها عالم فلك لخر لله ساجداً :

الدكتور راتب:

لا، نص الآية أن النفوذ مستحيل إلا بسلطان، فالسلطان هنا سلطان علم، لما جاؤوا بمركبة فضائية وجعلوا جوها الداخلي كجو الأرض تماماً، وانطلقت بسرعة أربعين ألف مايل بالساعة، وبلغت القمر، نفذوا، لكن كم قطعوا؟

قطعوا ثانية ضوئية واحدة، يقول لك: غزونا الفضاء، قطعوا ثانية ضوئية واحدة، بعد القمر عن الأرض ثانية وربع فقط، عن الشمس ثماني دقائق، عن أقرب نجم ملتهب أربع سنوات ضوئية، عن القطب أربعة آلاف سنة ضوئية، المرأة المسلسلة مليونا سنة ضوئية، أحدث مجرة أربعة و عشرون ألف مليون سنة ضوئية.



هذا النجم الذي رصدناه، بعده عنا يقدر بأربعة و عشرين ألف مليون سنة، كيف تمّ الأمر؟ كان نجم في هذا المكان، أصدر ضوءاً، بقي الضوء يمشي بالفضاء الخارجي لمدة أربعة و عشرين ألف مليون سنة حتى وصل إلينا، كم سرعة هذا النجم؟ مئتان و أربعون ألف كيلومتر بالثانية، أين هو الآن؟ كان في هذا المكان وتابع سيره، تأتي الآية:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾

ماذا يعني الموقع؟ يعني الموقع أن صاحب الموقع ليس في الموقع، هذا موقع فلان، فالنجم معنى هذا أنه كان هنا وتابع سيره، لو قال الله: بالمسافات بين النجوم ليس قرآناً، النجم ليس ثابتاً، فهذا النجم سرعته تقدر بمئتين و أربعين ألف كيلومتر بالثانية، أي سرعته تقترب من سرعة الضوء، كان بهذا المكان وأصدر ضوءاً إلى الأرض، هذا الضوء بقي يمشي في الفضاء الخارجي مدة أربعة و عشرين ألف مليون سنة حتى وصل إلينا، أما النجم نفسه أين هو الآن؟ لذلك الله تعالى قال:

﴿ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾

والله كلمة مواقع وحدها لو قرأها عالم فلك لخر لله ساجداً.

الأستاذ:

بهذا التفصيل الدقيق فعلاً الإنسان يشعر بعظمة الله سبحانه وتعالى، وقدرته الفائقة التي لا يمكن أن توصف ولا يمكن أن يصدقها عقل بسيط دون أن يتفكر في محيطه.

الله عز وجل عين الجهل به عين العلم به :

الدكتور راتب:

لذلك قالوا: العجز عن إدراك الإدراك إدراك، مثلاً لو وقفت أمام البحر المتوسط، وسألت كم لتراً هذا البحر؟ أي رقم تلقي به على مسامع السائل يدل على الجهل، الكلام الصحيح لا أدري، لذلك العجز عن إدراك الإدراك إدراك.

لذلك قالوا: الله عز وجل عين الجهل به عين العلم به، وعين العلم به عين الجهل به، إذا قلت لا أدري فأنت عالم، إذا كان السؤال متعلقاً بذات الله عز وجل.



الأستاذ:

بهذا القدر ما الذي يشوب أبناؤنا وبناتنا وأخواننا أيضاً وأخواتنا عندما يسيطر على أدمغتهم بفكر معين؟ فجأة ينقلب ذلك المسلم إلى قنبلة موقوتة تنفجر في المسلمين، يبدأ بالتكفير وينتهي بالتفجير، مهما أخبرته، مهما حدثته، صار مسيطراً عليه، كيف تمت العملية يا ترى؟ لماذا قَبِل الكلام ولم يقبل ما يخرجه؟.

الشباب مستقبل الأمة و أملها :

الدكتور راتب:

أقول لك قناعتي في هذا الموضوع: الشباب مستقبل الأمة، الشباب أمل الأمة .

لكن هؤلاء الشباب الطاقة المتفجرة في المجتمع، هؤلاء يحتاجون ببساطة بالغة إلى بيت يسكنونه، وزوجة، وفرصة عمل فقط، بيت وزوجة وفرصة عمل، وأي أمة لا توفر لهؤلاء الشباب هذه الأشياء الثلاث فهناك مشكلة كبيرة جداً، هذا الشاب نشأ في طريق مسدود، ليس له زوجة، لا يوجد معه مثلاً تكاليف الزواج، ولا فرصة عمل، ولا مسكن، ولا إيمان، هو أمام تطرفين، تطرف تفلتي، وتطرف تشددي، التفلتي: الإباحية، التشددي: التكفير ثم التفجير بالضبط، هذا رأيّ، هذا الشاب أمل الأمة، مستقبل الأمة في شبابها، فأي بلد، أي مجتمع، أي دولة،

يجب أن تهتم بهم اهتماماً كبيراً، أهم شيء أن تهيئ لهم فرص عمل، لذلك الذي يؤمّن فرص عمل للمواطنين إنسان عظيم جداً، وكل فرصة عمل صار هناك زواج، هيأ زواجاً لبنت، وهذا الشاب تزوج، وأنجب أولاداً، وعاش حياة مستقرة، ولو كان الدخل قليلاً.

فلذلك الإنسان حجمه عند الله بحجم عمله الصالح، فنحن يجب أن نشجع إنشاء معامل، إنشاء موارد رزق، حتى يعمل الشباب، هذا رأيي الشخصي، الشاب يجب أن توفر له فرصة عمل، وزواجاً، ومسكناً، ليس شرطاً أن يكون ملكاً بل لابأس إن كان أجرة، وإن وفرت هذه الأشياء انعدم الاضطراب عند هذا الشاب.

الأستاذ:

لكن الذين يسيطرون عليهم أحياناً هم لا يعطون هذه القضايا يقول له: أنت ستتزوج بالحور العين بعد دقائق، هو لا يزوجه في الدنيا، المشكلة في أسلوب الدعوة.

بطولة الحكومات أن تستوعب الشباب وتوظفهم في مجالات إبداعية :

الدكتور راتب:



أقول لك كلمة أخرى: أنا رأيي عندما يتبنى البلد الإسلام الوسطي لا يسمح لهذه الأقبية أن تبث هذه الأفكار، أما إذا كان البلد لم يتبنَ الإسلام إطلاقاً، بل وقف موقفاً سلبياً فهذه الأقبية تنشط، فأنا أريد أن أعطي- أنا كحكم- أعطي الشباب الإسلام الوسطي، هذا إسلام متوازن، كما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام، أما حينما يغيب عن الشاب الإسلام الوسطي فيتطرف، يتطرف لسببين، الأول: ما وجد الإسلام الحقيقي، والثاني: عنده مشكلات عبر عنها بهذا التطرف، هي مشكلة موجودة بالعالم كله، أنا

أقول: الإسلام يشبه النَفَس للإنسان، أنت بحاجة للتنفس بأي مكان، وكما أن هذا الشاب إنسان له حاجات، إن لبيت هذه الحاجات صار معك قوة كبيرة، الشباب قوة كبيرة جداً، بطولة الحكومات أن تستوعب هؤلاء الشباب، وأن تفجر طاقاتهم، وأن توظفهم في مجالات إبداعية، أما حينما يهمل الشباب، أنا أرى أن هذا يعد مشكلة كبيرة.

الأستاذ:

وأيضاً لا يوجد من يبصرهم بأمور دينهم وبقوة الإيمان.

البطولة أن نعيش الإسلام الذي عاشه النبي العدنان نفسه :

الدكتور راتب:

لذلك نحن بحاجة إلى دعاة مستبصرين، متفهمين، وسطيين، استوعبوا الثقافة المعاصرة، فهموا الدين فهماً حقيقياً، فهموا الدين حياة، فهموا الدين عملاً، ما فهموا الدين زهداً أو الدين عدواناً، أو الدين تكفيراً .



هذه كلها تطرفات، أنا أرى أن النبي عليه الصلاة والسلام جاء بالإسلام الحقيقي، منهجه في الحياة هو الإسلام، فلما جاء بعده أُناس اهتموا بالنصوص الشرعية فقط، والأحكام الفقهية، وغفلوا عن عظمة هذا الدين، وعن مبادئ هذا الدين، وعن كمالات هذا الدين، وعن مقاصد هذه الشريعة، وبقوا في الأحكام الفقهية، وأحكام الوضوء، والاستنجاء، والاستبراء، لما ضغط الدين لدرجة غير معقولة، صار مرفوضاً عند الشباب، لذلك جاء بعدهم أناس اهتموا بالقلب وبالإقبال على الله، وأهملوا الشريعة، تطرفوا تطرف الصوفيون، جاء الطرف الآخر أعاد الموضوع إلى النصوص، لكن أغفل القلب، جاء الاتجاه الثالث، فأنا الذي أراه أن بكل مرحلة هناك تطرفاً قابله تطرفاً، أما البطولة أن نعيش الإسلام الذي عاشه النبي العدنان نفسه.

لذلك سئل النبي الكريم في بعض إيجابياته، قال:

((إن أمتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة . ما الفرقة الناجية؟ – قال: ما أنا عليه وأصحابي))

[أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

منهج النبي الكريم جمع بين الدنيا والآخرة، جمع بين حاجات الجسم وحاجات النفس، في منهج متوازن، متكافئ، منهج معتدل، منهج وسطي، منهج ملخصه الدين هو الحياة.

الأستاذ:

بارك الله فيكم دكتور، في ختام هذا اللقاء الذي ما كنت أريد أن ينتهي أصلاً ولكنها سنة الحياة، الوقت ينتهي دون أن نشعر به، فإذا ما قدرناه حق تقديره أيضاً ربما نستفيد منه، ما هي النصيحة التي تقدمونها في ختام هذا اللقاء لشباب الأمة وكذلك أيضاً للعلماء وأسلوب الدعوة الوسطي الذي يصل إلى قلوب الناس؟

أسلوب الدعوة الوسطي الذي يصل إلى قلوب الناس :

الدكتور راتب:



والله أنا أرى أن عبئاً كبيراً ملقى على عاتق العلماء حينما يقدمون الدين على أنه أحكام فقهية فقط، أو على أنه تجاوزات للقوانين، كرامات، ومنامات، وأحوال، لا أقبل هذا ولا ذاك، أنا أريد الدين الذي جاء به النبي الكريم، الذي يعتمد على الكتاب والسنة اعتماداً كلياً، وعلى فهم الكتاب والسنة فهماً عميقاً مرناً يتناسب مع العصر، وأن نطبق هذا الدين، حتى نقطف ثماره، حينما لا نطبق الدين، ونتحدث به، هناك من يعادينا كثيراً، أما إذا طبقنا هذا الدين فتطبيق هذا الدين يبين الثمار اليانعة عندئذٍ يقبل الناس عليه.

بعض البلاد الإسلامية لم تتكلم بالدين ولا كلمة، لكنها طبقت هذا الدين، أقنعوا بهذا الإسلام أعداء الدين، أنا هذا إيماني، فالإنسان عنده ميزان دقيق، له صديق مسلم، صادق، أمين، مخلص، متفوق، منضبط، شيء عظيم، أما هناك شعار إسلامي وإهمال بالعمل، هناك شعار إسلامي، والأولاد غير منضبطين، والبيت غير إسلامي، والزوجة غير منضبطة، والكسب فيه شبهة، فانتهى بهذه الطريقة، هذا تناقض، التناقض خطير جداً، أنا أقول كلمة دائمة: الغرب مع الأسف الشديد أفضل مسوق لأسوأ بضاعة، ونحن مع الأسف الأشد أسوأ مسوق لأفضل

بضاعة.

الأستاذ:

عبارة جميلة جداً، اختصرت وكذلك أيضاً اختزلت كل المعاني والدلالات.

خاتمة و توديع :

إذاً فضيلة الدكتور لا يسعنا في ختام هذا اللقاء طبعاًً، إلا أن نشكركم شكراً ربما لا يستطيع لساني أن يصفه، لكنني سأقول أسأل الله تعالى أن ينفع بكم الإسلام، وينفع بكم أمة الإسلام، وينفع بكم كل من يريد العلم من المسلمين وغير المسلمين.

الدكتور راتب:

وأنا شاكر أيضاً لهذا البلد الطيب الذي استضافنا.

الأستاذ:



بارك الله بكم وعافاكم، مشاهدينا الكرام أينما كنتم لعلكم تابعتم معنا مجريات هذا اللقاء الشيق الذي ما كنا نريد أن ينقضي لولا أن الوقت داهمنا، ففيه الرضا، وفيه الحكمة، وفيه التدبر، وفيه أيضاً إعمال نعمة العقل فيما سخره الله سبحانه وتعالى لنا، وفيما هيأه لبني الإسلام، وفيما هيأه في هذه الأرض، وفيما خلقه بالكون كله، نعمة من الله تعالى ما علينا إلا أن نتفقه في أمور ديننا، وأن ننهل العلم من منبعه الصحيح، من منبع الوسطية المعتدلة التي تحببنا في ديننا، وتحببنا أيضاً بالنعم، حتى نستطيع أن نسوق بضاعتنا تسويقاً راقياً يليق بعظمة هذا الدين، الذي أراده الله سبحانه وتعالى للبشرية جمعاء، رحمة للعالمين.

أخوة الإيمان، مشاهدين قناة الإيمان الفضائية، أينما كنتم لا يسعني في ختام هذا اللقاء إلا أن أشكر باسمكم جميعاً فضيلة الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي، أستاذ الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة، شكراً جزيلاً على

هذا الوقت الذي منحنا إياه من وقته الثمين، هذه الفرصة الثمينة التي استفدنا وإياكم من خلالها، نشكره باسمكم جميعاً، وإلى أن نلقاكم، نستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3 – 3) : الطريق إلى معرفة الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الشباب:

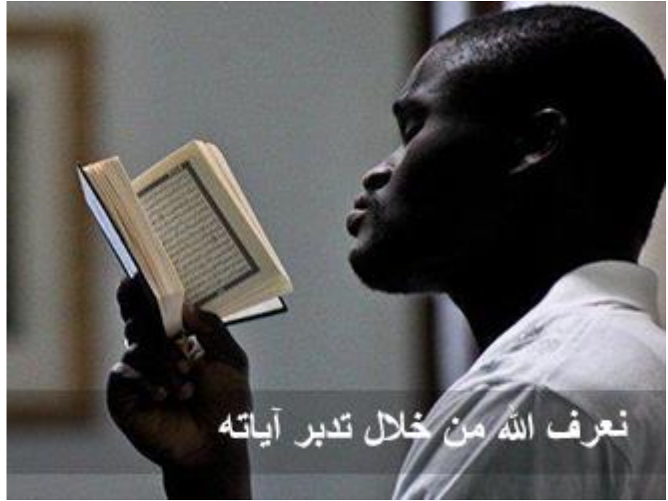
أصل الدين معرفة الله، لأنك إن عرفت الله ثم عرفت أمره فإنك تتفانى في طاعته، لكنك إن عرف الأمر ولم تعرف الآمر فإنك تتحايل لتجد طريقة تتهرب فيها من أمره. لذلك قيل: (لا تنظر إلى صغر الذنب ولكن انظر إلى عظمة من عصيت) .

وأما الطريق إلى معرفة الله تعالى ففي ثلاثة بنود:

1- من خلال التفكر في آياته الكونية (خلقه) لقوله تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآَيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

(سورة آل عمران)



2- من خلال تدبر آياته القرآنية (كلامه) لقوله تعالى :

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآَنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾

(سورة محمد)

3- من خلال النظر في آياته التكوينية (أفعاله) لقوله تعالى :

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾

(سورة الأنعام)

ولكي تتحقق من معرفة الله تعالى وتؤمن به إيماناً يقينياً يحملك على طاعته لا بد من مجاهدة النفس، إذ إن معرفة الله تعالى لا تُقرأ في الكتب ولا تكفي فيها الدراسة، بل لا بد فيها من جهد شخصي مركز بغية تحصيل العلم بالله تعالى.

قال تعالى :

﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآَخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

(سورة الزمر)

ففي هذه الآية الكريمة سمّى الله تعالى من يمضي ليله بين يدي الله عز وجل، وهو يخشى عذاب الله ويرجو رحمته سماه عالماً لأنه وصل إلى أعلى درجات العلم وهي العلم بالله تعالى.

وحتى يكون ذلك لا بد من البدء بالخطوة الأولى في طريق تلك المعرفة العظيمة وذلك ببرنامج يومي ينبغي المواظبة عليه :

بدايته قيام الليل : لأنه دأب الأنبياء والصالحين في طريقهم إلى الله تعالى، فالليل هو وقت الخلوة بالحبيب، تخرج فيه معاني الذل والانكسار والافتقار والخشية...تكتب الرسائل بالدموع ليحملها نسيم الأسحار إلى من قال: هل من سائل فأعطيه ؟



ما أحلاها من لحظات إنها لحظات الانكسار والندم، واستشعار الفقر والحاجة إلى من بيده ملكوت كل شيء ما أحلاها من لحظات تستشعر فيها قربك من مولاك، وتستنشق فيها نسيم الأسحار، ما أحلاها من لحظات وأنت تنظر في الساعة فتجد أن الوقت قد حان، وأن السائلين قد بدؤوا بتقديم الطلبات فتنفض النوم عن وجهك، وتسرع إلى المحراب تتذلل لمولاك، وتسأله مسألة المسكين، وتستغيث به استغاثة السقيم تعود فيها إلى أصل ضعفك وتنسى عوارض قوتك، تلح في الدعاء، وتذرف الدموع لعله يرى صدقك وفقرك ومسكنتك فيعطيك من خزائنه، أتراه يردك عن بابه وما أيقظك سواه قل : نعم يا رب، أنا السائل فأعطني، أنا المستغفر فاغفر لي وأنا العاري فاكسني وأنا الجائع فأطعمني، وأنا الضال فاهدني وأنا الحائر فأرشدني، وأنا الفقير فأغنني، وأنا الذليل فأعزني، وأنا الضعيف فقوني.

أدمن قرع الباب وقل عبيدك بفنائك، فقيرك بفنائك، مسكينك بفنائك......ألحّ في دعائك واستغث بمولاك استغاثة المشرف على الغرق وفر إليه فرار الخائف الوجل.

أخي الشاب:

لعلك تسألني: وكيف لي أن أقوم الليل وما هي الوسائل المعينة على ذلك؟ فقد جربت مراراً لكنني لم أستطع. في المقالة القادمة سأحاول أن أجيب على سؤالك بما ييسر الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الخامس : الشباب و الأصدقاء

الدرس (1 – 2) : العلاقة بين الاصدقاء

الدرس (2 – 2) : ثقافة الاختلاف و تقبل الآخر

الفصل الخامس : الشباب و الأصدقاء

الدرس (1 – 2) : العلاقة بين الاصدقاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ ، بتحية الإسلام نحييكم ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأهلاً ومرحباً بكم مشاهدينا الكرام ، سنتحدث في هذه الحلقة نحن وإياكم عن الملفات التي تساهم في بناء الفكر للشباب ، في بناء أمة النصر والتحرير بحول الله ، أرحب بفضيلة العالم الرباني الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي ، حياكم الله شيخنا .

الدكتور راتب :

بارك الله بكم ونفع بكم .

المذيع:

سيتمحور حديثنا في هذه الحلقة عن العلاقة مع الأقران ، علاقتنا نحن الشباب مع بعضنا البعض ، وعن علاقة الفتيات بين بعضهن البعض ، فبعض الأصدقاء لا يرى جمال الدنيا إلا من عيونهم ، وبعضنا قد تقوقع على ذلك الصديق ، اختزل كل الأشخاص في الحياة في صديق واحد ، فأين الصواب وأين الخطأ ؟ إلى أي درجة يمكن أن يكون دور الأصدقاء في بنائنا ؟ وماذا نأخذ منهم وماذا نعطيهم ؟ أسئلة كثيرة يدور الحوار فيها مع الشيخ محمد راتب النابلسي ، مرحباً بكم شيخنا ، ما أهمية الصديق في هذه الحياة ؟

بطولة الأب و الأم أن يعلموا أصدقاء أولادهم :

الدكتور راتب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألوِيَتِه ، وارضَ عنّا وعنهم يا ربّ العالمين ، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم ، إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وُحول الشهوات إلى جنّات القربات .



إجابة عن سؤالك الطيب والمهم أقول : إن نهاية العلوم النفسية يتبين أن تأثير الأب والأم والأخوة الكبار والعم والخال والعمة والخالة وشيخ المسجد وخطيب الجمعة ومدرس التربية الإسلامية كل هؤلاء الرموز التوجيهية في حياة الشاب تأثيرهم لا يزيد عن أربعين بالمئة بينما تأثير الصديق يصل إلى ستين بالمئة ، فالبطولة في الأب أن يعلم يقيناً من هو صديق ابنه ، وأن تعلم الأم يقيناً من هي صديقة ابنتها ، لأن هذا التأثير قوي جداً ، وهناك آلاف القصص التي تفيد أن سبب هلاك هذا الشاب هم أصدقاؤه .

المذيع:

وبالمقابل سبب صلاحه الفكري والسلوكي ، ستون بالمئة نسبة عالية جداً .

الدكتور راتب :

((لا تُصَاحِبْ إلا مُؤْمِنا ، ولا يأكُلْ طَعَامَكَ إلا تَقِيّ))

[أبو داود والترمذي عن أبي سعيد الخدري]

المذيع:

شيخنا ما المقصود لا تصاحب إلا مؤمناً ؟

العلاقة الحميمة ينبغي أن تكون مع المؤمن :

الدكتور راتب :

الحقيقة هناك علاقات منوعة ، علاقات عمل ، علاقات جوار ، علاقات زمالة ، هناك علاقات كثيرة ، علاقات العمل محدودة ضمن دوام ، تلتقي مع مدرس زميلك ، مع المدير العام ، له طلبات محددة تؤديها ، فعلاقات العمل لا تصمم مع العلاقات الحميمة ، علاقات الجوار لا تصنف مع العلاقات الحميمة ، علاقات الزمالة لا تصنع مع العلاقات الحميمة ، عندنا علاقات جوار وقرابة وزمالة ، القرابة علاقات ، والزمالة علامات ، والجوار علامات وعلاقات ، لكن الشيء الذي يؤثر هو العلاقات الحميمة ، بين صديقين أو بين صديقتين .

المذيع:

أفهم من كلامك شيخنا أن وصية النبي صلى الله عليه وسلم أن تكون الدائرة الأولى من الأصدقاء الذين نقضي معهم الوقت الأطول ، هؤلاء المؤمنون، لكن لا يمنع أن يكون لدي أصدقاء أيام الدراسة أو العمل على اختلاف مستواهم الديني .



الدكتور راتب :

حالياً زملاء العمل ، الأقران ، الأتراب ، الجوار ، هناك علاقة جوار ، علاقة قرابة، علاقة زمالة ، أما العلاقة الحميمة فينبغي أن تكون مع المؤمن والسبب قوله تعالى :

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾

[سورة الكهف: 28]

المذيع:

أنا كشاب أدرس في الجامعة ؛ الدائرة الأولى من الأصدقاء أعتقد أن مستواهم الإيماني مرتفع يذكرني بالله ، يصلون الصلوات الخمس ، يؤدون الفرائض ، يجتنبون النواهي ، لكن لا يمنع أن يكون لدي أصدقاء غير ملتزمين ، أنت دكتور ذكرت نقطة مهمة أن الأب والأم عليهم أن يختاروا الأصدقاء ، والواقع اليوم نقول : إن قلة من الآباء والأمهات يستطيعون أن يتدخلوا في حياة ابنهم ويختاروا له الصديق ، لدينا نوع من أنواع الاستقلالية في اختيار الأصدقاء ، فإذا كنا نحن من نختار ما هي نصيحتك دكتور ؟

الحكمة في التعامل مع الابن :

الدكتور راتب :

لاعب ولدك سبعاً ، وأدبه سبعاً ، وراقبه سبعاً ، ثم اترك حبله على غاربه .

المذيع:

هل هذا حديث ؟

الدكتور راتب :



حكمة ، ولكن العلم يوافق عليه ، لاعب ولدك سبعاً ، درسنا بعلم النفس أن الطفل يحتاج أن يضم إلى صدر أمه أو أبيه في اليوم حوالي عشرين مرة ، غير الأكل والشرب والتنظيف ، الطفل عنده حاجة أن يضم ، فيحتاج الطفل أن يضم إلى صدر أمه أو أبيه حوالي عشرين مرة ، بل إن الأم التي ترضع ابنها بقسوة ، بكى كثيراً وعندها ضيوف أرضعته بقسوة هذا له أثر مستقبلي في حياة الطفل ، فلاعبه سبعاً وأدبه سبعاً وراقبه سبعاً ، صار مراهقاً إن عاملته ككبير يخيب ظنك ، وإن عاملته كطفل يخيب ظنك ، عمر محير ، وراقبه سبعاً ، ثم اترك حبله على غاربه .

المذيع:

شيخنا على الهامش كثيراً ما نسمع من بعض الأشخاص أنه كان يأخذ ابنه إلى شيخه و عمره شهور فيقول : قد تأخرت يجب أن تأتيني به وهو في بطن أمه .

الانتباه إلى أخطر سنّ في حياة الأبناء :

الدكتور راتب :

أنا سأقول لك كلاماً علمياً ، من أول يوم بالولادة إلى سن السابعة يقتبس عاداته ، تقاليده ، خبراته ، مهاراته ، قدراته ، كل شيء تتمناه في ابنك يأخذه منك من ساعة الولادة إلى سن السابعة .



والذي كتب هذا البحث العلمي الدقيق اعتمد على أقوال العلماء قال : وبعد هذا السن العوض بسلامتك، نحن قد نهمل أولادنا في هذه السنوات الحرجة نستيقظ وقد ابتعدوا عنا، وقد اتخذوا مثلاً أخرى غير مثل الأب والأم ، فهذا الشيء ، مثلاً الطفل الآن ولد بكى فهو جائع أرضعته ، بكى غير نظيف نظفته ، الآن بكى إذا حملته أنت أسأت له ، إذا لم يكن له أي حاجة وبكى ينبغي ألا تحمله ، من أول يوم يولد إلى سن السابعة هذا أخطر سن بحياة الأبناء ، مع الأسف الشديد أن الناس يهملون أبناءهم بهذه السنوات ، يصحو الأب وقد فوجئ أن الابن ليس على شاكلته ، ولا يؤمن بالقيم التي آمن بها الأب ، ولا يتبع سبيل أبيه ، لذلك الآن في بعض الدول المتقدمة مادياً ، تفرز كبار المربين للتعليم الابتدائي، وفي الدول النامية الابتدائي أي إنسان يحمل أقل شهادة يصبح معلماً ، قد يدخن أمام الطلاب ، وقد يتكلم بكلام لا يليق بعمله كمعلم ، كل أخطاء المعلم تتسرب إلى الأولاد .

المذيع:

دكتور ودور الأهل مهم ، الآن أصبحوا شباباً وكباراً ولهم القدرة الشخصية على اختيار الصديق ، ما هي مواصفات الصديق الجيد ؟

بطولة الإنسان في بيته :

الدكتور راتب :

أولاً : على الأب ألا يكون عنيفاً ، أقنع ولا تقمع ، والأم ليست عنيفة ، والعلاقة التي بين الأم وابنتها علاقة صداقة ، والعلاقة بين الأب وابنه علاقة صداقة ، الابن يبوح لأبيه ببعض مشكلاته ، ويستمع إلى الجواب الصحيح ، أما إذا كان هناك قمع فيخفي عنه كل مشكلاته ، ولو أنه أباح لأبيه بمشكلاته لسمع التوجيه الصحيح، لكن شدة الأب في البيت ، أنا أقول كلمة دقيقة جداً : هذا الأب يدخل إلى البيت ويخرج ، يوجد أسرة العيد بدخول أبيها إلى البيت ، و أسر أخرى العيد في خروجه ، الأب العنيف القاسي ، كلامه قاس ، قد يضرب، قد يشتم ، قد يسب ، أما النبي الكريم فقد قال :



((خيرُكُم خيرُكُم لأهْلِهِ))

[الترمذي عن عائشة أم المؤمنين]

بطولتك في البيت ، قيمة استقامتك في البيت ، لأنك خارج البيت أنت حريص على مصلحتك ، قد تتأنق ، وتتعطر ، وتلبس ثياباً جيدة ، تصافح وقد تبتسم ، وقد ترحب ، كل هذه الأخلاق نابعة من مصلحتك ، لكن أين الأخلاق الحقيقية ؟

((خيرُكُم خيرُكُم لأهْلِهِ، وأنا خيرُكُم لأهْلِي))

[الترمذي عن عائشة أم المؤمنين]

إذاً إذا كان الأب منضبطاً في البيت ، لا يوجد عنده كلام بذيء أبداً ، كلامه كله منضبط ، يعامل أولاده كأصدقاء ، تعامل بناتها كصديقات ، البيت العامر بالحب هذا البيت هو البيئة المناسبة لتربية الأولاد .

المذيع:

البيت الذي يحتوي أولاده ويربيهم تربية سليمة يجعلهم أقوياء ، هؤلاء الشباب يمكنهم أن يختاروا الأصدقاء ، الآن دكتور نصيحتك للشباب والبنات في اختيار صديقي ، ما هي المواصفات ؟

مواصفات الصديق الجيد :

الدكتور راتب :



يا سيدي عندي لعبة اسمها شد الحبل ، فهذا الابن الواعي له صديق في الجامعة صاحبه ، فإذا شعر أنه شدّ إليه ، شدّ إلى عادات لا ترضي الله ، شدّ إلى مزاح فاحش ، شدّ إلى علاقات مع البنات ، إذا شدّ هذا الشاب إلى صديقه فالأولى أن يقطعه ، أما إذا كان الشاب إيجابياً فينبغي أن يلزمه ، والصاحب الآخر إذا صاحب صاحباً وشده إلى الدين ينبغي أن يلزمه، هذه العلاقة علاقة شدّ ، من الذي يشدّ الآخر؟ الشدّ الإيجابي يبارك هذه الصداقة ، والشد السلبي يعترض على هذه الصداقة .

المذيع:

شيخنا هل تعتقد أن شروط اختيار الصديق الجيد والناجح تتعلق فقط بالمستوى الديني أم بالطبقة الاجتماعية و المستوى التعليمي أيضاً ؟

ضرورة التكافؤ بين الأصدقاء في كل المستويات :

الدكتور راتب :

والله نص عليها الفقهاء لا سيما في الزواج ، التكافؤ ، التكافؤ في المستوى الثقافي ، المستوى العلمي ، الثقافة غير العلم ، في المستوى الأخلاقي ، في المستوى التربوي ، في المستوى النفسي ، في المستوى الاجتماعي .

المذيع:

تكافؤ أو تقارب ؟

الدكتور راتب :



تكافؤ مطلق مستحيل ، الإنسان نسيج وحده ، صفة الله أنه فرد ، ولكرامة الإنسان عند الله أعطاه من صفاته ، فالإنسان فرد ، لا يوجد إنسان في الأرض يشبه إنساناً آخر، وهناك عدة نقاط علمية حول الإنسان ، مثلاً قزحية العين هوية ، سبعة مليارات ومئتا مليون لا يوجد إنسان تشبه قزحية عينه الآخر ، الآن بالمطارات الحديثة يضع عينه على جهاز ، فأي تزوير يكشفه هذا الجهاز ، القزحية ، رائحة الجلد ، نبرة الصوت ، بلازما الدم ، الحوين المنوي ، هناك بحث طويل جداً على أن الإنسان فرد لا مثيل له ، وهي صفة الله عز وجل منحها للإنسان :

((.... فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ))

[مسلم عن أبي هريرة]

بعضهم يفهم هذا الحديث بهذا المعنى .

المذيع:

شيخنا الفاضل نقف مع فاصل قصير ...

نتواصل عن دور الشباب في بناء هذه الأمة ، وعنوان هذه الحلقة : اختيار الأصدقاء ، نرحب بشيخ الشباب الدكتور محمد راتب النابلسي .

شيخنا الحبيب ؛ تحدثنا عن أهمية الصديق وهناك إحصائية أن مستوى تأثير الصديق ستون بالمئة ، وباقي وسائل التأثير من مدرسة ومن غيرها لا تزيد عن أربعين بالمئة ، تحدثناعن مواصفات اختيار الصديق الجيد ، نتحدث الآن عن التعلق بالأصدقاء ، النبي ﷺ يقول :

((أحْبِبْ حبِيبَك هَوْنا مَّا ، عسى أن يكونَ بَغِيضَكَ يوماً مَّا ، وأبْغِضْ بغيضَك هَوْنا مَا عسى أن يكونَ حبيبَك يوماً ما))

[الترمذي عن أبي هريرة]

كيف يفترض أن تكون العلاقة بين الأصدقاء ، مستوى الحب ، مستوى التشابه ؟

حجم العلاقة الصحيحة بين الأصدقاء :

الدكتور راتب :

القاعدة الأساسية : أعط كل ذي حق حقه ، الأب له حق على الابن ، والأم كذلك، والأقرباء ، والزملاء ، والأصدقاء ، فحينما يعطي الإنسان كل ذي حق حقه يكون متوازناً ، أما حينما يبالغ في الارتماء في أحضان جهة ، وينسى كل ما حوله صار هناك تطرف ، والحقيقة عندنا تفوق وعندنا تطرف ، أنت حينما تعطي كل ذي حق حقه تتفوق ، مثلاً الإنسان عقل يدرك، وقلب يحب ، وجسم يتحرك ، غذاء القلب الحب ، وغذاء العقل العلم، وغذاء الجسم الطعام والشراب ، فإذا غذيت عقلك بالعلم ، وقلبك بالحب ، وجسمك بالطعام والشراب ، تفوقت ، أما إذا اكتفيت بواحدة فتطرفت ، والفرق كبير بين التفوق وبين التطرف ، فأعط كل ذي حق حقه، لا بد من علم تغذي به عقلك ، ولا بد من حب .



عندنا دكتور في الجامعة في علم النفس يعد أحد خمسة علماء من كبار العلماء أن أي إنسان لا يجد حاجة في نفسه إلى أن يُحِب أو إلى أن يُحَب ليس من بني البشر، أنت تحتاج إلى علم تغذي به عقلك، تحتاج إلى حب تغذي به قلبك ، تحتاج إلى طعام وشراب تغذي به جسمك ، لذلك أية دعوة إلى الله لا تراعي حظ العقل وحظ القلب وحظ الجسم دعوة عرجاء .

المذيع:

حجم العلاقة الصحيحة بيني وبين أصدقائي إلى أي حدّ تكون ؟ بعض الشباب يرتدون نفس اللباس ، نفس تسريحة الشعر ، لا يتحدث إلا مع صديق واحد ، ويتقوقع عليه ، هل هذا سلوك صحيح أم نوع من أنواع التشدد؟

الدكتور راتب :

التنوع يعطيك خيارات إذا لم يكن هناك تنوع لا يوجد خيارات ، قد يتوهم الإنسان أن هذا الصديق مثالي وهو ليس كذلك ، أحياناً لا يؤدي واجباته الدينية ، أحياناً له كلام لا يرضي الله ، أحياناً يدعوك إلى معصية ، فحينما يختصر على شاب واحد ، ولا يقيّم تقييماً في ضوء الدين ، في ضوء المبادئ والقيم ، هناك مشكلة كبيرة .

المذيع:

أحياناً هناك خصوصيات للشاب ؛ هو أراد أن يأخذ تخصصاً علمياً يكون الأقرب إلى الأدبي ، قضية الخصومة دكتور ، قد تحدث بين الأخوة في البيت الواحد ، ما هي أخلاقيات الخصومة بين الأصدقاء ؟

أخلاقيات الخصومة :

الدكتور راتب :



والله أنا لي رأي متواضع ، لو فرضنا الزوج وزوجته إذا اتفقا أننا إذا خرجنا من البيت أنا أو أنت نعود كالسابق ، اعتبرا الخصومة تنتهي بالخروج من البيت والعودة ، أو ناما ثم استيقظا صباح الخير انتهت الخصومة ، هذه علاقات يومية ، أما إذا كان هناك خصومة تمتد إلى شهر، ومع الأسف الشديد معظم الأسر قد تمتد الخصومة إلى أشهر ، وإلى سنوات بين الزوجين ، هذا الابن يتمزق ، هذا أبوه وهذه أمه ، فأنا أتمنى على أي أسرة هذا ميثاق غليظ نحن اختصمنا اليوم في اليوم التالي انتهت ، اختصمنا اليوم خرجت من البيت تعودين كما خرجت ، نعمل حداً إما النوم والاستيقاظ أو الخروج

والعودة ، يجب أن تنتهي الخصومة ، أما الخصومة تمتد إلى أشهر فهذه مشكلة كبيرة جداً ، أو مع الأسف الشديد هناك خصومات تمتد سنوات .

المذيع:

ماذا عن الأصدقاء إذا حدث خلاف بيني وبين أصدقائي ما هي أخلاقيات هذا الخلاف ؟ تحذير من النبي صلى الله عليه وسلم أنه إذا خاصم فجر .

أخلاقيات الخلاف بين الأصدقاء :

الدكتور راتب :



هناك قول لسيدنا علي دقيق جداً :" لا أصرم أخاً قبل أن أعاتبه ". ما الذي يحصل؟ يرتكب هذا الصديق خطأ ، خطأ ثان تراكم ، الرابع ، الخامس، حينما تتراكم الأخطاء حينئذ تكون القطيعة ، حينما أخطأ الصديق أعاتبه انطلاقاً من قول سيدنا علي : " لا أقطع أخاً قبل أن أعاتبه ". أعاتبه ، أنا تألمت منك من هذه الكلمة ، ينتبه الصديق ومادام حريصاً على صداقة صديقه لا يعيدها مرة ثانية ، أنا أعجب أشدّ العجب يتألم من زوجته فيقاطعها ، هل أبلغتها سابقاً أن هذا الكلام يؤذيني أو لا أحبه ؟ عندنا قاعدة أصولية : لا عقوبة دون توضيح ، هناك بيان أولاً و بعد البيان تأتي عقوبة .

المذيع:

شيخنا بين الأصدقاء يتحدث ، أنا يزعجني هذا السلوك ، فيعاتبني .

اختيار الوقت المناسب للمعاتبة :

الدكتور راتب :

المعاتبة لها آثار نفسية كبيرة جداً .

المذيع:

هل المعاتبة تتناقض مع مفهوم التمس لأخيك عذراً ؟

الدكتور راتب :



لا هذا موضوع ثان ، المعاتبة تحتاج إلى وقت آخر ، في ساعة غضب ، فلو أن الطرف الثاني عاتب الطرف الأول وهو غضبان يتفاقم الأمر ، أنا أتمنى على أخوتي الكرام إذا كان هناك مشكلة من طرف الإنسان يصبر ، يوم آخر ، ساعة أخرى ، ساعة فيها سرور ، فيها طلاقة وجه ، فيها راحة نفسية ، أعاتبه بالوقت المناسب ، لا في وقت غير مناسب .

المذيع:

إذاً نلتمس عذراً في ساعة الغضب .

الدكتور راتب :

إذاً غضبت فتوضأ ، إذا غضبت فاخرج من البيت ، قاعد مع زوجته من كلمة إلى كلمة طلقها ، غضبت اخرج من البيت أو ادخل إلى غرفتك الخاصة ، أو اسكت ، ما دام هناك دخول إلى غرفة أو خروج أو سكوت انقطع الشر عند هذا الحد ، أما إذا بقي فكلمة تجر كلمة ، وأكثر حالات الطلاق أساسها كلمة تفاقمت ، حتى الحروب بين الدول أساسها كلمة .

المذيع:

ملفات شيخنا في الصداقة والأصدقاء ، هل أنت مع أن يدع الشاب سره مع صديقه؟ وقد تفعل الفتيات هذا الكلام، أسرارها تضعها عند صديقتها سواء مشاكل أسرية ، حالات عاطفية ، هل أنت مع إيداع الأسرار بين الأصدقاء ؟

أكبر خطأ إيداع الأسرار بين الأصدقاء :

الدكتور راتب :

أنا لي رأي ديني ، الله عز وجل تفضل على شاب أخطأ ، هذا الشاب حينما يتحدث لصديقه عن خطئه ، عن مغامراته ، عن جاهليته ، ارتكب خطأ كبير جداً لعله أكبر من خطأ المعصية لأنه استهان بستر الله له .

المذيع:

شيخنا لو كان هذا من باب الاستشارة ، وقعت بخطأ أستشيره ؟



الدكتور راتب :

لا يوجد مانع .

المذيع:

المفاخرة ، مبدأ إيداع الأسرار ، قضية ليست دينية هل أنت مع هذا ؟

الدكتور راتب :

ما دمت قد أودعت سراً عند إنسان أنت تحت رحمته.

المذيع:

الله خلقنا كبشر متواصلين مع بعض ؟

الدكتور راتب :

والله أنا لي صديق جاءني البارحة في منتصف الليل ، وعرض عليّ مشكلته ، أنا ممكن أن أتوصل إلى أخذ رأي صديقي ، لا أشعره أنني أنا ، لي صديق هل عندك حل لهذه الحالة ؟ الحسن والحسين رأيا شيخاً وقوراً

يتوضأ طلبا منه أن يحكم بينهما على الوضوء ، توضئا أمامه ، فقال : أنا المخطئ ولستم أنتم ، بأسلوب لطيف جداً .

المذيع:

ماذا آخذ من أصدقائي وماذا يفترض أن أعطيهم ؟

ضرورة أخذ إيجابيات الآخر و الابتعاد عن سلبياته :

الدكتور راتب :

والله أنا آخذ كل إيجابياتهم ، وأبتعد عن سلبياتهم ، أعطيهم كل إيجابياتي ، ولا أطلعهم على سلبياتي ، هذه العلاقة الإيجابية ، هناك علاقات سلبية هو عنده خطأ افتخر به أمام صديقه ، فتوسعت دائرة الخطأ ، لو أنه كتم خطأه وأظهر ما عنده من إيجابيات ، وسمع ما عند أخيه من إيجابيات ، دوائر الخير تتوسع ، أما إذا تناقلنا أخطاءنا وافتخرنا بها فدوائر الباطل تتوسع.

المذيع:

شيخنا الفاضل كيف نصل إلى درجة من الصداقة كما كان سيدنا أبو بكر الصديق في علاقته بصديقه النبي محمد ﷺ ؟ شرب هو يقصد النبي الكريم وارتويت أنا يقصد ذاته ، كيف نستطيع أن نرقى بصداقتنا إلى هذا المستوى ؟

كيفية الوصول للصداقة الحقيقية :



الدكتور راتب :

والله القضية دقيقة ؛ هذا الإنسان حينما يتعرف إلى الله ، ويمشي على منهج الله ، و أخ آخر يتعرف ويمشي على منهج الله ، هناك لقاء حتمي بين الصديقين ، حتمية الهدف الواحد، والوسيلة الواحدة، إذا كان هناك تباين بين الأقوال والأفعال ، أحدهم يتحدث بالقيم لكن أعماله سيئة جداً ، هؤلاء لا

يلتقيان ، أنا أقول : اللقاء حتمي بين المؤمنين .

هناك دليل آخر قال بعض علماء النفس : للإنسان صفات وسمات ، السمة أعمق من الصفة ، هو اختار سمة الضبط ، كلامه مضبوط ، حساباته مضبوطة ، مواعيده مضبوطة، عندنا ضبط لغوي ، ضبط سلوكي ، ضبط عملي ، أنا حينما ألتقي مع أخي المؤمن و آخذ سماته وصفاته ، كل سمات الضبط لها خمسة فروع ؛ ضبط المواعيد ، ضبط الكلام ، ضبط الحسابات ، وخط ثان لصديقي ، كلما رأيت صفتين متطابقتين أومتقاربتين أضع خطاً بينهما ، الآن عندنا خط عامودي يمثل سمات وصفات الأول ، وخط عامودي آخر يمثل صفات وسمات الثاني ، فكلما كثرت الخطوط التي تبين التوافق بين الصديقين كثر الحب ، مثلاً أنت لك صديق، أنت تكره المزاح الفاحش وهو كذلك ، تحبه ، تكره خلاف الموعد وهو كذلك ، تحبه ، لذلك الآن الشيء الطريف أن هناك برامج للزواج ، طالب الزواج عنده ألف سؤال يجيب عن هذه الأسئلة كلها وهناك فتاة أخرى تطلب الزواج تجيب عن هذه الأسئلة ، هذا يأتي إلى المركز بعد شهر يضع الرقم السري يأتي اسم أقرب فتاة له عن طريق التقاطعات .

المذيع:

هل تؤمن بنجاح مثل هذا ؟

الدكتور راتب :

لا أنا كطرفة ، لكن هذا الجهاز ارتكب بعض الأخطاء يعطيك اسم شاب ، على كل القصد كلما كانت المنطلقات والسمات مشتركة كلما كثر التوافق و كلما كان الحب أكبر.

المذيع:

هل هناك فرق بين الصداقة وبين الأخوة في الله ، أو كيف تحول الصداقة إلى أخوة في الله ؟

الفرق بين الصداقة وبين الأخوة في الله :

الدكتور راتب :

أنا لا أرى في الحياة الدنيا علاقة أمتن ولا أدوم من الأخوة في الله .

((وَجَبَتْ محبَّتي للمُتَحَابِّينَ فيَّ ، والمُتجالِسينَ فيَّ، والمُتزاورينَ فيَّ ، والمتباذلينَ فيَّ ، المتحابُّون في جلالي لهم منابرُ من نُور ، يغبِطهم النبيُّون والشهداءُ))

[الترمذي عن معاذ بن جبل]



أمتن علاقة على الإطلاق علاقة الأخوة في الله ، هذه لا تحكمها المصالح تحكمها المبادئ والقيم ، وكان الصحابة الكرام في أعلى مستوى بهذه العلاقة، وأنا أتمنى أن ترتقي علاقاتنا إلى العلاقات الإيمانية .

المذيع:

نصيحتك للشباب كهمسة من شيخنا الكريم محمد راتب النابلسي في اختيار الأصدقاء .

نصيحة للشاب في اختيار أصدقائه :



الدكتور راتب :

لا تصاحب إلا من ينهض بك إلى الله حاله ، ويدلك على الله مقاله ، الإنسان له حال وله مقال ، مقاله قد يكون آية ، حديثاً ، قاعدة أخلاقية ، خبرة إنسانية ، توجيهاً دينياً ، هذا مقاله ، الإنسان المستقيم له صلة مع الله ، عنده حال طيب ، لو بقيتم على الحال التي أنتم بها عندي ، لصافحتكم

الملائكة ، ولزارتكم في بيوتكم ، معنى ذلك أن الإنسان إذا كان بمجلس علم فهو بمجلس إنسان عظيم ، له حال طيب ، هذا الحال كلما امتد أمده سعد الإنسان ، نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا ، أما أنتم يا أخي فساعة وساعة ، لو بقيتم على الحال التي أنتم بها عندي ، لصافحتكم الملائكة ، فالعمل الصالح يثمر حالاً طيباً والاستقامة تثمر حالاً طيباً ، فصاحب من له حال يرقى بك ، ولا تصاحب من له حال لا يرقى بك .

خاتمة و توديع :

المذيع:

جزاكم الله خيراً فضيلة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي على هذه الكلمات القلبية الصادقة ، كان حديثنا مشاهدينا الكرام عن اختيار الصديق ، واختيار الأقران وكذلك الفتيات، جميل أن نتعرف على أشخاص يرقون بنا أو يساعدوننا في تجاوز عيوبنا من خلال صدقهم معنا بتوجيه نصيحة لطيفة ، وجميل أن يكون لنا أصدقاء نكون نحن قوة الشد والجذب لهم ليكونوا أقرب إلى الله ، في لحظة من اللحظات نحن كنا في جانب بعيد فجاءنا صديق لطيف الأسلوب و دلنا على الله .

إلى هنا ينتهي اللقاء ، تابعونا في حلقات جديدة في بناء الشباب فكرياً ، نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك ، تحية طيبة لكم ، والسلام عليكم .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2 – 2) : ثقافة الاختلاف و تقبل الاخر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

المذيع :

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين ، وأتمّ الصلاة وخير التسليم على نبي الرحمة ، على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أهلاً ومرحباً بكم مشاهدينا الكرام ، في حلقة شبابية جديدة نتحدث فيها مع فضيلة الداعية الكبير الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي ، حياكم الله شيخنا وأهلاً ومرحباً بكم .

الدكتور راتب :

بارك الله بكم .

المذيع:

كم من أخ أصبح صديقاً عزيزاً في الصباح وبات عدواً في المساء ، لخلاف في وجهات النظر ، وفي تحليل الأحداث السياسية المحيطة بنا ، كم من عالم ومفكر كان بالأمس يستشهد بآرائه وتنسخ أقواله واليوم أصبح منافقاً على لسان كثير ، وكم من قريب علينا نشعر أنه أقرب الناس إلينا بخلاف على بضاعة أو شيء بسيط لم يتقبل أحد منا الآخر أصبح عدواً ، الاختلاف وثقافة الاختلاف وثقافة تقبل الآخر هو محور حديثنا مع فضيلة الداعية الكبير الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي ، نتعلم بها ثقافة الاختلاف ، شيخنا الحبيب هل الإسلام عودنا كمسلمين أن نتقبل رأياً واحداً ونرفض أي رأي يتجاوز الصواب والخطأ بقناعاتنا أم أن الإسلام يدعونا إلى تقبل كل الآراء ؟

منح الله الإنسان عقلاً و منهجاً و شهوة و حرية :

الدكتور راتب :

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألوِيَتِه ، وارضَ عنّا وعنهم يا ربّ العالمين .



الحقيقة الدقيقة أن الله سبحانه وتعالى حينما خلق الإنسان أعطاه شهوة ، أعطاه حرية ، أعطاه عقلاً ، أعطاه منهجاً ، فهناك عقل و منهج و شهوة و حرية ، فالشهوة هي القوة الدافعة ، هي المحرك في السيارة، لولا الشهوات ما ارتقينا إلى رب الأرض والسموات ، ولكن هذه الشهوة تتحرك على مسار محدد وهو المنهج ، شهوة النساء يمكن أن تمارس بمئة وثمانين درجة ، لكن الله سمح للإنسان أن يكون مع زوجته ومع محارمه على نوعين مختلفين ، الشهوة منضبطة بمنهج ، فحينما أخرج عن هذا المنهج أكون قد وقعت في المعصية ، لذلك هناك أوامر إلهية في القرآن ، وهناك أوامر نبوية في السنة قطعية الدلالة ، لا تحتمل الاختلاف إطلاقاً ، أي أنا إذا قلت : أعط فلاناً ألفاً وخمسمئة درهم هذا الكلام لا يحتاج إلى تفسير ، ولا إلى شرح ، ولا إلى تعليق ، وليس فيه خلاف بين المستمعين ، هذا الكلام قطعي الدلالة، وكان من الممكن أن يكون القرآن كله والسنة النبوية كلها قطعية الدلالة ، ولكن شاءت حكمة الله أن تأتي بعض النصوص القرآنية ظنية الدلالة ، وأن تأتي بعض الأحاديث الشريفة ظنية الدلالة .

هذه احتمالية أي أنا إذا قلت : أعط فلاناً ألفاً وخمسمئة درهم قطعية الدلالة ، إن قلت لإنسان أمامي : أعط فلاناً ألف درهم ونصفه ، هذه الهاء على من تعود ؟ قد تعود على الألف أي أعطه ألفاً وخمسمئة ، فهذا النص اسمه احتمالي الفهم ، أو متعدد الفهم ، فهناك آيات كثيرة جداً وهناك أحاديث ظنية الدلالة ، لماذا ؟ هذا الفهم المتنوع يغطي كل الأقاليم ، وكل البيئات ، وكل النماذج البشرية ،



لأن هذا الدين يسر ، فهناك موضوعات ليست خطيرة لا تتناقض مع وجود الإنسان ، فالذي هو ضروري لبقائه مؤمناً الفرائض ، كيف أن الهواء استنشاقه فرض لكن الفاكهة النادرة ليست فرضاً ، تعيش من دونها ، فالأشياء الأساسية جداً جداً جاء فيها نصوص قطعية الدلالة لا بد من التطبيق هذه متعلقة بالإنسان ، سلامته ، سلامة اتصاله بالله ، إذا كان هناك سرقة إذاً يوجد مشكلة ، هناك كذب يوجد مشكلة ، أما حينما تكون الأمور مباحة فالإنسان معه حرية الاختيار في المباحات ، النص إما أنه قطعي الدلالة ، أو ظني الدلالة ، فظني الدلالة أعطاك حرية باختيار أحد المعاني .

المذيع:

جميل هذه هي الحكمة حتى يكون كل إنسان يبحث عن الشيء الذي يعتقد أنه صواب .

الدكتور راتب :

نعم فكل نص ظني الدلالة يمكن أن يغطي كل النماذج البشرية ، وكل المجتمعات ، وكل الأطوار ، وكل التواريخ ، هذا الذي ينبغي أن يكون واضحاً عند الأخوة المستمعين .

المذيع:

دكتور الخلاف الفقهي بكثير من القضايا يؤكد ما تتحدث به فضيلتكم ، هل يفترض فينا كشباب أن ننظر في قضية الخلاف الفقهي أنني أرقى من فلان إذا أخذت بهذه القضية مثلاً؟

الخلاف الفقهي في كثير من القضايا :

الدكتور راتب :

أضرب مثلاً ؛ امرأة أصبحت معذورة عن أن تصلي ، واضح المعنى .



هذا العذر جاءها قبل طواف الإفاضة بالحج ، وطواف الإفاضة ركن من أركان الحج ، الحج لا يتم من دون طواف الإفاضة ، وجاءتها الدورة قبل طواف الإفاضة ، عند الإمام الحنفي عليها بدنة ، والبدنة ناقة ، والناقة تتجاوز الثلاثة آلاف ريال ، مبلغ فلكي، هذا عند الإمام الحنفي وعند الإمام الشافعي تغدو أميرة الحج ينتظرها قومها سبعة أيام ، إلى أن تطهر ، إذا هي ملحقة بالفوج ، وهناك مئة حاج، ومئة غرفة مستأجرة ، وثلاث وجبات ، معقول من أجل امرأة واحدة أن ندفع أرقاماً فلكية الفوج لا ينتظرها ، هناك رأي ثالث تغدو أميرة الحج ينتظرها ، مستحيل ، نقول لهذه المرأة التي أصبحت معذورة عن أن تصلي قبل طواف الإفاضة، طوفي البيت ولا شيء عليك عند الإمام مالك ، فهذه المذاهب فيها تنوع ، واجتماع الأئمة حجة قاطعة ، واختلافهم رحمة واسعة .

المذيع:

جميل هل يقاس هذا الكلام حتى في الحياة العادية على اجتماع الناس على قضية وأصبح حجة ؟ كثير من الناس يختلفون في تحليل رياضي سياسي ، والآن الناس تتناحر بسبب هذا الخلاف .

احترام اختيار الإنسان :

الدكتور راتب :

أنا أرى – هذا اجتهاد مني – أن الحوار الراقي الحضاري ، أنا بجلسة طرح موضوع معين خلافي ، أنا أدليت برأيي وأتيت بالأدلة فقط ، والثاني أدلى برأيه والأدلة ، وانتهت الجلسة ما من داع لنتناطح ، ما من داع ليسفه بعضنا بعضاً ، هذا ممنوع ، أما أنا فأحترم اختيار الإنسان .

المذيع:

لست معنياً لا بالجدال ولا بالتسفيه ، ولا أقنع الآخرين رغماً عنهم وأنا أطرح رأيي .

الدكتور راتب :

الإنسان مخير بالأصل ، وما جعله الله مخيراً إلا لتجد في المجتمع أنواعاً منوعة من الأفكار .

المذيع:

دكتور هل تجد أن احترام الرأي الآخر أو قلة وجود هذا الاحترام بسبب فهم خاطئ بالتربية الاجتماعية أم أن الإنسان يحب أن يرى نفسه دائماً على صواب ؟

ضرورة توقف الحوار إذا تجاوز القضايا الشرعية :

الدكتور راتب :



الإجابة عن هذا السؤال صعبة ، الإنسان عندما يقول لك : ما من داع لتطبق القرآن، أنت مهما كنت موضوعياً وصاحب فكر علمي لا تستطيع أن تحترم هذا الإنسان ، حينما ألغى منهج السماء ، ألغى تعليمات الصانع ، ألغى تعليمات الخبير ، الذي خلقنا هو أدرى بما ينفعنا وما يضرنا ، أدرى بسعادتنا وشقائنا ، أنت حينما تصف منهج السماء وصفاً لا يليق بمنهج السماء أنت غير معقول ، ما من داع لتتهمه ، أما من الداخل فتراه بعيداً جداً عن أن يكون عاقلاً .

المذيع:

أحياناً لحظة من اللحظات يجب أن يتوقف الحوار إذا تجاوز مثل هذه القضايا الشرعية .

الدكتور راتب :



أنا هكذا أرى ، أي لقاء حضرته وكان فيه موضوع خلافي ومشادة أقول لهم : توقفوا، كل واحد يدلي برأيه مع الأدلة ، ويسكت ، وتنتهي الجلسة ، أنا قد أقنع بهذا الرأي وقد لا أقنع ، ما من داع لأقلب هذا اللقاء إلى عداوات.

المذيع:

لا يشترط أن يقتنع الكل برأيي ، نقف مع فاصل قصير ...

تحية حب واحترام من جديد لكم أيها الأخوة ، وأهلاً ومرحباً بكم بشيخ الشباب الشيخ النابلسي حياكم الله دكتورنا ، ما زلنا بثقافة الاختلاف ، هناك قضايا مصيرية لا نقبل أن يختلف معنا أحد بها فهل هذا الكلام صواب أم خطأ؟

تعريف دقيق للشاب :

الدكتور راتب :

قبل أن أجيبك عن هذا السؤال ، أريد أن أعلق على كلمتك شيخ الشباب ، أنا أرى من هو الشاب ؟ الذي له أهداف أكبر منه ، فهو شاب في التسعين ، ومن هو الشيخ بمعنى التقدم في السن فقط ؟



الذي هو أهدافه محدودة وانتهت ، إنسان بالأربعين هدفه المال فقط ، انتهى لأن هدفه تحقق ، هدف ممل ، دائماً وأبداً في الحياة الدنيا الشيء الذي لم تصل إليه يبدو لك متألقاً ، فإذا وصلت إليه انتهى بريقه ، ما سمح الله للدنيا أن تمدنا بمتعة مستمرة بل بمتعة متناقصة ، لحكمة بالغة بالغة ، من هو الشاب؟ الذي هدفه أكبر منه ، لذلك لأن الإنسان مخلوق لجنة عرضها السموات والأرض أو مخلوق لمعرفة الله فجعل الله نفسه لا نهائية كي تستوعب هذه الأهداف الكبيرة جداً ، فأي إنسان يختار هدفاً – بتعبيري المتواضع– نهائياً ، فإذا وصل إليه انتهى ، مثلاً طلب المال ، فإذا وصل إلى المال انتهت سعادته ، أكل أنفس الطعام ، سافر لمعظم البلاد ، أقام بالفنادق الكبيرة ، ملّ فصار في كبر ، من شدة استمتاعه بأنواع بالملذات صار عنده كبر ، لذلك الإنسان عندما يختار طريق الله هدفه لا نهائي فهو شاب بالتاسعة و التسعين وأنا أعني ما أقول ، كان في الشام شيخ ، كان في السابعة والتسعين ، كان منتصب القامة ، حاد البصر، مرهف السمع ، أسنانه في فمه ، حينما يُسأل يا سيدي ما هذه الصحة التي حباك الله بها ؟

يقول : يا بني حفظناها في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر، من عاش تقياً عاش قوياً .



أنا أخاطب أخوتي المشاهدين أن هذا الإنسان حينما يمضي شبابه في طاعة الله له شيخوخة راقية جداً ، والذي أمضى شبابه في معصية الله له شيخوخة مؤلمة جداً ، يخرف ، يعيد القصة ألف مرة ، يستحي أولاده به ، فهذه حالة الخرف مخيفة جداً ، الذي أمضى حياته في معرفة الله يتمتع بشيخوخة رائعة جداً ، وقالوا : إن العضو الذي يعمل لا يضمر ، هذه اليد لو وضع عليها جبس وأصابها كسر لثلاثة أشهر العضلات تذوب ، بمعنى أن هناك خاصة في الجسم العضو الذي لا يعمل ، والدماغ

الذي لا يعمل يضمر ، أنت حينما تصلي الظهر أربع ركعات الأولى والثانية فيها قراءة آية والثالثة والرابعة تقرأ الفاتحة فقط ، وهناك قعود أول و قعود ثان ، أي إنسان يصلي دماغه يعمل باستمرار ، أي إنسان يصلي ، ما دام هناك حركات وسكنات وركعة أولى وثانية وقراءات وقعود أول وثان ، فهو في نشاط ذهني ، فالعضو الذي يعمل لا يضمر .

الدكتور راتب :

مرة أخرى مرحباً بشيخ الشباب أهدافكم وطموحاتكم ونحن على دربكم إن شاء الله في قضية احترام الرأي الآخر ، هناك قضايا أنا أراها قيمية ، مبادئ لا تتجزأ ، هل أقبل الرأي الآخر أو كيف أتعامل معه ؟

كيفية التعامل مع الرأي الآخر :

الدكتور راتب :



الموقف الكامل أنا أعتقد أن هذه القضايا أساسية في حياة الإنسان ، الإنسان أصلاً ثم المؤمن ثانياً، إن أنكرها الطرف الآخر أنا لا أجهد في معاداته ، أجهد في إقناعه ، هنا بطولتي أن أقنع ولا أقمع ، هذا الطرف الآخر ما وصل إلى قناعاتي التي هي متوافقة مع القرآن والسنة ، فأنا أجهد أن أوضح له هذه القناعات ، هذا ينقلني من الوصية على الآخرين إلى الزميل والشريك ، بين أن تكون وصياً على الآخرين وتراهم من عل ، وتوبخهم على بعض أفكارهم ، لا ، كن صديقاً لهم وهذه البطولة .

المذيع:

دكتور متى ينتهي النقاش ؟

توقف النقاش عند إصرار الآخر على خطئه :

الدكتور راتب :



حينما يصر الآخر على خطئه ولا يعطيك أذناً صاغية إطلاقاً ، هذا لا تناقشه والدليل القرآني :

﴿ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ﴾

[سورة الأعلى : 9]

التذكير مرتبط أن تعتقد أن تذكيرك ينفعه ، فإذا أصرّ الآخر على رأيه ولم يقبل الحوار الحر الهادئ اللطيف المدعم بالأدلة هذا لا يستحق أن تناقشه .

المذيع:

قالت العرب قديماً : إن اختلاف الرأي لا يفسد الود ، اليوم كثير من الشباب يجدون أن الاختلاف مع صديق لهم بموقف قد يكون على نوع سيارة أيها الأفضل أو شيء يسير تبدأ الحقيقة الخصومات .

الأحمق من خاصم الآخرين لأمور تافهة :

الدكتور راتب :

والله أنا أراه منتهى الحمق ، أن أختلف مع أخي والأصل أن يكون هناك ود بيني وبينه على قضايا لا تقدم ولا تؤخر ، سيارته أمريكية الثاني أوربية ، يتناقشون طوال الليل أيهما أفضل ، ما هذا الكلام؟

((إن الله يحب معالي الأمور وأشرافها ويكره سفسافها))

[الطبراني عن حسين بن علي]



شباب بأمة تعاني ما تعاني ، عندنا أهداف كبيرة جداً ، هناك أعداء شرسون جداً ونحن نتحاور في قضايا سخيفة أو تافهة :

((إن الله يحب معالي الأمور وأشرافها ويكره سفسافها))

[الطبراني عن حسين بن علي]

المذيع:

دكتور لماذا الحوار والاختلاف مع من هم أصلاً ليسوا معنا في القضايا التي تعانيها الأمة من صراعات أو من تهجم على هذا الدين أو من احتلال لدول مسلمة ، أحياناً يفتح لك مع الفضاء الكتروني لتتحاور أو لترد على الذين يهاجمونك ، هل نتقبل رأيهم ؟

الابتعاد عن الندوات الحرة في أساسيات الدين :

الدكتور راتب :



أنا والله مبدئياً لا أوافق على أن تفتح ندوات حرة في أساسيات الدين ، هذا الطرف الآخر عنده أدلة مادية محببة للناس للجمهور ، فإذا أدلى برأيه في قضايا أساسية في الدين ، هذه القضايا الأساسية من يؤمن بها ؟ من عرف الله أولاً ، أنت حينما تعرف الآمر تتفانى في طاعته ، وإذا لم تعرف الآمر تفننت في معصيته ، فالذي لا يصلي يقول لك : خمس مرات أحتاج أن أخلع الثياب وأتوضأ ، يعطيك الجانب السلبي ، ويغيب عنه الجانب الإيجابي، جانب الاتصال بالله ، السعادة ، القرب من الله ، فأنا حينما أرى إنساناً بدأ يشكك في أصول الدين لا أتابع معه النقاش لئلا يعطي الآخر أدلة لصالح الشهوانيين.

المذيع:

سيرد عليك البعض فيقول : إن كنت واثقاً من دينك فناقش ، فلماذا تنسحب ؟

الدكتور راتب :

أنا لا أنسحب ، الآية الكريمة واضحة جداً جداً :

﴿ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ﴾

[سورة الأعلى : 9]

هذا الأمر مرتبط بأن تعتقد أن هذا الكلام ينفعه .

المذيع:

كما كان يقول العلماء بالمناظرات بين المسلمين وغيرهم ، كان يعتقد أنه يؤثر في هذه الجماعات ، أما إذا كان النقاش والجدال هنا فالأولى أن يبتعد الإنسان .

الدكتور راتب :

أنا مرة التقيت بمندوب شركة هولندية ، بعد أن تناولنا الطعام أردت أن أطرح أمامه القضايا الأساسية في الحياة ، قال لي : هذه الموضوعات لا تعنيني ، ولا ألتفت إليها ، ولا أهتم بها ، أنا لا يعنيني إلا امرأة جميلة ، ومنزل واسع ، وسيارة فارهة ، هذه الموضوعات الدينية لا تعنيني ولا ألقي لها بالاً ، لا يعنيني إلا امرأة جميلة ، ومنزل واسع ، وسيارة فارهة .

المذيع:

في مثل هذه الحالة لو كان هذا الإنسان يقوم بالعمل لديك في المؤسسة بسبب اختلافك معه هل تنهي العمل معه أم تفصل بين العلاقة الشخصية وعلاقة العمل ؟

ضرورة الفصل بين العلاقات الشخصية و علاقات العمل :

الدكتور راتب :

علاقات العمل ليس لها علاقة .



أنا عندي مصطلح هناك علاقات حميمة ، العلاقة الحميمة ممكن أن تذهب معه نزهة خمسة أيام ، هناك لقاء حوالي عشرين ساعة في اليوم ، العلاقات الحميمة فيها توافق فكري ، ديني ، قيمي، تكتيكي ، هذه التوافقات تسمح أن تقيم معه علاقة حميمة ، إنسان بعيد عنك فكراً ومنهجاً وسلوكاً بعد الأرض عن السماء هذا مستحيل أن تقيم معه علاقة حميمة ، إلا علاقات عمل وقيد ، يكون رئيسك في الدائرة ، تسلم عليه باحترام ، تؤدي واجبك تجاهه تماماً ، وتقوم بعملك بشكل صحيح ، لا يمنع أن تؤدي عملك كاملاً لمن يأمرك أن تؤديه وفق المصلحة العامة ، أما لا يعنيك شأنه الخاص .

المذيع:

أحياناً في ذات العائلة يختلف أخ مع أخيه فيصبح مقاطعة بينهما ، مما يؤدي إلى قطع صلة الرحم .

القدوة قبل الدعوة :

الدكتور راتب :

مع الأسر موضوع ثان ؛ أنا أقول لك كلاماً دقيقاً : إما أن تقنع وإما أن تحسن ، القدوة قبل الدعوة ، ابق صامتاً، أنت أعط الإسلام من سلوكك ، حينما وصفوا النبي ﷺ قالوا : " القرآن كون ناطق ، والكون قرآن صامت، و النبي عليه الصلاة والسلام قرآن يمشي" .



أنا أقول : ما لم تر إسلاماً يمشي أمامك لم تقنع بهذا الدين ، أما أقول : قرآن ، أقول : إسلام ، يجب أن ترى شخصاً أمامك في بيته ، في عمله ، في فرحه ، في حزنه ، في غناه ، في فقره منضبطاً ، فهذا الإنسان المنضبط هو دعوة بكاملها ، قبل أن تنطق أنا أسميها الدعوة الصامتة ، الأمين داع إلى الله دعا إلى الله بأمانته ، الأمانة دعوة ، الصدق دعوة ، الإتقان دعوة ، فيمكن أن تكون أكبر داعية وأنت صامت ، ونحن بحاجة إلى دعوة صامتة ، لأن الفكرية يرد عليها أما الصامتة فلا يرد عليها .

المذيع:

الآن مع وجود أحداث في الأمة ، وتصريحات كثيرة من المفكرين ، أو من الدعاة ، أو من المشاهير الإسلاميين بآرائهم بهذه الأحداث ، أو من العلماء ، الناس تختلف معهم ، بعض الناس هو يحب العالم الفلاني إن كان تصريحه الأخير على خطأ فقد نسفه وجعله منافقاً بسبب تصريحه الأخير الذي يراه خطأ ، وبعضهم لأنه يحبه صوبه حتى في خطئه ، كيف يفترض أن نتعامل في هذه المسألة ؟

الاتفاق مع آراء من كان على شاكلتي :

الدكتور راتب :

هذا الكلام غير موضوعي ، بمعنى أن الإنسان عندما تحبه محبة عالية جداً ثم تفاجأ بفكر مرفوض عندك كلياً ، معنى هذا أن أصل العلاقة معه غير صحيحة ، إذا كان الإنسان عنده تقلب سريع جداً من أجل مصالحه ، يوجد أشخاص موجودون دائماً يغير كل مواقفه من أجل مصلحة معينة ، فهذا الإنسان يسمى الآن وصولياً ، ينافق للقوي دائماً ، ودائماً المنافق له يحتقر المنافق ، يجب أن أختار أشخاصاً على شاكلتي .

المذيع:

دكتور قد لا يكون صديقاً ، قد تقرأ لمفكر ، أو لكاتب ، أو لداعية ، أو لشيخ .

الدكتور راتب :

أنا عندي واجب أن أصحح ، إن أمكنني أرد على هذا الإنسان بكلام مقتضب ، فإن قبله شكرني وصوب كلامي.

المذيع:

دكتور هنالك مجموعة من الناس دائماً يعادون الأمة وخططهم واضح ، ولكن هناك أناساً تلتمس فيهم خيراً ولكن في موقف وحيد أو موقفين هو خرج عن قناعتي أنه صواب ، هل أنسفه من بدايته ؟

الموضوعية موقف علمي و أخلاقي :

الدكتور راتب :



والله هذا ليس من الموضوعية في شيء ، الله عز وجل عظيم فقد يخطئ أحد عباده ولا يلغي خطأه هذا أعماله الصالحة ، وتخلقوا بأخلاق الله ، إنسان مدير مؤسسة ، أمين ، صادق ، اختار الأكفاء من الناس ، له موقف معين بموضوع ، هذا الموقف لا يجعلني ألغي كل إيجابياته ، الموقف غير موضوعي .

المذيع:

إذاً على الإنسان أن يفصّل ، أي يقول : هذا العالم أو المفكر أصاب بكثير من النقاط ، وأخطأ في أخرى .

الدكتور راتب :

ما له وما عليه ، إذا أحببت إنساناً تنسى كل ما عليه، وإذا أبغضته تنسى كل ما له ، هذا موقف غير علمي ، الآن أقول لك : الموضوعية موقف أخلاقي ، والموضوعية موقف علمي ، فأنت عالم إذا كنت موضوعياً، وأنت عالم إذا كنت أخلاقياً .

المذيع:

إذاً نضع النقاط على الحروف ، : ونقول فلان نحبه في كذا ، أو أصاب في مؤلفه وأخطأ في كذا .

الدكتور راتب :

وهذا المكان لم يصب به .

خاتمة و توديع :

المذيع:

ليس من أجل المحبة نقبل أخطاءه ، وليس من أجل البغض ننسفه وندخله في خانة الخطأ والنفاق . بارك الله بكم من أجل هذا الكلام الجميل ، ونسأل الله أن تكون دائماً ثقافة الاختلاف مدعاة لمزيد من الفهم ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه .

أشكركم فضيلة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي ، والشكر لكم مشاهدينا الكرام ، إلى هنا نصل إلى نهاية حلقتنا وحديثنا عن ثقافة الاختلاف ، ملفات فكرية شبابية كثيرة لا زالت في جعبتنا ، وفي الانتظار ، تابعونا ، سبحانك اللهم وبحمدك ، نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك ، تحية طيبة لكم ، والسلام عليكم .

والحمد لله رب العالمين

الفصل السادس : الشباب و الرياضة

الدرس (2−1) : الرياضة مفتاح الحفاظ على صحة الانسان ولاسيما الشباب

الدرس (2−2) : الرياضة وضوابطها

الفصل السادس : الشباب و الرياضة

الدرس (1-2) : الرياضة مفتاح الحفاظ على صحة الانسان ولاسيما الشباب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً ، و أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

أيها الإخوة الكرام ، مع درس جديد من دروس الحوار .

موضوعات التربية

الحوار

مرة ثانية : الحوار ينمي الفكر ، الحوار ينمي الشخصية ، الحوار يحقق تعارفاً حقيقياً ، فلو أن المتكلم واحد والباقي يستمعون فلا المتكلم يعرف ماذا عند هؤلاء الباقين ، لا يعرف مستوى تفكيرهم ، ولا مستوى طرحهم ، ولا نوع أسئلتهم ، ولا طريقة حلهم للمشكلات .

أولاً : الحوار يجري مزيداً من التعارف بين المتكلم وبين المستمع والإنسان حينما تعرفه قد يحقق دوراً كبيراً في أي مكان ، وتلقينا في الدرس الماضي عدداً من الموضوعات التي يقترحها الإخوة الكرام لتكون موضوعاً للحوار .

المبادرة إلى الأعمال المدروسة

اتفقنا في بداية الدرس ما قبل الماضي أن الإنسان بإمكانه أن يفعل مليون شيء في ظل الظروف الصعبة ، وفي ظل الضغوط التي لا تحتمل ، بمعنى أننا لسنا معنيين بموضوعات تسبب لنا مشكلات أو إحراجات ، ولأن من تلبيس إبليس . ودققوا في كلامي . أن من تلبيس إبليس أن الشيء الذي بإمكانك أن تفعله بيسر من دون قلق من دون مساءلة من دون شعور أن هناك مشكلة هذا الشيء يزهدك فيه الشيطان ، والشيء الذي لا تستطيعه الدول

يدفعك إليه ، والإنسان حينما يكون مخلصاً لكن لا يسلك المنهج الصحيح ، وليس له مرجعية دقيقة قد يجر على المسلمين من الويلات ما لا يوصف ، فأيّ عمل غير مدروس وغير منضبط وغير شرعي قد يدغدغ مشاعرنا إلى حين ، لكن يجرنا إلى مأساة لا يعلمها إلا الله .



نحن في دائرة المليون عمل الذي بإمكاننا أن نعمله من دون قلق ، من دون مساءلة ، من دون خرق للنظام العام، في ضمن هذه الموضوعات إخوة كرام اقترحوا تربية الأولاد في الإسلام ، والحقيقة أنه لم يبق في أيدينا من ورقة رابحة إلا أولادنا ، وأن الإنسان مهما كان عالياً في الأرض علماً وثروةً ، ومكانةً وجاهاً ، وصحة ولم يكن ابنه كما يتمنى فهو أشقى الناس ، والإنسان يشقى بشقاء أولاده ، وإذا كنا نحن في أمسّ الحاجة قبل خمسين عاماً إلى جهد متواضع لتربية أولادنا فنحن الآن بحاجة إلى مئة ضعف من هذا الجهد ، السبب كثرة الصوارف عن الدين ، فأينما تحرك الإنسان يدعى إلى معصية ، أي شيء اقتناه ، أي شيء شاهده ، أي حديث سمعه ، هناك الفتن مستعرة وقائمة ، ونحن في عصر قد يمسي فيه الرجل مؤمناً ، ويصبح كافراً ، ويصبح مؤمناً ، ويمسي كافراً ، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل .

موضوع تربية الأولاد في الإسلام موضوع جيد ، وأريد أن نبقى في هذا الدرس إن شاء الله مع اقتراح موضوعات، وكنت أتمنى على أحد الإخوة الكرام أن يكون بما يسمى اليوم أمين سر لهذه الجلسة ، يكتب عنده ما اتفقنا عليه من تبرع ، وأن يكتب عنده بعض ما توصلنا إليه من حوارات .

الوعي الصحي

موضوع آخر غير تربية الأولاد في الإسلام ، أنا أتألم أشد الألم من ضعف الوعي الصحي ، والثقافة الصحية الغذائية شبه معدومة ، ولأن الإسلام هو الحياة ، وربات البيوت بعيدات عن حقيقة هذا الغذاء الذي نشتريه .

أنا يؤسفني أن أقول لكم : هناك مواد دسمة للتصدير فقط ، يمنع استخدامها في بلد المنشأ ، لأنها من مواد دهنية رخيصة جداً ، إلى درجة أن البلاد التي تصنعها يمنع أن يستخدمها ، ولأن هذه المواد الدسمة هي في الأساس سائلة من أرخص أنواع الزيوت ، لكنها مهدرجة ، معنى مهدرجة هناك زيوت تهدرج ، فتغدو كالسمن ، لكنها مشبعة، هذه لا تهضم تبقى في الدم تدور ، وتسهم بشكل أو بآخر في تضيق الشرايين ، وأقلّ عملية جراحية للقلب تحتاج أربعمئة أو خمسمئة ألف ليرة ، يصاحبها قلق شديد وخوف ، ونحن بالإمكان أن نبتعد عن هذا ، فحبذا لو أردنا أن نضيف لهذه الموضوعات موضوع الوعي الصحي .



هناك أغذية قاتلة ، وأغذية سامة ، لكنها رائجة ، والحقيقة مع ضعف الإيمان وقلة الانضباط الدولة تمنع كل مادة ضارة منعاً باتاً ، وأي محل يبيع هذه المواد يغلق ، لكن الذي يحصل أن هذه الأدوية المسرطنة تأتي تهريباً ، وتضخ بها بعض الخضراوات ، تجد الخضراوات بحجم كبير ، وبألوان زاهية من فعل الهرمونات المسرطنة ، كنت أتمنى أن هذا الموضوع يتصل بالحياة ، ولا سيما أن نسب السرطان ارتفعت إلى عشرين ضعفاً .

شهِد الله قبل أربعين سنة تمضى سنتان أو ثلاث أو أربع نسمع بواحد معه سرطان ، والله في هذه الأيام شهد الله في الأسبوع الواحد أربعة إلى خمسة ممن أعرفهم أصيبوا بهذا المرض المخيف ، والذي سببه غذاء سيئ ، سببه دهون مهدرجة مشبعة ، بخلاف زيت الزيتون الذي وصفه النبي عليه الصلاة والسلام بأنه يخرج من شجرة مباركة .

الرياضة صحة

كنت أتمنى أن أعالج موضوع التغذية ، وموضوع الرياضة ، لأن صحتك غلاف عملك ، والصحة تأتي بعد الهداية ، إن أردت أن تصنف النعم فالهداية أولاً ، والصحة ثانياً ، وهذا جسمك رأس مالك في الحياة ، وبلاغك إلى الدار الآخرة ، أنا أقول : الرياضة والاعتناء بالصحة لا تزيد العمر بحسب إيماننا ، لكن لك عند الله ستون عاماً ، فإما أن تقضي هذه الأعوام واقفاً متحركاً نشيطاً ، وإما أن تقضيها ملقى على السرير ، والعمر لا ينقص،

ولا يزيد ، لكن فرق كبير ، لذلك لي رأي في هذا الموضوع ، وهو أنه من لوازم عبادة الله أن تحترم قوانين الجسم ، قال الطبيب : ضغطك مرتفع ، والملح يؤذيك ، إذا أكلت الملح ، ولم تعبأ بالطبيب فإنك لا تعبد الله حق العبادة ، لأن جسمك تحكمه قوانين قننها الله عز وجل ، فإن لم تعبأ بهذه القوانين فأنت على نوع من المعصية ، لكن تدفع أنت ثمنها .



أكاد أقول : إن معظم الأمراض وراءها جهل كبير ، جهل بأنماط الحياة ، جهل بالقعود ، بترك الحركات، بتناول غذاء سيئ ، فأنا من طموحي أن أعالج موضوع الرياضة ، وموضوع الغذاء ، وموضوع تربية الأولاد كلها موضوعات حيوية ، لا تنسوا هذه الكلمة : الإسلام هو الحياة ، ونحن كثيراً ما نعجب بشاب في فلسطين أو في العراق هزّ أركان العدو ، وأقلقه حينما ضحى بحياته ، نقول : هذا الشاب مات في سبيل الله ، أنا الآن يحلو لي أن أقول مرة ثانية : أنا أريد شاباً يعيش في سبيل الله ، قد يكون شاباً مثقفاً ثقافة عالية ، قد يكون شاباً متفوقاً ضحى بحياته ، فخسرناه ، دغدغنا ليومين أو ثلاثة ، شعرنا ببطولة فائقة ، لكن بعد حين فقدناه ، الأمة بشبابها .

فأنا كما أتمنى أن يكون من طموح الشباب أن يموتوا في سبيل الله أتمنى أن يكون من طموحهم أيضاً أن يعيشوا في سبيل الله ، فالحياة تحتاج إلى دقة بالغة ، إلى صحة ، إلى طعام متوازن ، وأنا أقول لكم كلاماً دقيقاً : أفضل أنواع الأطعمة هو أرخصها ، لا أدخل في متاهة الغنى والفقر ، وأرخص الأطعمة هو أكثرها فائدة للجسم ، فإذا كان الطعام صحيًّا وعندنا برنامج رياضي ، وعندنا تربية لأولادنا نشعر بقيمتنا في الحياة .

أنا أتمنى أن يعالج موضوع الدين معالجة حياتية ، كيف أن التدخين وفي خطبة جمعة أعدت المحاضرة التي ألقيتها في مدرج مكتبة الأسد في افتتاح جمعية مكافحة التدخين ، أعدت وتمنيت عليكم أن توزعوا هذا الشريط ، أعطيت الملاحظات لإخواننا الكرام أن هذا الشريط لا يباع ، إنما يوزع مجاناً ، فكل إنسان له صديق يدخن هذا عمل ، إلى متى نحن نائمون ؟ وإلى متى نحن متحدثون فقط ؟ نريد عملاً موضوع التدخين عالجناه .

انتشار مرض الإيدز

هناك موضوع ثان ، قد لا تصدقون والله أنا إلى حين تقريباً ستة أشهر كنت أعتقد أن مرض الإيدز بعيد عنا بعد الأرض عن السماء ، وكنت أظن أن العالم الإسلامي حزام أخضر لهذا المرض ، ولكن المفاجأة الصاعقة أنني تلقيت كتيباً من الأمم المتحدة ، طبعاً إحصاءات دقيقة جداً ، ثاني أكبر منطقة في العالم في نمو مرض الإيدز بها الشرق الأوسط بعد إفريقيا ، والشيء الذي يؤلم أشد الألم أن زوجة المصاب تصاب وهي بريئة ، وأولاده يصابون ، والذين يعلنون عن أنهم مصابون بهذا المرض قلة قليلة ، لذلك في هذا الكتيب العلمي أنبئت أن عدد المصابين حقيقة عشرة أمثال الإحصاءات ، والإنسان قد يكون بريئاً ، لكن عند القصاب ، أو عند الحلاق ، أو عند طبيب الأسنان يجب أن يكون التعقيم بأعلى درجة ، فهذه حياة ، أنت لك حياة واحدة في الدنيا ، وهذه رأسمالك ، وهذه مطيتك إلى الجنة ، فالعناية بالصحة ، العناية بالتعقيم ، العناية بالرياضة ، العناية بتربية الأولاد، هذه موضوعات حياتية ، لكن المشكلة أن عندنا موضوعات تقليدية ، هذه الموضوعات التقليدية لا ننكرها ، لكن ينبغي أن تأخذ من جهدنا وقتاً محدوداً .

والله مرة ولا أبالغ كنت في العمرة ، ومتجهاً من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة ، ومكان الإحرام قبل خمسة كيلو مترات ، استمعت إلى درس دين يلقى في هذا المسجد ، لكن أجهزة التكبير تفوق حد الخيال ، صوت يرن رناً عن بعد خمسة كيلو مترات ، كلما اقتربت من المسجد ارتفع الصوت ، إلى أن وصلت قرب المسجد ، فإذا صوت يصم الآذان ، درس علم ، ودعوني قليلاً ، لأحدثكم ما الموضوع ، دخلت إلى الحرم أين المتكلم ، فصار عندي رغبة جامحة أن أبحث عنه فلم أجده ، لكن بعد لأيٍ وبعد جهد عثرت عليه وراء عمود أمامه طالبان فقط، الموضوع عن الإماء ، إذا اشترى إنسان جارية يتزوجها أم لا يتزوجها ، إذا أنجبت ما الحكم ؟ أحكام تفصيلية لا يحتاجها مسلم واحد في العالم الإسلامي ، موضوع مطوي الآن ، فلذلك أنا أريد موضوعاً حيوياً ، هناك موضوعات في الفقه انتهت الآن ، هناك المرابحة ، هناك التأمين ، هناك الاستثمار ، هناك ألف موضوع نحن في أمس الحاجة إليه ، فنحن إذا جعلنا هذا الدرس درس حوار ، وطرح موضوعات حياتية ، وعممت الخبرات التي يأتي بها الإخوة الكرام لعل الله سبحانه وتعالى يرحمنا .

إذاً نريد موضوعات حيوية ، التغذية موضوع ، الرياضة موضوع ، وتربية الأولاد موضوع ، الآن يمكن أن نستخدم وسائل تضاعف إنتاجك .

البرمجة اللغوية العصبية

الآن شاع جداً في بلدنا ما يسمى بالبرمجة اللغوية العصبية ، وأنا بفضل الله هيأت دورة لإخواننا المدرسين ، أجريت هذه الدورة ، مع أن أصول هذه الدورات من بلاد علمانية ليست مؤمنة بالله ، لكن أنا يعنيني بعض التفاصيل التي ترفع سوية الإنسان .

مثلاً : كشاهد سريع ، دفتر صغير في جيبك ، هذا يضاعف لك إنتاجك عشر مرات ، لأننا نعتمد على الذاكرة ، والذاكرة تخيب ظنك ، أنت صباحاً ما عندك خطة ، تتحرك حركة عشوائية ، قبل أن تخرج من بيتك معك دفتر ، رسمت ثمانية بنود ، ورتبتها بحسب المواقع الجغرافية ، وتحركت ، اليوم التالي الذي أنجز شطبت عليه ، والذي لم ينجز أعددته للصفحة الجديدة ، أنت حينما تستخدم قلماً ودفتراً صغيراً تنجح ، وكثير من الإخوان يستخدمون مذكرة كبيرة ، وهذه ليست عملية ، حجمها كبير ، استخدم دفترا تضعه في جيبك فلا تحس به إطلاقاً ، عود نفسك كل خاطر يأتيك سجله ، ومساءً صنف الخواطر ، وصباحاً اكتب برنامج العمل .

الحاجة إلى برمجة يومية

نحتاج إلى موضوع رابع هو بعض البنود الرائعة من البرمجة اللغوية العصبية ، نكون مبرمجين . بالمناسبة ، يجب أن تعلموا علم اليقين ثلاثة بالمئة فقط من الناس يعرفون أهدافهم ، والباقي سبهللا ، يقول لك : نحن ندفع أنفسنا في الحياة ، هذا لسان حالهم ، ليس لهم هدف ، يعيش بحكم الاستمرار ، ثم يفاجأ بأحداث كبيرة جداً لم يخطط لمواجهتها ، أما إذا كان كل واحد منا له هدف واضح ، وكل طاقاته مسخرة لهذا الهدف يكون الشيء رائع جداً .

نعيد الموضوعات التي ينبغي أن نهتم بها في هذه الدروس : تربية الأولاد ، لا تنسوا أبداً أن كل واحد منا عنده أربعة أشياء أساسية في حياته ، وأي خلل في واحدة ينعكس على الثلاثة ، علاقته بربه ، وعلاقته بصحته ، الصحة العالية تحدث معنويات عالية ، وعلاقته بمظهره ، ثم علاقته بأهله ، ثم علاقته بعمله ، فإذا تمكنا أن نتحرك على هذه



الخطوط جميعاً فنحن في التفوق ، وإلا كنا في التطرف والخسارة .

كما أقول دائماً : ثبوت ليس فيه نجاح جزئي ، هذه بعض الخواطر التي أدليت بها في معرض الحديث عن موضوعات نعالجها في المستقبل إن شاء الله .

مثلاً مرة ألقيت محاضرة في طرابلس عن أسباب الشقاء الزوجي فذكرت حوالي خمسين سبباً ، والله الذي لا إله إلا هو كل واحد منا ببساطة ما بعدها بساطة بإمكانه أن يتلافى أسباب الشقاء الزوجي ، له تفكير جامد ، و لا تجديد في حياته ، والعلاقة تغدو مملة ، العلاقات الزوجية لو أضفناها إلى تربية الأولاد يمكن أن تكون أسعد زوج بأشياء بسيطة جداً . هو في درس ثان ذكرت أسباب السعادة الزوجية ، وهي سبعة عشر سبباً ، لا تكلفك إلا اتصالا هاتفيا أحياناً من عملك ، أن تسألها كيف حالكِ ؟ لا تكلفك إلا أن تجلس معها ثلث ساعة تستمع إليها، تحس بقيمتها ، فأشياء من هذا القبيل يمكن أن تقدم لك زاداً ، لأن الحب يصنع صناعة ، ولا أبالغ أن تسعة وتسعين بالمئة من الناس يتوهمون أن علاقته مع زوجته مملة جداً ، لأنه ألفها ، وألفته ، ختموا بعضهم ، فلذلك هو في نفور ، فيهتم بأي امرأة أخرى ، وهي تهتم بأي قريب غير زوجها ، الميل إلى غير زوجها ، والميل إلى غير زوجته ، و النبي عليه الصلاة والسلام قال : الحمد لله الذي رزقني حب عائشة .

ما الذي يمنع إذا كان بعضنا متزوجاً أن يجعل بيته جنة ؟ لا تكلف شيئاً ، ابتسامة ، حلم ، ضبط أعصاب ، هو من طرفه ، وهي من طرفها .

عندنا في موضوعنا بنود : علاقات زوجية ، تربية أولاد ، رياضة ، تغذية ، برمجة عصبية لغوية ، هل عندكم من مزيد ، أنا أدليت برأيي في الموضوع ؟

إدارة الوقت

إدارة الوقت ، نحن أرخص شيء عندنا هو الوقت ، والله لو تعلمون ما قيمة الوقت والله ما ضيعتم ثانية . أنا أحياناً أضطر أن أنتظر شخصاً ، أحدث إجراءات على الهاتف الخلوي وتعديلات ، ضبط ، حذف ، إضافة ، هكذا ، أحياناً آخذ معي شيئاً أقرأه بأي مكان ، لما تعرف قيمة الوقت انظر إلى الساعة ، كلما تحرك عقرب الثواني حركة اقتربت من النهاية ، صارت ستة موضوعات ، يكتبها أمين السر .

والله إخوة كرام يجزيهم الله الخير أسسوا جمعية أسموها جمعية الإعفاف ، جمعية لها موقع بالإنترنت تسهم في تزويج الشباب والشابات ، وقد ورد في الأثر أنه من مشى بتزويج رجل بامرأة كان له بكل كلمة قالها في وبكل خطوة خطاها عبادة سنة في قام ليلها وصام نهارها ، الفتاة طموحها الأول تتزوج في والله معها حق في درسنا في الجامعة أن الدافع الأول في بني البشر الأمومة ، الفتاة ليس لها طموح إلا أن يكون لها زوج تنجب منه ، ويملأ حياتها ، فكل إنسان يحقق الزواج يسهم ، يدل ، يزكي ، لكن هناك أشخاص سبحان الله ! هدفهم تعطيل أي زواج ، تقريباً ما من زواج يتم إلا تأتي الهواتف من الطرفين لتكشف شيئاً ليس صحيحاً من أجل عرقلة هذا الزواج ، المجتمع فيه أمراض لا تعد ولا تحصى ، كلها افتراءات ، فإعفاف الشباب يكون عن طريق الزواج . لنا إخوان كرام يسافرون إلى أوربا فرأوا فيها من الفسق والفجور ما لا يعلمه إلا الله ، وكل إنسان ينزل بفندق معرّض أن يطرق بابه بعد منتصف الليل من قبل عاهرات .

إخواننا الكرام ، عندما يرفض ، ويتعفف يشعر بنفسه أنه يمشي على خطى سيدنا يوسف ، هذا كان سابقاً ، الآن يرفض لا خوفاً من الله بل من الإيدز ، أحبط الله عمله ، الآن الذي يرفض خوفاً من المرض ما عاد له قيمة إطلاقاً ، أما حينما تقول : معاذ الله ! إني أخاف الله عز وجل ، قضية الإيدز الآن مشكلة كبيرة جداً ، ويجب أن تنتبهوا .

قد يكون للإنسان قريبة ، له أخ يبحث له عن زوجة ، ينصحه بزوجة ، شيء رائع جداً ، فدخل في برنامجك اليومي أن تزوج فتاة مؤمنة ، والله أحياناً أتألم ألماً لا حدود له ، أجد فتاة مستقيمة محجبة طائعة لله حافظة كتاب الله ، ما أحد يطرق بابها ، والمتفلتات والفاسقات والفاجرات يوهمون المحجبات أنه ما لم تكوني مثلي فلن تتزوجي ، أليس كذلك ؟ ترى المؤمنة مع مضي الوقت تتضعضع ، فأنت حينما تسعى لقريباتك بزوج مؤمن شاب، والحقيقة يجب أن نضيف إلى هذا أنه لا بد من إلغاء المظاهر .

أنا ذكرت في مرات عديدة أنه قرية في قرى الغوطة الشرقية اجتمع وجهاؤها ، وقرروا أن المهر خاتم ذهب وساعة فقط ، وليس شيء آخر ، وهذه غرفة ، وتعال ، وخذ زوجتك ، وما لم تلغَ هذه المظاهر فالطريق شائك جداً في وجه الزواج .

وأنا أقول كلمة دقيقة جداً : إن لم يكن زواج إن لم يكن نكاح كان السفاح ، وأعداد بيوت الدعارة رقم لا تصدقونه إطلاقاً ، وكان في بعض الأحياء الآن يمتد إلى جميع الأحياء ، كلما وضعتم عقبات أمام الشباب تنشأ بيوت جديدة ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام وهو علمه من الله عز وجل قال :

((إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا إلا تفعلوا لا تعطل هذه العلاقة بل تكون بالحرام))

[الترمذي]

إن امتنعتم عن تزويج الفتيات فهذه العلاقة لا تقف ، لكنها تأخذ مساراً منحرفاً ، وما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا جعل لها قناة نظيفة تسري خلالها ، لكن بالإسلام ليس فيه حرمان أبداً ، حينما يقول الله عز وجل ، ودقق في هذه الآية :

وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ

[سورة النور : 33]

بربكم هل تظنون أن في العالم الإسلامي كله أب يجبر فتاته على الزنا ؟ مستحيل ، فما معنى هذه الآية ؟ الآية تقول :

وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ

[سورة النور : 33]

معنى الآية : أن الأب الذي يعضل ابنته لا يزوجها كأنه مسؤول عن انحرافها ، إذا انحرفت ، وكأنك أكرهتها . والله هناك اتصالات هاتفية كثيرة ، مهما كان خاطب ابنته جيداً يبحث عن علة فيه ليرفضه ، الأب مرتاح ، زوجته إلى جانبه ، وهذه البنت تخدمهم ، وموظفة ، ويأخذون معاشها ، الزواج عنده مشكلة ، فيخترع سبباً تافهاً صغيراً جداً لرفض هذا الشاب ، وهي تتحرق ، وهي حريصة على إرضاء والدها الأب مقدس ، فأنا أقول : هناك آباء والله لا يستبعد أن تقف ابنته يوم القيامة أمام ربها فتقول : يا رب ، أنا انحرفت بسبب تعنت والدي ، ولا أدخل النار حتى أدخل أبي قبلي ، والله لا أستبعد ذلك ، لأنه كلما جاء خاطب رفضه .

حدثتني أخت على الهاتف أنه جاءها سبعة عشر خاطباً فلم يزوجها أبوها ، وإذا تزوجت يطلق أمها ، هذا الأب كالوحش .

فلذلك أيها الإخوة ، موضوع الزواج هذا أخطر موضوع ، لأنه مادام الشاب في ريعان الشباب ، وكل العقبات توضع أمامه إذا أراد العفاف ولم يتزوج يخشى منه الانحراف .

كنت مرة في بلد خليجي ، دعيت إلى مؤتمر الأسرة ، صدقوا شيء لا يصدق ، مؤسسات عملاقة تقدم لكل شاب تزوج غرفة نوم ، وبرادا وغسالة ، وقرضا كبيرا ، نحن عندنا صندوق المودة والرحمة ، نقدم خمسين ألفاً لأي شاب أبرز عقد زواج ، وهذه نعمة ، لكن لا بد أن نساعد بعضنا بعضاً ، ودائماً الأب يقيس صهره على ذاته ، ما عنده بيت بالشام ، أنت متى سكنت منزلا راقيًا في الشام ؟ كان عمرك خمسة وخمسين عاماً ، هذا الآن عمره اثنان وعشرون عاما ، يريد أن يقيس صهره الذي خطب ابنته الآن على مستواه هو ، و على بيته ، و على ترتيباته ، هذا خطأ كبير .

هناك قصة مشهورة وقعت فعلاً ، أن شخصاً خطب ابنة رجل ، الرجل ذكي جداً ، قال له : أنا لا أقبل إلا بالأدلة ، هل يوجد عندك بيت يا بني ؟ قال له : عندي ، هات ورقة الطابو ، فجاء بورقة التملك الخضراء ، ودقق باسمه ، ليس البيت لأبيه ، عندك سيارة ؟ عندي ، هات الميكانيك ، أحضر له الميكانيك باسمه أيضاً ، عندك عمل ؟ نعم عنده معمل ، أحضر لي ترخيص المعمل ، ظهر هذا صحيح ، بعدما طالبه بكل شيء وافق الأب ، و دخل في مشروع خطبة ، ومرة كان الأب مع زملائه التجار في الحريقة ، ودخل هذا الخاطب الأديب، قال لهم خطيب ابنتي ، كان هناك شخص تلون وجهه ، ثم انتحى بالأب مكاناً ، وقال له : هذا غير مسلم ، قال له : أنت لست مسلماً ؟ قال له : هل سألتني عن ديني ؟ عن ديني لم تسألني أبداً .

فلذلك أيها الإخوة ، موضوع الزواج مهم جداً ، هذه موضوعات حيوية ، الزواج ، و تربية الأولاد ، و موضوع إدارة الوقت ، موضوع الصحة ، موضوع الغذاء ، موضوع البرمجة العصبية اللغوية ، هذه الموضوعات أتمنى أن نعالجها في الدروس القادمة .

حسْنُ المعاملة والقدوة الحسنة

أنا أقسم بالله أنني ، وأعتقد ، فقط للتقريب أن الدين خمسمئة ألف بند ، الصلاة والصوم والحج والزكاة خمسة بنود من خمسمئة ألف ، هذا الدين منهج ، يبدأ بفراشك ، و ينتهي بالعلاقات الدولية ، طعامك ، شرابك ، عملك ، علاقاتك .

مثلاً ، أحد إخواننا الكرام يعمل بمؤسسة قدم طلباً لرئيسه ، يقسم بالله العظيم ، قال لي : أنا يمكن أموت ، ولا أصدق أن يدخل مديره في المؤسسة إلى جامع ، ماذا قال : يموت ، ولا يصدق ، لبُعده عن الدين ، قدم طلباً ستة أيام إجازة ، فالمدير غضب ، قال له : لا يوجد عندنا وقت الآن ، قال له : أنا استهلكتها ، كيف استهلكتها؟

قال له : أصلي الظهر ، وأسمع درساً صغيراً ، جمعت الأوقات كلها فكانت ستة أيام ، أريد أن آخذ إجازة حتى لا آكل مالاً حراماً ، قال له : أنت أين تصلي ؟ قال له بالجامع ، أقسم بالله العظيم أنه فوجئ في يوم الجمعة القادم أن مدير المؤسسة في المسجد ، هذا الدين .

طلب ستة أيام ليغطي صلوات شهرين ، كل يوم ربع ساعة ، جمعها ، وأخذها من إجازاته التي تحق له في الصيف ، فالقضية ليست قضية كلام ، قضية سلوك ، قضية انضباط ، قضية التزام ، و دائماً يوجد مسلم عادي لا يقدم ولا يؤخر ، ولا يجلب أحداً إلى الدين ، ويوجد مسلم استقامته وورعه ، وعفته ، يحدث لك صدمة إيمانية ، وهناك قصص كثيرة جداً وقصص بطولية ، لكن هذه القصص أتمنى لو تعمّم .

كثير من الناس يتمنون أن هذه القصص الواقعية المعاصرة تسجل ، لماذا ؟ لأن هذا الذي يعيش معك يتحمل الضغوط نفسها ، والإغراءات نفسها ، والمشكلات نفسها ، لكنه انتصر على بشريته فاستحق رضوان الله عز وجل .

أنا أقول دائماً : لولا أن النبي عليه الصلاة والسلام بشر تجري عليه كل خصائص البشر لما كان سيد البشر ، فنحن بحاجة إلى مثل هذه الموضوعات ، وإن شاء الله نعالجها عن طريق الحوار .

عندما نبدأ بموضوع البرمجة العصبية يكون عندنا مبادئ ، نأخذ مبدأ مبدأ ، و نطالب إخواننا أن يعطونا الآية والحديث حتى لا نشعر نحن أننا مفتقرون إلى شيء جاءنا من الغرب .

مرة دعيت إلى سماع محاضرة في البرمجة العصبية اللغوية ، فبعد أن انتهت المحاضرة دعيت إلى إلقاء كلمة ، سبحان الله ! وفقني الله إلى أنني أكثر قواعد البرمجة ربطتها بآيات أو أحاديث ، ديننا دين كامل ، أنت مدير مؤسسة ، من أجل أن تجعل هذا الموظف يعطيك كل وقته يجب أن تحترمه ، فإذا كان لك عليه مأخذ ينبغي أن تذكر المأخذ بعد أن تذكر إيجابيات هذا الموظف .

صحابي جليل دخل المسجد ، وكان النبي e في الركعة الأولى ، فأسرع وأحدث جلبة ، وشوش على الصحابة ، فلما انتهى من صلاته قال له النبي الكريم : زادك الله حرصاً ولا تعد .

مثلاً أنا في الجامع هنا لا أرغب بتقبيل اليد ، لكن والله تأتيني رسائل أحياناً من شخص حديث عهد بالدين لا يعجبه تقبيل اليد ، أنا والله أتألم أشد الألم من تقبيل اليد ، لأنني أنا حريص على كل شخص ، هذه لا تقدم ولا تؤخر .

مرة تكلمت على المنبر و قلت : إن كان لها أصل فأنا لا أستحقها ، وإن لم يكن لها أصل فنحن في غنى عنها ، نحن عندنا مصافحة فقط ، لكن عندما يأتي أخ يريد أن يغالبني أتألم ، حتى لا أزعجه ، وحتى لا أجعله بشعور الإحباط أقول له : و الله أنا أعلم أن هذه مودة بالغة منك ، لكن أتريد أن يترك المسجد أحدهم ؟ والله هناك أناس تركوا الجامع من تقبيل اليد ، ألست حريصاً على الناس كلهم ؟ هذا لا تقدم و لا تؤخر ، أنا لن أدخل في تفاصيل الأحكام الشرعية ، لكن أنا عندي حكم واضح ، إن كان لها أصل فلا أستحقها ، وإذا لم يكن لها أصل فلا نريدها ، نصافح بعضنا .

لكن عندما يغلبني شخص لا أريد أن أحدث له مشكلة ، أقول له : و الله أنا أعرف أن هذا من أدبك ، ومن تقديرك ، ومن كرامة أصلك ، لكن أنت هل تريد أن يدع أحد المسجد من أجلها ؟ قال لي : لا و الله ، قلت له : لا نريدها ، دعها مصافحة .

أيضاً إنسان يقبّل أنت تُشْعِرُه بأنك لا تقدّره ، قال له زادك الله حرصاً ولا تعد .

مرة سألتني أخت في سفرةٍ لي من سفرات عديدة ، وكنتُ ألقي درساً ، أرسلت لي ورقة ، هي دكتورة ، أنا أشعر بحرج كبير بعدم المصافحة ، فما حكم المصافحة ؟ حكمها واضح كالشمس ، المصافحة حرام ، لكن أردت أن يكون الجواب دعويا لا جوابا شرعيا ، قلت لها : الملكة إليزابيت لا يصافحها في بلدها إلا سبعة رجال بحكم القانون البريطاني ، لعلو مقامها في مجتمعها ، والمرأة المسلمة ملكة لا يصافحها إلا سبعة رجال ، لعلو مقامها في مجتمعها بحكم القانون القرآني ، هو نفس الجواب ، حرام ، لكن الأسلوب لطيف ، يمكن أن يصير هذا الشيء مقبولا .

تقول المرأة المسلمة : أنا لي مكانة كبيرة ، أنا لست مبتذلة ، لا يصافحني أي شخص ، نحن عندنا مشكلة كبيرة جداً ، يأتينا ضيوف من أوربا أو من روسيا ، لا يكفي أن يصافحها ، بل يعانقها ، مثل مدرسة شرعية جاء وزير أديان بدولة في شمال روسيا أراد أن يعانقها ، هذا ليس معقولا ، رجعت ، وكادت أن تقع من شدة الصدمة .

نحن أي حكم شرعي يكون له قالب ، يقول لك : حرام ، تقيم عيد مولد تحدث صدمة ، أنا أقول له : ﷺ خوطب بالقرآن الكريم ، قال تعالى :

وَكُلّاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ

[سورة هود: 120]

أقول : إذا كان قلب سيد الخلق ، وحبيب الحق يزداد ثباتاً بسماع قصة نبي دونه فلأن نتألق تألقاً شديداً إذا سمعنا قصة سيد الأنبياء من باب أولى ، قال تعالى :

أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ

[سورة المؤمنون : 69]

الله عز وجل يحثنا على أن نعرف رسولنا ، قال تعالى :

قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ

[سورة سبأ : 46]



يدعونا أن نتفكر في مقام النبي عليه الصلاة والسلام ، لكن هذا يندرج تحت الدعوة إلى الله ، وتعريف الناس برسول الله جزء من الدعوة ، والحديث عن رسول الله ، وعن أخلاقه ، وعن شمائله ، وعن خصائصه ، وعن سموه ، وعن خلقه ، هذا جزء من الدعوة إلى الله ، إذا أدرجت الحديث عن رسول الله في احتفال ، أو في بيت ، أو في مسجد ، وقدمت الطعام للناس ، كان أفضل الإسلام إطعام الطعام ، وجعلت هذا الاحتفال على مدار العام ، هذا دعوة إلى الله ، أما إذا سميت الاحتفال بعيد المولد عبادة فهو بدعة ، إذا وصفته أنه عبادة فهو بدعة ، أما إذا أدرجته مع الدعوة إلى الله فلا مشكلة ، هذا موقف وسطي ، لا إنكار غير معقول ، ولا تعظيم يفوق حد القبول ، الكون كله خلق من أجل محمد ، هذا الكلام غير صحيح ، الخلق كلهم خلقوا ، ولا سيما البشر ليكونوا على شاكلة محمد ، هو قدوة لنا وأسوة ، التطرف بكل أنواعه تطرف لا يأتي بخير .

أيها الإخوة الكرام ، الآن توضحت معالم هذا اللقاء الطيب لتربية الأولاد ، العلاقات الزوجية ، الصحة ، الغذاء ، البرمجة العصبية اللغوية ، إدارة الوقت ، إن شاء الله نحاول في الدروس القادمة أن نبدأ بموضوع ، وأن نستزيد من إخوتنا الكرام حول فقرات هذا الموضوع ، ولعل الله عز وجل ينفعنا ، فنحن في صحوة إن شاء الله ، أرجو أن تنتهي على أن نستعيد دورنا القيادي في العالم ، نحن في محنة كبيرة ، ونحن في حرب لا هوادة فيها ، ونحن

قضيتنا نكون أو لا نكون ، وأن الطرف الآخر يتمنى إبادتنا والله ، وينفعنا الآن أن نتعاون ، وأن نتكاتف ، وأن نتناصر ، وأن نطبق الإسلام في بيتنا أولاً ، وفي عملنا ثانياً ، هذا الذي كلفنا الله به ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-2) : الرياضة وضوابطها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أيها الإخوة الشباب: يكثر في هذه الأيام الحديث عن كرةِ القدم والتي هي نوع من أنواع الرياضات، وأكثر المتحدثين فيها وعليها هم من الشباب لذا كان لا بد من جعل هذه المقالة الموجهة للشباب بخصوص الرياضة وضوابطها .

أولاً: حكم الرياضة في الإسلام .

الحكم العام هو الجواز لأن الأصل في الأشياء الإباحة، ولا يحرم شيء إلا بدليل قطعي وثابت، بينما العبادات الأصل فيها الحظر، ولا تشرع عبادة إلا بالدليل القطعي والثابت، وبما أن الرياضة من الأشياء، فالأصل فيها الإباحة .

أما إذا كانت من أجل تقوية الأبدان، ومقارعة العدوان فإنها ترتفع من مستوى الإباحة إلى مستوى الاستحباب، بل الندب، بشرط أن تكون الممارسة بريئة من كل معصية، وهادفة إلى ما فيه التدريب على تقوية الأبدان، وتقوية الأرواح .

ثانيًا: ضوابط ممارسة الرياضة:

تنوعت الرياضة في عصرنا، ودخَلها كثير من المخالفات الشرعية، إما في نظام الرياضة ذاتها، أو في كيفية أدائها، مما استدعى معرفة الضوابط الشرعية في هذه الممارسة .

الضابط الأول: ألا تلهي الرياضة عن واجب شرعي:

أول ضابط شرعي في الرياضة: قال تعالى:

﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾

(سورة النور)

الضابط الثاني: مراعاة المقصد الحسن عند مزاولة الرياضة:

الرياضة إما أن تكون وسيلة لإعداد الإنسان ليكون قوياً ليواجه أعداءه، وهي أرفع صور الرياضة، أو تكون وسيلة لتقوية الأبدان وتنشيطها لتعين المسلم على القيام بالواجبات المنوطة به في الحياة فينبغي مراعاة المقصد الحسن عند مزاولة الرياضة، حتى يؤجر المرء، فإنه قد تقرر عند الفقهاء . رحمهم الله عز وجل . أن الأمور بمقاصدها، استدلالاً بقول النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث المتواتر



الجامع المانع: (إنما الأعمال بالنيات).

أما متابعة الرياضة بدلاً من ممارستها فلا يؤدي إلى هذين المقصدين، لكنه قد يؤدي في بعض الأوقات إلى الفرقة والتنازع بين مؤيدي الفريقين .

الضابط الثالث: وجوب ستر العورات والبعد عن مواطن إثارة الغرائز:

الضابط الرابع: عدم اشتمال الرياضة على خطر محقق أو غالب الظن:

لأن الله عز وجل قال:

﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾

(سورة البقرة)

وقال عليه الصلاة والسلام: (لا ضرر، ولا ضرار) .

إذاً: أية رياضة تؤدي إلى إيذاء الطرف الآخر، أو إلى إيذاء اللاعب نفسه فهذه رياضة محرمة، لأن حياة الإنسان ثمينة جداً، ولأن الله خلقه لجنة عرضها السماوات والأرض، ولا يجوز أن يزهق روحه لسبب تافه .

الضابط الخامس: البعد عن المكاسب المحرمة في الرياضة:

لذلك إذا كانت الرياضة وسيلة للقمار بشكل أو بآخر فإنها محرمة .

الضابط السادس: ألا يترتب على إقامة المسابقات الرياضية موالاة أو معاداة:

فالمؤمن يوالي المؤمنين، ولا يوالي أهل الشرك والكفر، أما حينما ينتقل ولاؤه من ولاء للدين إلى ولاء لفريق معين، وحينما ينتقل براؤه من براء من كافر أو مشرك إلى براء من لاعب كرة فكأن هذه الرياضة أصبحت ديناً جديداً . إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها ودنيئها، والمسلم يحب ما يحبه الله فلا يشغل نفسه بالأمور الدنيئة ولا يكون أداة في يد أعدائه، ينفذ مؤامراتهم وخططهم وإنما يسعى لما فيه خيره في الدين والدنيا والآخرة ويستغل وقته بالنافع المفيد ولا يقضي وقته ولا ينفق ماله فيما لا طائل وراءه

والحمد لله رب العالمين

الفصل السابع : الوعي الصحي لدى الشباب

الدرس (1 - 5) : علاقة رالمعصية بنتائجها - مرض الإيدز

الدرس (2 - 5) : مضار التدخين

الدرس (3 - 5) : افة المخدرات

الدرس (4-5) : حكم التدخين في الاسلام

الدرس (5- 5) : ظاهرة الادمان و اسبابها

الفصل السابع : الوعي الصحي لدى الشباب

الدرس (1 – 5) : علاقة المعصية بنتائجها – مرض الإيدز

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، يا رب قد عجز الطبيب فداونا، يا رب قد عم الفساد فنجنا، يا رب قلت حيلة فتولنا، ارفع مقتك وغضبك عنا، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، توفنا غير فاتنين ولا مفتونين.



وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يا رب خلقت فسويت، وقدرت وقضيت، وأمت وأحييت، وأمرضت وشفيت، وعافيت وابتليت، وأغنيت وأقنيت، وأضحكت وأبكيت، المرجع والمآل إليك، نحن بك وإليك.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، قال مرةً لعدي بن حاتم: " **يا عدي لعله إنما يمنعك من دُخولٍ في هذا الدين ما ترى من فقرهم، فو الله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعله إنما يمنعك من دخول في هذا الدين أنك ترى أن السلطان في غيرهم، وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم، ولعله إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من كثرة عدوهم، وقلة عددهم، فو الله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها تزور هذا البيت لا تخاف "، ولقد عمّر عدي بن حاتم حتى رأى بنفسه كل بشارات النبي** ﷺ.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى ذرية سيدنا محمد وسلم تسليماً كثيراً.

عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله وأحثكم على طاعته وأستفتح بالذي هو خير.

الوقاية من مرض الإيدز لا يكون إلا بالتزام منهج الله القويم وصراطه المستقيم:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، موضوع الخطبة اليوم حول خطر داهم يهدد العالم بأسره، ينتشر بمتوالية انفجارية، ولا سبيل إلى الوقاية من هذا الخطر إلا بالتزام منهج الله القويم، وصراطه المستقيم الذي ارتضاه لعباده.

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، يقول الله تعالى:

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

(سورة الروم)



صنع الله متقن غاية الإتقان، محكم غاية الإحكام، كامل غاية الكمال قال تعالى:

﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾

(سورة النمل: الآية 88)

قال تعالى:

﴿ فَارْجِعْ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ(3) ﴾

(سورة الملك)

معنى الفساد:

قال تعالى:

﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (3) ﴾

(سورة الملك)

ذلك لأن كمال الخالق يظهر في كمال الخلق، وكذلك علمه وقدرته وحكمته، أما الفساد ففي تعريفه الدقيق: هو خروج الشيء عن كمال خصائصه، وصفاته، فخصائص الماء مثلاً الكاملة أنه لا لون له، ولا طعم له، ولا رائحة له، ففساده تلوثه بعناصر غريبة عنه، وجراثيم فتاكة لشاربه، وكذلك فساد الهواء، وكذلك فساد الأخلاق، وكذلك فساد العلاقات، فساد الشيء خروجه عن كمال خصائصه وصفاته.



الفساد مستحيل في أصل الخلق، لأن كمال الله مطلق، ولكن الفساد ممكن من جهة المخلوق، حيث أودعت فيه الشهوات ليرقى بها صابراً أو شاكراً إلى رب الأرض والسماوات، الفساد ممكن من جهة مخلوق منح حرية الاختيار ليُثَمَّن علمه، ووضِعَ له منهج دقيق، إذا تحرك من خلاله وقاه الضلال والشقاء، قال تعالى:

﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾

بعض أسباب الفساد:

لكن الإنسان حينما جهل حقيقته، وشرد عن ربه جعل شهوته هدفاً، بل إلهاً عبدها من دون الله، قال تعالى:

﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً (43) ﴾

(سورة الفرقان)

وجعل حريته تفلتاً من كل قيد، قال تعالى:

﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً (44)﴾

(سورة الفرقان)

وجعل المنهج القويم الذي أنزله الله على رسوله جعله وراء ظهره، ولم يعبأ به:

﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآَنَ مَهْجُوراً (30) ﴾

(سورة الفرقان)

وقال:

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (23) ﴾

(سورة الجاثية)

هذه هي أسباب الفساد مخلوق تفلت من منهج ربه، واستخدم حرية الاختيار ليفعل ما يشاء، وجعل شهوته هدفاً عبدها من دون الله.

ما من مصيبة تحل بالبشرية إلا بسبب خروج الإنسان عن منهج ربه:

من النتائج الحتمية لاتباع الهوى بغير هدى من الله أن الإنسان الضال يظلم نفسه فيشقيها، ويظلم مجتمعه فيفسده ويشقيه، ويظلم البيئة فيلوثها، قال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (50) ﴾

(سورة القصص)

ومما يؤكد هذه الحقيقة أن الله سبحانه وتعالى قال في محكم تنزيله:

﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (81) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (82)﴾

(سورة الشعراء)



لقد عزي الخلق إلى الله، وعزيت الهداية إلى الله، وعزي الرزق إلى الله، ولكن المرض عزي إلى الإنسان بسبب خروجه عن منهج الله:

﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (81) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (82)﴾

(سورة الشعراء)

بل إنه ما من مصيبة تحل بالبشرية إلا بسبب خروج الإنسان عن منهج ربه، قال تعالى:

﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (30) ﴾

(سورة الشورى)

علاقة المعصية بنتائجها:

الفساد يستحيل أن يكون في أصل الخلق، بل هو طارئ من كسب الإنسان، وهذا ما تؤكده الآية الكريمة:

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (41)﴾

(سورة الروم)



جُعلت علاقة المعصية بنتائجها علاقة سبب بنتيجة

لحكمة بالغةٍ بالغة جُعلت علاقة المعصية بنتائجها علاقةً علمية، أي علاقة سبب بنتيجة، ففي كل معصية بذور نتائجها، وهذا ما يليق بالتشريع الإلهي؛ تشريع الخبير الذي هو في حقيقته تعليمات الصانع، لكن هذه النتائج الوبيلة للمعاصي ليست هي كل النتائج، بل بعضها، فالعاصي فضلاً عن أنه يخسر الدنيا يخسر الآخرة، وفضلاً عن أنه يعذب في الدنيا يعذب في الآخرة، لكن عذاب الدنيا ليس بشيء إذا قيس بعذاب الآخرة، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة:

﴿ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا ﴾

(سورة الروم)

قال: بعض الذي عملوا، ولم يقل: كل الذي علموا، كل هذا من أجل أن نرجع إلى الله في الوقت المناسب، وقبل فوات الأوان، قال تعالى:

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (21) ﴾

(سورة السجدة)

هناك باعثان وراء كل أعمال الإنسان:

أيها الأخوة في كل مكان، آية أخرى قال تعالى:

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (50) ﴾

(سورة القصص)



هناك باعثان وراء كل أعمال الإنسان ؛ باعث العقل أو باعث الشهوة، باعث المبدأ أو باعث الحاجة، باعث الآخرة أو باعث الدنيا، باعث إرضاء الله تعالى أو باعث إرضاء الذات، باعث الخير أو باعث الشر، هذه الثنائية في البواعث ليس لها ثالث، لذلك قال تعالى . ودققوا في هذه الآية :.

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (50) ﴾

(سورة القصص)

حكماً، وقال أيضاً:

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (50) ﴾

(سورة القصص)

انهيار المجتمعات و شقاء البشرية يتأتى من اتباع الهوى بغير هدى من الله:

يُفْهَم من معاني الآية السابقة أنه من اتبع هواه وفق هدى الله ومنهجه وشرعه فلا شيء عليه، فمن أراد أن يقضي وطره من الجنس الآخر تزوج، لأن الزواج كما قال عليه الصلاة والسلام:

((أغض للبصر وأحصن للفرج))

[رواه البخاري عن علقمة]



فلا شيء عليه، إنه اتبع هواه وفق هدى الله وشرعه، ومن أراد أن يحوز المال الذي زين للناس تملكه فسلك في كسبه الطرق المشروعة فلا شيء عليه، لأنه اتبع الهوى وفق هدى الله ومنهجه وشرعه، لكن انهيار المجتمعات وشقاء البشرية يتأتى من اتباع الهوى بغير هدى من الله.

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، حينما يصبح الهوى هدفاً يسعى إليه الإنسان فلا بد أن عدواناً على الآخرين يقع بسببه، يقع على حقوقهم، وعلى أموالهم، وعلى أعراضهم، وهذا من أشد أنواع الظلم، قال تعالى بعد أن قال:﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ.

قال:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (50) ﴾

(سورة القصص)

ثمن الجنة مخالفة الهوى:

الإنسان بين هدفين متعاكسين في الاتجاه، فكلما اقترب من أحدهما ابتعد حكماً عن الآخر، فإذا اقترب من الهوى ابتعد عن سبيل الله، وإذا اقترب من سبيل الله ابتعد عن الهوى، قال تعالى:

﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (26) ﴾

(سورة ص)

بل إن الجنة التي خلق الإنسان لها والتي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، إن هذه الجنة التي لا تعلم ما أخفي لها من قرة أعين فيها، إن هذه الجنة ثمنها مخالفة الهوى، قال تعالى:


ثمن الجنة مخالفة الهوى

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (41) ﴾

(سورة النازعات)

هذا الإنسان أعقد آلة في الكون، هو المخلوق الأول، هو المخلوق المكرم، هو المخلوق المكلف، في خلاياه، وأنسجته، وأعضائه، وأجهزته من التعقيد والدقة والإتقان ما يعجز عن فهم بنيتها وطريقة عملها أعلم علماء الطب، وفي هذا الإنسان نفس تختلج فيها المشاعر والعواطف، وتصطرع فيها الشهوات، والقيم، والحاجات، والمبادئ، حيث يعجز عن إدراك خصائصها أعلم علماء النفس، وفي هذا الإنسان عقل فيه من المبادئ والمسلمات، والقوى الإدراكية والتحليلية والإبداعية ما أهَّله ليكون سيد المخلوقات.

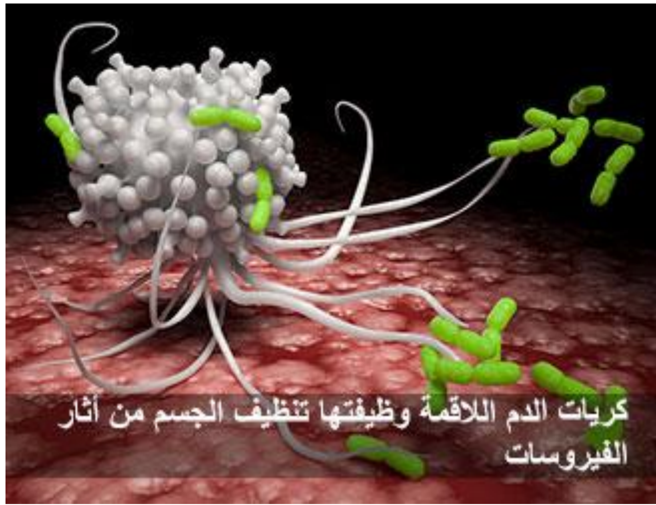
خلق الله الإنسان في أحسن تقويم فلما انحرف عن منهج ربه رددناه إلى أسفل سافلين:


خط الدفاع الأقوى في جسم الإنسان هي كريات الدم البيضاء

لقد خص الله عز وجل الإنسان بأجهزة دفاع بالغة الدقة، أولى هذه الأجهزة: الجلد، وهو درع سابغة على البدن ترد عنه الجراثيم والأخطار، وهو خط الدفاع الأول، وخص المولى عز وجل كل عضوٍ، وكل جهازٍ، وكل حاسةٍ بجهاز دفاع خاص به، فللعين مثلاً الأهداب والأجفان والدمع، وهذه الأجهزة الخاصة بكل عضو وبكل جهاز هي خط الدفاع الثاني .

وأما خط الدفاع الثالث هو الدم وجنوده، كريات الدم البيضاء، وعددها خمسة وعشرون مليون كرية في أيام السلم، ويتضاعف هذا العدد في أيام الاستنفار، وقد يصل إلى مئات الملايين في حال القتال، في فترة زمنية لا تتجاوز الساعات والأيام.

لهذه الجيوش الجرارة من الكريات البيضاء سلاح إشارة مؤلف من بضع مواد كيماوية، يُعد هذا السلاح وسيلة التفاهم فيما بينها، أما خطة جهاز المناعة في الدفاع عن الجسم فهي من الدقة والتنسيق والفعالية حيث يصعب تصديقها، ذكية جداً خلايا الدم البيضاء . كما يقول بعض العلماء . سواء في نظام عملها، أو في توزيع الأدوار القتالية على أفرادها، أو في تحقيق المهمات المنوطة بها، فبعد ثوان معدودات من اجتياز أي جسم غريب لخطوط الدفاع الأولى والثانية تتوجه هذه الكريات البيضاء إلى الجسم الغريب بمهمة استطلاعية فقط، حيث تأخذ الشيفرة الكيماوية من هذا الجسم الغريب، وتحتفظ بها، ثم تنقلها إلى المراكز اللمفاوية مراكز تصنيع السلاح، وهنا تنتهي مهمتها .



وفي المراكز اللمفاوية تقوم الكريات البيضاء الأخرى؛ الكريات المحصنة الصانعة بتفكيك رموز هذه الشيفرة تمهيداً لصنع المصل المضاد، وهذه الكريات البيضاء اسمها الكريات المصنعة المحصنة، وبعد صنع المصل المضاد تنتهي مهمتها، ثم تأتي الكريات المقاتلة، وتحمل هذا المصل المضاد والسلاح الفعال وتتوجه به لتهاجم الجسم الغريب، وتنشب المعركة بين هذه الكريات المقاتلة وهذا العدو المهاجم إلى أن تصرعه، وعندئذ تنتهي مهمتها، ثم تأتي الكريات اللاقمة لتنظف ساحة المعركة من جثث الأعداء.

كريات مستطلعة، وكريات مصنعة، وكريات مقاتلة، وكريات منظفة، وهذه الكرية لا يزيد قطرها عن خمسة عشر مكروناً وفي الميليمتر المكعب هناك سبعة آلاف كرية.

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (5) ﴾

(سورة التين)

لكن الإنسان حينما ينحرف عن منهج ربه، ويستجيب لنداء غريزته من دون ضابط من شرع، أو رادع من فطرة، أو زاجر من عقل يبطل عمل هذا الجهاز، ويموت الإنسان لأدنى سبب، وما مرض نقص المناعة المكتسب بالإثم . الإيدز . إلا تأكيد لهذه الحقيقة،

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾

فلما انحرف عن منهج ربه رددناه إلى أسفل سافلين.

من دلائل نبوة النبي عليه الصلاة والسلام:

لو نظرت إلى شاب مصاب بهذا المرض الخطير، مرض نقص المناعة المكتسب بالآثام:

لرأيته صار إلى فتــى ً هـزيل الجسم منجرد
متلجلج الألفاظ مضطرب متواصل الأنفـاس مطّرد
عيناه عالقتان في نفـق كسراج كوخ نصف متقد
تهتز أنمله فتحسبهـا ورق الخريف أصيب بالبرد
ويمـج أحياناً دماً فعلـى منديلـه قطع مـن الكبـد
قطع تقول لـه: تموت غداً وإذا ترق تقول بعد غد

* * *



الموت الزؤام هو المصير المحتوم لكل مسرف مصاب بهذا المرض:

مات الفتى فأقيم في جدث مستوحش الإرجاء منفرد
كتبوا على حجراته بدم سطر به عظة لذي رشد
هذا قتيل هوى ببنت هوىً فإذا مررت بأختها فحد

* * *

أيها الأخوة الكرام في دنيا العروبة والإسلام، من دلائل نبوة النبي عليه الصلاة والسلام ما رواه ابن ماجه والبيهقي واللفظ له عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:



((يا معشر المهاجرين خصال خمس إن ابتليتم بهن ونزلن بكم أعوذ بالله أن تدركوهن، لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشت فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم))

[ابن ماجه والبيهقي واللفظ له عن ابن عمر رضي الله عنهما]

هذا الحديث الشريف من دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وسلم:

((ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدو من غيرهم يأخذ بعض ما في أيديهم))

[رواه ابن ماجه والحاكم في المستدرك وقال هذا حديث صحيح الإسناد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ]

أوامر الدين ضمان لسلامتنا وليست قيوداً لحريتنا:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، لقد عمَّ العالم مرض وبائي معد سببه فيروس لم يكن معروفاً من قبل .



وبحسب إحصائيات منظمة الصحة العالمية قبل ستة أشهر هناك أربعة وثلاثون مليون مصاب في العالم، لكن هناك خبراء يؤكدون أن العدد الحقيقي قد يكون ضعف هذا العدد أو أكثر.

مما يزيد الحالة سوءاً عجز العالم بكل مؤسساته وهيئاته العلمية وإمكاناته المالية عن صنع لقاح مضاد لهذا المرض، إن هذا الفيروس لا ينتشر في

أكثر حالاته إلا من خلال الإباحية، والفوضى الجنسية، والإدمان على المخدرات، ومن خلال انتشار السياحة من أجل الجنس، أي إنه . وهذه حكمة الخالق . مرتبط بالسلوك الشخصي، في الدرجة الأولى، وهناك مفارقة حادة يختص بها هذا الوباء، فبينما نجد أن معالجته مستعصية إلى درجة الاستحالة فالموت الزؤام مصير كل مصاب به، نجد في الوقت نفسه أن الوقاية منه سهلة إلى درجة أن كل إنسان لم يصب بهذا المرض يملك الوقاية التامة من خلال التزامه بالمنهج الإلهي من حيث العفة والاستقامة، فكل شهوة أودعها الله بالإنسان جعل الله لها قناةً نظيفة تتحرك فيها، وأوامر الدين ضمان لسلامتنا، وليست قيوداً لحريتنا.



أيها الأخوة الكرام حضوراً ومستمعين، الشيء المحير أن هذا الفيروس يستطيع أن يغير شكله في أي وقت، فلو أنفقت ألوف الملايين في البحث العلمي عن لقاح مضاد له تذهب هذه الأموال، أو تلك الجهود أدراج الرياح حينما يغير هذا الفيروس شكله، فضلاً عن أن لهذا الفيروس سلالات عديدةً، فمن نجا من سلالة أردته أخرى، وكأن الله جل جلاله يريد من الإنسان المتفلت أن ينجو من هذا المرض بالعفة والاستقامة لا باللقاح والدواء قال تعالى:

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

(سورة الروم)

شيء آخر يقوله العلماء وهو: أنه لو افترض جدلاً، وهذا أقرب إلى المستحيل، أن جهود العلماء في السنوات الخمس القادمة توصلت إلى لقاح مضاد لهذا الفيروس، فإن تكاليف معالجة المريض الواحد تزيد عن عشرة ملايين.

الإيدز آية صارخة تدل على أن الله جعل هذ المرض الفتاك عقابا على السلوك الأباحي:



أيها الأخوة الكرام حضوراً ومستمعين، في دراسة إحصائية دقيقة أجريت في بلد تفاقم فيه انتشار هذا المرض بسبب الإباحية والفوضى الجنسية وجدوا أنه في كل عشر ثوانٍ يموت إنسان بهذا المرض وأُذيعت هذه الدراسة في بعض الإذاعات العالمية، ذلك بأن هذا المرض ينتشر بمتوالية هندسية، ويبدو أن المتوالية الهندسية لا تعبر عن حجم انتشاره، ينبغي أن نقول: إن هذا المرض ينتشر بمتوالية انفجارية مخيفة، وهناك دراسات إحصائية أخرى تتوقع أن يكون عدد المصابين في العالم في عام ألفين مئة وعشرين مليون مصاب، نشر هذا في صحيفة تصدر في دمشق، وهناك من يعتقد أن هناك مصاباً بهذا المرض وحاملاً له، لكنه وجد أن الحامل لفيروس هذا المرض مصاب به حتماً، لكنه لا يزال في دور الحضانة، وأما أعراضه المرعبة ففي طريقها إلى الظهور، فلا معنى للتفريق بين المصاب والحامل لأن الفرق بينهما فرق وقت لا فرق نوع.



أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، من المفارقات الحادة أن العالم كله، ولاسيما الدول المتقدمة بمقياس العصر المادي، العالم كله بكل إمكانياته المادية والعلمية يقف عاجزاً مكتوف اليدين أمام أضعف فيروس حتى الآن، يفتك بالملايين الذين انحرفوا بأخلاقهم عن المنهج القويم، وكأن هذا الفيروس جند من جنود الله، وما يعلم جنود ربك إلا هو، جعله الله عقاباً عاجلاً لمن خرج عن الفطرة السليمة فضلَّ وأضل، وفسّد وأفسد، إذ لا سبيل إلى الخلاص منه إلا بالعودة إلى المنهج القويم، والصراط المستقيم، ومما يؤكد ذلك وهذا ما حير العلماء أن البعوضة تغرس خرطومها في جسم مصاب بهذا

المرض، وتأخذ من دمه الملوث، ثم تنتقل إلى إنسان سليم من هذا الفيروس، وتغرس خرطومها في دمه النظيف ويختلط دم السليم بدم المصاب، ولا ينتقل المرض، أليست هذه آية صارخة تدل على أن الله ﷻ جعل هذا المرض الفتاك عقاباً على السلوك الإباحي ليس غير، ولم يجعل الإصابة به عشوائية.

درهم وقاية خير من قنطار علاج:

أيها الأخوة الكرام، لو أن بلدةً تشرب ماءً ملوثاً، فظهر في أبنائها الأمراض والأوبئة فهل من العقل والحكمة أن ندع الماء الملوث يفتك بأبناء هذه البلدة .



ثم نبحث عن المصل المضاد واللقاح الشافي، وأن نستقدم الأطباء، ونشيد المشافي، ونستورد الأجهزة، أم العقل والحكمة يقتضي أن نوقف الماء الملوث، أو أن نطهره من التلوث، وعندها نطوق المشكلة ونحد من انتشارها، ثم نلتفت إلى معالجة المصابين.

أيها الأخوة الكرام، من المؤسف أن هذا ما لا يجري في العالم كله، إنهم لا يقفون في وجه أسباب المرض، بل يحاولون أن يمنعوا أعراضه ونتائجه، إن درهم وقاية خير من قنطار علاج.

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (23) ﴾

(سورة الجاثية)

الشاب الذي يبحث عن عمل، ثم يبحث عن زوجة، هو في الظاهر يبحث عن كفايته، ويقضي حاجته، وهو في الحقيقة يسهم في بناء أمته، لأن الأسرة النظيفة المتماسكة هي الخلية الأولى في جسم المجتمع السوي المتقدم، والشاب الذي يهمل عمله، ويقضي وطره من طرق غير مشروعة، ومع فتيات ساقطات، يسهم من حيث يريد أو لا يريد، من حيث يعلم أو لا يعلم في تدمير نفسه، وأسرته، ومجتمعه، وهل الأمة إلا بشبابها الأصحاء الأقوياء المستقيمين وشاباتها.



يا بنات الجيل هيـا حصنوا هذا البناء

احفظوا جيل الشباب أرشدوهم للصواب

فهم النبع الغزيـر ولك عذب الشراب

حصنوا كل الشباب لينيروا كالبـدور

يسروا أمر الزواج لا تغالوا بالمـهور

واحذروا داء التباهي بالأثاث و القصور

إنما نبع السعـادة كامن ضمن الصدور

* * *

احذروا الفيروس فهو الآن جمر يختفي تحت الرمـاد

إن تجاهلنا الحقيقة فاجأتنا النار يوماً واكتوى كل العباد

بددوا الجهل بعلـم أيقظوا أهل الرقـاد

توجوا العلم بطـهر صادق فهو العمـاد

هاهو الفيروس يغتـال الضحايا قاصداً كل البـلاد

وهو أعمى عن شبـاب طاهر يأبى الفســاد

* * *

إنما العفة ماء بارد عذب زلال، يطفئ الجمر، ويروي كل من طلب الحلال.



لكن أيها الأخوة ينبغي أن ننوه أنه بفضل الله علينا، وبسبب تمسك مجتمعنا بمبادئ دينه القويم، فإن هذا المرض الخطير الذي يعد الخطر الأول في العالم كله لا يعد مشكلة في بلدنا الطيب، فالإصابات لا تزيد عن مئة أو أكثر بقليل، وأكثر هذه الإصابات من الوافدين من بلاد أجنبية، وهناك إجراءات حازمة تحد من انتشاره:

﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123) ﴾

(سورة طه)

وقال:

﴿ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38) ﴾

(سورة البقرة)

لا يضل عقله ولا تشقى نفسه ولا يندم على ما فات ولا يخشى مما هو آت.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2 – 5) : مضار التدخين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله نحمده، ونستعين به، ونسترشده، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً ﷺ رسول الله، سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عين بنظر، أو سمعت أذن بخبر، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين.

اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمتنا، إنك أنت العليم الحكيم.

اللهم علِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

مضارّ التدخين :

أيها الإخوة الكرام، بمناسبة أسبوع مكافحة التدخين، أسوق لكم هذا الموضوع.

أيها الإخوة الكرام، إن شركات الدخان تنتج دخينتين يومياً لكل إنسان على وجه الأرض، وعدد سكان الأرض ستة آلاف مليون، ما يعني أن اثنيْ عشر ألف مليون دخينة تنتج كل يوم.

هذه الكميات الفلكية التي تنتجها شركات الدخان فيها مواد سامة لو أخذت في الدم دفعة واحد لاستطاعت أن تبيد الجنس البشري بأكمله.

هذا التقرير صادر عن منظمة الصحة العالمية.



لو أخذت المواد السامة في هذه السجائر دفعة واحدة بعد استخلاصها، في الوريد مباشرة، فهي كفيلة أن تقتل إنساناً في أوج صحته.

مما يدخنه الإنسان، لو استُخلِصَت هذه المواد السامة، وحقنت في وريده لمات فوراً.

عدد الذين يلقون حتفهم، أو يعيشون حياةً تعيسة من جراء التدخين، يفوق عدد الذين يلاقون حتفهم من الطاعون والكوليرا والجدري والسل والجذام والتيفوئيد مجتمعين.

والوفيات الناجمة عن التدخين هي أكثر بكثير من جميع الوفيات للأمراض الوبائية مجتمعةً.

هذه فقرة من تقرير منظمة الصحة العالمية، وهي منظمة علمية كتاباتها وإحصاءاتها موضع ثقة. شيء آخر، أيها الإخوة الكرام، إن مجموع الدخل الذي تحققه الدول الكبرى من جراء الضرائب الباهظة على إنتاج التدخين، هو أقل بكثير من الأموال التي تنفق لمعالجة الأمراض الناتجة عن التدخين.

إن بين كل ثلاثة مدخنين واحد يلقى حتفه بسبب التدخين.

وتواجه الدول العظمى الأوبئة بقلق شديد، فلو انتشرت الكوليرا في بلد لانبرى المسؤولون عن الصحة لمواجهة هذا المرض، واستنفروا، ولكن قد يعجب الإنسان لماذا لا يواجهون أخطار التدخين بهذا القلق نفسه؟

الآثار المدمرة للتدخين لا تظهر بشكل واضح إلا بعد ربع قرن، وهنا الخطر، فإن الآثار المدمرة للمدخن تظهر بعد خمسة وعشرين عاماً من تدخينه.

أيها الإخوة الكرام، بحسب الإحصاءات العلمية: إن الدخينة الواحدة تقصِّر عمر الإنسان بقدر تدخينها، فالإنسان لا بحسب اعتقادنا أن أجله لا يزيد ولا ينقص، ولكن بحسب التقارير العلمية أن التدخين يقلِّل من عمر الإنسان من خمسة عشر عاماً إلى عشرين عاماً، فيما لو لم يدخن، بما تعطيه المؤشرات العلمية.

التدخين السلبي :

أيها الإخوة الكرام، هذا الموضوع طرح سابقاً، ولكن الشيء الجديد في هذه الخطبة هو موضوع التدخين السلبي، أو التدخين غير الإرادي.



هؤلاء الناس الذين لا يدخنون، ولكنهم يتعرضون بشكل يومي للغازات والمواد المنبعثة من تدخين السجائر من زملائهم في العمل، أو الأولاد من أبيهم، أو الزوجة من زوجها، أو الأولاد من أمهم، هؤلاء جميعاً لا يدخنون، ولكنهم ينضوون تحت مصطلح اسمه المدخن السلبي، وهنا المشكلة.

نتائج التدخين السلبي :

أيها الإخوة الكرام، هذه السجائر تحتوي على أربعة آلاف مادة كيماوية على شكل غازات، ومواد معظمها سام، ومضر بالصحة العامة.

من نتائج التدخين السلبي، أن الذي لا ذنب له بالتدخين، إلا أنه ابن في بيت الأب فيه يدخن، أو ابن في بيت الأم فيه تدخن، أو موظف في دائرة أحد زملائه فيها يدخن، هذا الذي لا يدخن، ولا يريد أن يدخن، تظهر على صحته آثار قد لا تصدق، منها:

1] يسبب الربو :

أن التدخين السلبي أيها الإخوة الكرام يسبب الربو، فشركاء المدخنين وجلساؤهم يكونون معرضين بنسبة خمسة أضعاف المعدل الاعتيادي للإصابة بالربو، بفعل مضار التدخين السلبي.

والربو الآن شائع جداً، ولاسيما ربو الأطفال، وأحد أسبابه تدخين الأب في البيت.

كما أن الذين يتعرضون لآثار التدخين من زملائهم في العمل يقعون في أمراض هي ضعف الأمراض التي يقع فيها من لا يدخن تدخيناً سلبياً.

2] يسبب ضيق التنفس :

شيء آخر، أيها الإخوة الكرام، التدخين السلبي له علاقة بضيق التنفس الليلي.
وهذه دراسة تم إجراؤها في بلد متقدم، فقد خضع ثمانية آلاف شخص من ثلاثة عشر بلداً إلى فحص دقيق، لمعرفة آثار التدخين السلبي على صحتهم، فكان من أبرز هذه الآثار ضيق التنفس الليلي، وضيق التنفس الذي يتبع أيّ جهد عضلي.
وهذا أيضاً أيها الإخوة الكرام، من آثار التدخين السلبي، ضيق التنفس الليلي، وضيق التنفس على أثر جهد عضلي.

3] يسبب أمراض القلب :

وهناك دراسة، أيها الإخوة الكرام، تربط بين التدخين السلبي وبين أمراض القلب، فاحتمالات الإصابة بأمراض القلب هي ضعف احتمالات الإصابة لغير الذين يتأثرون بالتدخين السلبي.
الحديث الآن عن التدخين السلبي، هذا الذي لا يدخن، لكنه طفل في أسرة الأب فيها يدخن، أو طفل في أسرة الأم فيها تدخن، أو زميل في عمل الزميل فيه يدخن.
إذا كان هذا أثر التدخين فيمن لا يدخن، لكنه يجاور من يدخن، فكيف أثره فيمن يدخن؟

4] يسبب ضعف الإنجاب :

أيها الإخوة الكرام، بحوث أخرى أشارت إلى أن التدخين السلبي يمكن أن يضر بقدرة المرأة على الإنجاب، وكشفت دراسة رصينة أجرتها جامعة على ثمانية آلاف وخمسمائة من الأزواج الذين تعرضوا للتدخين السلبي في أثناء العمل، فكانت هناك نسبة كبيرة من النساء كن أقلَّ قدرة على الإنجاب من اللواتي لم يتعرضن إلى التدخين السلبي.

5] يسبب ضعف الذكاء :

وشيء آخر أيها الإخوة الكرام، هو أن التدخين السلبي يضعف ذكاء الطفل، وقام باحثون في مركز طبي تابع لمستشفى في إحدى الولايات في أمريكا، وقال هذا التقرير:

إن الأطفال المعرضين لدخان السجائر حتى ولو بكميات قليلة يعانون من انخفاض القدرات الذهنية والإدراكية.

وقد أشار هؤلاء إلى الدراسة التي أجريت على أكثر من أربعة آلاف طفل، ونشرتها مجلة رصينة، وأن هذا الأثر واضح جداً على الأطفال الذين يعانون من التدخين السلبي، والتدخين السلبي أيضاً يزيد من خطر إصابة الأطفال بالتهابات الأذن.

أيها الإخوة الكرام، هذا أثر التدخين فيمن لم يدخن، فكيف فيمن يدخن؟

التدخين انتحار وضرر بالناس :

والإنسان حينما يبتلى بالتدخين، وحينما تضعف إرادته عن أن يقلع عنه، ألا يرحم زوجته؟ ألا يرحم أولاده؟ ألا يرحم من يلوذ به؟



والصحة تأتي في الأهمية بعد الهداية، فأول نعمة على الإطلاق أن تعرف الله، وأن تعرف منهجه، وأن تحمل نفسك على طاعته، والنعمة الثانية أن تكون صحيحاً معافى في بدنك، والصحة رأس مال الإنسان، ورأس ماله الأوحد، وهي وعاء عمله، وهي سبب استقامته، وهي سبب توفيقه في طلب الآخرة، إن كانت الصحة موفورة.

أيها الإخوة الكرام، الذين يتعرضون للتدخين السلبي يأخذون إجازات من وظائفهم ضعف الإجازات الصحية التي يأخذها زملاؤهم ممن لا يتعرض للتدخين السلبي.

هذه الحقائق المرّة، ينبغي أن تكون معلومة عند الإخوة المؤمنين، فلا شك أن الذين يرتادون المساجد معظمهم لا يدخنون، ولكن هذه المعلومات يجب أن ينشروها في أوساط من حولهم، فلعل هذه الحقائق المرة تكون رادعاً لهم ورادعاً لغيرهم عن ممارسة التدخين.

أيها الإخوة الكرام، إلى النصوص الشرعية:

يقول الله عز وجل:

﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾

[سورة البقرة : 195]

هذا الذي يدخن أليس يلقي بيديه إلى التهلكة؟ أليس ينتحر انتحاراً بطيئاً؟

ولا أروع من ذلك الإعلان الذي رسم رصاصة، وكتب تحتها: انتحار سريع، ثم رسم دخينةً، وكتب تحتها انتحار بطيء.

الرصاصة قتل سريع، والدخينة قتل بطيء.

الله عز وجل يقول:

﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾

[سورة البقرة : 195]

التدخين ضرر بالعائلة :

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:

((كان رسولُ الله ﷺ يقول في خطبته: نحمدُ الله ونُثني عليه بما هو أهله، ثم يقول: من يهدِ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، إن أصدقَ الحديث كتاب الله، وأحسنُ الهدْي هدْيُ محمد، وشرُّ الأمور محدَثاتها، وكل محدثَة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، ثم يقول: بعثت أنا والساعةَ كهاتين، وكان إذا ذكر الساعةَ احْمَرَّتْ وَجنتاه، وعلا صوتُه، واشتد غضبه، كأنه نذير جيش، يقول: صبَّحكم ومسَّاكم، ثم قال: من ترك مالاً فلأهله، ومن ترك ديْناً أو ضيعاً، فإليَّ أو عليَّ، وأنا أولى بالمؤمنين))

[حديث صحيح، أخرجه النسائي]

أليست هذه الدخينة بدعةً؟

إن الأسر الفقيرة تستهلك من دخلها ثلثه من أجل التدخين، هذا المبلغ الذي يعادل ثلث دخل أسرة فقيرة، لو رُدَّ على الأولاد غذاءً وفاكهةً وكساءً وضروريات تفتقر إليها الأسرة، أليس هذا من باب أولى؟

أيها الإخوة الكرام، آية ثانية، قال تعالى:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴾

[سورة النساء : 29]

الآية مطلقة، والمطلق على إطلاقه في القرآن الكريم.

قتل سريع معروف لدى الجميع، وقتل بطيء، هو الدخان الذي ينتهي بصاحبه تحت الثرى.

الدخان مفتّر ومنهي عنه :

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ:

((نهى رسولُ الله ﷺ عن كل مسكر ومُفْتِر))

[حديث حسن، أخرجه أبو داود]

أليس الدخان مفتراً؟

أيها الإخوة الكرام، عالم كبير من علماء مصر ذهب إلى أمريكا، وزار بنفسه بعض معامل التبغ، وألف كتاباً اشتريته أنا من معرض الكتاب، وقرأته، فإذا فيه هذه الحقيقة الخطيرة:

إن هذا الدخان ينقع في الخمر أشهراً ثلاثة، أو ينقع في الكحول، لأن هذه الدخينة إذا أشعلتها تبقى مشتعلة، ما الذي يجعلها مشتعلة ولو لم تستخدمها؟ ذلك لأن أوراق التبغ نقعت أشهراً ثلاثة، إما في الكحول، وإما في الخمر، فإذا كان في الخمر فسعرها أغلى، لأن فيها نكهة الخمر، هذه حقيقة ثابتة حتى في شركات التدخين في الشرق الأوسط، تنقع أوراق التبغ في الخمر، أو في الكحول من أجل أن تعطيها نكهةً، ومن أجل أن تبقى مشتعلة حتى نهاية المطاف.

حقيقة ثانية مرة، أن شركات التدخين في العالم الغربي تصنع دخاناً خاصاً لشعوبها، وتصنع دخاناً آخر لشعوب الشرق الأوسط، نسب النيكوتين فيه خمسة أضعاف، وبالتعبير اليومي يعطوننا مزابل الدخان، نسب النيكوتين بالدخان المصدر إلى الشرق الأوسط خمسة أضعاف.

تدخين الغرب وتدخين المسلمين :

شيء آخر، نسب المدخنين تقلّ في العالم الغربي إلى ستين بالمئة، يعني أربعون بالمئة أقلعوا عن التدخين، ونسب المدخنين في العالم الإسلامي زادت ثمانية وثلاثين بالمئة.

هم يَدَعون التدخين حفاظاً على صحتهم، وإدراكاً لمضار التدخين، ونحن في العالم الإسلامي وفي الشرق الأوسط ترتفع نسب المدخنين عندنا إلى ثمانية وثلاثين بالمئة زيادة عن ذي قبل.



أيها الإخوة الكرام، أحد علماء الدين في بلد إسلامي، زار مستشفىً كبيراً في عاصمة بلده، وزار شعبة الأمراض الصدرية، فكانت المفاجأة أنه ما التقى بمريض في هذه الشعبة إلا وجده كان يدخن، بمعنى أن التدخين كان سبب إصابته بهذا المرض الصدري، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((ثلاثة يدعون الله فلا يستجاب لهم: رجل كانت تحته امرأة سيئة الخلق فلم يطلقهاوقد جعل الله له الطلاق طريقاً للخلاص منها ، فلما لم يطلقها، إذاً لا يستجاب دعاؤُه.ورجل كان له على رجل مال فلم يشهد عليه لأن الله أمره أن يكتب هذا الدين، فلما تهاون بالكتابة أكل ماله، إذاً هذا الإنسان لا يستجاب دعاؤه، لأنه قصر في تطبيق منهج الله عز وجل. ورجل آتى سفيها ماله وقد قال الله عز وجل: ولا تؤتوا السفهاء أموالكم))وأنت حينما تنفق من دخلك ثلثه على الدخان فإنك آتيت هذا المال أناساً سفهاء يتجرون بصحة الناس.

[حديث صحيح، أخرجه الحاكم في المستدرك]

أيها الإخوة الكرام، في بلد إسلامي يُنفَقُ على شراء الدخان ستة آلاف مليون جنيه.

الإحصاء المؤلم جداً: أن أعلى نسبة للمدخنين في الدول النامية، وأن أعلى نسبة في الدول النامية في المسلمين، فالمسلمون في الدول النامية يشكلون أعلى نسبة من المدخنين.

سموم التدخين :

أيها الإخوة الكرام، وجاء في الموسوعة البريطانية أن القار والقطران الموجوديْن في دخان السجائر يحتويان على كمية من المواد المسببة للسرطان.

أستميحكم عذراً في ذكر هذه الإحصاءات، والتفاصيل العلمية التي قد يتوهم أحدكم أنها لا تناسب منبر خطبة الجمعة، ولكن الحقيقة ينبغي أن تصل إليكم، ينبغي أن يصحو الإنسان من غفلته في هذا الشرق المتخلف، ينبغي أن تعلموا أن هؤلاء الذين لا يدينون بدين، ولا يقيمون وزناً للقيم الأخلاقية، ولم يؤمنوا بالآخرة إطلاقاً، حفاظاً على صحتهم وقوتهم ومكانتهم بدأت نسب المدخنين تهبط عندهم بشكل واضح جداً، الأمر الذي قد يؤدي إلى إفلاس هذه الشركات العملاقة التي لها دخل فلكي كبير.

أيها الإخوة الكرام، هذه هي الحقائق العلمية عن التدخين، وهناك أحكام فقهية عن التدخين، كلاهما يصبّ في خانة واحدة.

الحكم الفقهي للتدخين :

إن أردت الحكم الفقهي، ففي قوله تعالى:

﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾

[سورة الأعراف، 157]

وإن أردت الحقائق العلمية، فهذا والله كمٌّ قليل قليلٌ مما عندي في ملفات التدخين عن أضراره على كلّ جهاز في الجسم على حدة.

وفي دروس كثيرة في يوم الأحد، وفي خطب كثيرة شرحت هذا الموضوع بتفاصيل مملة عن خطر الدخان على كل جهاز في جسم الإنسان، ذكرت معلومات مختصرة وسريعة مأخوذة من موضوعات كثيرة.

أيها الإخوة الكرام، إلى متى هذا الإنسان الغافل غارق في متع رخيصة تسبب أمراضاً خطيرةِ لا يعيها إلا بعد فوات الأوان؟

كنت أذكر قديماً ودائماً أن الإنسان العاقل يتعامل مع النص، بينما الإنسان الجاهل يتعامل مع الواقع، فما دامت هذه الدخينة تعطيه راحة فيما يبدو توهمه بخدرٍ في جسمه فهو يدخن، فإذا شارف الخطر القاتل صحا من غفلته، هذا شأن غير العاقل.

بينما العاقل من شأنه أنه يتأثر بالنص والحقيقة، قبل أن يأتي يوم لا ينفعه نص ولا حقيقة.

وأخيراً :

أيها الإخوة الكرام، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا.

الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني.

* * *

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وليّ الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صاحب الخُلق العظيم، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التدخين دعم للأعداء :

مرةً ثانية أذكر أن معظم رواد المساجد، والحمد لله، لا يدخنون، إلا قلّة قليلة، أسأل الله أن يعينهم على أنفسهم، وأن يشفيهم من هذا الوبال، ومن هذا المرض الذي هو سبب كل مرض.

لكن اختياري لهذا الموضوع لا من أجلكم، فأنتم معافون، والحمد لله، ولكن من أجل الذين حولكم، من أجل أن يكون الحق واضحاً، وأن يكون الذي نهى الله عنه مدعماً بالحقائق الدقيقة.

أيها الإخوة الكرام، شركة واحدة من شركات التدخين في العالم الغربي، شركة واحدة، أرباحها في اليوم الواحد من العالم الإسلامي ثمانون مليون دولار، يذهب إلى إسرائيل منها اثنا عشر مليون دولار كل يوم، فنصيب هذه الدولة العدوة من أرباح هذه الشركة اثنا عشر بالمئة تقريباً، شيء لا يصدق، أرباح شركات التدخين خيالية.

رسالة شكر لكل مدخن شهم :

أعجبتني رسالة شكر وجهت للمدخنين، يقول صاحب هذه الرسالة:

يا صديقي المدخن الشهم، هذه رسالة شكر شخصية موجهة إليك من كل أولياء الأمور، ورؤساء الاستثمار، ورؤساء الاقتصاد في أمريكا وأوربة، إنهم يشكرونك، لأنك وقفت معهم، وخفضت العجز في ميزانيتهم، ومنعت شركات الدخان عندهم من أن نقيم عليها الدعاوى نتيجة الانخفاض الحاد في عدد المدخنين.

لأنهم هناك في بلادهم يخضعون للعلم بفروضه ونوافله، ولا يجادلون بالباطل، لقد أكد العلم عندهم أن التدخين ضار جداً جداً بالصحة، ولهذا اضطر أولياء الأمور خضوعاً للعلم أن يمنعوا التدخين في أماكن كثيرة.

التدخين في واقع المسلمين :

الآن إخواننا الكرام، التدخين في العالم كله فيما أعلم ممنوع في الأماكن العامة، في الطائرات، وفي القطارات، وفي المركبات، وفي الصالات، أيّ مكان يضم أناساً عديدين، التدخين ممنوع في هذه الأماكن.

الآن أيها الإخوة الكرام، الفتيان في بلاد الغرب لا يشترون الدخان إلا بالبطاقة الشخصية، وسعر الدخان ضوعف خمسة أمثال عدد المدخنين الذين انخفض عددهم أربعين بالمئة تقريباً، فحلت الخسائر الكبيرة في شركات السجائر، وكادت المعركة تنشب بين هذه الشركات، بين أصحابها، ومن وضع أسهماً فيها.

ولكن شهامة المدخن العربي والمسلم حالت دون هذا الانفجار، وقامت بالتعويض اللازم، وحافظت على معدل الأرباح لهذه الشركات.

وبالمقابل هذا المدخن العربي المسلم ضحّى بصحته وبماله، وبصحة أولاده وزوجته، وصحة أبيه وأمه، وخالف أوامر الله عز وجل في تحريم الخبائث، وإزالة كل ما فيها من ضرر، والامتناع عن كل تبذير.

لقد بلغت الشهامة مبلغها، وارتفع عدد المدخنين في العالم الثالث بنسبة ثمانية وثلاثين بالمئة، وأصبحت إعلانات الدخان الكبيرة خالية من عبارات التحذير العالمية.

ثم نقلت عدوى التدخين إلى فتيان في الثالثة عشرة من عمرهم، يقفون على أبواب المدارس يتبادلون الدخان، وكأنهم يتبادلون قطع الحلوى.

لقد صدرت مئات الكتب التي تبرز الأضرار البشعة للتدخين، ثم الفتاوى المنصفة الجازمة بتحريم التدخين، ثم تحدث الاقتصاديون عن المليارات التي تُستَنزَف، كما رصدوا النسب المئوية التي تؤكد التهام التدخين لأكثر من ثلث دخول الأسر الفقيرة أو المتوسطة.

هذه الحقائق وتلك التقارير، وهذه الفتاوى، لم تلقَ أذناً مصغية، بل لقيت الإهمال واللامبالاة.

أيها الإخوة الكرام، المدخن إنسان ينتحر باختياره، ولا يملك السيطرة على ما يقتله، وقد قال تعالى:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴾

[سورة النساء : 29]

أيها الإخوة الكرام، هذه الحقائق وتلك التقارير، وهذه الفتاوى، ينبغي أن تردع كل مدخن عن أن يدخن، لأن في الدخان هلاكاً له، لكنه ليس كهلاك من يقتل برصاصة، ولكن كهلاك من يصيبه مرض عضال فيموت بعد حين.

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق، ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، ولك الحمد على ما قضيت، نستغفرك ونتوب إليك.

اللهم اهدنا لصالح الأعمال، لا يهدي لصالحها إلا أنت، اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت. اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، مولانا رب العالمين. اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك.

اللهم لا تؤمنا مكرك، ولا تهتك عنا سترك، ولا تنسنا ذكرك يا رب العالمين.

اللهم بفضلك ورحمتك أعلِ كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام، وأعز المسلمين، وأذل الشرك والمشركين، أذل أعداءك أعداء الدين، يا رب العالمين.

شتت شملهم، فرق جمعهم، خالف فيما بينهم، اجعل الدائرة تدور عليهم، يا رب العالمين.

اللهم أرنا قدرتك بتدميرهم كما أريتنا قدرتهم في تدميرنا، يا رب العالمين، إنك سميع قريب مجيب الدعاء.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3 – 5) : افة المخدرات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله نحمده، ونستعين به، ونسترشده، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً ﷺ رسول الله، سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عين بنظر، أو سمعت أذن بخبر، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعلى ذريته، ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين.

اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم، إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

حقائق عن المخدرات:



أيها الإخوة الكرام، من الحقائق المذهلة أن الإدمان على المخدرات موجود عند أكثر من مئة وثمانين مليون إنسان في الأرض، مئة وثمانون مليون إنسان يتعاطون المخدرات، وأربعون مليون يتعاطون القات في دول عديدة من إفريقية وآسيا، وأن الإنفاق الحكومي على مكافحة المخدرات بكل أنواعه وأساليبه يصل إلى مبلغ فلكي، لو أنفق على التنمية لكان أهل الأرض في حال غير هذا الحال.

أيها الإخوة الكرام، أضرار بالغة تلحق في اقتصاديات العديد من الدول، فضلاً عن أن هذا المدمن خسر آخرته، وخسر إيمانه، وخسر كل ثمار الإيمان التي وعد الله بها المؤمنين.

أيها الإخوة الكرام، الحقيقة المرة الثانية أن المضبوطات من المخدرات لا تزيد على عشرين بالمئة فقط من حجم المخدرات التي يتعاطى بها المدمنون في العالم، بل إن موظفي الجمارك يؤكدون أنهم لا يضبطون إلا عشرة بالمئة بسبب إخبارية، أو بالصدفة.

تأثير المخدرات على المدمن:

أيها الإخوة الكرام، آفة خطيرة تهدد كل شعوب الأرض، أكبر خطر عند المدمن أنه يصل إلى حالة نفسية وعضوية، ورغبة قهرية ترغمه على محاولة الحصول على المادة المخدرة بأي ثمن، إن كانت فتاة.. تبيع عرضها، وإن كان شاب.. يسرق، وقد يرتكب جريمة، الحالة القهرية التي يصاب بها المدمن تفوق حد الخيال، والقصص التي أدرجت في المواقع المعلوماتية عن ضحايا هذه الآفة الخطيرة يشيب لهولها الولدان.



أيها الإخوة الكرام، تؤثر المخدرات على متعاطيها على نحو خطير في بدنه ونفسه، وعقله وسلوكه، وعلاقاته بالبيئة المحيطة به، من نتائجها الخمول والكسل، وفقدان المسؤولية والتهور، واضطراب الإدراك، والتسبب في حوادث مرورية، وإصابات العمل، وتجعل المدمن قابلاً للأمراض النفسية والبدنية والعقلية، وقد يصاب بفقدان المناعة فيصاب بمرض الإيدز.

أيها الإخوة الكرام، إن المخدرات تحدث تغيرات حادة في المخ تؤدي إلى كوارث على مستوى الفرد كتفكك الأسر، وانهيارات العلاقات الأسرية والاجتماعية، والعجز عن توفير المتطلبات الأساسية للفرد والأسرة، ويقع المدمن غالباً تحت تأثير الطلب على المخدرات، فيصل إلى جرائم السرقة، وترويج المخدرات، والسطو والقتل، والقمار والديون والدعارة، أعاذنا الله وإياكم من هذه الآفة الخطيرة.

أيها الإخوة الكرام، الذي يلفت النظر أن الشاب الذي يستدرج إلى الإدمان غالباً ما يشكو من تفكك أسرته، ومن ضعف تعليمه، ومن فقر الكسل الذي يصيب أسرته، أقول: فقر الكسل، لأن هناك فقر القدر وهناك فقر الإنفاق وهناك فقر الكسل.

أيها الإخوة الكرام، مروجو المخدرات يستخدمون غطاءً اقتصادياً شرعياً، وأنشطةً اجتماعيةً تحميهم من الملاحقة، فهم على مستوى عالٍ من الذكاء.

لو أن أحدكم سألني: ما أسباب تعاطي المخدرات؟

هناك أسباب تعود للفرد المدمن، وأسباب تعود للأسرة، وأسباب تعود للمجتع.

الأسباب الشخصية لتعاطي المخدرات:

أول الأسباب العائدة للفرد المدمن:

1) ضعف الوازع الديني:

قال تعالى:

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

(سورة الحشر، آية19)

2) رفقاء السوء :

أيها الأب، أيها المعلم، أيتها الأم، يجب أن تعلم من هو صديق ابنك، لأن قوة تأثيره يزيد على ستين بالمئة من مجموع تأثير الأب والأم والمعلم والموجه والشيخ في سن المراهقة، فمجموع تأثيرهم لا يصل إلى الأربعين بالمئة، بينما رفيق السوء يصل تأثيره إلى ستين بالمئة، قال تعالى:

﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾

(سورة المائدة، آية77)

3) السفر إلى بلاد المعاصي:

أيها الإخوة الكرام، ويقع في الأسباب سفر الشاب وحده إلى بلاد الغرب، أو بلاد الشرق، أو إلى بلاد بعيدة حيث وسائل الإغراء، وأماكن اللهو، وعدم وجود رقابة في هذه البلاد، فيذهب إلى هذه البلاد ليتعلم اللغة الإنكليزية، فيعود مدمن مخدرات، وقد انتهى.

4) الفراغ وانعدام الهدف:

شيء آخر أيها الإخوة الكرام، الشاب الفارغ بلا هدف، بلا رسالة، بلا قيم، بلا طلب علم، أخطر شيء في حياة الشاب الفراغ، عدم وجود مناشط تربوية، مناشط إسلامية، مناشط علمية، مناشط ثقافية تمتص وقت الفراغ، فوقت الفراغ خطير جداً، أحياناً يمكن أن يكون سبب حب التقليد للكبار أحد أسباب الإدمان على المخدرات.

5) السهر خارج البيت:

من الأسباب أيضاً أيها الإخوة الكرام لدى الفرد السهر خارج المنزل، هذا الذي يسمح لأولاده أن يأتوا في الساعة الثانية ليلاً، بعد منتصف الليل.. أين كانوا؟ هل يعلم الأب أين كانوا؟ وماذا جرى في السهرة؟ وماذا رأوا من أفلام؟ وماذا أغراهم أصدقاؤهم من موبقات؟

6) المشكلات الأسرية:

وقد يقع في أسباب تعاطي المخدرات المشكلات الاجتماعية، والهموم الطاحنة التي تضج بها الأسر، أب شارد، أم غارقة في هموم زينتها، وجيرانها، وابن قد ترك هملاً، عندئذ التفكك الأسري والضغط الاجتماعي يمكن أن يكون وراء هذه الأسباب.

7) الجهل والأمية:

ويقع أيضاً في قائمة الأسباب انخفاض مستوى التعليم لدى الذي يقدم عن المخدرات.

هذه أسباب تعود إلى الفرد فما الأسباب التي تعود إلى الأسرة ؟

الأسباب الأسرية لتعاطي المخدرات:

أول الأسباب التي تعود للأسرة:

1- اضطراب الاستقرار الأسري:

أيها الإخوة الكرام، شيء مؤلم جداً، وخطير جداً، أن اضطراب الاستقرار في جو الأسرة متمثلاً في انخفاض مستوى الوفاق بين الزوجين، وتأزم الخلافات بينهما إلى درجة الهجر والطلاق يولد أحياناً شعوراً غالباً لدى الفرد بعدم اهتمام والديه به، تفكك الأسرة ربما كان سبباً لأعراض كثيرة يعاني منها أفراد المجتمع، الخلافات الزوجية، العداوة والبغضاء والمشاحنة.

2- القدوة الأبوية السيئة:


الأب المتفلت السيء أحد أسباب ضياع الأبناء

أيها الإخوة الكرام، من أبرز أسباب تعاطي المخدرات، والتي تعود إلى الأسرة أن يشكل أحد الوالدين، أو كلاهما قدوة سيئة للولد، أب مستهتر، أب متفلت، أب له سهرات مديدة يهمل أبناءه، هذا الأب غير المنضبط الذي لا يقدم قدوة لأبنائه، ربما كان سبباً في زلة قدم أبنائه إلى المخدرات، أو كما قال بعض العلماء: " إدمان أحد الوالدين سبب كبير في انتشار الإدمان عند الأولاد" أو أن بعض الآباء يسافرون ليحصلوا دخلاً إضافياً فيهملون أولادهم، وقد لا تستطيع زوجته أن تضبط أولادها، فجاء بمبلغ، لكنه ضيع أولاده، وعند علماء النفس لا يعد النجاح إلا كاملاً..

أن تنجح في عملك، وأن تخسر أسرتك هذا ليس نجاحاً.. أن تنجح في عملك، وأن تخسر دينك هذا ليس نجاحاً، وكنت أقول دائماً: لابد أن تنجح في علاقتك مع ربك، وعلاقتك مع أهلك، وعلاقتك مع صحتك، وعلاقتك مع عملك..

نجاحك في عملك، وفي صحتك، ومع أهلك، ومع ربك، هذه النجاحات تشكل نجاحاً شمولياً.

3- عدم التكافؤ بين الأبوين:

أيها الإخوة الكرام، أحياناً عدم التكافؤ بين الزوجين، الزوجة من أسرة رفيعة المستوى اقتصادياً واجتماعياً، والزوج أقل منها، لا تفتأ تذكره بغنى أهلها، وبأناقة أهلها، وببيت أهلها، يضجر الزوج، ينصرف من المنزل إلى رفقائه، وتنصرف إلى جاراتها، ويضيع الأولاد.

4- القسوة على الأبناء:

بعض هذه الأسباب التي تعود إلى الأسرة، القسوة الزائدة في معاملة الأبناء، الضرب المبرح، التوبيخ، الإهانة، ربما ألجأ الأولاد إلى رفقاء السوء، ورفقاء السوء كانوا سبب الوقوع في هذه المأساة الكبيرة.

الأسباب الاجتماعية لتعاطي المخدرات:

أيها الإخوة الكرام، والمجتمع مسؤول أيضاً، وأنا أقول لكم دائماً: ما من مشكلة يعاني منها المجتمع إلا ونحن جميعاً مسؤولون عنها أفراداً وجماعات، ومنظمات، وهيئات رسمية وهيئات غير رسمية، المجتمع كل متداخل فلا بد من وعي، ولا بد من حركة نحو الإصلاح.

1] وجود المواد المخدرة في المجتمع:

فمن الأخطار التي تهدد المجتمع، والتي يعد المجتمع مسؤولاً عنها: وجود هذه المواد في المجتمع، سمعت أنه في بلاد الرافدين بعد الاحتلال تباع المواد المخدرة على الرصيف من دون محاسبة، ومن دون ملاحقة، ومن دون متابعة.

2] وجود أماكن اللهو والفجور:

أيضاً وجود بعض أماكن اللهو في المجتمع، هذه النوادي الليلية لا يعلم إلا الله ما يجري فيها، فإذا دخلها الشاب زلت قدمه، وعاد مدمن مخدرات، وانعكس هذا على أسرته، وكم من أب أصيب بأزمة قلبية أودت به إلى القبر حينما علم أن ابنه أصبح مدمن مخدرات.

3] السياحة غير المنضبطة:

أيضاً السياحة أيها الإخوة الكرام، هذه السياحة التي هي إله يعبد من دون الله، من أجل النمو الاقتصادي نضحي بأخلاق شبابنا، وأخلاق شاباتنا، نستقدم السائحات العاهرات، ونظن أن هذا يرقي صناعة السياحة في بلادنا، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾

(سورة التوبة، آية 28)

4] صرف الأدوية بلا ضوابط:

أيها الإخوة الكرام، حتى العقاقير الدوائية التي فيها بعض المسكنات والمهدءات، هذه في بعض البلاد لا تباع إلا بوصفة من طبيب، بشروط قاسية جداً، لأن بعض الذين أدمنوا المخدرات يستغنون بهذه الأدوية المسكنة عن المخدرات إن لم توجد، فمثل هذه الأدوية يجب أن يكون هناك شروط قاسية جداً في بيعها وفق وصفات طبية مسجلة، ويسأل عنها الأطباء والمرضى معاً.

5] غياب رسالة المدرسة التربوية:

أيها الإخوة الكرام، ومن أسباب انتشار المخدرات التي تعود للمجتمع غياب رسالة المدرسة، المدرسة مؤسسة تربوية، وليست تعليمية فقط، فإذا قصرناها على إلقاء العلم وأداء الامتحانات، وغابت رسالتها التربوية فنحن في طريق الهاوية.

الحكم الشرعي للمخدرات:

أيها الإخوة الكرام، يوم ظهرت هذه الآفة (الحشيشة) أجمع العلماء على تحريمها، ولم يشذ عن ذلك فقيه واحد، ولا مذهب من المذاهب، كلهم أقروا حرمتها، فهي حرام، بل هي كبيرة، وقالوا: إن من استحل شربها أو تداولها أو تعاطيها ينبغي أن يستتاب، أي أن تطلب منه التوبة، فإذا تاب ورجع فبها ونعمت، وإلا عوقب كما يعاقب المرتد عن الدين، لأن حكم تعاطي هذه المخدرات أمر محرم علم من الدين بالضرورة.

كل ما أذهب العقل فهو خمر:

أيها الإخوة الكرام، حرم الإسلام الخمر، ولعن عاصرها، ومعتصرها، وحاملها، وبائعها، وشاربها، وشاهدها... أي كل من ساهم فيها من قريب أو بعيد، فما هي الخمر؟



يقول عمر بن الخطاب وهو على منبر النبي عليه الصلاة والسلام: " إن هذه الخمر قد حرمت، وهي من خمسة أشياء كانت موجودة في الحجاز هي: العنب والتمر والعسل والبر والشعير، والبر يعني القمح، ثم قال: والخمر ما خامر العقل، ألاَ إن الخمر ما خامر العقل، ألا إن الخمر ما خامر العقل "، أعطى صفة الخمر، فأي مادة صلبة أو مسحوقة أو سائلة أو غازية تخامر العقل، وتبعده عن أن يحقق وظيفته، فهي خمر، وتأخذ حكم الخمر، فحينما يتناول هذا المدمن المخدرات يخلط بين الأشياء، يرى البعيد قريباً، والقريب بعيداً، يرى المحال معقولاً، والمعقول محالاً، لا يميز بين صواب وخطأ، ولا بين نفع وضر، ولا بين خير وشر، وكل ما أخرج العقل عن طبيعته، وألغى مهمته فهو خمر، هذا كلام سيدنا عمر، وكل ما أخرج العقل عن طبيعته، وعطله عن أداء مهمته فهو خمر، وقد سمع هذه الخطبة الصحابة الكرام، وأجمعوا على صوابها وصحتها.

إذاً أيها الإخوة الكرام، كل هذه المخدرات النباتية والكيماوية، والسائلة، والمسحوقة، والصلبة، هذه كلها من المخدرات، ومن الخمر بمعناه الواسع، لأنها تحجز العقل عن أداء مهمته.

النهي عن إهلاك النفس:

أيها الإخوة الكرام، الله عز وجل يقول:

﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾

(سورة البقرة، آية 195)

ومن أروع الإعلانات عن التدخين أنه رسمت رصاصة، وكتب تحتها: " موت سريع "، ورسمت دخينة (سيجارة)، وكتب تحتها: " موت بطيء "، فالذي يتناول المخدرات ينتحر، لكن لا يموت فجأة، يموت في أمد طويل.

قال تعالى:

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾

(سورة البقرة، آية 188)

كل من يحقق ربحاً من بيع هذه المواد أكل أموال الناس بالباطل.



أيها الإخوة الكرام، أتمنى من الله أن تكون هذه الحقيقة واضحة، دخان، فخمر، فمخدرات، فهلاك، القصص التي أدرجت في مواقع المعلومات عن ضحايا المخدرات لا تعد ولا تحصى، ولكن الذي يلفت النظر أن بعض المدمنين من أجل أن يحصلوا على كمية من المخدرات يبيعون أعراضهم، أعراض أخواتهم الشابات، يتجسسون ويصبحون عملاء للعدو، لأن الجسم حينما يتعاطى هذه المادة يحتاج إليها بشكل مستمر، فمن أجل الحصول عليها أو على ثمنها يرتكب الجرائم.. يسرق، يزني، إن كانت شابة تبيع عرضها، إن كان شاباً يبيع إخلاصه لبلده ولوطنه، وقد يبيع نفسه للشيطان، وقد يبيع نفسه للعدو، فالقضية خطيرة جداً، أعداء الأمة أيها الإخوة الكرام يعرفون هذه الحقائق، لذلك يستغلون المدمنين

لحسابهم، يلجئون المدمنين إلى أن يعملوا لحسابهم، لذلك انتشار المخدرات وسط الشباب أحد المزالق لخيانة الأمة، ولخيانة هذا الدين العظيم.

الاستقامة هي سبيل النجاة:

أيها الإخوة الكرام، الله عز وجل بهذا المنهج القويم الذي أنزله على النبي الكريم، بهذا القرآن الكريم، وبتلك السنة المطهرة، بهذين الوحيين: المتلو وغير المتلو، جعل منهجاً لنا نحن المسلمين، فنحن حينما نربي أبناءنا على معرفتهم بسر وجودهم، وغاية وجودهم، نربيهم على اتباع منهج ربهم، نكون قد حققنا الكثير لهؤلاء الشباب الذين هم عماد الأمة، لهؤلاء الشباب الذين أمل الأمة.

أيها الإخوة الكرام، كما بدأت أعود، وأقول: رواد المساجد . والحمد لله . أبعد شيء عن هذه الآفة كبعد الأرض عن السماء، ولكن هناك من يلوذ بهم من أقربائهم الأباعد، هناك من يصل إلى سمعهم مأساة في أسرة أساسها المخدرات، فلا بد من أن تكون هذه الخطبة ذات نفع عام إن شاء الله تعالى.

وأخيراً:

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه يغفر لكم فيا فوز المستغفرين.

* * *

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

صفات مدمن المخدرات:

أيها الإخوة، كيف يعرف الأب أن ابنه مدمن على المخدرات؟ صعب جداً معرفة المدمن في أول إدمانه، لكن سهل جداً أن تعرف المدمن بعد حين.

من هذه الظواهر: شرود ذهني كبير، تذبذب في الانفعالات ما بين الحدة والصبر، غضب سريع، حساسية زائدة، ردود فعل قاسية، ميل إلى العزلة، تحاشي الجلوس مع الأسرة، تراجع في العلامات الدراسية، أو انقطاع عن الذهاب إلى المدرسة أو إلى الجامعة، هذه كلها مؤشرات تشير إلى أن هذا الشاب وقع في هذه المأساة الخطيرة.

سبل العلاج:

أيها الإخوة الكرام، القضية لا تحل بالضرب، لا تحل بغضب جنوني من الأب، لا، هناك مصحات، هناك علاجات طبية، الأمر يحتاج إلى هدوء، لأن القسوة البالغة والسحق الكامل قد يغيب الابن كلياً، وقد يبيع نفسه للشيطان.

قصص مؤلمة:

ومرة ثانية . أعاذني الله وإياكم من هذه المأساة التي تتهدم بها الأسرة . والله قرأت قصصاً عن ضحايا المخدرات لا يملك الإنسان إلا أن يبكي:

فتاة تدمن بسبب أخيها:

أخت صالحة جداً أخوها تعاطى المخدرات، تغيرت أخلاقه، تغير مزاجه، تغيرت طباعه، غاب كثيراً، ثم احتاج إلى الثمن، فعرضوا عليه أن يعطي أخته هذه المخدرات حتى تكون ضحية أصدقائه، عودها على المخدرات، ثم باع عرضها لهم إلى أن ماتت بحادث سير، هذه قصة مدرجة في مواقع المعلومات طويلة جداً يبكي لها الإنسان.

شاب يعدم بسبب الإدمان:

شاب في بلد مجاور درس العلوم الشرعية، وصادق صديق سوء، فدله على المخدرات، وانتهى به الأمر إلى الشذوذ، ثم صار عميلاً لجهة عدوة، انتهى عليه الحكم بالإعدام، وشنق. من هذا النوع قصص لا تعد ولا تحصى..

فتاة تنحرف دون علم أهلها:

والله هناك قصص أيها الإخوة الكرام لا تصدق، فتاة انحرفت، وبالغت في الانحراف سنوات طويلة، وأهلها لا يعلمون، آلاف الأسر حدثت انحرافات خطيرة في أبنائهم، والأهل لا يعلمون، هذه الغفلة، وهذه السذاجة، وهذا الإهمال، سوف يحاسبون عنه يوم القيامة، ففي الأثر ورد أن فتاة استحقت دخول النار، تقول: يا رب، لا أدخل النار حتى أدخل أبي قبلي، هو الذي أهملني، هو الذي لم يعلمني، هو الذي لم يدقق في سلوكي.

أيها الإخوة الكرام، قال تعالى:

﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (*) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾

(سورة التكوير، آية 8،9)

الموءودة ليست مكلفة، ستدخل الجنة، أما هذه الفتاة المنحرفة، إذا كبرت وانحرفت، مصيرها النار: كما قال تعالى:

﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾

(سورة البقرة، آية 191)

اهتموا بتربية أولادكم:

أيها الإخوة الكرام، أنا أحسن الظن بالمسلمين جميعاً، ولكن ينبغي أن يكونوا يقظين، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾

(سورة النساء، آية 71)

ابنك ابنك، إنه سر سعادتك، لو ملكت أعلى منصب، وجمعت أكبر ثروة، وبلغت أعلى درجة علمية، ولم يكن ابنك كما تتمنى فأنت أشقى الناس.



إن خير كسب الرجل ولده، سبل الانزلاق كثيرة جداً، أينما سار الإنسان، أينما تحرك فهناك تباع الأقراص المدمجة الإباحية، في كل مكان، والمخدرات، وكلما علا سعرها فهذا دليل على أن هناك مكافحة فعالة لها. فالبطولة لا أن تنجب أولاداً، لكن البطل هو الذي يربيهم تربية صالحة، هو الذي يحرص على إيمانهم، يحرص على استقامتهم، يعيش لهم، يهتم بهم، يتفرغ لهم، يدقق في أصدقائهم، يسأل عنهم أين كانوا، ومن أين جاؤوا. أيها الإخوة الكرام، تجار المخدرات يحققون أرباحاً تفوق حد الخيال، ثمنها في مكان زراعتها إلى مكان استعمالها قد يتضاعف مئة ألف مرة، مئة ألف، من مكان زراعتها إلى مكان تداولها، أرجو الله لي ولكم أن يحفظنا جميعاً، ويحفظ أولادنا ومن يلوذ بنا وطلابنا وشبابنا وشاباتنا.

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق، ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، ولك الحمد على ما قضيت، نستغفرك ونتوب إليك.

اللهم اهدنا لصالح الأعمال لا يهدي لصالحها إلا أنت، اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت. اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، مولانا رب العالمين. اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-5) : حكم التدخين في الاسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين ، أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

نسبة المدخنين في العالم من المسلمين :

أيها الإخوة المؤمنون ، اطلعت على إحصاء أذهلني ، هو أن أكبر نسبة مدخنين في العالم في العالم العربي ، وأن أكبر نسبة مدخنين في العالم العربي من المسلمين ، وحينما أشعر أن أناساً كثيرين يرتادون بيوت الله ، وهم محسوبين على المسلمين ، ويدخنون فلا بد من توضيح الحقائق .

التدخين بين الدرس الشرعي والدرس العلمي :

أيها الأخوة الكرام ، هناك درسان ، درس شرعي ودرس علمي .

الدرس الأول : الدرس الشرعي : حُكم التدخين :

أنا لا أتمنى من أخ كريم أن يدع التدخين خوفاً على صحته بقدر ما يدعه خوفاً من الله عز وجل .
ما حكم التدخين الشرعي ؟



إذا ثبت له بالدليل القطعي أن الدخان محرم شرعاً فينبغي أن يقلع عنه ، بصرف النظر عن كونه نافعاً أو ضاراً، مريحاً أو متعباً ، الشيء الذي حرمه الله ينبغي أن نَدَعه ، إنك إن فعلت هذا كنت عابداً لله ، أما حينما تدَع الشيء الضار حفاظاً على صحتك فهذا شيء جيد ، لكن هذا الترك لا يعد عبادة ، بل يعد سلوكاً عقلانياً .

في هذا الدرس سأبين لكم الحكم الشرعي من خلال آيات كثيرة ، ومن خلال أحاديث كثيرة ، وفي الدرس القادم إن شاء الله تعالى أبين لكم ما استجد في الطب من أضرار وبيلة من التدخين ، ولا عبرة بأن بعض العلماء السابقين أقر التدخين ، أنا لا أدافع عنهم ، لكنني أعذرهم ، لأنه ما وصلت إليهم الحقائق الخطيرة عن التدخين كالتي وصلت إلينا ، لأنه كما تعلمون الأصل في الأشياء الإباحة ، ولا يحرم شيء إلا بالدليل ، بينما في العبادات الأصل في العبادات الحظر ، ولا تشرع عبادة إلا بالدليل ، العبادات شيء والأشياء شيء ، الأشياء الأصل فيها الإباحة ، ولا يحرم شيء إلا بالدليل ، الدليل القطعي بالدليل الواضح ، أما العبادات فالأصل فيها الحظر ، ولا تشرع عبادة إلا بالدليل .

أدلة تحريم التدخين :

1 – الأدلة القرآنية :

تذكرون أنني أذكر كثيراً هذه الآية :

الآية الأولى :

﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾

[سورة الأعراف : 157]

فكيف إذا وجدتم في كتاب الله اثنتي عشرة آية يمكن أن تكون هذه الآيات دليلاً على تحريم الدخان .

أنا لا أريد أن يكون المدخن محسوباً على المسلمين ، هو مسلم لا شك ، لا أنفي عنه الإيمان ، ولا الإسلام ، لكن المدخن يوصف بأنه عاص لله عز وجل ، لا تكن محسوباً على المسلمين ، وأنت لست مستسلماً لرب العالمين .

الآية الثانية :

قال تعالى :

﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾

[سورة البقرة : 195]

حدثني طبيب جراح طبيب جراحة القلب ، أقسم لي بالله أنه في ثماني سنوات في دمشق يجري عمليات قلب مفتوح ، أقسم لي قسماً مغلظاً أنه ما أجرى عملية قلب مفتوح إلا لمدخن ، وأن احتمال إصابة الإنسان بأمراض القلب من جلطة إلا بذبحة صدرية بين المدخنين ثمانية أضعاف ، واحتمال إصابة الإنسان بأمراض القلب بين المدخنين ثمانية أضعاف ، فحينما يثبت لك ، وهذا سيتضح في درس قادم إن شاء الله أن النيكوتين يعين على التصاق الصفيحات الدموية ، وهذا يسبب الجلطة ، وأن النيكوتين يرفع ضربات القلب ، ويكلف القلب جهداً إضافياً ، هناك أبحاث علمية دقيقة جداً الأطباء أعلم مني بها ، لكنه شيء ثابت قطعاً أن الدخان ضرره محقق على جهاز القلب والدوران ، جهاز القلب والأوعية ، وعلى جهاز التنفس ، وعلى الجهاز الهضمي ، وعلى مجموعة من الأنسجة والأعضاء ، سوف يتضح مداه في درس قادم .

الآية الثالثة :

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾

[سورة الأعراف : 157]

بربك هل الدخان طيب أم خبيث ؟ كما قلت في درس سابق : بالدليل الفطري هل تستطيع قبل أن تدخن أن تقول: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ؟ وهل تستطيع بعد أن تدخن أن تقول : يا رب أَدِم فضلك علينا ، يا رب زدنا منه، ولا تنقصنا ؟ كاللبن والحليب ؟ لا تستطيع ، هل تستطيع أن تقرأ القرآن وأنت تدخن ؟ هل تستطيع أن تذكر الله وأنت تدخن ؟ هل تستطيع أن تكون في مسجد وأنت تدخن ؟ بالفطرة هو خبيث .

﴿ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾

وإذا قلت لي : هي عادة آسرة ، أقول لك : أين إرادتك ؟ ما قيمة شخصيتك إن لم تكن مريداً ، إن لم تكن حراً في اتخاذ القرار ، أين شخصيتك ؟ أين رجولتك ؟

أحد التابعين اسمه الأحنف بن قيس ، هكذا تذكر الكتب ، كان قصير القامة ، أسمر اللون ، ناتئ الوجنتين ، غائر العينين ، أحنف الرجل ، ليس شيء من قبح المنظر إلا وهو آخذ منه بنصيب ، شكل عجيب جداً ، كل صفات الدمامة في هذا التابعي الجليل ، وكان مع ذلك سيد قومه ، كان إذا غضب غضِب لغضبته مئة ألف سيف ، لا يسألونه فيما غضب ، وكان إذا علم أن الماء يفسد مروءته ما شربه .

هذا هو الرجل ، سيد قومه ، وقد جمع جسمه كل صفات الدمامة ، الرجل قيمته بإرادته ، وقيمته بقراره ، وقيمته بعلمه ، وقيمته بأخلاقه .

﴿ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾

وهذه الآية الثانية .

الآية الرابعة :

﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾

[سورة البقرة : 195]

التهلكة محققة في الدخان .

أعرف أخاً توفاه الله عز وجل ، كان عند طبيب القلب ، قال له : أنت سوف تصاب بجلطة ، لا لشيء إلا أنه كان يدخن ، والله الذي لا إله إلا هو لا مِن علم الغيب ، بل من علم القوانين ، بعد ستة أشهر أصيب بجلطة ، وبعد سنتين كانت القاضية ، فلا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة .

ملمح لطيف :

هناك ملمح لطيف جداً ، أن الذي عنده امرأة سيئة ، ولم يطلقها لا يقبل دعاءه ، هو سمح له الشرع أن يتخلص منها ، ولم يطلقها ، فإذا بالغت في إيذائه يكون هو قد سد الطريق على نفسه ، يا رب ، نجني منها ، أنا رسمت لك طريقاً للخلاص منها ، أنت لم تستجب ، إذاً لا أستجيب لك .



لو أن رجلا سأل ربه الصحة ، وهو يدخن ، لا يستجاب له ، بشكل أوضح ، هل من المعقول أن يكون معك مئة ألف ، ثم تحرق هذه المئة ألف ، يا رب ارزقني ، أحرقت المئة ألف بيدك ، كيف يرزقك الله عز وجل ؟

الفكرة دقيقة ، من كانت عنده امرأة سيئة فلم يطلقها لا يقبل دعاءه ، هناك ألف امرأة تتمنى الزواج ، وهي مطواعة مؤنسة ، لطيفة ، ترعاه في بيته ، وفي أولاده ، تطيعه إن أمرها ، تحفظه إذا غاب عنها ، تسره إن نظر إليها ، وتتمنى الزواج ، وهذه الزوجة التي تكفر العشير ، والتي تتنعم بزواج ، ثم لا تشكر هذه النعمة هذه ينبغي أن تطلق ، فلذلك الذي عنده امرأة سيئة لا يطلقها ، لا يقبل دعاءه ، والذي يتلف ماله على الدخان لو أنه سأل الله عز وجل أن يرزقه لا يستجيب الله دعاءه ، ولو أن الذي يدمن على الدخان سأل ربه الصحة لا يستجيب الله دعاءه ، الفكرة بديهية ، مئة ألف تتلفها بيدك ، ثم تقول : يا رب ، ارزقني ، هذا تناقض ، أما حينما تحفظ مالك بعدم التدخين ، وحينما تحفظ صحتك بعدم التدخين عندئذ يستجيب الله لك دعاءك .

أيها الإخوة الكرام ، من الحقائق الخطيرة ، لا أقول لكم : جربوا ، معاذ الله ، لو جئت بدخينة واحدة ، ونقعتها في كأس ماء حتى الصباح ، وشربت الماء تموت فوراً ، كلها مواد سامة .

هذا ما يجهله المسلم في صناعة التدخين ونوعيته :

وبالمناسبة ، الشيء الذي يندى له الجبين أن الأجانب . قاتلهم الله . يضعون واحدًا بالمئة من النيكوتين في الدخان ، والدخان المصدر إلى الشرق الأوسط فيه عشرة بالمئة من النيكوتين ، أسوأ أنواع التبغ يصدَّر إلينا ، نسب المدخنين في بلاد الغرب تهبط ، ونسب المدخنين عندنا تصعد إلى متى ؟ إلى متى هذه الغفلة ؟ إلى متى نضيع أموالنا ؟ إلى متى نضيع أموالنا ؟ إلى متى نؤذي أجسامنا ؟ إلى متى لا نعبد ربنا ؟

الآية الخامسة :

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾

[سورة النساء : 29]

إتلاف الصحة بالتدخين قتلٌ صريح :

من قال لك : إن هذه الآية أنه محرم عليك أن تأتي بمسدس ، وأن تضعه على رأسك ، وأن تطلق النار ، هذه معنى ضيق جداً ، لكنْ أيّ شيء يتلف صحتك هو في حكم القتل ، إنك تقتل نفسك بهذا الدخان ، هذه الآية الثالثة .

كنتم تسمعون مني آية واحدة أصلٌ في تحريم الدخان :

﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾

[سورة الأعراف : 157]



أنا الآن آتيكم باثنتي عشرة آية في القرآن الكريم ، كلها يمكن أن يستنبط منها تحريم الدخان .

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾

[سورة النساء : 29]

أنا أعجبتني جداً بعض اللوحات الاجتماعية ، أن المشنقة موت سريع ، الدخان موت بطيء ، ويوجد صورة رائعة جداً ، صحن سيجارة ، وشخص نائم

مثل السيجارة ميت ، والله أشياء مؤثرة ، لذلك قالوا : من لم تحدث المصيبة في نفسه موعظة فمصيبته في نفسه أكبر .

إن لم تتأثر بهذا التحذير فأنت المصيبة ، أنت المصيبة .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا ، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا))

[البخاري ، مسلم ، الترمذي ، النسائي ، أبو داود ، ابن ماجه ، أحمد ، الدارمي]

إذاً : والدخان ؟ الدخان هنا لم يأتِ ، أكثر شيء في الدخان مؤذٍ ؟ القطران ، قال :

﴿ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾

[سورة إبراهيم : 50]

ثيابه من بترول ، هو في جهنم جالس ، ما قولك ؟ ائت بقطعة قماش ، وبلّلها بالبنزين ، وألقها في النار :

﴿ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾

[سورة إبراهيم : 50]

الآية الأولى :

﴿ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾

[سورة إبراهيم : 50]

و الآية الثانية :

﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾

[سورة الأعراف : 157]

و الآية الثالثة :

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾

[سورة النساء : 29]

ومن مات بالدخان فقد قتل نفسه .

قال تعالى :

﴿ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾

[سورة إبراهيم : 50]

الآية السادسة :

﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾

[سورة الإسراء]



المبذر هو الذي ينفق ماله في معصية أبداً ، تشتري تفاحاًً ، تشتري طعاماً ، تشتري لحماً ، تشتري ثياباً ، تشتري لعباً لأولادك الصغار ، تشتري الفواكه لهم ، تشتري حلويات ، هذا كله في الحلال، تشتري الدخان ، وهو معصية ، فالمال الذي ينفق في معصية هو تبذير ، والمبذر إخوان الشياطين ، وهل الشياطين مؤمنون ؟ لا ، إنهم كفار :

﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً ﴾

[سورة الإسراء : 27]

إن إنسانًا أجرى حساباً لطيفاً أعجبني ، لو أنه يدخن علبة واحدة في اليوم مجموع هذه العلب تكفيه عمرة كل عام، تذهب إلى مكة المكرمة ، وإلى المدينة ، وتناجي ربك ، وتزور النبي عليه الصلاة والسلام ، وتحيي قلبك ، و تقبل على الله ، ثمن علبة واحدة يومياً تكفي للذهاب إلى العمرة ، فهذا الإنفاق إنفاق تبذيري ، والمنفق تبذيراً أخ للشيطان .

إخواننا الكرام ، قال العلماء : " من أنفق ماله كله في الحق ليس مبذراً ، ومن أنفق بعض ماله في الباطل كان مبذراً " .

سيدنا الصديق قدّم كل ماله ، قال له النبي عليه الصلاة والسلام :

((يا أبا بكر ، ماذا أبقيت لنفسك ؟ قال : الله و رسوله))

هل يعد الصديق مبذراً ؟ أبداً .

أما لو اقتطعت من دخلك مبلغاً ثمنًا للدخان فأنت مبذر ، طبعاً العلماء قالوا : " المسرف هو الذي ينفق ماله في المباحات إسرافاً ، أما المبذر فهو الذي ينفق ماله في المعاصي " .

الآية السابعة :

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ﴾

[سورة المائدة : 91]

هل تستطيع أن تقرأ القرآن وأنت تدخن ؟ إذاً في وقت الدخان أنت ممنوع أن تقرأ القرآن ، ممنوع أن تذكر الله ، هل تستطيع أن تدعو إلى الله وأنت تدخن ؟ مستحيل ، إذاً ماذا يفعل الدخان ؟ يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة.

الآية الثامنة :

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾

[سورة الأنعام : 151]

الفاحشة الفعل الذي يستفحشه الناس ، إنك لو رأيت ابنك الصغير يدخن ماذا تفعل به ؟ تقوم عليه الدنيا ، ما هذه التفرقة ؟ لماذا تقيم عليه الدنيا والكبير يدخن ؟

مثلاً : معلم يدخن ، فإذا ضبط مع تلميذ علبة دخان يأخذه إلى المدير ويفصله ، ما هذا التناقض ؟ المحرم محرم على الكبار والصغار ، والمباح مباح على الكبار والصغار .

أب يدخن ، فإذا ضبط مع ابنه علبة دخان يقيم عليه الدنيا ، أنت قدوة له فلذلك :

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾

[سورة الأنعام : 151]

والذي يدخن سراً يقرب الفواحش ما بطن منها ، والذي يدخن جهراً يقرب الفواحش ما ظهر منها .

من الشيء الثابت أن الذي لا يدخن إذا جالس المدخن ثمانية عشرة بالمئة من أثر التدخين يصيب غير المدخنين بقطار ، بطائرة ، بسيارة ، في بيت الأب المدخن والأم المدخنة دون أن يشعرا يسببان لأولادهم من مضار التدخين ما يساوي الخمس بالضبط .

ثمة قصة غريبة جداً ، هذه القصة في إيطاليا ، تروى هذه القصة بشكل دقيق ، ابنة لعامل زراعي بسيط ، وأم لا تعمل ، يعيشون بقرية بالقرب من روما ، بدأت مأساتها حينما كانت جنيناً في بطن أمها ، كانت الأم مدخنة ، فلما نزلت الطفلة من بطن أمها كانت مشبعة بالنيكوتين ، فأصبح المخدر بالنسبة إلى الطفلة لازم فكانت تلعب بعلب السجائر ، وتأخذ السيجارة ، وتمضغها بفمها ، وتحاول أن تبتلعها ، لأن الأم المدخنة . هذا شيء ثابت . تؤذي الجنين الذي في بطنها ، دم الجنين من دم الأم ، لذلك ارحم أولادك ، هذا الذي يدخن في غرفة الجلوس في الشتاء خمس الضرر يصيب الأولاد ، هذا الذي يدخن في سيارة عامة خمس الضرر يصيب غير المدخنين ، هذا الذي يدخن في الطائرة خمس الضرر يصيب غير المدخنين ، نحن . والحمد لله . وهذا من التحدث بنعمة الله ممنوع الإعلان في بلدنا عن التدخين ، والجزاء خمسون ألف ليرة ، بقالية كتب : " عندنا دخان " فدفع خمسين ألف ليرة ، هذه نعمة ، ممنوع التدخين في الطائرات بشركتنا ، وفي السيارات ، وفي وسائط النقل ، لكن النعمة الكبرى ألا تجد مدخناً لا في سيارة ، ولا في البيت ، هؤلاء :

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا ﴾

[سورة الأحزاب : 58]

الطفل بريء ، لم يفعل ذنباً حتى تؤذيه بدخانك ، هذا الأب الذي يدخن أمام أولاده غير موضوع القدوة ، لو جاءه ابن رضيع لن يقتدي به ، لكن الطفل الرضيع حساس جداً ، أنت حينما تدخن في غرفة واحدة تؤذي زوجتك غير المدخنة ، وتؤذي ابنك غير المدخن ، فهذا مؤمن بالفطرة :

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً ﴾

[سورة الأحزاب : 58]

الآية التاسعة :

الدليل الثامن : قال تعالى :

﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ ﴾

[سورة النساء : 5]

من هو السفيه ؟ الذي لا يحسن إنفاق المال ، و الله اليوم سألني أخ سؤالا دقيقًا : أن أسرة تعاني من الفقر المدقع ، والأب يدخن ، فهل نعطيه مالاً ؟ قلت له : لا ، أعطه طعاماً ، إذا كان بينكم قرابة ، وأنت واجبك أن تعينه فأعطه طعاماً ، الطعام يأكله أولاده ، فإن أعطيته مالاً يشتري به دخاناً ، فهذا سفيه ، الذي ينفق ماله على الدخان سفيه :

﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ ﴾

[سورة النساء : 5]

هذه الآية الثامنة :

﴿ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً ﴾

[سورة النساء : 5]

هذا الذي يبيع الدخان ماذا يفعل ؟ حينما أكل مال هذا الشاري ماذا أعطاه ؟ أعطاه خبزاً أعطاه فاكهة ؟ أعطاه لحماً ؟ أعطاه قميصاً ؟ أعطاه سماً ، وكأنه أكل أموال الناس بالباطل .

بيع الدخانِ محرَّمٌ :

أقول لكم أيها الإخوة : بيع الدخان محرم لقوله تعالى :

﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾

[سورة المائدة : 2]

الآية العاشرة :

﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ * لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴾

[سورة الغاشية]


بيع الدخان محرم

الدخان هل يشبعك ؟ هل يعطيك فيتامينات ؟ يعطيك بروتين ؟ يعطيك مادة سكرية للطاقة ؟ يعطيك مواد فيتامينية ؟ أبداً سموم .

هناك قصة أحدثكم عنها في الدرس القادم إن شاء الله ، ملخصها الكونغرس الأميركي طلب من شركات التبغ أن تقدم قائمة بالمواد التي تصنع معها الدخان ، خمسمئة وتسعة وتسعون مادة ، ثلثها مواد سامة ، للبحث تفصيل ، فهذا الذي باعك الدخان أكل مالك بالباطل :

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾

[سورة البقرة : 188]

وهذا الذي باعك الدخان ، الدخان كالضريع ، لا يسمن ولا يغني من جوع .

الآية الحادية عشرة :

عندنا أدلة مخالفة ، أي المعنى المخالف .

حينما قال الله لك :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً ﴾

[سورة البقرة : 168]

أنت لم تأكل حلالاً طيباً أكلت خبيثاً ، أنت عصيت الله عز وجل ، قال له : كُلْ لحماً ، كُلْ خبزاً ، كُلْ فواكه ، كُلْ خضراوات ، اشرب العصير ، عصير الفاكهة ، اشرب الشاي ، أنت ماذا فعلت ؟ شربت شيئاً يؤذيك :

﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾

[سورة المائدة : 5]

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾

[سورة المؤمنون : 51]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾

[سورة البقرة : 172]

أنت فعلت العكس .

احذروا الإدمان !!!

والله جاءتني رسالة من يومين ، يقول فيها صاحبها : لا أستطيع ترك الدخان ، فأفطرت رمضان ، والله ما قرأتها، لا أستطيع ترك الدخان ، فأفطرت في رمضان ، والإدمان على التدخين أشد من الإدمان على الخمر ، هذه الشركات مجرمة ، يرفعون نسب النيكوتين من أجل الإدمان ، حينما تدمن تبيع ما تحتك وما فوقك من أجل الدخان ، ولا أكتمكم أن بعض الصناعات الغذائية التي تصدر إلى الشرق الأوسط فيها مواد تعين على الإدمان ، ابنك يريد هذا الشيء ، أنا أنصحكم من أعماق قلبي : اكتفوا بالصناعات الوطنية ، لازلنا نحن بخير ، لا زلنا نخاف الله قليلاً .

الآن هناك حلويات مستوردة ، غالية جداً ، تأكلها مرة واحدة لا تستطيع أن تدعها ، وكم من طفل سرق من جيب أبيه ليأكل هذه الأكلة .

حدثني قريب لي زوجته فرنسية ، جاءت مرة بحلويات ، لكن راجت رواجاً غير طبيعي ، مستوردة ، لا تستطيع إلا أن تأكل باستمرار منها ، هذه كلمات لشركات ، أن طعمها لا يقاوم ، إذاً يوجد بها مواد مدمنة ، ما معنى لا يقاوم ؟ فلما ذهب إلى فرنسا في الصيف أخذ معه بعض هذه السكاكر ، وحللها في مخبر محترم ، أقسم لي بالله بالنتيجة مواد تعين على الإدمان .

أحياناً تجد طفلاً تعلق بالمشروبات الغازية تعلقاً غير طبيعي ، يمكن أن يقاتل من أجل هذا المشروب الغازي ، ما القصة ؟ فيه مواد تعين على الإدمان ، الغرب ماكر .

بالمناسبة هناك هيئات غذائية بأمريكا لا يمكن أن يسمح ببيع البضاعة للشعب إلا إذا كانت صحية بالمئة مليون، التصدير شيء ، والاستهلاك شيء آخر .

أحد الإخوان زار ألمانيا ، وبها دواء مشهور جداً في الأردن وفي سوريا وفي لبنان يباع ، ألماني الصنع ، ووصوه جيرانه ، أول صيدلية لا يوجد ، الثانية لا يوجد ، الثالثة لا يوجد ، الرابعة لا يوجد ، معقول ، أين هو جالس ؟ جالس ببلد نام ؟ هو جالس بألمانيا ، فهناك صيدلي رقّ له ، أدخله إلى الداخل ، و فتح الكومبيوتر ، قال له : هذه خاصة بالشرق الأوسط ، أكثر المواد الغذائية للتصدير فقط ، أكثر المبيدات الزراعية ممنوع بيعها في بلد المنشأ ، نحن حقل تجارب لهم ، نحن سوق لهم ، نحن عندهم لسنا من بني البشر ، فأنت انتبه لنفسك .
والله من سنتين أو ثلاث أقيم في سوريا أسبوع لمكافحة التدخين ، أنا هكذا سمعت ، أنا ما سمعت بأذني ، ألقى وزير الصحة كلمة في التلفزيون عن التدخين ، قال : اتصل بي صديقي من أميركا ، وأنباني بأن الدخان الذي يباع لكم فيه عشرة أمثال من النيكوتين ، كما قلت قبل قليل ، أسوأ دخان بالتعبير العامي زبالة الدخان ، الأغلفة راقية جداً ، والعلبة غالية جداً ، أي أسوأ دخان يباع لنا ، إذاً نحن أين عقلنا ؟ هذا شيء لا يحتمل .
أيها الإخوة الكرام ، أنا لا أكتمكم أنني أعلم أن من إخوتنا من يدخن ، لكنني والله ما رأيتهم إطلاقاً ، أو يتحاشون أن أراهم يدخنون ، لكنني أعلم علم اليقين أن هناك من إخوتنا من يدخن ، وهذا الدرس واللهِ لهم ، والله من محبتي لهم ، ومن حرصي على صحتهم .
لي قريب كان يدخن ، أصيب بمرض عضال ، زاره قريب لي في المستشفى ، قال له : هذه التي أمرضتني ، سوف أنتقم منها ، يقصد السيجارة ، والله ما خرج من المستشفى إلا ميتاً .
لي صديق طبيب (أذن أنف حنجرة) عنده دعابة ، قال لي : ما فحصت شخصاً معه سرطان حنجرة ، أضع يدي على جيبه ، تظهر علبة من الدخان ، هذه من هذه ، و الله أنا لا أخاطب عوام الناس ، أنتم نخبة يا إخوان، أنتم مؤمنون ، أنتم رواد مساجد ، والله العامة ليس لي بهم شأن ، هؤلاء لا يسمعون ، أنا لا أذكر هذا الدرس من فراغ ، أعلم علم اليقين أن هناك من إخوتنا من يدخن ، وأنا ألقيت درساً عن الدخان ، والله سمع هذا الدرس أشخاص كثيرين ، وهم مدمنو تدخين ، وقد أقلعوا عن الدخان ، أنا أتأثر من الغريب يستمع إلى هذا الشريط ، و يتأثر ، و يقلع ، وإنسان يحضر معنا ، وأتكلم أنا عن الدخان ليلاً نهاراً ، ولا يتأثر .

الآية الثانية عشرة :

آخر آية :

﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

[سورة المائدة : 100]

لا تفلح إلا إذا أخذت الطيب ، و تركت الخبيث ، هذه اثنتي عشرة آية .

2 – الأحاديث النبوية :

نهى عليه الصلاة و السلام عن كل مسكر ومفتِّر .

الحديث الأول :

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ :

((نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كُلِّ مُسْكِرٍ وَمُفَتِّرٍ))

[أحمد وأبو داود]

الدخان مفتِّر .

هناك شخص يرتدي ثياب رعاة البقر ، هذا بكل الإعلانات الكبيرة والصغيرة في الطرقات ، يقول : " تعال إلى حيث النكهة !!! " ، راعي بقر يدخن ، هذا مات بسرطان الرئة ، و قبل أن يموت قال : : كنت أكذب عليكم ، الدخان قتلني " ، فالنبي عليه الصلاة و السلام نهى عن كل مسكر ومفتّر ، يقول لك : فقط عندما أدخن تتخدر أعصابي ، أهدأ ، أنت ضوجت نفسك بالأساس ، أول حديث نهى عن كل مسكر و مفتر .

الحديث الثاني :

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((قَضَى أَنْ لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ))

[ابن ماجه ، أحمد]

الدخان ضار ، والنبي قال : لا ضرر ، هذه لا نافية للجنس .

الحديث الثالث :

كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَنْ اكْتُبْ إِلَيَّ بِشَيْءٍ سَمِعْتَهُ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

((إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا قِيلَ وَقَالَ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ))

[متفق عليه]

أليس في الدخان إضاعة للمال واضحة ؟

الحديث الرابع :

عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ ؟))

[الترمذي ، الدارمي]

فأمضى جزءاً من عمره في الدخان ، وأنفق بعضاً من ماله في شراء الدخان ، وأبلى جسمه في الدخان ، هل يوجد أوضح من ذلك ؟

اثنتا عشرة دليلاً قرآنياً ، واثنا عشر حديثا نبويًا .

الحديث الخامس :

في الحديث المتفق عليه عَنْ خَوْلَةَ الْأَنْصَارِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

((إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَهُمْ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))

بربك أنت من أصحاب الدخل المحدود ، هذه العلبة كم ثمنها ؟ خمسون ليرة ، إن أحضرت كيلوين كرز لأولادك أليس أفضل ؟ إذا أحضرت الليمون ، وصنعت منه شراباً ؟ إذا أحضرت البرتقال ، العنب ، أليس الفاكهة أفضل؟ يمكن أن تحلّ بثمن الدخان أشياء كثيرة جداً .

الحديث السادس :

الحديث الذي روي عن رسول الله ﷺ :

((من آذى مسلماً فقد آذاني))

والذي يبيع الدخان يؤذي المسلمين .

الحديث السابع :

عَنْ أَبِي قِلَابَةَ أَنَّ ثَابِتَ بْنَ الضَّحَّاكِ ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((... مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ...))

[متفق عليه]

﴿ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ ﴾

[سورة إبراهيم : 50]

الحديث الثامن :

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ ...))

[البخاري ، مسلم ، أحمد]

تتحمل أن يقترب منك مدخن خمسة سنتمترات يهمس في أذنك ؟ لا تستطيع أن تتحمله ، رائحته كريهة ، أسنانه صفر ، عنده رجفان ، ضعيف ، لا يرى ، يرى بالتحليل .

وفي الدرس القادم إن شاء الله آتيكم بالتفاصيل ، هذا الدخان ، إذاً كحامل المسك ، ونافخ الكير ، إذاً البصل والثوم حلال أم حرام ؟ حلال ، ومع ذلك من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا ، إذاً والمدخن ؟ اقترب منه رائحة الدخان .

حقيقة ثابتة : الدخان منقوع في الخمر :



لازال هناك موضوع في الدرس القادم ، ثابت بالمئة مليون ، وهناك عالم بمصر اسمه عبد الصبور شاهين ، من علماء الزهر الكبار ، ذهب إلى أمريكا بنفسه ، ورأى كيف أن أوراق التبغ تنقع بالخمر من ثلاثة إلى ستة أشهر، كيف هذه الدخينة تشعل ، و تبقى مشتعلة ؟ هذا منقوع بالخمر ، والخمر (سبيترو) ، هذا منقوع بالخمر، والخمر (سبيترو) ، منقوع ستة أشهر ألا تسمعون، تعال إلى حيث النكهة ، هذه النكهة نكهة الخمر و العياذ بالله .

الحديث التاسع :

عَنْ ابْنِ شِهَابٍ زَعَمَ عَطَاءٌ أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ زَعَمَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا فَلْيَعْتَزِلْنَا ، أَوْ قَالَ : فَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا ، وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ ...))

[البخاري ، مسلم ، الترمذي ، النسائي ، أبو داود ، أحمد]

أنا و الله لا أفتي بتزويج من يدخن .

الحديث العاشر :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ ...))

[البخاري ، مسلم ، الترمذي ، أحمد ، الدارمي]

جارك بالسيارة ، و جارك بالسفر ، جارك بالبيت ، ابنك جانبك ، زوجتك ، أنت تؤذي هؤلاء .

الحديث الحادي عشر :

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ))

[الترمذي ، أبو داود ، ابن ماجه ، أحمد]

الدخان ليس مسكر ، لكنه مفتّر ، كنت أمضي الخدمة الإلزامية في كلية الضباط الاحتياط في حلب ، فكان ثمة شخص . توفاه الله . في أثناء الاستراحة بين التدريب يمسك اثنتين باثنتين ، منظر عجيب ، يشعل أربعة معاً ، ويسحب .

الحديث الثاني عشر :

عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَجُلًا قَدِمَ مِنْ جَيْشَانَ وَجَيْشَانُ مِنْ الْيَمَنِ:

((فَسَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَرَابٍ يَشْرَبُونَهُ بِأَرْضِهِمْ مِنْ الذُّرَةِ يُقَالُ لَهُ الْمِزْرُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَ مُسْكِرٌ هُوَ قَالَ نَعَمْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ إِنَّ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ قَالَ عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ أَوْ عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ))

[مسلم ، النسائي ، أحمد]

اثنتا عشرة آية و اثنا عشر حديثاً يستنبط منها جميعاً أن الدخان محرم ، وأنا أتمنى على المدخن أن يقلع عنه لأنه محرم فقط ، فهو بهذا يعبد الله .

حدثني أخ قال لي : و الله يومياً أدخن أربع علب ، قال لي : أنا شاب في أول حياتي ، ونشيط ، وأركض ، قال لي : و الله تركته لا خوفاً على صحتي ، ولكن طاعة لله ، أكبرته كثيراً ، فأرجو الله سبحانه و تعالى أن نتعظ بهذه الحقائق .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5 -5) : ظاهرة الإدمان و أسبابها

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة :

الأستاذ علاء :

أيها السادة المشاهدون سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، وأهلاً ومرحباً بكم في هذه الحلقة الجديدة من برنامجكم الإيمان هو الخلق ، يسعدنا أن نكون بمعية فضيلة الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي أستاذ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة في كليات الشريعة وأصول الدين بدمشق ، وكذلك العضو المؤسس في جمعية مكافحة التدخين والمواد الضارة في سوريا أهلاً وسهلاً سيدي الأستاذ .

الدكتور راتب :

بكم أستاذ علاء جزاك الله خيراً .

المخدرات و أضرارها :

الأستاذ علاء :

سيدي هذه الصفة الأخيرة كعضو مؤسس في جمعية مكافحة التدخين والمواد الضارة لها صلة وثيقة بالموضوع الذي سنأتي على تناوله بعد قليل إن شاء الله ، كم من غني أصبح فقيراً يسأل ؟ وكم من صاحب منزلة أصبح صعلوكاً يهمل ؟ وكم من عاقل ضيّع عقله وأصبح كالمجانين في الطرقات ؟ كم من شريف باع عرضه وأصبح دوساً ؟ وكم من سعيد تحول شقياً ؟ قد خسر أهله بل حياته ، لماذا وكيف ؟ كيف تقي نفسك وأفراد أسرتك ومن حولك ؟ كيف تنقذ نفسك ما إذا تورطت وكيف تعين من تورط ؟ كيف تعالج نفسك إذا ما هويت ؟ وكيف تأخذ بيد من هوى ؟ كل هذه التساؤلات قد تعالج في هذه الحلقة فكن عوناً لأسرتك ولأمتك وللمسلمين والمؤمنين جميعاً، قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(90)﴾

(سورة المائدة)

سيدي في هذه الحلقة وربما لحلقات بعدها سوف نتناول موضوعاً هاماً ، هذا الموضوع يتعلق بالمخدرات وأضرارها ، بالمواد المخدرة سواء كانت نباتية أو مستخلصة أو كانت عقاراً .

نتيجة حجم المشكلة في العالم تنادت الأمم والشعوب لجعل يوم وهو السادس والعشرون من حزيران من كل عام جعلته يوماً عالمياً لمكافحة المخدرات ، هذه المشكلة مشكلة كبيرة في العالم وتأكل وتلتهم اقتصاديات العالم ، وقبل كل ذلك الأجساد والأرواح والأسر ، ترى هل يمكن أن تضعنا في حجم المشكلة عالمياً ؟

المخدرات وباء وداء للمجتمع في الوقت نفسه :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .



أستاذ علاء جزاك الله خيراً ، الحقيقة أن الإنسان أعقد آلة في الكون ولهذه الآلة البالغة التعقيد والبالغة الخطورة صانع حكيم ، ولهذا الصانع الحكيم تعليمات التشغيل والصيانة ، وقد تفضلت قبل قليل وذكرت الآية الكريمة التي تنهى المؤمنين عن هذه الموبقات والتي يمكن أن تحول حياة الإنسان إلى جحيم ، المشكلة كبيرة جداً ، يعاني العالم من إدمان المخدرات ما يصل حجم المشكلة إلى مئة وثمانين مليون إنسان مبتلى بتعاطي المخدرات، وهناك أربعون مليون إنسان يتعاطون القات في عدد من البلاد في شرق آسيا وفي إفريقيا ، كلفة معالجة هذه المشكلة تزيد عن مئة وعشرين مليار دولار ، وترتبط بها جرائم كثيرة ، من هذه الجرائم حوادث المرور التي عالجنا بعضاً منها في لقاءات سابقة ، كما تلحق أضراراً بالغة في اقتصاديات العديد ، وتخفض الإنتاج وتهدر الأوقات وتدعو إلى خسارة في القوى العاملة سموها المدمنون

والمشتغلون بتجارة المخدرات ، وضحاياها كثيرون جداً وتنحسر الرقعة الزراعية التي كان من الممكن أن تكون غذاءً فتكون وباء وداء للمجتمع ، حجم المشكلة كبير جداً .

الأستاذ علاء :

سيدي ناهيك عن مرض الإيدز المرافق للتعاطي بسبب المحاقن الملوثة .

البعد عن الله يسبب انحرافاً أخلاقياً وإدماناً وأمراضاً لا تعد ولا تحصى :

الدكتور راتب :

الأمور متشابكة ، البعد عن الله يسبب انحرافاً أخلاقياً وإدماناً وأمراضاً لا تعد ولا تحصى الله عز وجل يقول :

﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71)﴾

(سورة الأحزاب)

بل إن الذي يبتعد عن الله وعن منهجه يظلم أول ما يظلم نفسه التي بين جنبيه ، ويخسر أكبر خسارة في تاريخ البشرية أن يخسر الأبد والدار الآخرة ، وقد قال الله عز وجل :

﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾

(سورة الزمر الآية : 15)

أحد أسباب انحراف الإنسان عن منهج ربه :

غفلته عن سر وجوده وغاية وجوده :

الإنسان حينما أتى إلى الدنيا ليستعد لجنة عرضها السماوات والأرض ، فجاء إلى الدنيا وانغمس في أوحال الشهوة ، وما من شهوة أودعها الله فينا إلا جعل لها قناة نظيفة تسري خلالها ، وليس في الإسلام حرمان ، فالشهوة كالوقود السائل في المركبة إن وضع في المستودعات المحكَمة ، وسال في الأنابيب المحكَمة ، وانفجر

في الوقت المناسب ، وفي المكان المناسب ولَّدَ حركة نافعة ، أقلتك أنت وأهلك إلى مكان جميل ، أما إذا صُب على المركبة أعطى شرارة أحرقت المركبة ومَن فيها ، الشهوة إما أن تكون قوة دافعة ونافعة وخلاقة وإما أن تكون قوة مدمرة ، فلذلك أحد أسباب انحراف الإنسان عن منهج ربه أنه يقع في المخدرات نتيجة لغفلة الإنسان عن سر وجوده وغاية وجوده وحينما يعصي ربه يصاب بالكآبة :





﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾

(سورة طه)

الدنيا إما دار سعادة للإنسان أو دار شقاء :

هذه الدنيا إما أنها دار سعادة وقد قال الله عز وجل :

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (46)﴾

(سورة الرحمن)



وإما أن تكون دار شقاء ، فالكآبة تستلزم هذه المخدرات ، المخدرات فيها أوهام الآلام الضاغطة التي لا تحتمل قد يهرب صاحبها إلى المخدرات ، فلعله ينسى أمراضه ودائماً وأبداً لا تحل مشكلة بمشكلة ، أنا من أجل أن أوضح هذه الحقيقة أضرب هذا المثل ، إنسان في عنده ندبة ظاهرة في خده الأيمن ذهب إلى طبيب تجميل قال له سأنزع لك قطعة من هذا الخد أضعها هنا .

ماذا فعل ؟ ما فعل شيئاً حلّ مشكلة وخلق مشكلة ، فالذي يهرب إلى المخدرات ليحل مشكلاته من بعده عن الله وقع في مشكلة أكبر ، لذلك أحياناً المعاصي تسلك طريق انفجاري من معصية إلى مخدرات إلى جريمة إلى قتل، وهكذا لذلك معظم السرقات بالمئة خمسين منها تنقلب إلى جريمة قتل ، ومعظم الانحراف عن السلوك ينقلب إلى مخدرات ثم إلى جنس ثم إلى إباحة ثم إلى قتل ، فالإنسان ما لم يهتدِ لمنهج الله عز وجل فقد حكم على نفسه بالشقاء .

لا معنى لوجود الإنسان من دون منهج يسير عليه :

أستاذ علاء الآية الدقيقة جداً :

﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾

(سورة الرحمن)

لماذا جاء تعليم القرآن الكريم سابقاً لخلق الإنسان ؟ شيء غير منطقي لكن العلماء قالوا : الترتيب بالآية ترتيب رتبي ، لا ترتيب زمني بمعنى لا معنى من وجود الإنسان من دون منهج يسير عليه.



آلة بالغة التعقيد كومبيوتر طبي ثمنه خمسين مليوناً ، لو جاءنا بلا تعليمات الصانع نخاف أن نشغله بلا توجيهات الصانع نحرقه ، وإذا جمدنا ماله خسرنا أيضاً أليس هذه التعليمات أهم من الآلة نفسها ؟ فلذلك القضية قضية المنهج مهمة جداً ، ممكن إذا ابتعدنا عن الدين وقعنا في مشكلات لا تنتهي .

الأستاذ علاء :

سيدي كما تفضلت هذه المشكلة ليست مشكلة مجزوءة أو هي تنأى عن بقية المشكلات وإنما ترتبط ارتباطاً عضوياً ببقية المشكلات والجرائم ، الإنسان يقع تحت مشكلات ببعده عن الله عز وجل ، تحت ضائقة مادية ، ضائقة عاطفية ما إلى ذلك ، يريد أن يهرب من هذا الألم إلى شيء آخر ، وهو الذي يتوهم فيه أنه يسري عنه ويجعل منه مسروراً كما يعرف في عالم من يتعاطى المخدرات ، أما في الواقع كمن ينتحر يحل مشكلته بالانتحار لكنه بطيء ، الآن سيدي هذه المشكلة كانت بالمواد المزروعة النباتية ، وكان تأثيرها موجود لكن الآن صار استخلاصات وصار هناك مواد صيدلانية وخرجت لدينا مركبات أخرى هذه المركبات تؤثر على الجملة العصبية ، وحياة الإنسان بكل معنى الكلمة ، هل لنا أن نتعرف على الخسائر التي تصيب البشرية من خلال هذا السم ؟

الشباب أكبر قوة دافعة علينا أن نحصنهم من أي انحراف وأن نصحح عقائدهم :

الدكتور راتب :



أستاذ علاء في نقطة دقيقة جداً نحن فيما مضى قبل خمسين عاماً تشبه حياتنا حديقة حيوان تقليدية، الوحوش في الأقفاص خطرهم محدود ، بؤر فساد محدودة جداً ، الآن حياتنا تشبه حديقة حيوان إفريقية ، الوحوش طليقة ، فهذا الزائر إذا ما دخل إلى سيارة مصفحة يؤكل .

يوجد الآن صوارف للانحراف لا تعدّ ولا تحصى ، لذلك الآن الأبوة مسؤولية كبيرة جداً يعني شمة واحدة تجعل الابن يدمن على المخدرات ، يكون له اتجاه جيد ، عنده انضباط ، له تربية جيدة ، فإذا هو يبيع أثاث بيته ، وقد يبيع عرضه من أجل أن يتابع .



وهؤلاء تجار المخدرات ونحن نرحب بأن يحكم عليهم بالإعدام لأنهم يعطون المخدرات أولاً بلا مقابل وهناك نوع من المخدرات التعلق بها سريع جداً ، من شمة واحدة أو شمتين يصبح مدمن مخدرات فلذلك القضية الآن قضية عالمية ، تعنى بها جميع المجتمعات ، أي مجتمع متدين ، غير متدين ، قضية تهدد مستقبل أمة ، تهدد اقتصاد أمة ، تهدد سلامة أمة ، وكما تعلمون الأمة بشبابها ، النبي ﷺ قال ريح الجنة في الشباب . فهؤلاء الشباب أكبر قوة دافعة ، سيدنا أسامة بن زيد شاب في السابعة عشر من عمره كان قائد جيش ومن جنوده أبا بكر وعمر وعثمان وعلي ، ريح الجنة في الشباب ، ودائماً الأنبياء حولهم شباب لذلك نحن يجب أن نهتم بالشباب ، أن نحصنهم من أي انحراف ، أن نصحح عقائدهم ، أن نصحح تصوراتهم ، أن نجعلهم يرتبطون بأمتهم ، أن يحملون هم أمتهم ، أن يسعون إلى صلاح أمتهم ، أن يستعيدوا دور أمتهم القيادي في العالم .

على كل أمة أن تحل مشكلات الشباب في الدرجة الأولى :

أنا أرى أن الأمة لا تفلح إلا إذا اعتنت بشبابها وحلت مشكلاتهم ، وأنا أرى أن هذه المشكلات في الدرجة الأولى، التعليم ، فرص العمل ، الزواج ، المسكن ، هذه المشكلات أساسية ، حينما تؤمن للشاب فرصة عمل صار له دخل يبحث عن شريكة حياته ، نقدم له بيتاً بشكل معين تعاوني ، صار عنصراً بناء ، أما إذا الطريق مسدود ، لا في أمل في الزواج ولا في بيت ولا في عمل طبعاً أحد أسباب الوقوع في هذه الآفة الخطيرة جداً الطرق المسدودة أحياناً .

الأستاذ علاء :

سيدي أنا أعود للأسباب إن شاء الله بالتفصيل التي تفضلت بها ، وكيف نعالج هذه الأسباب ، الآن سيدي قبل أن نجيب عن الأسباب إذا أذنت لي مشكلة المخدرات لها خط هذا الخط يتعلق بأربعة أقسام ، القسم الأول بلد الزراعة ، القسم الثاني بلد الصناعة التي تصنع ، الثالث بلد العبور ، الرابع بلد الاستهلاك ، تمر هذه الآفة بمفهوم أجهزة الضبط بأربعة أنواع من الدول وهناك خطوط يقال خط البلقان ، وخط الشمال ، وخط الجنوب ، التي تنشط من خلالها تجارة المخدرات ، الآن من خلال هذه المشكلة نتبين الخسائر التي تمنى بها .

خسائر المخدرات :

1 – خسائر ظاهرة :

الدكتور راتب :

هل تصدق أستاذ علاء أن السعر في بلد الزراعة ينقلب عند الاستهلاك مئة ألف ضعف ، من ليرة إلى مئة ألف ليرة ، أولاً هناك خسائر ظاهرة نفقات مكافحة المخدرات ، خفض الطلب على المخدرات ، التوعية ، الإدارة العامة لمكافحة المخدرات ، المباحث العامة ، الجمارك ، السجون ، الشرطة الجنائية ، سلاح الحدود ، خفر السواحل ، القضاء ، الطب الشرعي ، برامج التوعية والتشخيص ، برامج إعادة التأهيل وأنا أثمن عالياً أن بلدنا الطيب عدّ الذي يتعاطى المخدرات عدّه مريضاً فإذا سلم نفسه يعفى من المساءلة ولا يعاقب ولا أي خطر يتهدده، فإذا قبل أن يعالج يؤخذ إلى مصحات وبالمجان ، بادرة طيبة جداً ، هذه خسائر النفقات بالمليارات من أجل مكافحة المخدرات .

الأستاذ علاء :

وقد لا يحسب الأخ المشاهد أنه في هذا الرقم .

الدكتور راتب :

الإدارة العامة لمكافحة المخدرات ، المباحث العامة ، الجمارك ، السجون ، الشرطة الجنائية ، سلاح الحدود ، خفر السواحل ، القضاء ، الطب الشرعي ، برامج التوعية والتشخيص ، هذه كلها خسائر ظاهرة .

1 – خسائر مستترة :

أما المستترة التهريب ، والاتجار بالمخدرات ، وزراعة المخدرات ، أرض كان ممكن أن تقدم فواكه ومحاصيل زراعية وغذاء للأمة أصبحت تقدم دماراً ، الأمة بخسارة لأن الأرض خسرناها ، المهرب خسرناه كان عنصراً نافعاً صار عنصراً مؤذياً ، وأنا أثمن عالياً أن التاجر يحكم بالإعدام ، شيء آخر تناقص الإنتاج ، اضطراب العمل ، حوادث المرور ، هذه خسائر مستترة .

2 – خسائر بشرية :



نرى حادث سير ، قد يكون وراءه إنسان يتعاطى المخدرات ، يجوز أن يقتل قتلاً بمركبة ثانية ، هو السبب .

الآن في عندنا خسائر بشرية وكما تعلم أستاذ علاء بالميزان الاقتصادي أكبر مورد بشري هو الإنسان، العالم خسران مئة وثمانين مليوناً ، هؤلاء الذين يتعاطون وفي حولهم ملايين أيضاً يقدمون لهم هذه الخدمات ، هذه خسائر ظاهرة ومستترة وبشرية .

لكن الحقيقة الدقيقة أن هذه الخسائر يصعب تقديرها أو حصرها بدقة ، الإنسان معقد جداً ، نحن حياتنا حياة شبكة ، كله متداخل ، أحياناً في خسائر لأهل المدمن ، أحياناً يصيب أمه جلطة تميتها من شدة الألم ، أحياناً الأب يموت قهراً من ابنه ، الابن كان من الممكن أن يكون عنصراً صالحاً صار عنصراً سيئاً

مجتمعاتنا بعيدة عن الحالات الوبائية الكبيرة بسبب الدين في المجتمع :

لذلك الخسائر كما يقولون متوالية هندسية والنزف شديد والمخدرات تدمّر المجتمع والدول والأفراد والأسر ، الحقيقة المشكلة كبيرة جداً ، لكن أنا من باب التفاؤل ، من باب الثقة ، مجتمعاتنا بعيدة عن الحالات الوبائية الكبيرة جداً، هذه نعمة كبيرة سببها بقية الدين الذي في المجتمع .

الأستاذ علاء :

سيدي الآن إذا أتينا إلى مجتمعنا بفضل الله كما تفضلت هو محصن ، وما تبقى لديه من دينه وموروث أخلاقه وقيمه يحصنه وينظر إلى من يشتغل في هذه القضية نظرة معينة ، وباعتبارنا نقع على خط تهريب اسمه خط البلقان ، سوريا بلد عبور وبالتالي أراضيها تقصد من بلد الزراعة والتصنيع إلى بلد الاستهلاك وعلى طرفي المرور هنالك تحصل حالات من التعاطي ، لدينا إحصائية من المضبوطين مئة وخمسين شخص بالمليون ، هذا من المضبوطين ، الحمد لله ليست لدينا مشكلة كبيرة جداً موجودة في بلدان العالم ، لكن قانوننا استبق ، المشرع استبق هذه المشكلة وآزر المشكلة العالمية في قطع الطريق على هؤلاء ، سيدي لا يوجد تاجر مخدرات تناول المخدر الذي يروجه .

تاجر المخدرات إنسان مجرم بحق الأمة :

الدكتور راتب :



لذلك هذا إنسان مجرم بحق الأمة عقوبته الإعدام أقل عقوبة بحقه ، أستاذ علاء المشكلة أن المخدرات تنتقل كتداعيات إلى جرائم أخرى كالعصابات المنظمة ، إلى الدعارة ، إلى السرقة ، إلى السطو ، إلى الخطف ، إلى غسل الأموال ، إلى المشاركة في الأنشطة الاقتصادية مشروعة وغير مشروعة ، الأمور متداخلة جداً ، ونحن فيما أظن وهذا من باب حسن الظن أنه يصعب أن تتسلل هذه المشكلة إلى جهات أخرى ، أما في بلاد أخرى وأنا أعلم علم اليقين تتسلل هذه المشكلة إلى مؤسسات اقتصادية وسياسية مواقع السلطة والنفوذ وتؤثر في الانتخابات ، وقد يكون لتجار المخدرات رأي في الحكومة هذه مشكلة كبيرة جداً ، كولومبيا في أمريكا .

الأستاذ علاء :

سيدي هذه التجارة يتولد عنها مبالغ طائلة وأرقام فلكية .

الدكتور راتب :

أعلى دخل في العالم دخل المخدرات .

الأستاذ علاء :

لذلك هنالك من يحول شكل هذا المال من مال غير مشروع إلى مال مشروع من خلال التبييض ، والحمد لله في بلدنا صدر قانون غسيل الأموال وملاحقة هذه المسألة بكل معنى الكلمة أو التبييض ، الآن لو أتينا سيدي إلى الأسباب التي تدفع المرء لكي يدمن ما هي هذه الأسباب ؟

تعريف الإدمان :

الدكتور راتب :



الإدمان قبل كل شيء : التعاطي المتكرر للمواد المؤثرة بحيث يؤدي إلى حالة نفسية وأحيانا عضوية ، وتسيطر على المتعاطي رغبة قهرية ترغمه على محاولة الحصول على هذه المادة بأي ثمن ، ولو ببيع عرضه ، وأنا أعني ما أقول ، طبعاً يبيع أثاث بيته ، يبيع أولاده ، يبيع عرضه من أجل أن يشتري المخدر ، هذا الإدمان خطير جداً والحقيقة بطولة الإنسان ألا يقع في أي إدمان بأي شيء آخر ، قال أفضل عادة ألا تتعود أية عادة .

الأستاذ علاء :

سيدي الكريم الإدمان نتيجة تعاطي هذه المادة ، هذه المادة تتعشق خاصة مع الأعضاء النبيلة الدماغ والأعصاب وبالتالي في الدم والجسم ، تجعل من هذا المتعاطي يطلب هذه المادة لترتفع إلى نفس المستوى ، ولدينا مشكلة أخرى هي مشكلة الجرعة المتزايدة ، يبدأ بجرعة بسيطة الإنكريزينج ثم تبدأ بالتزايد إلى أن يصل إلى الجرعة القاتلة .

الدكتور راتب :

الجرعة البسيطة لمرة واحدة تكفيه ، الثانية يحتاج إلى زيادة آلياً .

الأستاذ علاء :

سيدي نأتي إلى أسباب هذا الإدمان .

الأسباب التي تدفع المرء لكي يدمن على المخدرات :

1 – التهاون في التربية الدينية :

الدكتور راتب :



الحقيقة فيما أرى ولعلي على صواب فيما أرى أن الإنسان حينما يتعرف على الله يتعرف على منهجه يحقق سلامته وسعادته في الدنيا والآخرة ، أول سبب خطير التهاون في التربية الدينية ، التربية الدينية فيها سلب وفيها إيجاب ، فيها روادع وفيها إيجابيات ، فهذا الوقت يمتلئ ، الإنسان مصمم ليختار هدفاً لا نهائياً هو الله ، فإذا اختار هدفاً محدوداً وهو المتعة ، المتعة محدودة فإذا أحاطها الإنسان تاقت نفسه إلى متعة أكبر وهكذا ، فأنا أرى بادئ ذي بدء أكبر مشكلة يعاني منها المجتمع العالمي اليوم هي المخدرات سببها التهاون في التربية الدينية، في بعض الآثار : لذلك البنت يوم القيامة تقف أمام رب العزة ، تقول : يا رب ، لا أدخل النار حتى أدخل أبي قبلي ، هو الذي سبب فسادي .

فالأبوة مسؤولية كبيرة ، لما الأب يربي أولاده ولم يبقَ بالمناسبة من ورقة رابحة في أيدي المسلمين إلا أولادهم ، وكنت أقول دائماً يجب أن نقابل القنبلة الذَّرية بقنبلة الذُّرية ، فحينما يهمل الأب تربية أولاده لكن أكبر مشكلة في الموضوع أن هذا الذي أناط الله به تربية أولاده يحتاج إلى تربية ، لذلك البيت الخرب ، البيت الذي فيه شقاق ، فيه معاصي وآثام ، نفور ، خصومات مستمرة ، قال النبي ﷺ :

((عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ؛ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ))

[مسلم عَنْ صُهَيْبٍ]

أولاً المحافظ على دينه يحمد الله في السراء والضراء ، وإيمانه أكبر وقاية أكيدة من أي انحراف أو تعاطي المخدرات .

2 . التفكك الأسري :

يقع بعد التقصير في تربية الأولاد تربية دينية التفكك الأسري ، صدق ولا أبالغ أن التفكك الأسري يبقي بصمات خطيرة جداً في نفوس الصغار ، أنا البارحة في درس من دروسي تقدم طفل كالملك صغير وتخطى رقاب الناس ليسلم عليّ ، ثم قال لي أستاذ لا تقتلني فقط ، لا تقتلني معنى هذا أنه يعاني في بيته مشكلة ، طفل مثل الملاك لا تقتلني فقط .

واحد قال له سلم على الأستاذ فجاء بكل أدب وثيابه أنيقة لا تضربني لا تقتلني أستاذ . أنا تصورت في عنده خطأ في بيته خطأ كبير ، والله يا أستاذ علاء الأب إذا أحسن تربية أولاده هو أسعد الناس في الأرض ، الإنسان أولاده امتداده ، عندما يهتم بهم يهتم بدراستهم ، يهتم بأخلاقهم ، يهتم بعقيدتهم ، يهتم ببناته ، هذا أب له عند الله أجر لا يعلمه إلا الله :

﴿ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ (21)﴾

(سورة الطور)

لذلك التفكك الأسري وأنا أعزي كل التفكك الأسري إلى المعاصي والآثام :

((وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فَفُرِّقَ بَيْنَهُمَا إِلَّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا))

[رواه أحمد عن ابن عمر ، وإسناده حسن]

على كل إنسان أن يهتم بتربية أولاده و يبعد الخلافات عنهم :

إذا أخطأ الأب أو أخطأت الأم ينشأ الشقاق بينهما من يدفع الثمن ؟ الأولاد ، التفكك الأسري يأتي بعد التقصير في التربية الدينية ، أسرة مضطربة ، أسرة جحيم ، صياح وضرب وكسر وبغضاء وعداوة ، والأب جهة والأم جهة وفي تفلت والابن مقهور والأب والعياذ بالله ، التفكك الأسري يأتي بعد التقصير في التربية الدينية ، والخلافات المستمرة ، أنا أتوجه للأخوة المشاهدين إذا في خلاف بين الزوج وزوجته ينبغي أن يعالج في غرفة مغلقة لا أمام الأولاد ، حتى لو أن الإنسان لحكمة بالغة بالغة هجر زوجته لا يهجرها بغرفة أخرى يكشف الطفل السبب ، اليوم أمه نائمة في غرفة الجلوس ، يجب أن يهجرها في الفراش نفسه الأمر يبقى في غرفة النوم فقط ولا ينتقل إلى الأولاد ، أنا أتمنى من أعماق أعماقي أن يحرص أي أب أو أي أم على حصر الخلاف في غرفة النوم فقط لا أمام الأولاد ، فالتفكك الأسري خلافات مستمرة .

حدثني أخ البارحة قال أتناقش أنا وزوجتي يبدو الصوت ارتفع قليلاً بكى الصغير ، تألم ما صار شيء مناقشة فقط فبكي الصغير ، أي شيء يسعد الطفل ؟ أن يرى أمه و أباه على وئام ، تؤمن له صحة نفسية ، تؤمن له مستقبلاً رائعاً عندما ينشأ بوضع سليم .

خاتمة وتوديع :

الأستاذ علاء :

لا يسعني في نهاية هذه الحلقة إلا أن أشكر فضيلة الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي أستاذ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة ، العضو المؤسس في جمعية مكافحة التدخين والمواد الضارة في سوريا ، أهلاً وسهلاً سيدي الأستاذ على كل ما قدم وشرحت وإن شاء الله نتمم موضوعنا في حلقات قادمة .

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثامن : الشباب ونصائح للمساعدة في دراستهم

الفصل الثامن : الشباب ونصائح للمساعدة في دراستهم

الدرس (1-3) : أصول الدراسة و المراجعة والمذاكرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الذاكرة شيء مهم جداً في حياة الطالب و الداعية:

أيها الأخوة الكرام: وعدتكم في الدرس الماضي أن يكون هذا الدرس عن أصول الدراسة، و المراجعة، و المذاكرة، لأن طلابنا الأعزاء في الشهادتين الإعدادية و الثانوية عندهم امتحانات لعلها كما تسمى مصيرية، فقد يتحدد مصير الطالب في كليات الجامعة بحسب العلامات التي نالها في الشهادة الثانوية.


الجهد المبذول وفق أصول الدراسة قد يؤتي ثماره اليانعة

أيها الأخوة الكرام: دائماً و أبداً هناك جهد مبذول في الدراسة، هذه حقيقة أولى، و لكن هذا الجهد إذا كان وفق أصول الدراسة قد يؤتي ثماره اليانعة، و إذا كان عشوائياً من دون قواعد و أصول قد لا يؤتي ثماره اليانعة.

بادئ ذي بدء: هذا النص الذي أمامك، أو هذا الكتاب الذي أمامك، أو الكتاب المقرر، سأسمح لنفسي أن أقول: لو أن الجهد يقاس بوحدات، لو أن الجهد في قراءة هذا الكتاب يقاس و في فهمه و في حفظه يقاس بوحدات، أي تقريباً أنا بحاجة إلى مئة وحدة كي ينتقل هذا الموضوع إلى ذاكرتي، بالمناسبة الذاكرة لها أهمية كبيرة جداً في الدراسة، أنت في الامتحان تكتب

من ذاكرتك، أنت إذا ألقيت كلمة تكتب من ذاكرتك، أنت إذا ألقيت خطاباً تكتب من ذاكرتك، فقضية الذاكرة شيء مهم جداً في حياة الطالب و الداعية.

الذاكرة التعرفية و الذاكرة الاسترجاعية:

أيها الأخوة الكرام: لابد من أن أوضح لكم أن هناك ذاكرة تعرفية، و ذاكرة استرجاعية، و الفرق بينهما واسع جداً، أي أنت إذا قرأت كتاباً، لو أنك أردت بعد سبعة أيام أن تذكر ما الذي قرأته لا تذكر شيئاً، يبقى عندك انطباع، و الله كتاب جيد، كتاب عميق، كتاب عالج قضايا أساسية، أما التفاصيل لا تذكرها، و لو ذكر لك أحدهم بعد شهر أو شهرين قصة مثيرة تقول: هذه قرأتها في الكتاب، أنت لا تستطيع أن تستذكرها لكنها إذا ذكرت لك تتذكرها، إذاً الذي قرأته في هذا الكتاب أودع في ذاكرة اسمها الذاكرة التعرفية، هذه لا قيمة لها إطلاقاً.
أنت حينما ترى كلمة باللغة الإنكليزية تقول: هذه معناها صلة، لكن عندما تريد أن تتكلم قد لا تسعفك ذاكرتك بأن تعطيك هذه الكلمة، إذا رأيتها تعرف معناها لكن لا تستطيع أن تستدعيها، إذاً نحن أمام ذاكرة تعرفية لا قيمة لها إطلاقاً، القصة إذا ذكرت أمامك تستذكرها، الحادثة تستذكرها، المقولة تستذكرها، لكن لا تستطيع أن تستدعي هذه المعلومات، أو القصص، أو الحقائق، لأنها مخصصة في ذاكرة لا تفيدك عند الحاجة.
كيف أنقل هذه المعلومات من ذاكرة تعرفية إلى ذاكرة استرجاعية ؟ هنا الجهد، الذاكرة الاسترجاعية في أية لحظة تريد هذه المعلومة هي في ملكك تملكها، تنطق بها في أية لحظة، بالذاكرة التعرفية لا يمكن أن تستذكره، أما إذا قرأته ثانية تذكر أنك قرأته سابقاً، إذاً دعونا من الذاكرة التعرفية لأنها لا تجديك في الامتحان شيئاً، لكن الذي يجديك الذاكرة الاسترجاعية.

على الإنسان أن يودع الحقائق و المعلومات التي يقرؤها في الذاكرة الاسترجاعية:

الآن: أنا حينما أضع أمامي كتاباً، و أقرأ، بقدر الجهد الذي أبذله في القراءة بقدر ما تنتقل المعلومات إلى الذاكرة الاسترجاعية، من دون جهد يحفظ في الذاكرة التعرفية.

أحياناً الإنسان يوهم نفسه أنه يقرأ، يجلس بمكان، يضطجع أحياناً، يستلقي على السرير، يفتح الكتاب و يقرأ، هل تصدق أن الجهد المبذول في هذه القراءة يساوي وحدة واحدة، و أنت من أجل أن تنتقل هذه المعلومات إلى الذاكرة الاسترجاعية تحتاج إلى مئة وحدة، أما حينما تجلس على طاولة، و تمسك قلماً من الرصاص، و تقرأ الفقرة، و تلخصها على الهامش الأيمن، تقرأ الفقرة الثانية تلخصها، تربط بين الفقرتين، تقول: هذه الفقرة لها شاهد هنا، و هناك ليس لها شاهد، لماذا ؟ هذا الشاهد واقعي، هذا الشاهد نصي، هذا الشاهد تاريخي، أنت حينما تحلل ما تقرأ، أين الفكرة ؟ كيف شرحت ؟ كيف جاء الدليل عليها ؟ كيف ربطت ؟ و تكتب هذا كله على اليمين، الآن بذلت تسعين وحدة ، كلما ارتفعت نسبة الجهد في قراءة الموضوع كلما كان معظم هذا الموضوع قد أودع في الذاكرة الاسترجاعية، إذاً نحن بحاجة إلى أن نودع الحقائق التي نقرؤها، و المعلومات التي نقرؤها في الذاكرة الاسترجاعية.



أي عود نفسك أن التصفح هي قراءة لا قيمة لها إطلاقاً، يوجد دراسة أجريت عليها، أنت بعد سبعة أيام لا تذكر من الذي قرأته شيئاً، لا يبقى من الذي قرأته إلا انطباع عام، أما حينما تكتب، و تلخص، و تعلق، و تحلل، و تنتقد أحياناً، و تتساءل، ثم حينما تناقش أخاً لك في هذا الموضوع حينما يسألك أو تسأله، كلما بذلت جهداً أكبر رسخت المعلومات في ذاكرتك أكثر.

طريقة الحوار والسؤال والجواب أفضل طريقة في التدريس:

لذلك أسوأ طريقة في التدريس هي: طريقة الإلقاء، و أفضل طريقة في التدريس هي: طريقة الحوار، و السؤال و الجواب، حتى الآن بعض وسائل التدريس تقوم على أن يدير المدرس حواراً ذكياً جداً مع طلابه كي يصل إلى الحقائق من خلال الحوار.

و من ملك البلاد بغير حرب هان عليه تسليم البلاد

***

كلما كان الجهد في قراءة الكتاب بسيطاً كلما كان النسيان أسرع، و كلما كان الجهد في قراءة الكتاب عالياً كان الترسيخ، و الحفظ، و التخزين في الذاكرة الاسترجاعية أقوى.

أنت بالنهاية إنسان تجلس على طاولة الامتحان، معك قلم، و ورقة بيضاء، العامل الحاسم ما هو ؟ ذاكرتك، هذا التعليم المجرد، أما التعليم العملي له شأن آخر.

على كل إنسان أن يبذل جهداً كبيراً في قراءة كتاب ما:

أيها الأخوة الكرام: هذا الكتاب يحتاج إلى مئة وحدة، فإذا بذلت التسعين في القراءة الأولى بقي عليك عشر، و إذا بذلك عشر وحدات في القراءة الأولى بقي عليك تسعون، لا توهم نفسك أنك قرأت الكتاب، يجب أن تكون واضحاً مع نفسك، لابد من بذل جهد كبير في قراءة الكتاب.
هذا الجهد تكتفي بقراءة واحدة عميقة تحليلية، ثم أنت تحتاج إلى قراءة قبل الامتحان، و انتهى الأمر، أما أن يجلس فيقرأ كتاباً على شكل تصفح، و يتصفح الثاني و يوهم نفسه و يوهم من حوله أنه يدرس، لكن لا يوجد جهد أبداً، هذا لا يفيد.

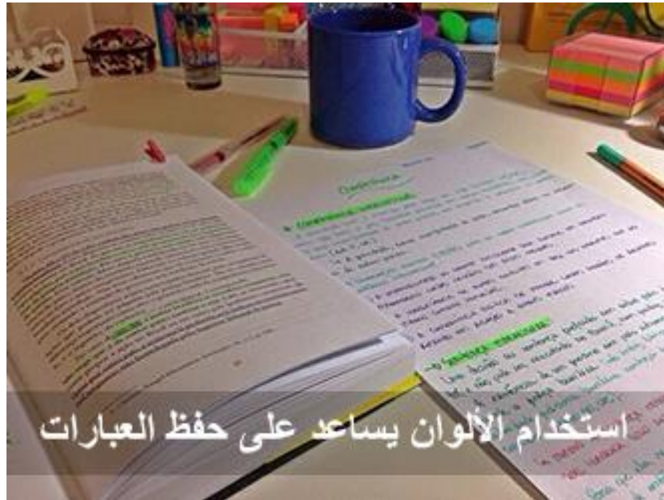
نظرية الإعياء:

أيها الأخوة الكرام: الملاحظة الثانية: نظرية الإعياء ؛ أنا سأحضر كيلو أضعه في يدي، سأرفعه مرة، اثنتين، ثلاثة، خمس، عشر، خمسين، يوجد حالة اسمها الإعياء، بعد عدد معين من الرفع تصل العضلة إلى حالة الإعياء، أي لا أستطيع أن أحرك يدي إطلاقاً، تؤكد التجربة أنك لو وضعت نصف كيلو يمكن أن ترفع النصف كيلو مئة مرة ثانية، لو وضعت ثلاثمئة غرام ترفعه مئة ثالثة، لو وضعت مئتي غرام مئة رابعة، مئة غرام مئة خامسة، معنى ذلك أنت عندما تدرس ينبغي أن تبدأ بأصعب المواد، تتعب، تنتقل لمادة أسهل، فعندما تخفض مستوى المادة أنت في نشاط دائم، لكن أحياناً الطالب يلزم نفسه بكتاب صعب يوماً بكامله، دون أن يشعر يضيع الوقت، و لا يدرس، لأن الكتاب صعب، و طاقة احتماله محدودة، كتاب بالفيزياء فرضاً، بالرياضيات، فأنا أنصح الطلاب حتى إذا درسوا بعد الامتحانات أو في الأعوام القادمة، أنا أرتب الكتب ترتيباً بحسب صعوبة المادة، أبدأ بأصعب كتاب، أقرأ فصلاً واحداً، أرتاح ربع ساعة، آخذ كتاباً مستواه أقل أقرأ فصلاً ثانياً، ثم أرتاح ربع ساعة، آخذ كتاباً ثالثاً يمكن أن تقرأ في اليوم الواحد الكتب كلها، و لكن من كل كتاب فصلاً، تبدل

الموضوعات يصنع رغبة في الدراسة، كلما انخفض مستوى الكتاب كلما كنت أنشط على القراءة، فهذه حقيقة يجب أن نلاحظها في شؤون الامتحان.

إذاً نحن نقرأ و نرتاح، نقرأ و نبذل جهداً كبيراً، لكن تجد طالباً يقرأ و ينجح و أسلوبه هو هو، لم يرتقِ و لا شعرة، لأنه حينما يقرأ يقف عند المعاني فقط، و لا يلتفت للأسلوب.

الطريقة المثلى لارتقاء أسلوبك:



كيف يرتقي أسلوبك ؟ كيف يمكن أن تتكلم بكلمات فصيحة و بعبارات متينة و بصور بلاغية رائعة ؟ هذا الشيء يكاد يكون مستحيلاً عند الطلاب، ما لم تقرأ الكتاب قراءة أسلوبية، أي يوجد على الطاولة قلم رصاص و قلم أحمر، مثلاً وجدت كلمة وشيجة، "علاقات وشيجة"، أنت تستخدم متينة هذه كلمة ثانية وشيجة، تضع خطاً أحمر تحت كلمة وشيجة، يوجد عبارة ثانية "و إذا نسيت فلا أنسى" هذه العبارة لطيفة، و هنا محل الإشارة أضع، و يقتضي ذلك كلما وجدت عبارة متينة محكمة بكلمات جزلة، أو صورة أدبية، "لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه "هذه آية قرآنية لكن عبارة يمكن أن تستخدمها في كل كتاباتك، فكلما مررت على كلمة لا تستخدمها و رائعة، أو على عبارة لا تستخدمها لكنها رائعة ضع تحتها خطاً أحمر، فإذا أمسكت الكتاب كل أسبوع، و تصفحته بأقل من عشر دقائق فقط، وضعت عينيك على الكلمات التي تحتها خط أحمر تكون قد استعرضت هذه الكلمات الرائعة، و تلك العبارات المتينة، هذه مع مرور الزمن تنتقل إلى ذاكرتك الاسترجاعية، أنت ارتقى أسلوبك و ارتقت كلماتك.

كلما كانت مفرداتك من اللغة أوسع كلما كانت عبارتك أدق:

بالمناسبة أيها الأخوة: لو أعطينا إنساناً لونان أبيض و أسود، و وقف أمام منظر جميل نقول له: ارسم هذا المنظر، لأن الألوان محدودة نقل المنظر إلى اللوحة يكون محدوداً جداً، لكن المنظر يوجد فيه بيت سقفه قرميد أحمر لكن لا يوجد عنده أحمر، المنظر يوجد به حقل أخضر لكن لا يوجد عنده أخضر، المنظر فيه ماء نهر أزرق لكن لا يوجد عنده أزرق، الآن أعطيناه أحمر، و أزرق، و أصفر، و أبيض، و أسود، كلما كثرت الكلمات دقت العبارة، جلسوا مع إنسان غير متعلم، أعطوه مسجلة، و سجل كل ما قاله في أسبوع، و حذفوا الكلمات المكررة فوجدوا أن هذا الإنسان الغير متعلم يستخدم بحياته كلها ثلاثمئة كلمة، أعطوا هذه المسجلة لأستاذ في الجامعة، وجدوه يستخدم بحياته بالأسبوع ألف و خمسمئة كلمة، الآن كلما كانت مفرداتك من اللغة أوسع كلما كانت عبارتك أدق.

اللغة العربية من أوسع اللغات اشتقاقاً:

مثلاً كلمة نظر، يوجد عندنا باللغة نظر، و يوجد عندنا باللغة حدج، قال عليه الصلاة و السلام:

((حدث القوم ما حدجوك بأبصارهم))

[فقه اللغة عن ابن مسعود]

التحديج: نظر مع محبة، إنسان يحب الآخر ينظر له هكذا، إذاً نظر و حدج، يوجد عندنا لمح، لمح نظر ثم أعرض، أي إنسان يمشي في الطريق يوجد باب مفتوح لم ينتبه أدار وجهه نحو الباب، فإذا امرأة، كونه مؤمن يغض بصره، نقول: هذا لمح امرأة، لا نقول نظر إلى امرأة، لكن أحياناً بالجو يوجد طائرة و يوجد غيوم، بين قطعتي غيم تلوح طائرة نقول: لاحت الطائرة، لاح أي الشيء ظهر و اختفى، أما لمح أنت نظرت و أعرضت، و حدج نظر مع محبة.

الآن نظر شزراً، أي نظر مع احتقار، إنسان بذيء اللسان تكلم بكلمات بذيئة تنظر له هكذا، تقول: نظرت إليه شزراً.

إذا الإنسان ساكن بغرفة سقفها متصدع، و سمع صوتاً، و الشق توسع فيخاف نقول: شخص، شخص نظر مع الخوف، حدج نظر مع المحبة، لاح الشيء ظهر و اختفى، لمح نظرت أنت و أعرضت.

الآن بحلق: نظر مع الدهشة، أحياناً شخص يقيس ضغطه فوجده اثنين و عشرين تكاد عيناه تخرجان من مكانهما.

الآن حملق ؛ عندنا للعين حملاق، لو شخص مسك الجفن و فتحه، يجد فيه لوناً أحمر، هذا اسمه حملاق العين، فحينما حملق ظهر باطن الجفن، نقول: حملق، و يوجد حدق ؛ الضوء خفيف جداً، و القطعة صغيرة، تجد حدقة العين تتسع، إذا اتسعت حدقة العين معناها حدق، و إذا ظهر حملاق العين حملق، و إذا نظر مع الدهشة بحلق، و إذا نظر مع المحبة حدج، و إذا ظهر الشيء و اختفى لاح، و إذا نظرت كمؤمن و أعرضت لمح، إذا كنت تقف بقمة جبل، و أمامك سهل جميل أخضر، و من بعيد البحر و أيام ربيع و الأرض كلها ترتدي حلة قشيبة، تقول: رنا، رنوت إلى المنظر أي نظرت مع الاستمتاع.

مراقب يراقب الطلاب و يوجد طالب حجمه صغير و لكنه ينقل و هو لا يراه، فالمراقب يمط حاله، إذا شخص رفع جسمه و مط نفسه نقول: استشرف، استشرف النظر مع التمطي، و إذا أعطيناك قماشاً نقول لك: هذا بوليستر أم صوف طبيعي نقول: استشف، رأى هذه رؤيا قلبية رأيت العلم نافعاً، العلم لا يرى بالعين أنا أرى هذا القلم أما رأيت العلم نافعاً تعني الرؤيا القلبية، و شخص مع الخوف، فكلما كانت الكلمات التي تستعملها كثيرة كلما جاءت العبارة دقيقة، قال:

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (17) ﴾

(سورة طه: الآية 17)

لو قرأت كل معاجم اللغة ليس هناك إلا كلمة واحدة تصلح لهذا الحادث أو هذا المعنى أهش، أضرب لا، أحياناً شخص يضع يده على يد صديقه نقول ضربه ؟ لا، مسه ؟ لا، ربت على كتفه.

الخلاصة: كلما جاءت الكلمات التي تستخدمها غزيرة جاءت العبارة دقيقة.

أسلوب الإنسان يتعلق بعدد الكلمات التي يمتلكها في الذاكرة الاسترجاعية:

كيف تنمو كلماتك ؟ أسلوبك متعلق بعدد الكلمات التي تمتلكها في الذاكرة الاسترجاعية، أسلوبك في الكتابة متعلق بعدد الكلمات التي تمتلكها في الذاكرة الاسترجاعية، تماماً كالألوان للرسام، إذا كان يملك مئة لون يمكن أن يعطي أدق التفاصيل، أما إذا عنده أربعة ألوان يختلف هذا، لذلك العين البشرية يمكن أن تفرق بين لونين من ثمانمئة ألف درجة، لو درجنا اللون الأخضر ثمانمئة ألف درجة العين البشرية تدرك الفرق بين درجتين.

لذلك لو صورنا الأخوة الحاضرين بآلة تصوير تكاد تكون الألوان متقاربة في الصورة، أما بالعين البشرية لا يوجد شخص من الأخوة الحاضرين له لون كاللون الثاني، العين تدرك ذلك.

إذاً حتى يقوى الأسلوب يجب أن نقرأ قراءة أسلوبية، يوجد معنا قلم رصاص و قلم أحمر، القلم الرصاص للأفكار، و تلخيصها، و التعقيب عليها، و ربطها، و ترتيبها، و تحليلها، و القلم الأحمر للكلمات الجيدة، للعبارات البلاغية، و الصور الجميلة.

آلاف الأشياء تستمتع بها بقدر ما تبذل بها من جهد إلا العلم:

أخواننا الكرام يوجد بالعلم شيء، آلاف الأشياء تستمتع بها بقدر ما تبذل بها من جهد إلا العلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً، بالعلم لا يوجد حل وسط، أي أنت تعلم أن الهمزة المتوسطة تكتب على حرف يناسب أقوى الحركتين حركتها و حركة الحرف الذي قبلها، قاعدة جامدة يصعب حفظها، مؤمن على الواو قبلها مضموم و هي ساكنة و الضم أقوى، أقوى الحركات الكسر، بعد الكسر الضم، بعد الضم الفتح، بعد الفتح السكون، لا يحفظوا، مرة دكتور في الجامعة قال لنا: ائت بقضيب من أجل أن تكسره تحتاج إلى أعلى جهد، أما من أجل أن تضمه يريد جهداً أقل، أما إذا كان مضموماً فتحه أسهل، أما أن تبقيه ساكناً لا يحتاج إلى جهد إطلاقاً، كسر ضم فتح سكون، فكلما تحفظ قضية تربطها بمثل، تربطها بشيء.

أحياناً يقول لك بالإعراب مثلاً: جاء أخي أو جاء والدي فرضاً، والدي فاعل مرفوع بالضمة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم منعاً من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، لا تحفظ هذه العبارة حفظاً جامداً، حاول أن تفهمها، هذه ياء المتكلم لا تقبل جاراً لها إلا مكسوراً لها مهيض الجناح، تقول: هذا قلمي هو قلم خبر مرفوع، تقول: هذا قلمي، قلم: خبر مرفوع بالضمة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم منعاً من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، أصل كتابة الهمزة تكتب الهمزة على حرف فيما لو سهلت قرئ ذلك الحرف، لأن قبيلة قريش تخفف الهمزات و قبيلة تميم تحققها، نحن عندنا كلمة تأريخ تميم تقول: تأريخ، قريش تقول: تاريخ، و لم يكن له كفؤاً أحد هذه تميم، قريش كفواً أحد، بئر، بير، باللغة العامية تسهل لا تحقق، مثلاً ذيب عوضاً عن ذئب، فنحن الهمزات تحقق و تسهل، الهمزات تكتب على حرف فيما لو سهلت قرئ ذلك الحرف، هذه القاعدة، مؤمن تكتب على الواو، إذا سهلتها تقول: مومن، ملائكة تكتب على النبرة لو سهلتها تقول: ملايكة، العوام يقولون: ملايكة و ليس ملائكة، أي سهلوا الهمزة، طبعاً الكلام لا يعني الطلاب فقط، أي أخ قرأ كتاباً إما أن يبذل جهداً كبيراً و لا ينتفع منه أبداً، و إما أن يقرأ هذا الكتاب فيصبح جزءاً من ثقافته.

الفرق الكبير بين الحفظ و النسيان:

فرق كبير جداً بين أن تقرأ و تنسى، إذا شخص عنده وعاء من دون قعر فتح عليه خمسة إنش لا يوجد شيء، بقدر ما فتحت لا يوجد قعر، هذا الدرس مهمته أن يكون لك قعر يجمع، و يجمع، إذا شخص لم يجمع عنده حسرة دائماً، و الله جلست بمكان يوجد قصة قرأتها و لكن نسيتها، و الله يوجد آية لم أتذكرها، و الله يوجد حديث لم أتذكره، تجده بتحسر دائم، يقرأ كثيراً و لكن لا يحفظ شيئاً، بهذه الطريقة تقرأ و تحفظ، و تقرأ و تستفيد، و تقرأ و تنفع من قراءتك الآخرين.

أهم الملاحظات قبل الامتحان:

1 . الابتعاد عن القلق الذي يولد عدم التركيز عند الطالب:



أخواننا الكرام: يوجد شعور ينتاب الطلاب بالامتحان أنجح، لا أنجح، أنسى، لا أنسى، أتذكر، لا أتذكر، هذا الشعور مزعج جداً، هذا الشعور الحقيقة بالمفهوم الديني من الشيطان، ييئسك، ليس من المعقول أن أتذكر كتاباً ثمانمئة صفحة لن أتذكر شيئاً، أنت ارتاح، أنت اقرأ بهذه الطريقة فقط، لا تشغل نفسك بهذه المقلقات أبداً، عندما يأتي السؤال تصبح حالة اسمها اصطفاء، كل شيء خلاف السؤال تهمله و تركز على هذا السؤال و قد تتذكر معظمه، أكثر الطلاب يعيشون حالة قلق أثناء الامتحان أنه قد لا أذكر، قد أنسى، أنت لا تنسى، أنت توكل على الله، أي لا يوجد أجمل من التوكل على الله في الامتحان، أكثر الطلاب يتوقع ألا ينجح، ينجح و يأخذ علامات جيدة لكن القلق يدمره.

2 . أخذ قسط من الراحة:

أحياناً الإنسان يجهد نفسه في أثناء الامتحان ينعكس هذا الجهد عدم تركيز في الامتحان، لي صديق دخل فحص الشهادة الثانوية بالتاريخ، كان السؤال: تحدث عن مؤتمر برلين ؟ قال لي: أكثر من ساعة و أنا أتذكر أين عقد المؤتمر ؟ مكتوب برلين، إذا كان هناك تعب، إعياء، سهر، أو يوجد شيء مقلق التركيز يضعف، القضية تكون بديهية لكن لا يستطيع أن يركز، فأنا أقول: يجب أن تأخذ قسطاً معقولاً من النوم و لكن لا أن تنام اثنتي عشرة ساعة يوم الامتحان، و إن لم تنم أبداً تذهب إلى الامتحان كيانك مهزوز، فقدت التركيز، فلابد من أخذ قسط من الراحة.

3 . ابتعاد الآباء و الأمهات عن المشاكل أيام الامتحان:

الشيء الآخر: أنا لي رغبة أن يبتعد الآباء و الأمهات في أيام الامتحان عن المشاكل في البيت، قد ينشب خلاف بين الزوج و زوجته أي الطالب بجو الامتحان يحتاج إلى صفاء، يحتاج إلى هدوء، يحتاج إلى راحة نفسية، إذا كان هناك مشكلات هذه تعيق التذكر، نحن امتحاناتنا هكذا.

يوجد امتحانات أخرى، مثلاً بامتحانات كتاب أربعمئة صفحة، يوجد أربعمئة سؤال كل سؤال من صفحة، و السؤال نعم أو لا، يوجد طريقة أخرى بالامتحانات هذه الطريقة تلغي الحظ كلياً، أي لابد أن تعرف في كل صفحة ما هو الجواب الصحيح، لذلك يوجد معك كتاب أسئلة هذه الطريقة تعمل مسحاً كاملاً لمعلومات الطالب، عندنا غير مطبقة، أي في بلادنا لا تزال الامتحانات عامل الحظ فيها له أثر كبير، فإذا أنت قرأت، و كانت أعصابك مرتاحة، و عندك توكل على الله عز وجل، و جوك النفسي هادئ يمكن أن تذكر معظم المعلومات.

4 . حاجة الحفظ إلى الروابط:

الآن الحفظ يحتاج إلى روابط : " وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاؤوها و فتحت " لما فتحت، فتحت، " وسيق الذين اتقوا إلى الجنة زمراً حتى إذا جاؤوها و فتحت "، معظم الحفاظ يخطؤون، هل تستطيع أن تعمل رابطاً لماذا و فتحت ؟ لماذا فتحت ؟ أي المؤمن إذا ساقه الله إلى الجنة هذا إنسان مكرم تفتح أبوابها قبل أن يصل، هل من المعقول أن نستقبل رئيس جمهورية يدق الباب ؟ إذا عندنا ضيف رئيس جمهورية، و نريد أن

نضيفه بالقصر، هل من المعقول أن يصل إلى القصر و الباب مغلق ؟ هذه ليست واردة إطلاقاً، الأبواب مفتحة، السجاد ممدود، الاستقبال:

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾

(سورة الزمر: الآية 73)

أما إذا شخص قادم إسعاف أو مجرم مقيد:

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾

(سورة الزمر: الآية 71)

الآن انتهت العملية.

على الإنسان أن يربط كل قضية ربطاً معيناً كي لا ينساها أبداً:

إذاً كل قضية تستطيع أن تربطها ربطاً معيناً لا تنساها أبداً، سئل عليه الصلاة و السلام كيف تحفظ القرآن ؟ فقال: أنا أعقله، أعقله أي يوجد روابط، أما أنتم تقرؤون هكذا لا تحفظ و لاسيما في المتشابهات، أي مثلاً يقول الله عز وجل:

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (2) ﴾

(سورة الجمعة: الآية 2)

﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾

(سورة البقرة: الآية 129

يوجد تسلسل، اجتهاد سيدنا إبراهيم أنه: يتلو عليهم آياتك و يعلمهم الكتاب و الحكمة و يزكيهم، لكن الله يقول: يتلو عليه آياتك و يزكيهم، التزكية مقدمة على المعلومات، يتلو عليه آياتك و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة، فلذلك عندما أنت تربط سيدنا إبراهيم اقتراحه ترك الأولى، أما الله عز وجل ذكر المنهج الصحيح، تلاوة الآيات ثم التزكية ثم تعليم الكتابة و الحكمة.

5 . الدقة في العبارة و الدقة في الحفظ:

ثم أحياناً يوجد بالامتحان أخطاء فاحشة، مثلاً: ذكر بيتين من الشعر قالهما أحد أصحاب رسول الله، حينما صلب:

و لست أبالي حين أُقتَل مسلماً على أي جنب ألقى في الله مصرعي

***

شخص قرأ البيتين: و لست أبالي حين أقْتُلُ مسلماً هذا لجهنم، كافر خالد مخلد في النار حين أقتل مسلماً، بين أقتُل و بين أقتَل مسافة كبيرة، يوجد قارئ توفي رحمه الله اقترب منه طالب علم أراد أن يثني عليه قال: أحب الصالحين و لستَ منهم، هي و لستُ منهم، انظر إلى الحركة، هي:

أحب الصالحين و لستُ منهم لعلي أن أنال بهم شفاعة

وأكره من بضاعته المعاصي ولو كنا سواء في البضاعة

***

فأحياناً يوجد أخطاء كبيرة جداً، كلما تعلمت الدقة في العبارة و الدقة في الحفظ ارتقى أسلوبك.

6 . القراءة بشكل جهوري:



يوجد ملاحظة أن الطالب أحياناً لا يحسن أن يقرأ لأن قراءته كلها قراءة صامتة، كل حياته قراءة صامتة، لو كلفته أن يقرأ صفحة لا يحسنها، الذي يحصل أن اللغة العامية لها مدرج صوتي محدود، أما اللغة الفصحى لها مدرج صوتي أوسع، وكأنه دولاب يمشي على مسنن، كل حركته بهذه المنطقة المحدودة هنا حركته سهلة و لكن تعال و أوصله إلى مكان صدئ يتعسر.

نصحنا أستاذ في الجامعة أن نقرأ عشر صفحات من القرآن كل يوم بصوت جهوري، هذا يقوي الأسلوب، لأن الضاد لها مخرج، الدال و الضاد، و التاء و الطاء، باللغات العامية دائماً حرف يكفي عن اثنين، لا يوجد عندهم ثاء يوجد سين، أستاذ في الجامعة سأله طالب: يا أستاذ لغتنا معقدة ثاء و سين و ظاء و طاء، قال له: أتحب أن يقال كثر الله أمثالك، أم كسر الله أمثالك ؟ و الفرق كبير جداً بين كثر الله أمثالك و بين كسر الله أمثالك. حينما تنطق و تقرأ بصوت جهوري علم ابنك أن يقرأ كل يوم نصاً مكتوباً مضبوطاً بالشكل.

7 . الابتعاد عن العامية و القراءة بالفصحى:

قال لي طالب: أنا ضعيف بالإعراب كثيراً و لا يوجد معي ثمن دروس خاصة، هل يوجد طريقة أتقوى بها بالإعراب ؟ قلت له: نعم، يوجد كتاب اسمه: شذور الذهب في كلام العرب، هذا الكتاب ينتهي بثلاثمئة بيت من الشعر بالفهرس، أعرب أحد الأبيات مكتوب إلى جانب كل بيت رقم الصفحة التي أعرب فيها إعراباً دقيقاً، فأنت أعرب بيتاً و ارجع إلى مكان إعرابه و وازن بنفسك، لو استطعت أن تعرب ثلاثمئة بيت بجهدك الشخصي ثم ترى كيف تعرب هذه الأبيات بدقة بالغة تحل المشكلة.

إذاً يمكن أن تتقوى بالإعراب، تتقوى بالنطق، باللغة العامية لا يوجد بها أحرف لثوية أبداً، " باللغة الفصحى لا يوجد غير ما، بالعامية يوجد ما، مو، مي، ما لقيته، مو موجود، مي طيبة هل الأكلة، ما لقيته ما، مو موجود مو، مي طيبة مي ".

الحقيقة أن اللغة الفصحى تقرؤها فتشعر بنشوة، و الإنسان عندما يتكلم باللغة الفصحى في بيته و مع أولاده و ليس اللغة المقعرة، قال لهم شخص: مالكم تكأكأتم عليّ كتكأكئكم على دجنة افرنقعوا عني، هذه اللغة غير مقبولة، و لكن بدل ضرب لك تلفون، اتصل بك، إذاً يوجد كلمات باللغة العامية غير مقبولة.

أهم الملاحظات أثناء الامتحان:

1. قراءة الأسئلة كلها و التأكد من المطلوب:

نصيحتي الأولى: أنت بالامتحان اقرأ الأسئلة كلها، أحياناً القلم تغلقه، و تستهلك عشر دقائق و أنت تتأمل في الأسئلة، هذا الوقت ليس هدراً و لكنه توظيف للامتحان، قبل أن تكتب اقرأ السؤال جيداً، كم من طالب أجاب

إجابة لا علاقة لها بالسؤال، فهمه فهماً سريعاً، أول نصيحة لأخواننا الطلاب بالامتحان ضع السؤال أمامك، و اقرأ الأسئلة خلال خمس دقائق بهدوء، و أعد قراءتها حتى تتأكد ما هو المطلوب.

2 . كتابة السؤال الذي تعرف جوابه أول شيء وكتابة الخواطر على المسودة:

الآن ابدأ بأهون سؤال تراه أنت، يصير مع الطالب أنه يبدأ بأصعب سؤال، يحفظها تماماً أنا أعرف هذه، أنا بزحمة كتابة السؤال الصعب انتهى الوقت، يوجد عندك أشياء تعلمها تماماً و عليها علامات راحت عليك، فالمفروض أن تكتب السؤال الذي تعرف جوابه أول شيء، و أنت تكتب يوجد سؤال صعب تذكرت فكرة من السؤال الصعب اكتبها على المسودة، لأنه أحياناً تأتيك الخاطرة و تغيب عنك أحياناً أخرى، فأنت تكتب السؤال السهل أولاً، و أنت باعتبارك مشغول بالسؤال الصعب و قلق من أجله فعندما تأتيك فكرة من السؤال الصعب اكتبها على المسودة.

3 . تنقيح الكتابة:

التنقيح بالكتابة قد يعفيك من حسم علامات كثيرة، باللغة العربية إذا كان هناك أخطاء لغوية أو نحوية تحسم عدة علامات، لأن الإجابة دائماً نصف علامة على الموضوع و النصف على الأسلوب، فإذا أنت لم تهتم بتنقيح الأسلوب يوجد أخطاء بالهمزات، الاقتصاد هل تريد همزة ؟ لا، هذه همزة وصل، أنا أستغرب أذهب إلى المطارات أحياناً لوحات كبيرة يضعون همزات بالخطأ، همزة الوصل و القطع أضف لها واواً فإن سقطت فهي وصل، استيقظ ضع واواً ذهبت الهمزة إذاً لا تكتب، كتابتها خطأ، و إذا وجد عدة همزات خطأ بالإجابة تحسم نصف العلامة، فأنا أقول لك ابدأ بالسؤال الذي تعرفه تماماً.

ثانياً: الهمزات يجب أن تهتم بها، لكن يوجد عندنا قاعدة بالتصحيح إذا أهملت شيئاً من حقه الإثبات فسر سهواً، أما إذا أثبت شيئاً من حقه الإهمال فسر ضعفاً، أي أكل من دون همزة لابأس، أما استيقظ بهمزة يذهب عليها علامة، يوجد فرق لأن أكل من حقها الإثبات أهملتها أنت تفسر سهواً، أما استيقظ من حقها الإهمال إذا أنت أثبتها تفسر ضعفاً يوجد حسم علامات، أهم شيء التنقيح، دع عشر دقائق للتنقيح، قد تصحح عشرة أخطاء، تأخذ خمس علامات زيادة بالتنقيح.

إذاً نبدأ بالسؤال الذي نعرفه و إذا جاءتنا خواطر في السؤال الصعب نسجلها، ثم ننقح.

4. عدم تسليم الورقة إلا بعد أن تسحب منك قهراً:

النصيحة قبل الأخيرة لا تسلم الورقة إلا بعد أن تسحب منك قهراً، يذهب طالب بنصف الامتحان، هذه لم أكتبها، و هذه لم أكتبها، أين كنت ؟ لا تذهب، رغبة عند الطلاب عجيبة أن يخرج في نصف الوقت، عندك ساعتان اكتب لا تخرج من الامتحان إلا إذا سحبت منك الورقة.

5 . أن تأخذ بالأسباب و كأنها كل شيء ثم تتوكل على الله و كأنها ليست بشيء:

أخواننا الكرام: آخر ملاحظة ؛ أنك إذا درست جيداً أي أخذت بالأسباب، و نسيت الله، و اعتمدت عليها، و اعتددت بهذه الدراسة المتقنة، و قلت: أنا لابد من أن أنجح و سآخذ علامة عالية، قد لا تنجح لأنك ارتكبت أكبر خطأ بالتوحيد أنك اعتددت بدراستك و نسيت الله عز وجل، و إذا لم تدرس أيضاً لا تنجح لأنك لم تأخذ بالأسباب، الموقف الكامل أن تأخذ بالأسباب و كأنها كل شيء ثم تتوكل على الله و كأنها ليست بشيء.

قال له: يا رب عليّ الهندسة و عليك الجبر، هذه متأكد منها فلم ينجح لا بالهندسة و لا بالجبر، يجب أن تفتقر إلى الله، و الله عز وجل يمكن أن يمدك بمعلومات و أنت بالامتحان قد لا تذكرها أحياناً، معونة الله بالامتحان واضحة جداً تحتاج إلى دعاء، و إلى استقامة، و إلى توكل، و إلى أخذ بالأسباب.



فالمؤمن دائماً يأخذ بالأسباب و كأنها كل شيء ثم يتوكل على الله و كأنها ليست بشيء، يا رب عليك الجبر و الهندسة فقال له: ليس عليّ شيء.

الصحابة الكرام معهم سيد الخلق قالوا: لن نغلب من قلة، فلم ينتصروا:

﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (25)﴾

(سورة التوبة: الآية 25)

و يوجد قصص بهذا القبيل شيء لا يصدق، تكتب موضوعاً آخر تأخذ صفراً، ينصرف ذهنك إلى موضوع ثان من السرعة، و عدم التوفيق، و عدم التريث.

الأخذ بالأسباب ثم التوكل على رب الأرباب قبل القيام بأي عمل:

أتمنى على الطالب أنه أول ما يأخذ السؤال يغلق القلم، و يحاول أن يتأمل الأسئلة خمس دقائق، حتى يستوعب ما هو المطلوب.

الأخذ بالأسباب ثم التوكل على رب الأرباب، أن تأخذ بالأسباب و كأنها كل شيء ثم تتوكل على الله و كأنها ليست بشيء، و هذا الشيء يفيدنا بالامتحان، و بالحياة العملية، و قبل أن تلقي درساً، و قبل إجراء عملية، و قبل القيام بأي عمل.

كنت بطرابلس من حوالي شهرين، أول طبيب بطرابلس له صديق عزيز زوجته في ولادة عسرة، أي يوجد مشكلة كبيرة بالولادة، فجاء الصديق إلى صديقه الطبيب و عرض عليه حالة زوجته، قال له: أرجوك لو أنك سألت طبيباً آخر، أي لو عملتم استشارة طبية، قال له: أنا أفهم واحد، سوف أقول لكم كلمة و العياذ بالله قال له: إذا الله يغلط أنا أغلط، هذا الطبيب الآن سحبت شهادته، أول مرة بتاريخ لبنان تسحب شهادة الطب، و يتغرم بمبلغ بالمليارات، ارتكب خطأ لا يرتكبه طالب طب، هذه حالة حادة جداً، بتاريخ لبنان لم تسحب من طبيب شهادته إلا هذا الطبيب، ارتكب خطأ لا يرتكبه طالب طب، وبعد التحقيق عملوا لجنة، و ماتت الزوجة.

أنا، نحن، لي، وعندي أربع كلمات مهلكات على الإنسان الابتعاد عنهن:

عندما تقول: أنا معنى هذا يوجد حمق، أربع كلمات مهلكات: أنا، و نحن، و لي، و عندي.

﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ﴾

(سورة الأعراف: الآية 12)

فأهلكه الله.

﴿ نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾

(سورة النمل: الآية 33)

أهلكهم الله عز وجل.

﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ ﴾

(سورة الزخرف: الآية 51)

أهلكه الله عز وجل.

﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ﴾

(سورة القصص: الآية 78)

الآن يوجد أخ يقول لك: أنا جئت متأخراً، أعوذ بالله من كلمة أنا، تخرج روحك من هذه الكلمة يقولها لك مئة مرة، فقط مرة واحدة و انتهى، من كتب الوظيفة ؟ أنا أستاذ، أعوذ بالله من كلمة أنا، هذه غير صحيحة، تقول: أنا تعتد بها، إذا هناك اعتداد أنا، و نحن، و لي، و عندي، أما بدرج الكلام لا يوجد بها شيء، إذا ما قصدت الكبر، و الافتخار، و الزهو لا يوجد بها شيء.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-3) : نصائح للطالب قبل و أثناء الامتحان

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

عبادة الهوية و عبادة الظرف:

أيها الأخوة الكرام، هذا الدرس يتعلق بأبنائنا الطلاب، وهم على مشارف الامتحان، فأولادنا أكبادنا تمشي على الأرض.

والحقيقة أن كل أب أو كل أم لا تسعد إلا إذا نجح ابنها في الحياة، والآن الشهادات والدراسة الجامعية ممر لا بدّ منه لأي عمل يمكن أن يدر على صاحبه دخلاً يليق بكرامة الإنسان، حتى لو أردت أن تشتغل عاملاً، الآن العامل المثقف هو المفضل، بشكل أو بآخر لا مكان في المجتمعات المعقدة لعمل يدوي مع جهل مطبق. كنت أقول لكم أيها الأخوة الكرام: إن هناك عبادة الظرف، و هناك عبادة الهوية من أنت ؟ إن كنت غنياً فالعبادة الأولى لك إنفاق المال، وإن كنت قوياً فالعبادة الأولى إحقاق الحق، وإن كنت عالماً فالعبادة الأولى تعليم العلم، وإن كنتِ امرأة فالعبادة الأولى رعاية الزوج والأولاد، هذه هي عبادة الهوية.

فماذا عن عبادة الظرف ؟ لا سمح الله ولا قدر لو أن أحد أقربائك كان مريضاً، أو أن الأب أو الأم كانا مريضين، أو كان أحدهما مريضاً، فالعبادة الأولى العناية بهما.

الآن إذا كان عندك ضيف فالعبادة الأولى أن تعتني بهذا الضيف.

أقول لكم الآن: الذي عنده أولاد في المدارس، في الشهادات، في الجامعات، هذا الشهر العبادة الأولى أن توفر للأولاد جواً هادئاً مريحاً للدراسة، الإسلام هو الحياة، ماذا يعني أن تكون مستقيماً وأنت متخلف عن ركب الحضارة ؟ لا مكان لك.

هجرنا للقرآن الكريم سبب ضعفنا و إذلالنا:

وذكرت لكم في درس سابق أن العالم الإسلامي قام ولم يقعد لتدنيس المصحف، أليس كذلك ؟ لكن الحقيقة نحن السبب، نحن هجرنا هذا القرآن الكريم، بقي القرآن يتلى في المناسبات، ولاسيما مناسبات الموت، والآية الكريمة تقول:

﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيّاً﴾

(سورة يس: 70)



لا لتقرأه على الأموات، فهذا القرآن الكريم وحي السماء، منهج الإنسان، دستور البشرية، هجرناه، فلما هجرناه ضعفنا، فلما ضعفنا أرادوا إذلالنا، والخبر البارحة أنه تمّ تدنيس المصحف خمس مرات، وضع في المرحاض، وبال بعض الجنود عليه، ومزق، إلى آخر ذلك، نحن الذين سببنا تدنيسه، لأننا هجرناه في حياتنا، وأبقيناه مع مناسباتنا، الحقيقة جعلناه تراثاً.

وشيء يؤلم الإنسان أشد الألم حينما يعلم أن القرآن الكريم قرئ في باريس في حفل على أنه فلكلور شرقي، لما هجرناه ضعفنا، فلما ضعفنا أرادوا أن يبالغوا في إذلالنا، وفي استفزازنا، استفزونا قبل ذلك بأن جاؤوا بامرأة، وخطبت خطبة الجمعة، والذين سمعوا خطبتها كانوا خمسين رجلاً، و كان هناك خمسون وكالة فضائية إخبارية من أجل المبالغة في إذلالنا، مع أن المرأة في الأصل لا تجب عليها صلاة الجمعة، لكن نحن نلعب بدينكم كما نريد، هذه نتائج ضعفنا.

على كل إنسان أن يتجاوز مرحلة إلقاء الكلام وسماع الكلام إلى العمل:



لذلك أيها الأخوة الكرام، صدقوني ولا أبالغ، لسنا بحاجة إلى كلام، والله الذي لا إله إلا هو كل واحد منكم وأنا معكم لو طبق من هذا الدين العظيم جزءاً يسيراً لكنا جميعاً في حال غير هذا الحال، لأن الحرب بين حقين لا تكون، وبين حق وباطل لا تطول، لا تكون بين حقين، لأن الحق لا يتعدد، وبين حق وباطل لا تطول، لأن الله مع الحق، القوة المطلقة في الكون مع الحق، إذاً لا تطول، وبين باطلين لا تنتهي.

هناك رغبة لدى الواعين، لدى المخلصين، لدى الغيورين، لدى العلماء الربانيين، أن نتجاوز مرحلة إلقاء الكلام وسماع الكلام إلى العمل، هم انتصروا علينا بعلم متقن، وأعدوا لنا أسلحة فتاكة، فلذلك لا سبيل إلى أن ننتصر عليهم إلا بشرطين معاً، وكل واحد منهما شرط لازم غير كاف:

الشرط الأول: أن نكون مؤمنين إيماناً يحملنا على طاعة الله، هذا الشرط الأول، لقوله تعالى:

﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (47)﴾

(سورة الروم)

والشرط الثاني: أن نعد لهم ما استطعنا من قوة، لكن رحمة الله سمحت لنا أن نعد لهم القوة المتاحة لا القوة المكافئة، الآن القوة علمية، سألني طفل صغير . أعتقد أنه في الصف السادس . قبل أسابيع، قال لي: ماذا أفعل بعد الدرس ؟ قلت له: كن الأول، وهي أكبر خدمة تقدمها لأمتك، تفوق.

التعلم طريق كسب الرزق فعلى كل إنسان أن يوفر للآخرين الأجواء المناسبة للدراسة:

وأنا الآن أقول لكم من أعماقي: الذي عنده طفل، عنده فحص كفاءة، أو ثانوي، أو حادي عشر، أو جامعة، يجب أن يكون جو البيت في أعلى درجة من الهدوء، أتمنى على أولياء أحبابنا الصغار والشباب، الولائم، الزيارات، الاحتفالات، المشكلات، الصراعات، هذه كلها تجمد، وتؤجل إلى ما بعد الامتحانات، وأتمنى أيضاً أن يعفى الطالب أو الطالبة من أعمال يقوم بها في العادة، اجعل الجو مريحاً، واجعل الجو العام جوًّا دراسيًّاً، والله الذي لا إله إلا هو لا أرى إنساناً أشد غلظة، وفظاظة، وقلة ذوق، من الذي يحلو له أن يسمع الناس الأغاني، في العالم كله لو سافرت إلى أطراف الدنيا هناك سلوك حضاري، أنه ينبغي أن تسمع وحدك ما تحب، تركب طائرة أمامك شاشة خاصة، ولاسيما في الدرجة الأولى، لك أن ترى مئة نوع من الأفلام، ولك أن ترى موضوعات علمية، ولك أن تسمع القرآن، هذا احترام للإنسان.

أتمنى أيضاً أن الإنسان الذي يرفع صوت هذه الأجهزة للغناء، أو للأخبار، ليسمع الطرف الآخر هذا شيء بعيد عن الذوق، أو إنسان زوجته عند أهلها، وتريد أن يعلمها أنه جاء ليأخذها، وهي في الطابق الرابع، لا يكلف نفسه الصعود إلى بيت عمه، يستخدم بوق السيارة الساعة الواحدة، هناك طالب نام ليستيقظ باكراً ليدرس، أنت أقلقته بهذا التصرف السيئ، إلى متى لا نتعاون ؟ إلى متى لا نسهل لأبنائنا الأجواء المناسبة للدراسة ؟ طبعاً هي معلومات عامة لا أعتقد مؤمنًا إلا ويتحلى بحد أدنى من الذوق والحكمة في تهيئة الأجواء المناسبة لأولاده، كما ترون حالات نادرة جداً، الأب الغني الذي يمكن أن يفتح لابنه معملا أو محلا تجاريًّاً أو مشروعاً، هذه حالات نادرة جداً، أما الشريحة الواسعة في المجتمع فطريق كسب الرزق هو التعلم.

أقول لكم مراراً: لابد من أن تملك اختصاصاً، الآن اللغة الإنكليزية، الكومبيوتر، المحاسبة، الترجمة مثلاً، الفيزياء، الكيمياء، الرياضيات، الطريق الوحيد للحصول على عمل له دخل يليق بكرامة الإنسان.

مرة يبدو أن إنساناً لم يدرس، فسيق للخدمة الإلزامية، فكان حارساً، مرّ أمامه شاب، قال له: ادرس، لأنني ككلب الحراسة، تألم، عرف قيمته حينما ترك الدراسة، صار عمله سائقاً، أو حارساً، أو ما شاكل ذلك، أما لو معه شهادة عليا لذهب إلى كلية الضباط فتخرج ضابطاً، مادام غير متعلم مكانه في الدرجة الدنيا حتى في الخدمة الإلزامية.

العناية بالأبناء و توفير الجو الدراسي لهم واجب على كل أسرة:

أيها الأخوة الكرام، آن الأوان أن نعتني بأولادنا، وبأجوائهم الدراسية، ما من بيت إلا فيه شاب أو شابة عنده امتحان انتقالي، أو امتحان شهادة، أو امتحان جامعي، فنحن واجبنا أن نهيئ الأجواء للأولاد كي يحققوا هذا النجاح، لكن أريد أن أقول لكم بعض النصائح، هذه تنفع كل إنسان، ولو لم يكن معدوداً في حساب الطلاب، وأمامه امتحان:


على الطالب أن يدرس وهو بوضع غير مريح كي لا ينام

نحن ندرس بلا أصول، ندرس بلا فن، والدراسة لها أصول، ولها فن، أكثر الطلاب يجلس جلسة مريحة هو والنوم قاب قوسين، مقعد وثير جداً، أو يضطجع على سريره، ويقرأ، يقول لك: أقرأ ثماني عشرة صفحة.

أريد أن أقول لكم حقيقة هامة جداً، تمهيدها كما يلي: العلوم الآن تتطور من طابع وصفي إلى طابع رياضي، لو فرضنا، أنا أقول لك: الضجيج، هذا الضجيج فيه وصف، الآن هناك أجهزة تقيس الضجيج بوحدات، يقول لك: إقلاع الطائرة ضجيجها يساوي 125 ديسيبلاً، الضجيج يقاس بوحدة قياسية اسمها ديسيبل، الآن كطموح، لو كان من الممكن أن نخترع وحدة يقاس بها الجهد لدراسة كتاب، لو فرضنا أن هذا الكتاب يحتاج إلى مئة وحدة لفهمه، سوف أسميها وحدة جهد الضجيج، وحدته ديسيبل، لو أن هذا الكتاب يحتاج إلى مئة وحدة جهد كي نستوعبه، ولكي نؤدي امتحانًا، وننجح، هذا الذي يضطجع على السرير، أو يجلس في مقعد وثير أمام نافذة تطل على الشارع، أو في شرفة يرى فيها من حوله، أو في غرفة الجلوس وأخوته الصغار يتصايحون، وأبوه يحدث أمه، هذه الدراسة كي أطمئنكم بعد سبعة أيام لا تذكر مما قرأت شيئاً، ولا كلمة، بقى انطباع فقط، هذا الكتاب ممتع، أو غير ممتع، فالدراسة التي ليس فيها جهد لا تساوي وقتها.

بعض النصائح لكل إنسان كي يحقق النجاح:

قالوا: كل اتفاقياتنا مع إسرائيل لا تساوي ثمن الورق، تعبير جديد، لا تساوي ثمن الورق، وأقول لكم: كل دراسة يقوم بها الطالب من دون جهد لا تساوي الوقت الذي بذل من أجلها، هو ضيع الوقت، لأنك لن تذكر شيئاً بعد هذه الدراسة، لكن كيف الدراسة مع الجهد ؟ يجب أن تجلس على طاولة، وفي غرفة هادئة، أو في مكتبة عامة، أو في مكان ليس فيه ضجيج، وأن تقرأ الفقرة، وأن تضع خطاً تحت أبرز فكرة في الفقرة، وأن تلخص الفقرة على الهامش، وأن تضع لهذه الفقرة عنواناً، قد تقرأ قراءة بطيئة جداً، لكن هذه القراءة تساوي تسعين وحدة، قراءة واحدة بهذه الطريقة الفقرة فكرتها الأساسية كذا، هذا تمهيد، هذا برهان، هذا شاهد، هذا تعليق، هذا تمهيد، إذا قرأت بهذه الطريقة، وأسئلة بقلم رصاص وقلم أحمر، إذا كان السؤال حول كلمة أو مصطلح بالخط الأحمر تحت الكلمة، وخط متعرج تحت الجملة، كي تسأل، ولابد من أن يكون لك أصحاب، ولو على الهاتف، لعل صديقك يغرف هذه القضية، وأنت لا تعرفها، لا تقرأ قراءة سطحية، هذا العلم أيها الأخوة الكرام لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً.

1 . إراحة النفس من الهواجس التي ليست في صالح الدراسة:

أول فكرة، ألح عليها لكل من فتح كتاباً ليقرأ، لكل من انتسب إلى معهد شرعي، أو علمي، لكل طالب في الانتقالي، والشهادات، والجامعات، أن تفتح الكتاب، وتقرأ هكذا، اذهب، ونم، واسترح، هذه ليست قراءة، لكن إنسان يتوهم أنه درس، يقول لك: قرأت اليوم 235 صفحة، تفضل اكتب من هذه المئتي صفحة صفحة واحدة لا تستطيع، أول فكرة في هذا الدرس المتعلق بإخواننا الطلاب . أرجو لهم النجاح والتوفيق . لابدّ من أن تبذل جهداً كبيراً في القراءة الأولى.



لكن الإنسان أحياناً يحب أن يطلع على الكتاب اطلاعاً سريعاً، هذه رغبة بالإنسان، كما لو أنك صعدت إلى جبل قاسيون، وألقيت على دمشق نظرة، هذه المزة، هذا حي الميدان، هذا حي القابون، هكذا، ممكن أن تتصفح الكتاب، وتتصفح فهرسه، تقرأ بعض الفقرات التي تجذبك إليه، هذه قراءة أولى، قراءة اطلاع، نسميها قراءة تصفح، أما القراءة المعتمدة الأساسية فتكفي مرة واحدة، والمرة الثانية مراجعة فقط، مرة واحدة بهذه الدقة لا تنسى، أخواننا الطلاب عندهم مشكلة، المشكلة في أثناء الدراسة ترتابهم هواجس مزعجة جداً، أنجح، لا أنجح، أتذكر، لا أتذكر، أستطيع أن أكتب، لا أستطيع أن أكتب.

أولاً: أطمئن الطلاب، هذا الهاجس ليس في صالح الدراسة، أنت حينما تجلس على مقعد الامتحان، وحينما يأتي السؤال بالذات أبعد عن ذهنك كل ما عداه، وحاول أن تسترجع الأفكار، والمعلومات، والشواهد، والتعليقات حول هذا الموضوع، فأنا أطمئن أي طالب أنك إذا جلست في الامتحان يمكن أن تجيب عن السؤال إذا درسته دراسة متقنة، أما هواجس شيطانية أو مثبطة طوال الامتحان، لا أنجح، لا أتذكر، أتذكر، أرح نفسك من هذه الهواجس، هذه واحدة.

2 . محاولة التدرب على كتابة المعلومات التي نقرأها:

شيء ثان أحب أن أوضحه: أنت تقرأ حاول أن تكتب ؟ عندنا مشكلة، الله عز وجل أودع في الإنسان ذاكرة تعرفية، و ذاكرة استرجاعية، الذاكرة التعرفية هذه متوافرة عند جميع الناس.

كمثل بسيط، أنت حينما تفتح أي كتاب، وتقرأ العبارة التالية، علاقات وشيجة، ما معنى وشيجة ؟ لكن معظم الطلاب لا يستطيعون استخدام كلمة وشيجة أبداً هي في ذاكرتهم التعرفية، وليست في ذاكرتهم الاسترجاعية، فلذلك حينما تقرأ كتاب الفلسفة في الشهادة الثانوية حاول أن تكتب من حين إلى آخر بحثاً قرأته، اكتبه، ترى فيه صعوبة كبيرة جداً، الامتحان كتابة، تلقي المعلومات شيء، ومحاولة التدرب على كتابة هذه المعلومات شيء آخر، تتفاجأ أن معظم الكلمات التي قرأتها ففهمتها لا تستطيع استخدامها في قراءتك، لأنها ليست في الذاكرة الاسترجاعية، هي في الذاكرة التعرفية، مشكلة كبيرة، إذاً ما لم تحاول كتابة موضوع في التعبير، موضوع في الفلسفة، موضوع في الفيزياء، موضوع في الكيمياء، موضوع في التشريح، ما لم تكتب لن تتفوق في الامتحان، تتلقى معلومات فقط.

3 . نقل الكلمات والتراكيب والعبارات من ذاكرة إلى ذاكرة عن طريق الكتابة:

شيء آخر، كلكم تستمعون إلى دروس علم من سنوات طويلة، أنت حاول أن تتكلم في جلسة تجد نفسك لا تتذكر الحديث، ولا كلمات الحديث، ولا عندك عبارة يمكن أن تصيغها، ولا عندك قدرة أن تأتي بالدليل، وأنت إعجابك بالدروس لا نهاية له، هذه مشكلة، حاول أن تتكلم، أو تكتب شيئاً، صعب جداً، التلقي سهل، السماع سهل، القراءة سهلة أكثر، الكلمات والمعلومات مودعة في الذاكرة التعرفية، وليست مودعة في الذاكرة الاسترجاعية.

اللغة العربية من أوسع اللغات اشتقاقاً لكنها تضعف بضعف أهلها وتقوى بقوتهم:

أنا آتيكم بهذا المثل، افتح أي كتاب تقرأه، اقرأ صفحة واحدة، وحاول أن تكتب، لا يوجد عندك كلمات إطلاقاً، مثلاً لو توقف رسام أمام منظر طبيعي جداً في الربيع، أشجار بيضاء، أزهار حمراء، أزهار زرقاء، سماء زرقاء، بيت عليه سقف قرميدي، شيء جميل جداً، لو أعطيناك لونين، أبيض وأسود، هل تستطيع بهذين اللونين أن تظهر جمال هذا المنظر ؟ لا تقدر، هذا الكلام ينسحب على الكلمات، أنت تعرف، نظر فقط، لكن إذا نظر إنسان، واستشرف، هذا اسمه استشراف، النظر مع التمطي اسمه استشراف، إذا عرضوا عليك قماشاً، هذا اسمه استشفاف النظر مع التحسس، إذا نظرت إلى منظر جميل بحر هادئ إلى جانب جبل أخضر، تنظر هكذا بمتعة بالغة تقول: رنا إلى هذا المنظر، نظر مع المتعة، تنظر إلى ابنك الذي تحبه، وهو في أعلى درجة من الأدب والتودد إليك، تحدجه، نظر مع الحب، ورنا نظر مع المتعة، وإذا سمعت صوتاً في السقف، وقيل: البناء عليه خطر، وسمعت حركة في السقف، فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا.

شخص النظر مع الخوف، حدج النظر مع المحبة، رنا النظر مع المتعة، استشرف النظر مع التمطي، استشف النظر مع اللمس، سمعت صوت طائرة في أيام الشتاء، السماء فيها غيوم، لكن غيوم متقطعة، غائم جزئياً، كأنها ظهرت بين غيمتين، ثم اختفت، تقول: لاحت الطائرة، لاح الشيء الذي تحاول أن تراه ظهر واختفى، لكنك تمشي في الطريق، ورأيت باباً مفتوحاً بفضول غير مقصود، نظرت إلى البيت، فإذا امرأة في صحن البيت، فغضضت النظر عنها فوراً، هذا اسمه لمح، لمح لها معنى، ولاح لها معنى، واستشف لها معنى، واستشرف لها معنى، ونظر شزراً لها معنى، وشخص لها معنى، ورنا لها معنى، وحدج لها معنى.

حدق اتسعت حدقة العين، حملق ظهر باطن الجفن الأحمر، ظهر حملاق العين، لو أنك تملك هذه الكلمات تأتي العبارة بالغة الدقة، فما لم تقرأ قراءة أسلوبية كلما مررت على كلمة ليست في قاموس الاسترجاع، ليست في الذاكرة الاسترجاعية تضع خطاً، حاول أن تستخدمها في كتاباتك القادمة.

أول بند: يمكن أن تتصفح الكتاب تصفحاً سريعاً، ثم ينبغي أن تقرأه قراءة مع جهد كبير، بتلخيص، بخطوط، بتعليقات، بأسئلة، باستفهامات، بعنونة، بربط، وبعدها تحاول أن تنقل الكلمات والتراكيب والعبارات من ذاكرة إلى ذاكرة عن طريق الكتابة، لذلك إذا أردت أن تحفظ فاكتب، هذه قاعدة ذهبية، إذا أردت أن تحفظ فاكتب.

تبديل الكتب والاكتفاء بقراءة فصل من كل كتاب شيء مهم جداً في الدراسة:

الآن ما الذي يحصل مع طلابنا الأحباء ؟ يضع برنامجاً، يقول لك: أربعة أيام فيزياء، خمسة أيام رياضيات، أبدأ بالفيزياء، أول فصل ضاقت نفسه منها، يذهب إلى المطبخ، يأكل، يخبر صديقه، يجلس مع أخته قليلاً، لأنه ألزم نفسه أربعة أيام فيزياء، ضاق بها ذرعاً، وينوي أن يطبق المنهاج، يتهرب، يضيع الوقت.



الانتقال من مادة لأخرى أثناء الدراسة يعطي نشاطاً للذهن

أنا أنصح الطلاب، عندك عشرة كتب، يجب أن تقرأ كل يوم عشرة كتب، كيف ؟ هذه قضية علمية، لو وضعنا كيلو على كفك، وقلنا: حرك مرة، اثنتين، ثلاثاً، لا تستطيع بعد ذلك أن تتابع، هذا العدد يصيب العضلة بحالة الإعياء، لا تستطيع، ضع نصف كيلو، تابع مئة مرة أخرى، ضع خمسين غراماً، مئة مرة ثالثة، فأنت تمسك الكتب، أصعب الكتب، مثلاً الفيزياء، أو الرياضيات، بعد الرياضيات الفيزياء، بعد الفيزياء الكيمياء، بعد الكيمياء التشريح، بعد التشريح اللغة الإنكليزية، بعد اللغة الانكليزية اللغة العربية، بعد ذلك مثلاً مادة توجيهية، ترتب الكتب تبدأ بفصل من كل كتاب، تقرأ فصل الفيزياء، تتعب، ترتاح عشر دقائق، المادة الثانية أهون، صار فيك نشاط، أنهيت فصلا آخر بالكيمياء، ترتاح عشر دقائق، بالتشريح، بعد هذا لغة إنكليزية، لغة عربية، يجب أن تقرأ الكتب كلها كل يوم، يمكن أن تدرس عشر

ساعات، واثنتي عشرة ساعة كل يوم، أولاً الموضوعات تتبدل، فيها تنويع، وجهد أقل، يمكن أن تقرأ آخر مادة قبل أن تنام، تستطيع، هناك كلام يسمونه كلاماً إنشائيًّاً معروفاً، حفظته عن غيب.

تبديل الكتب والاكتفاء بقراءة فصل من كل كتاب أيضاً شيء مهم جداً في الدراسة، أتمنى مرة ثانية أن هاجس أنجح، لا أنجح، أتذكر، لا أتذكر، ابتعد عنها، أنت حينما تدرس هكذا بحسب قوانين الذاكرة تذكر كل شيء، وقد تأتي بعلامة تامة دون أن تشعر.

متعة العلم لا تعدلها متعة لكن تحتاج إلى عمق ودقة بكل اختصاص:

هناك ملاحظة ثانية، أحياناً تمسك فصلاً، هذا الفصل فرضاً في علم النفس عن الهيجان، قبل أن تقرأ الهيجان، ما تعريف الهيجان ؟ ضع سؤالاً، ما أنواع الهيجان ؟ ما تقييم الهيجان ؟ ما ردود الفعل حينما تهتاج عند من حولك ؟ أنت حاول أن تضع أسئلة، هذا العلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً، العلم ليس فيه حل وسط، العلم ممتع جداً، لكن بالتعمق، من دون تعمق متعب جداً، بين ممتع جداً ومتعب جداً هو التعمق، فكل إنسان يقرأ قراءة سطحية العلم صار عبئاً، وحفظه صعب، وتشعر بملل وضجر، أما حينما تتعمق يصبح العلم أعلى متعة في الكون، الحقيقة متعة العلم لا تعدلها متعة، لكن تحتاج إلى عمق وإلى دقة بكل اختصاص، كل إنسان له اختصاص معين، لكن عندما يحاول أن يفهم كل شيء، فأنت في النهاية طالب علم، تتعامل مع النص، ففهم النص شيء مهم جداً، أكثر الطلاب يأتي إلى الامتحان مضطرباً جداً، وهذا كلام دقيق جداً، والآن بدأ الدرس المهم.

من أهم الملاحظات أثناء الامتحان:

1 . التأكد من فهمك للسؤال ومن تعليمات الأسئلة:

فأول شيء، أنت حينما تحاول أن تكون هادئاً، وأن تقرأ السؤال مرة ومرتين بهدوء، كم من طالب رسب لسرعة في فهم السؤال، مرة جاء في الامتحان في منهج الأدب العربي في الشهادة الثانوية الأدب القومي، والأدب الاجتماعي، والأدب المهجري.

في الأدب القومي عنوانات: الأدب ما قبل الحرب، ما بين الحربين، ما بعد الحرب.

وبالأدب الاجتماعي: وصف الفقر، والإصلاح الاجتماعي، وعنوانات أخرى، جاء السؤال بالأدب الاجتماعي، لكن قال: ما بين الحربين، عدد كبير من الطلاب غير معقول كتب القومي، السؤال كله اجتماعي، لأن هناك كلمة ما بين الحربين هذه عنوانات في الأدب القومي، كتب الأدب القومي، طبعاً يأخذ الصفر، الكل أخذوا أصفاراً، ونسبة النجاح متدنية جداً.

أنت حينما تقرأ السؤال اقرأه بهدوء، وحاول أن تفهم أبعاده، أغلق القلم، وضعه أمامك، وتأمل في الأسئلة، أن تضيع عشر دقائق في فهم الأسئلة، وفهم أبعادها خير ألف مرة من تكتب سؤالاً مكان سؤال، فتأخذ صفراً. أول ملاحظة: التأكد من فهمك للسؤال، ومن تعليمات الأسئلة.

أيها الأخوة مستحيل في الأسئلة أن يوضع الطالب أمام مشكلتين، أول مشكلة هل تعلم ماذا نريد منك ؟ فإذا علمت، هل تعلم الجواب ؟ هذا ممنوع في الأسئلة، حتى أطمئنكم، الأسئلة ليس فيها غدر، أنت أمام مشكلة واحدة، السؤال واضح جداً، لكن المشكلة هل تعرف الجواب أم لا تعرف ؟ أيضاً الطالب يتوهم أنهم يريدون أن يضعوا عقبات ومشكلات أو ألغازاً، هذا كله ممنوع في الأسئلة، يوضع الطالب أمام سؤال واضح كالشمس، العقبة هل يعرف الجواب أو لا يعرف فقط.

2 . التريث:

التريث، الآن بماذا تبدأ، هنا السؤال ؟ ابدأ بالذي تعرفه، هناك سؤال لا تعرفه، اتركه، كل شيء تعرفه ابدأ به، ولا تهتم بالتسلسل، آخر سؤال واضح جداً، اكتب السؤال الرابع، ودع عدة أسطر حتى لو جاءني خواطر متعلقة بالسؤال الرابع يمكن أن أضيف هذه الخواطر، أنا أكتب الرابع، خطر في بالي السؤال الثالث، فكرة مهمة جداً جاءت إلى ذاكرتك، اكتبها على المسودة، هذه كلها من تجارب الطلاب، ممكن للطالب أن يستفيد منها استفادة كبيرة جداً، ابدأ بالذي تعرفه، واكتب في أثناء الكتابة الخواطر التي تخدم سؤالا آخر.

3 . التنقيح و الأداء الحسن:

أحياناً تخسر علامات كثيرة لعدم التنقيح، حاول أن تنقح، أن تقرأ ما كتبت، يمكن أن تحذف همزة، تضيف كلمة، تحذف حرفاً، هذا كله يرفع مستوى الأداء، دائماً الأداء الحسن له علامات تعطى للطالب في عقل المصحح الباطن دون أن يشعر.

على الآباء أن يختاروا الرفيق المنضبط لأبنائهم و يخففوا الرهبة عنهم:

أيها الأخوة الكرام، إذا أردت أن تحفظ فاكتب، وإذا أردت أن تحفظ فتحدث، أنا أتمنى أن يكون كل أخ عنده ابن في البكالوريا أو الكفاءة أن يكون له رفيق منضبط، أخلاقه عالية، يجلسون من حين لآخر جلسة يتذاكرون المواد، أنت عندما تسأل تأخذ الجواب، النشاط الفكري يقدم لك ترسيخ للمعلومات.

أيها الأخوة الكرام، الامتحان فيه رهبة، ودائماً الأب الواعي والأم الواعية تخفف على الطالب هذه الرهبة، ولما تكون دراسة الطالب جيدة يؤدي الامتحان أداء حسنًا.

4 . تحسين الخط:

الخط الحسن له دور كبير، الخط الحسن ينال علامات تفوق الاستحقاق، والخط السيئ يخسر صاحبه علامات من حقه أن يأخذها، لكن في أثناء التصحيح ما قرأناها.

5 . التوضيح:

التوضيح: السؤال الأول، السؤال الرابع، السؤال الخامس، على الهامش، واجعل بين الأسئلة خطوطًا فارغة، والتنقيح هذا مهم جداً في قراءة ما كتبت.

فهم النص أحد أكبر وسائل الدراسة:

الآن أنت تتعامل مع القرآن الكريم طوال حياتك، بالنهاية أنت أمام كتاب فيه نصوص، فيزياء، كيمياء، رياضيات، تاريخ، جغرافيا، فلسفة، تربية إسلامية، أنت أمام كتاب فيه نصوص، الآن فهم النص أحد أكبر وسائل الدراسة، النص دائماً فيه فكرة أساسية، وفيه شواهد على هذه الفكرة، قد يكون الشاهد نص آية قرآنية أو حديث، قد يكون الشاهد حديثاً نبويًّاً، قد يكون الشاهد حقيقة علمية، قد يكون الشاهد واقعة، قد يكون الشاهد قصة، فأنت حينما تكشف موضوع الفقرة والشواهد تحفظ، كان عليه الصلاة والسلام يعلم أصحابه أن يعقلوا القرآن، ثم يحفظوه، قال تعالى:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (73)﴾

(سورة الزمر: 73)

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾

(سورة الزمر: 71)

لو فهمت لماذا هنا جاءت الواو، وهنا ليس فيها واو، مرة واحدة تفهم سر الواو هنا، وهنا، ولا تنساه أبداً، لكن لو لم يحاول الإنسان أن يفهم لماذا هنا فيها واو، وهنا لا يوجد واو، يقضي حياته كلها:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾

(سورة الزمر: 71)

الضيف الكبير إذا قدم إلى بيت مضيفه الأبواب مفتحة من قبل، أما المجرم إذا سيق إلى السجن الباب مقفل، يقرع الباب، يفتحون له، قال تعالى:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾

(سورة الزمر: 71)

فتحت حينما جاؤوا، أما الضيف الكبير فتفتح قبل أن يأتي.

الابتعاد عن الحفظ الحرفي لأنه يرهق الذاكرة ويقلل العلامة ويجعل الإنسان نسخة:

إذًا تستطيع في القرآن الكريم والسنة المطهرة أن تعقل كل الآيات المتشابهة وكل الآيات القريبة من بعضها أولاً، و أن تحفظها ثانياً، وأنا ضد الحفظ الآلي، هذا مرهق، يتعب الدماغ إلى درجة مذهلة، وهذا يسميه الطلاب البصم.

مرة حجاج وراء مطوف، ينقلون كلامه نقلاً حرفيًّا، لبيك اللهم لبيك، فواحد داس رجله، فقال آخ: يا رجلي، فقالوا: آخ يا رجلي.

فأنت تريد أن تحفظ هذا شيء مرهق، والحقيقة البصيم محتقر عند كل الناس، حاول أن تفهم، وتستخدم لغة قوية للتعبير، يمكن لإنسان أن يضع خمس كلمات، يلقي محاضرة رائعة، لأن عنده قدرة على التعبير، يحتاج إلى رؤوس أقلام، فأنت بهذه الطريقة يخف الجهد إلى درجة غير معقولة إطلاقاً، يخف الجهد لدرجة كبيرة، وصار الإبداع كبيراً جداً، وأكثر المدرسين في أثناء التصحيح الطالب الذي يتكلم من عنده بأسلوبه، ويستخدم أفكار

الكتاب يأخذ علامة كاملة، أما الطالب الذي يذكر التفاصيل بشكل آلي، وعندئذ قد لا يأخذ إلا بعض العلامة، وهذا شيء معروف، ابتعد عن الحفظ الحرفي، هذا شيء يرهق الذاكرة، ويقلل العلامة، ويجعل الإنسان نسخة. مرة الإمام الغزالي قيل له: فلان حفظ كتاب الأم للشافعي، كتاب الأم من أكبر كتب الفقه، تسعة أجزاء، فما زاد عن أن تبسم، وقال: زادت نسخة، لذلك: كن للعلم واعياً، ولا تكن له حافظاً فقط، الحفظ ضروري، وقالوا: إن الذاكرة لها علاقة بالذكاء، كل إنسان ذكي في الأعم الأغلب عنده ذاكرة قوية، وكل إنسان عنده ذاكرة قوية في الأعم الأغلب ذكي، لكن في النهاية الذاكرة شيء، والذكاء شيء آخر، هناك إنسان ذاكرته ضعيفة، لكن محاكمته قوية جداً، و الحقيقة أن الإنسان مكرم بالعلم.

كل إنسان مفطور على حبّ وجوده وسلامة وجوده وكمال وجوده:

يا أيها الأخوة الكرام، الله عز وجل أودع في الإنسان قوة إدراكية، قال تعالى:

﴿الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآَنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4)﴾

(سورة الرحمن)

الشيء المؤلم أن ترى الطرف الآخر معظم الشباب بأعلى درجة من الثقافة، يتقنون عدة لغات، أنا أتألم ألماً شديداً أن ترى المسلم ضارب آلة كاتبة، آذناً، أو حاجباً، أو ساعي بريد، كلها مهن بسيطة جداً، دخلها قليل، ويتحكم فيك من هم أعلى منك، لماذا لا تكون أنت اسماً لامعاً بحرفة راقية، بدخل تعين من حولك، وإذا فات الإنسانَ القطارُ يحقق هذا الشيء بأولاده، كثير من الأشخاص فاتهم القطار، عندنا أخوان ما تعلموا، لكن أولادهم أطباء ومهندسون، الإنسان مفطور على حبّ وجوده، وعلى حبّ سلامة وجوده، وعلى حبّ كمال وجوده، وعلى حبّ استمرار وجوده، فالأب الذي فاته العلم يحقق وجوده في ابنه، فأحياناً الأب يكون فاته العلم، لكن يعتني بأولاده، الأولاد كلما كانوا من معدن طيب يبالغون في احترام والدهم أمام الناس.

كنت أسمع أن في القلعة سرية عسكرية فيها ضابط شاب، وأبوه مساعد في الجيش، ويجب على المساعد أن يقدم الصف للضابط صباحاً بحسب الرتب العسكرية، فكان المساعد يقدم الصف لابنه، ثم يأتي ابنه، ويقبل يد والده أمام كل من في الثكنة، فالأدب موجود، وأحياناً يكون الأب بطلاً.

مرة أحد أخواننا درس الطب، والذي ينفق عليه أخوه، وهو عامل بسيط، لكن له عمل، فأنا قلت له: أخوك الذي أنفق عليك لا تقل قيمته عنك ولا شعرة.

الإنسان أحياناً يتنكر على من كان سبب دراسته، وسبب تفوقه العلمي، لذلك قال له: يا بني، نحن إلى أدبك أحوج منك إلى علمك، كثير من الحالات يستحي الابن من أبيه، يقول: هذا خادم عندنا، تقع، يكون الابن طبيباً، وعنده أصدقاء، وأبوه هو الذي علمه، هو هذبه، لكن لباسه عربي فرضاً، أو غير حديث، وليس متعلماً، فيتلقى إهانات من ابنه لا تحتمل، فلذلك:

أُعَلِّمُهُ الرِّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا اشتدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي

وَكَمْ عَلَّمْتُهُ نَظْمَ الْقَوَافِي فَلَمَّا قَالَ قَافِيَةً هَجَانِي

***

النجاح في الحياة مسعد جداً:



أيها الأخوة الكرام، نحن في عصر علم، وأتمنى أن يكون في كل بيت طلاب متفوقون، لأن العمل اليدوي من دون خبرات فنية عالية لا يقدم ولا يؤخر، يتحكم فيه الناس، وهو ذليل أمامهم، وما عنده إمكانية أن يتعلم، ولا عنده إمكانية أن يفتح بيتاً، ولا إمكانية أن يتزوج، هذا واقع، فلذلك أتمنى أن يكون هذا الشهر، وأنتم آباء، وفي بيتكم زوجاتكم أن تعطوا هذا الدرس ملخصه لمن حولكم، ولمن في بيتكم، فلعلهم ينجحون بتفوق، والنجاح في الحياة مسعد جداً.

واللهِ كنت أدرس أحياناً ست عشرة ساعة، ترى الثمرة تقطفها بيدك، قال تعالى:

﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً (113)﴾

(سورة النساء)

أنا لا أرى أن هناك متعة تفوق متعة العلم، بل إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، والعالم شيخ ولو كان حدثاً، والجاهل حدثٌ ولو كان شيخاً.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-3) : توجيهات للأهل فيما يخص الامتحان

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة :

الأستاذ جمال شيخ بكري :

أيها الأخوة والأخوات السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأسعد الله أوقاتكم جميعاً بكل خير، ندعوكم لمتابعة هذه الحلقة المتجددة من برنامجنا الأسبوعي: "فيه هدى للناس"، كنا في الأسبوع الماضي قد تحدثنا عن الامتحانات عند طلبتنا الأعزاء، تحدثنا عن كيف يكون الطلاب متفوقين؟ هذا لا يكون إلا كما قال فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي إلا بالتركيز على موضوع الدراسة، وآلية العمل بهذه الدراسة، هناك أمور تتحدث عنها صاحب الفضيلة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدكتور راتب:

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

الأستاذ جمال شيخ بكري :

دكتور كنا في الأسبوع الماضي قد تحدثنا عن مجموعة نصائح للطلبة الأعزاء، كيف تكون الآلية الحقيقية والدقيقة لفهم الموضوع لتكون الذاكرة ممتلئة بالمعلومات المرسخة لتعطي وتنتج، هناك متابعة في هذا الموضوع، وهناك عدة نصائح أخرى لا بد من أن نذكر بها الأخ المستمع.

أهمية الراحة بالنسبة للطالب :

الدكتور راتب:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى صاحبته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.



أستاذ جمال . جزاك الله خيراً . يتوهم الطالب أنه إذا درس بشكل مستمر يتفوق، لا بدّ من الراحة، الراحة تعين على الدراسة، الراحة تعين على متابعة الدراسة، الراحة تعين على التركيز، الراحة تعين على استيعاب المواد، فهذا الذي لا يرتاح إنسان خاطئ، فلابدّ من وضع برنامج دراسي، تتخلله أوقات راحة، هذه الراحة كاستنشاق الهواء، كتجديد هواء الغرفة، هذه الراحة كأخذ سنة من النوم تصحو بعدها نشيطاً، فأي برنامج دراسي لا يأخذ بالاعتبار راحة يرتاحها الطالب برنامج غير ناجح، فلذلك البطولة أن تعيش مع حاجات جسمك، فأولاً في كل برنامج دراسي تحدد فيه فترات الدراسة وأن تتخلل هذه الفترات فترات للراحة، هذا يحول بين الطالب وبين شعوره بالسأم، والضجر، والإحباط، أو الإجهاد الذي يسببه التركيز في مدة طويلة.

نصائح هامة للطلاب الأعزاء :

1 . أن يضع الطالب برنامجاً لدراسته تتخلله أوقات معقولة للراحة :

الآن قبل الامتحان الراحة يحتاجها الطالب أكثر من أي وقت مضى، الطالب إنسان له أعصاب، له قدرة على الاستيعاب، له طاقة، فإذا أمضى الليل كله في الدراسة، تحطمت أعصابه، وأصبح في متاهة نفسية كبيرة، فأنا أنصح طلابنا الأعزاء، أن يضعوا برنامجاً لدراستهم تتخلله أوقات للراحة معقولة، هذه الأوقات تعطيهم طاقة، تعطيهم تجديداً لنشاطهم، تعطيهم قدرة على متابعة الدراسة، ولا سيما قبل وقت الامتحان، أنا أتمنى وأنا أعني ما أقول الذي درسته أيها الطالب وأيتها الطالبة في شهر قبل الامتحان هذا حينما يأتي سؤال تتذكر أيها الطالب كل ما قرأته، لكن قبل الامتحان بيوم يأتي طالب فيقول لك: هل درست هذا الموضوع؟ هل درست هذا الموضوع؟ يدخل الطالب المسكين في قلق، واضطراب نفسي كبير، أنا أنصح قبل كل شيء أن يتخلل برنامج الدراسة فترات للراحة لأنها تعين على متابعة الدراسة.

2 . أن يأخذ الطالب قسطاً كافياً من النوم قبل وقت الامتحان :

الآن يجب أن يأخذ الطالب قسطاً كافياً من النوم قبل وقت الامتحان، يجب أن ينام نوماً طبيعياً، أن ينام ست ساعات قبل أن يؤدي الامتحان، هذا يعطيه قدرة على التذكر، يعطيه قدرة على المحاكمة، يعطيه قدرة على الكتابة، على مستوى الأسلوب، هذا كله بسبب الوضع الجسمي الطبيعي، أما جسم منهار، جسم متعب، هذا جسم لا يستطيع أن يتجاوب مع سؤال الامتحان، فكم من طالب أجهد نفسه فكتب سؤالاً مكان سؤال وأخذ علامة الصفر؟

3 . تناول الطعام المناسب :

الآن هناك من يتوهم أنه إن لم يأكل يكون أقوى على الدراسة، بالعكس تناول الطعام المناسب في أثناء الدراسة وقبل الذهاب إلى الامتحان شيء مهم جداً.

4 . التدقيق في فقرات السؤال :

الآن أستاذ جمال ، لو أن الطالب أخذ ورقة الامتحان وأمسك قلمه وأغلقه، وضعه على الطاولة، ووضع أمامه ورقة المسودة، وبدأ يقرأ هذه الأسئلة قراءة متأنية، لو أمضى عشر دقائق وهو لا يكتب أفضل ألف مرة من الذي ما إن يأخذ ورقة الامتحان حتى يكتب، قد يكتب سؤالاً مكان سؤال، وقد ينسى فقرة أساسية، أنت إذا أخذت ورقة الأسئلة أغلق قلمك وضعه على الطاولة، وتأمل في هذه الأسئلة، وكلما جاءك خاطر سجله على المسودة، هذا الموضوع يتحدد بكذا، أنا أذكر قصة لا أنساها أبداً، كان ببرنامج الثالث الثانوي في الأدب العربي موضوعان كبيران؛ الأدب الاجتماعي والأدب القومي، في الأدب القومي عنوانات كثيرة، منها الأدب القومي قبل الحرب العالمية الأولى، والأدب القومي بين الحربين، والأدب القومي بعد الحرب، هذه العناوين الثلاث في الأدب القومي، جاء سؤال في الأدب الاجتماعي في


لابد من القراءة الجيدة للأسئلة قبل الإجابة

موضوع آخر لا علاقة له بالأدب القومي، ولكن واضع السؤال كتب الأدب الاجتماعي بين الحربين، فكلمة بين الحربين رآها الطالب في الأدب القومي، فكتب معظم الطلاب الأدب القومي، ونالوا الصفر، أنا أتكلم عن واقع، قبل أن تتسرع في كتابة الإجابة أغلق القلم، وانتظر دقائق عشرة، وتأمل في الأسئلة، وحاول أن تكتب على المسودة ماذا فهمت منها، أحياناً يكون في السؤال فقرتان فقط أدب قومي، من ضعف الطالب الاستيعابي يكتب القومي كله، القومي كله يحتاج إلى عشر صفحات، مطلوب فقرتين فقط، فلذلك هنا خطأ كبير هذه العشر دقائق قبل أن تكتب، التأمل في السؤال، في فقرات السؤال، في المطلوب، السؤال دقيق جداً، أحياناً يقول لك: قال الشاعر الفلاني يصف، بالمقدمة ذكر لك الشاعر والوصف، يفهمها مديحاً، قال لك يصف، قال لك يمدح، قال لك يهجو، أحياناً في سطر قبل الأبيات فيه توضيح لمحور الأبيات، فأنا أتمنى على طلابنا الأعزاء وطالباتنا العزيزات، أن يتأملن وأن يتأملوا في دقائق السؤال، فقد يكون السؤال صغيراً، والمطلوب قليلاً، لكن بتركيز، فالطالب يقرأ كلمة قومي، أو اجتماعي، يكتب الأدب الاجتماعي كله، وهذا خطأ كبير.

التدقيق في فقرات السؤال شيء مهم جداً.

5 . الالتزام بالاستقامة و الأخلاق :

أستاذ جمال النصائح كثيرة، لكن عندنا شيء، نحن أستاذ جمال لو جئنا بعدسة وضعناها تحت أشعة الشمس، وجئنا بورقة وضعناها في محرق العدسة، تحترق، أمسك هذه الورقة ضعها في أشعة الشمس لا تحترق، لماذا احترقت تحت العدسة؟



لأن أشعة الشمس من خلال العدسة تجمعت في نقطة واحدة فأحرقتها، أنا هذا المثل أضربه للطلاب، أيها الطالب حينما تكون مستقيماً وتكون أخلاقياً كل طاقتك تتجمع في بؤرة واحدة، وعندئذ تفلح، أما رفقاء السوء، والذهاب يميناً وشمالاً، وتصفح مواقع الانترنيت التي لا ينبغي لك أن تتصفحها وخاصة في أوقات الامتحان، هذا كله يبدد الطاقة، فأنا أضرب مثل العدسة كيف أنها تحرق الورقة بأشعة الشمس لأن هذه الأشعة تجمعت في بؤرة واحدة، فالطالب المستقيم كل طاقته في بؤرة واحدة،

كأني أقول: إنك أيها الطالب إذا كنت ملتزماً بمبدأ أخلاقي، وكنت مستقيماً، هذه الاستقامة أكبر عون لك على دراستك.

بالمناسبة ورد في بعض الأحادي:"ما من شيء أحب إلى الله من شاب تائب، إن الله يباهي الملائكة بالشاب التائب يقول: انظروا عبدي ترك شهوته من أجلي"، لعلي ذكرت في هذه النقطة موضوعاً لا علاقة له بالدراسة، لكن له علاقة بالكيان العام، فالطالب الملتزم من مبدأ أخلاقي مستقيم هذا أعون على الدراسة والتفوق من طالب آخر.

الأستاذ جمال شيخ بكري :

أيها الأعزاء الموضوع شيق، ويتابع فيه حيثيات الأمور، كيف للطالب وخاصة أنه يخوض غمار الامتحانات بعد أيام قليلة أن يكون متفوقاً؟ موضوع الأهل والجيران وكيفية التعامل مع هذا الطالب الذي هو بحاجة إلى الهدوء ليكون متفوقاً، أين يكمن دور الأهل والجيران في تحقيق هذا النجاح للطالب؟

الدكتور راتب:

توجيهات إلى الأهل والجيران بشأن الامتحان :

1 . تهيئة الأجواء التي تعين على الدراسة :

أستاذ جمال جزاء الله خيراً، والله لا يسعني في هذا اللقاء الطيب إلا أن أتوجه إلى كل الأخوة المواطنين بأعلى درجات الرجاء، وبكل ما يتمتعون به من الشعور بالمسؤولية، تجاه أبنائهم صغاراً وكباراً، ذكوراً وإناثاً، وتجاه أبناء جيرانهم، أن يهيئوا الأجواء التي تعين أولادهم، وأولاد جيرانهم على الدراسة، التي هي قوام أمرهم في الدنيا. من أهم أسباب تهيئة الأجواء التي تعين على الدراسة أن يسمع المرء من بيته ما يحلو له وحده، من دون أن يسمعه إلى غيره، لأن غيره لا يحتاج إلى هذا الذي يسمعه، صوت المذياع، صوت التلفاز ينبغي أن يكون منخفضاً جداً، يسمع من في الغرفة فقط، أما أن أطرب لهذا الذي أسمعه فأرفع الصوت كي أسمع من حولي، فهذا خطأ كبير، وهذا مع الاعتذار من قلة الذوق، أن تسمع من حولك ما لا يريدون أن يسمعوه.

2 . عدم رفع الأصوات :

شيء آخر: هذا الوقت وقت الدراسة بل الوقت ما بين المواد الدراسية، ما بين مواد الامتحان، وقت ثمين جداً، وقد يكون وقت الدراسة في العام كله في كفة، وهذه الساعات العشرة التي تأتي قبل امتحان هذه المادة في كفة، هذا وقت التركيز، هذا وقت الحفظ، فهذا وقت خطير جداً، فيجب أن يعيش الأهل، والأقارب، والجيران، ومن في الحي، مشاعر هذا الطفل، الذي هو ابننا، وهو مستقبلنا، وهو أملنا في الحياة، فأنا أقول دائماً الآية الكريمة:

﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾

[سورة الحجرات الآية : 2]



لا ترفعوا أصواتكم المطلق على إطلاقه، من الذوقيات المفقودة في البيوت، رفع صوت المذياع والتلفاز، بحيث يعكر على الطلاب الذين يدرسون دراستهم، وصفاءهم، وتركيزهم، ومن الذوقيات المفقودة في الشارع تلك الأصوات المزعجة بأبواق السيارات، والله حدثني من ذهب إلى أوربا، نام في الفندق في لندن فيما أذكر والساعة التاسعة لم يسمع صوتاً، أطل من النافذة فإذا الشارع ممتلئ بالسيارات، من دون أبواق، كلما ارتقى الإنسان ألغى بوق السيارة إلا عند الضرورة القصوى، أما لسبب ولغير سبب يطلق هذا البوق، هذا يزعج الطلاب، أحياناً يأتي إنسان إلى أسفل بيت أهل زوجته الساعة الواحدة ليلاً، وزوجته في الطابق الخامس، فلئلا يذهب إليها وهو في مركبته يطلق لبوق مركبته العنان، يناديها بصوت مركبته وهذا من قلة الذوق أيضاً.

أستاذ جمال هناك أخطاء في حياتنا كثيرة جداً، مثلاً الإعلان عن بيع مادة معينة، قد يستخدم صوتاً حديدياً مزعجاً، قد يستخدم صوتاً لا يقبل مثلاً، فهذا كله يزعج الدراسة، فهذا الشارع له ذوقيات، ذوقيات نسعى بوعينا إن شاء الله أن نرد للشارع ذوقياته، الله عز وجل يقول:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ *وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

[سورة الحجرات الآيات : 4-5]

حينما تأتي آية قرآنية تقول: لا ترفعوا أصواتكم، فهذا شيء مهم جداً، معنى ذلك أن هذا الشارع ليس ملكك وحدك، هذا ملك الجيران كلهم، ولا سيما في وقت الامتحان، فلذلك إن الآية تتحدث عن النبي عليه الصلاة والسلام ولكنها في الوقت نفسه تخص الجميع.

أستاذ جمال في القرآن خصيصة رائعة جداً أن الآية لها معنى سياقي، لكن لو نزعتها من مكانها تعد حقيقة مطلقة لكل زمان ومكان، هذه الآية تتحدث عن النبي عليه الصلاة والسلام، لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي، لكن لو أخذتها وجعلتها منهجاً في حياتنا، تتحدث عن رفع الصوت عاماً، إن من حقّ الناس عليك ألا تزعجهم، منهم النائم، منهم الطالب الذي يدرس، منهم المريض، منهم الذي يصلي، واعلم أن ما حول بيتك والشارع ليس ملكك وحدك، هذه الملاحظة في رفع الصوت وفي خفض الصوت، وطلابنا الأعزاء والامتحانات على الأبواب الانتقالية والثانوية، الرسمية والجامعية، كلها تحتاج إلى هدوء.

3 . تجميد المناسبات الاجتماعية في شهر الامتحان :

هناك ملاحظة أخرى هناك مناسبات اجتماعية، عقد قران، عرس مثلاً، أنا أتمنى على أخوتي المواطنين هذه المناسبة الاجتماعية لو جمدت في هذا الشهر، انتقلت إلى ما قبله أو إلى ما بعده، المناسبة الاجتماعية فيها ضجيج، فيها أناشيد، أحياناً يوجد ببعض الأمكنة غناء، والله مرة حدثني أخ كريم عن حيّ أقيم فيه حفل غنائي . هذا الحفل بقي للساعة الثانية بعد منتصف الليل . في أيام امتحان الشهادة الثانوية، فكل طلاب هذا الحي غادروا بيوتهم، غادروا البيوت كلياً، أنا أتمنى المناسبات الاجتماعية الصاخبة التي تقام في البيوت، أو في النوادي، ينبغي أن تؤجل إلى ما بعد الامتحانات، رحمة بالطلاب والطالبات، مستقبلهم، جامعاتهم، حرفتهم، تتحدد في الأعم الأغلب بأيام الامتحان، نحن في بلدنا تقل علاماته علامة عن الطب فيضطر للذهاب إلى حلب ليدرس الطب في جامعتها، كان في الشام يسكن مع أهله، يأكل من طعامهم، غرفته في الشام، الآن أصبح مضطراً أن يستأجر بيتاً في حلب، ومواصلات، وانتقال، وطعام وشراب، من أجل علامة واحدة، فأقول: الأهل حينما ينضبطون في هذا الوقت . وقت الامتحانات . ربما نال الطالب علامة أعلى، ربما أهلته أن يكون طبيباً بعلامة

أعلى، فمستقبل طلابنا وجامعاتهم وحرفتهم تتحدد في الأعم الأغلب في أيام الامتحان، من أجل علامة واحدة تنتقل جامعته من مكان إلى آخر.

4 . الابتعاد عن الخلافات :

هناك شيء آخر؛ كل بيت فيه خلافات أحياناً، أنا أتمنى على أخوتي المواطنين إذا كان هناك خلافات أسرية و عندهم أولاد في الجامعات، وفي المدارس الثانوية، أن تُجمد هذه الخلافات إلى ما بعد الامتحان، ليس صعباً ذلك، أما المواقف الحادة، والخلافات الصعبة، قد تكون خلافات مالية بين شريكين في أثناء الامتحان، والطالب يدرس، والأب يصيح ويرفع صوته على شريكه، وخلافات، أنا أتمنى أن تُجمد المناسبات الصاخبة، قد تكون سارة، وقد تكون غير سارة، أن تجمد هذه المناسبات الصاخبة في أثناء الامتحانات، رحمة بأولادنا فلذات أكبادنا.
أحياناً قد لا ينتبه الأب، ينتقل من بيت إلى بيت أثناء الامتحان، الانتقال من بيت إلى بيت قضية تسبب اضطراباً كبيراً في الأسرة، فالانتقال من بيت إلى بيت لا يكون في وقت الامتحان، ولا قبل الامتحان، إلا بعد الامتحان.

الأستاذ جمال شيخ بكري :

دكتور هناك ملاحظة؛ الأم التي ترعى شؤون بيتها خاصة في أيام الامتحانات عليها أن تقلل من زياراتها لأقاربها وجيرانها؟

تفرغ الأمهات التام في وقت الامتحان :

الدكتور راتب:

صدق أستاذ علاء عدد كبير من الطلاب تركتهم أمهاتهم ليستيقظوا وحدهم، فلم يستيقظوا، فراح عليهم عام دراسي بأكمله، أنا أرى وأتمنى على الأمهات أن يتفرغن في وقت الامتحانات لأولادهم، لمواعيد فحوصهم، لتأمين طعامهم، لتأمين لباسهم، لمتابعتهم، للتخفيف عنهم، أنا أتمنى على الأم أن تلغي كل علاقاتها الاجتماعية لشهر، لا زيارة، ولا استقبال ضيوف، ولا شيء من هذا، هذا الوقت للأولاد، لذلك أنا عبرت عن هذا: تفرغ الأهل ولاسيما الأمهات والأخوة والأخوات الكبار تفرغهم للذين يؤدون الامتحانات من أفراد الأسرة، وتأمين حاجاتهم، والسهر على راحتهم، والتدقيق في جدول امتحاناتهم، وإيقاظهم على المواعيد المحددة، لكن الذي أتمناه على معظم الأخوة

المواطنين لا تقل ليس عندي أولاد يؤدون الامتحان، أنت وحدك ليس عندك أولاد يؤدون الامتحانات لكن جارك عنده أولاد يؤدون الامتحان، النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((وَلَا يَدْخُلُ رَجُلٌ الْجَنَّةَ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ))

[أحمد عن أنس بن مالك]

فبناءً على هذا الحديث الشريف ينبغي أن نراعي أبناء جيراننا في دراستهم، وفي امتحاناتهم، وفي الجو الهادئ الذي ينبغي أن يحاطوا به، وأن هذه مسؤولية اجتماعية، بل ذوق رفيع، بل تعايش رائع، بل شعور لحاجة الآخرين إلى الهدوء، الحقيقة هناك معان كثيرة قد نحتاجها، ونحن في الحديث عن موضوع الامتحانات.

الأستاذ جمال شيخ بكري :

أيها الأعزاء: الموضوع له أصول وفروع، له حيثيات، له نقاط هامة، موضوع الامتحانات عن طلبتنا الأعزاء نتمنى من قلوبنا أن يعم النجاح كل بيوتاتنا في هذا المجتمع العربي السوري الذي نعيشه، ونسعى جاهدين ليبقى هذا المجتمع قوياً سليماً، دكتور خطر في بالي ملحوظة هي كل الأقارب الذين لهم ولد أو بنت عنده امتحان في هذا الشهر على هذا القريب أن يؤجل زيارته لهؤلاء، أن يقلل حتى الاتصال الهاتفي أو الخليوي، حتى الدعوة على فطور أو غداء أو مناسبة عليه أن يقللها، أن يدع هذا الطالب ليتفرغ من أجل تحقيق المستقبل المنشود الذي ننشده جميعاً، لو سمحت أن نوضح هذه الحقيقة.

الارتباط المصيري بين الآباء و الأبناء :

الدكتور راتب:

أولاً: هناك ارتباط عضوي إن صحّ التعبير ومصيري بين الأب وابنه، وبين الأم وابنها، فالابن حينما يتفوق، تفوق الابن في الدراسة يكسب الأسرة سعادة ما بعدها سعادة، لأن الإنسان يعيش لأولاده، هذا من فضل الله علينا، الله عز وجل أودع في قلب الآباء والأمهات رحمة لأولادهم، هذه الرحمة كأنها مثل تقيس بها رحمة الله لخلقه، كيف أن الأب لا يسعده في الدنيا شيء إلا أن يكون ابنه سعيداً، وقد يكون الأب غنياً لا يحتاج ابنه إطلاقاً، لكن لا يسعد الأب إلا إذا سعد ابنه.



فالابن حينما يدرس، يتفوق، هذا يضفي على أهل البيت كلهم مشاعر الفرح، أنت حينما تزعج جيرانك، وحينما ترفع صوت المذياع والتلفاز، وحينما تقيم حفلاً صاخباً في أثناء الامتحان، أنت بهذا شوشت على أبناء جيرانك، وأنت بهذا لم تكن من أصحاب الذوق الرفيع، فكل شيء يؤجل، فهذا شهر واحد، وهناك أحد عشر شهراً بعدها، فالإنسان يؤجل بعض مناسباته الصاخبة إلى وقت آخر، أما أن تأتي كل هذه المناسبات في شهر الامتحان، وأنا والله عتبت أن هناك بعض المباريات الرياضية العملاقة في العالم أثناء وقت الامتحانات، هذا سبب حرج كبير، هناك طالب متعلق بكرة القدم مثلاً، إما أن يترك الدراسة ليتابعها، أو أن يتلوى ألماً على ترك هذه المتابعة.

قضية عامة والله أنا أقول الدولة بأكملها، والأمة بأكملها، يجب أن تهيئ لأبنائها في هذا الشهر جواً هادئاً.

الأستاذ جمال شيخ بكري :

دكتور بقي عندي سؤال، هذا الطالب هناك أشياء قام بها، وحصّلها، ووصل إلى القمة، وقدم امتحانه، وبفضل الله نجح، وتفوق، ألا ينطبق هذا على قول الله عز وجل:

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

[سورة القصص الآية : 105]

هناك غاية دنيوية وغاية أخروية، هل لنا أن نتحدث في ختام الحلقة؟

الأمة بعلمائها و الطالب هو مستقبل الأمة :

الدكتور راتب:

أستاذ جمال نحن أمة نامية نحتاج إلى خبراء، قد نأتي بخبير . صدق ولا أبالغ . يأخذ مئة ضعف راتب المواطن، ملايين في الشهر، الله عز وجل لحكمة أرادها وزع الغباء والذكاء بالتساوي على كل البشر، أي بكل أمة هناك أذكياء، بطولتنا أن نكتشف هؤلاء المتفوقين، بطولتنا أن نهيئ لهم أجواء، هؤلاء إذا هيأنا لهم أجواء مريحة،

وتفوقوا، وخدموا أمتهم، نستغني بهم عن الخبراء، هذا موقف وطني، موقف قومي، موقف ديني، موقف أخلاقي، هذا الطالب ملك الأمة، هذا الطالب هو مستقبل الأمة.



أستاذ جمال المتقدمون في السن يمثلون الماضي، ونحن الكهول نمثل الحاضر، أما هؤلاء الشباب يمثلون المستقبل، مستقبلنا بهؤلاء الشباب، فإذا درسوا، وتعلموا، وكان الأهل على مستوى راق من الوعي، بل كان الجيران على مستوى راق من الوعي، هيأنا لهم سبل الدراسة بصراحة، الأمة بعلمائها، وأنا أتكلم عن حقيقة مؤلمة جداً، الأجانب حينما احتلوا العراق تمّ قتل ثلاثة آلاف وثمانمئة عالم، يريدون أمة بلا علماء، معنى ذلك أن الأمة بلا علماء ظاهرة خطيرة جداً، لأن هذه الأمة أصبحت تقاد بأسهل طريق، من الذي يقف أمام مخططات الأعداء؟ العلماء، الأمة بعلمائها، ونحن في أمس الحاجة إلى الإكثار من المتفوقين في أمتنا، هذا كله يظهر في الامتحانات، أولاً: قد تجد إنساناً يحمل أعلى شهادة في العالم، لكنه آخذ الليسانس من بلده، وتفوق في بلده، فاستحق هذه البعثة.

الأستاذ جمال شيخ بكري :

دكتور تأكيداً لكلام حضرتك، الدولة ممثلة بالسيد الرئيس الدكتور بشار الأسد منذ عامين أنشأت معهداً خاصاً للمتميزين، لا يقبل في هذا المعهد إلا النوابغ.

التكريم العظيم الذي منحه السيد الرئيس للطلاب المتميزين :

الدكتور راتب:

وقد دعا المتفوقين إلى حفل إفطار في رمضان، وأجلس إلى جانبه الطلاب المتفوقين، مع أسرهم وآبائهم وأمهاتهم.

الأستاذ جمال شيخ بكري :

وأيضاً كرم المعلمين الأوائل الذين يقدمون قصارى جهدهم بنجاح هذا النشء، إذاً المجتمع الذي نعيشه كما تتفضل إن شاء الله مجتمعاً سليماً معافى.

الدكتور راتب:

والله أنا أرجو من الله عز وجل أن تتجه الأمة إلى تعليم أبنائها، والله أنا . سامحني أستاذ جمال . حينما أرى شاباً ترك الدراسة أتألم أشد الألم، أتألم وأعتب على أبيه وأمه أشد العتب، أنا لي قريب أمه حرصت على أن يأخذ الشهادة الثانوية بتفوق ليدخل الطب، قصة غريبة جداً، لم ينجح ضغطت عليه، وألحت عليه، فأعاد السنة فرسب، ضغطت عليه، وألحت عليه، فأعاد السنة مرة ثالثة، ورسب، في السنة الرابعة نجح والآن هو طبيب، أنا لا أنسى هذه الأم ما هذا الإصرار؟! أربع سنوات يعيد الدراسة ونجح ودخل الطب والآن هو طبيب، هو أحد أقربائي، فمعنى ذلك أن الأب والأم عندما يحرصان على أولادهما هم آباء كبار وأمهات كبيرات، أما حينما لسبب تافه ترك الدراسة ما الذي يحصل؟ إنسان بلا دراسة معاشه لا يكفي خمسة أيام، يعيش عمره يتكفف الناس.

الأستاذ جمال شيخ بكري :

دكتور في ختام حديثنا بكلمات موجزة ماذا نقول لطلابنا الأعزاء على مختلف مراحل الدراسة؟

كلمة موجزة لطلابنا الأعزاء :

الدكتور راتب:

أنقل لهم كلام الإمام الشافعي: "إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم،و العلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً، ويظل المرء عالماً ما طلب العلم، فإذا ظنّ أنه قد علم فقد جهل، طالب العلم يؤثر الآخرة على الدنيا فيربحهما معاً، بينما الجاهل يؤثر الدنيا على الآخرة فيخسرهما معاً" .

خاتمة و توديع :

الأستاذ جمال شيخ بكري :

في الواقع كل ما نتمناه للطلبة الأعزاء التفوق والنجاح لنبقى سعداء نحن جميعاً بأبناء أمتنا، كل الشكر لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، أستاذ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة، دكتور أسعدنا كل ما قلته من ملاحظات قيمة في لقاءاتنا هذه، شكراً سيدي.

الدكتور راتب:

أستاذ جمال بارك الله بكم، شكراً لك على هذه الندوات أيضاً.

و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

والحمد لله رب العالمين

الفصل التاسع : الشباب و الوقت

الدرس (1-2) : إدارة الوقت

الدرس (2-2) : الاستفادة من أوقات الفراغ

الفصل التاسع : الشّباب و الوقت

الدرس (1-2) : إدارة الوقت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

نجدد ترحيبكم أيها الأخوة الكرام وكذلك مستمعي إذاعة القرآن الكريم في لبنان، ومع أمسية جديدة، مع ضيف كريم وعزيز على مؤسسات الدكتور محمد خالد، وعلى إذاعة القرآن الكريم، وعلى بيروت المحروسة، ضيفنا الكريم هو فضيلة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي، وهو غني عن التعريف، هو أستاذ ومحاضر في كلية التربية في جامعة دمشق، وأستاذ مادة الإعجاز العلمي في كلية الشريعة أصول الدين، وخطيب ومدرس ديني في مساجد دمشق، وله العديد من المؤلفات والمحاضرات والمقالات، وكذلك له العديد من المشاركات الفكرية والتربوية التي أثرت الفكر الإسلامي، إذاً نبقى مع محاضرنا الكريم مع محاضرة بعنوان: إدارة الوقت.

تعريف الوقت :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الأخوة الكرام؛ لو أن نقطة حركناها لرسمت خطاً، لو أن خطاً حركناه لرسم سطحاً، لو أن سطحاً حركناه لشكل حجماً، لو أن حجماً حركناه لكان وقتاً، فالوقت بالتعريف الدقيق هو البعد الرابع للأشياء، وحقيقة الوقت أقرب إلى الفلسفة منها إلى العلم، ذلك لأن أحد كبار العلماء اكتشف أن السرعة المطلقة في الكون هي ثلاثمئة ألف كيلو متر في الثانية، وأي شيء سار مع الضوء أصبح ضوءاً فأصبحت كتلته صفراً وحجمه لا نهاية، ولا يزال موضوع الوقت كما قلت قبل قليل أقرب إلى الفلسفة منه إلى العلم.



على كل الإنسان في حقيقته وقت، من أدق تعريفات الإنسان التي ذكرها الإمام الجليل الحسن البصري: الإنسان هو بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منه.

هو وقت بل رأس ماله الوقت، بل أثمن شيء يملكه هو الوقت، والوقت من أخطر الموضوعات في حياة الإنسان، ذلك لأنه إذا مضى لا يعود، لذلك ربنا ﷻ في سورة قصيرة جامعة مانعة يقول ويقسم بمطلق الوقت، بمطلق الزمن، يقول:

﴿و العصر * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾

[سورة العصر: 1-2]

﴿ وَالْعَصْرِ ﴾

قسم وجواب القسم:

﴿ إن الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾

خالق الإنسان العليم الحكيم يؤكد بالقسم بهذه الآية أن الإنسان خاسر لا محالة، ما وجه الخسارة؟ وجه الخسارة لأن الإنسان بضعة أيام، وكلما مضى يوم انقضى بضع منه، مضي الزمن وحده يستهلك الإنسان، والإنسان حينما يعيش عمراً ينبغي أن يعد هذا العمر عداً تنازلياً لا عداً تصاعدياً، ينبغي أن يقول من حين إلى آخر: كم بقي لي؟ فالإنسان وقت، أو رأس ماله هو الوقت، أو أثمن شيء يملكه هو الوقت، ولقد أقسم الله لهذا المخلوق الأول، وأقول الأول لأن الله حينما قال:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾

[سورة الأحزاب :72]

الإنسان هو المخلوق الأول المكرم و المكلف :

إذاً الكون كله أشفق من حمل الأمانة، والإنسان حملها وتصدى لها، وقال: يا رب أنا أهل لها، فلما قبِل هذا الإنسان حمل الأمانة سخر الله له الكون بأكمله بنص القرآن الكريم:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ﴾

[سورة الجاثية: 13]

ولا شك أن المسخر له أكرم عند الله من المسخر، لذلك الإنسان هو المخلوق الأول، وهو المخلوق المكرم لقوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾

[سورة الإسراء :70]

فهذا الإنسان بضعة أيام، كلما انقضى يوم انقضى بضع منه، وقد قال الإمام الحسن البصري: ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي يا بن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد، فتزود مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة، هذا المعنى لمح إليه النبي عليه الصلاة والسلام حينما كان يستيقظ من منامه يقول:

((الحمد لله الذي ردّ إليّ روحي، وعافني في بدني، وأذن لي بذكره))

أي أن الإنسان إذا استيقظ ينبغي أن يعلم أن الله سمح له أن يعيش يوماً جديداً، فالإنسان خاسر لأن مضي الزمن يستهلكه.

كيفية إنفاق الوقت :

أيها الأخوة؛ لكن رحمة الله جلّ جلاله لهذا الإنسان أنه أشار في هذه السورة الجامعة المانعة في سورة العصر التي قال عنها الإمام الشافعي:" لو تدبر الناس هذه السورة لكفتهم "والتي كان بعض الصحابة أو جل الصحابة لا يتفرقون إلا على قراءتها، فالإنسان خاسر لا محالة لأن مضي الزمن يستهلكه، لكن جاءت كلمة " إلا " لتثبت ما بعدها وتنفي ما قبلها، بمعنى أن الإنسان يستطيع تلافي هذه الخسارة عن طريق إدارة الوقت، إما أن ينفق الوقت إنفاقاً استهلاكياً، وإما أن ينفق الوقت إنفاقاً استثمارياً، وفرق كبير بين إنفاق المال استهلاكاً، وبين إنفاقه استثماراً،

كيف نستهلك الوقت استهلاكاً؟ كما يفعل معظم الناس في أرجاء الأرض، يأكلون ويشربون ويتمتعون كما تتمتع الأنعام، ثم يداهمهم الموت، عندئذٍ يقع الندم وتقع الخسارة، ويقول الإنسان:

﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾

[سورة الفجر :24]

﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾

[سورة المؤمنون: 99-100]

﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾

[سورة الحاقة:27-29]

إلى آخر الآيات.

أيها الأخوة الكرام؛ ينفق الوقت استهلاكاً حينما نسترسل على سجيتنا، ونفعل ما نرغب، ونلتقي مع من نرغب، ونستمع بالحياة من دون تفكر بالعواقب، ذلك لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((ألا وإن عمل الجنة حزن بربوة. ألا وإن عمل النار سهل بسهوة))

[ابن سعد البيهقي في شعب الإيمان عن أبي البجير]

لمجرد أن يسهو الإنسان ويلهو إذاً هو ينفق الوقت إنفاقاً استهلاكياً، والخسارة كبيرة جداً عند انتهاء عمره، ذلك لأن الله سبحانه وتعالى يبين في آيات كثيرة أن الإنسان سوف يندم، وهذا الندم دليل عدم استعمال عقله، لأن من شأن العاقل أنه لا يندم، وما دام الإنسان يندم إذاً لم يحسن إدارة الوقت.

الذكاء هو التكيف :

من أدق تعريفات الذكاء هو التكيف، والذي يعيش المستقبل هو في أعلى درجات الذكاء، والذي يعيش الحاضر أقل ذكاء، والذي يعيش الماضي يعد غبياً .

لذلك ورد في بعض القصص الرمزية لابن المقفع أن صيادين مرا بغدير وفيه سمكات ثلاث، كيسة و أكيس منها وعاجزة، فتواعدا أن يرجعا و معهما شباكهما ليصيدا ما فيه من السمك، فسمعت السمكات قولهما، أما أكيسهن فإنها ارتابت وتخوفت وقالت: العاقل يحتاط للأمور قبل وقوعها - هذا من إدارة الوقت - ثم إنها لم تعرج على شيء حتى خرجت من المكان الذي يدخل منه الماء من النهر إلى الغدير فنجت- هذه الأعقل، هذه الأكيس - وأما الكيسة - الأقل عقلاً والأقل ذكاء-فبقيت في مكانها حتى عاد الصيادان، فذهبت لتخرج من حيث خرجت

رفيقتها فإذا بالمكان قد سدّ فقالت: فرطت وهذه عاقبت التفريط - الذي لا يستخدم عقله يندم، وعلامة إدارة الوقت أنك لا تندم، وعلامة استهلاك الوقت أنك تندم - لكنها على شيء من العقل، ثم تماوتت فطفت على وجه الماء منقلبة تارة على ظهرها وتارة على بطنها، فأخذها الصيادان و وضعاها على الأرض بين النهر والغدير فوثبت في النهر فنجت - لكن أعصابها تحطمت- وأما



العاجزة الغبية فبقيت في مكانها وصالت وجالت حتى اصطيدت وأكلت. لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني))

[أبو داود عن عوف بن مالك]

((ألا وإن عمل الجنة حزن بربوة، ألا وإن عمل النار سهل بسهوة))

الآن على مستوى الدول، الدول العملاقة والمتطورة تخطط لعشرين عاماً قادمة، والدول الأقل تقدماً سياستها ردود فعل باستمرار، تكون في أزمة ففعلها ردّ لهذه الأحداث الطارئة، وأما الدول المتخلفة فتتغنى بالماضي فقط.

تعريف إدارة الوقت :

أيها الأخوة الكرام؛ يمكن أن يكون بالتعريف الدقيق الجامع المانع أن إدارة الوقت رسم هدف ثم تحقيقه، لو سألت المراجع العلمية في إدارة الوقت، أو لو سألت الجهات الأكاديمية في العالم عن إدارة الوقت ما زاد التعريف الجامع المانع عن أن تكون إدارة الوقت رسم هدف، ثم العمل على تحقيقه، يؤكد هذا المعنى قوله تعالى:

﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

[سورة الملك:22]

شتان بين من يمشي سوياً على صراط مستقيم، أهدافه واضحة، الوسائل التي تتحقق بها هذه الأهداف واضحة جداً، وبين من يمشي خبط عشواء، الذي يسيء أكثر ممن يحسن، لكن رحمة الله عز وجل في كلمة " إلا " أي أيها الإنسان أنت خاسر لا محالة، إلا إذا فعلت كذا وكذا وكذا، هذه الأشياء الأربعة التي ذكرت في الآية هي في

الحقيقة كما سماها الإمام الشافعي أركان النجاة، أربعة أشياء إن فعلتها كل يوم فقد نجوت من خسارة الوقت، نجوت من قول الله عز وجل:

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾

ما هي الأشياء الأربعة؟ قال:

﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾

أي إذا عرفت الله، عرفت أنه موجود وواحد وكامل، عرفت أسماءه الحسنى وصفاته الفضلى، عرفت أن الله سبحانه وتعالى بيده كل شيء.

﴿فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾

[سورة الزخرف: 84]

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾

[سورة هود: 123]

﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً﴾

[سورة الكهف :26]



إذا عرفت أن الأمر بيد الله وحده، وأن الله موجود وواحد وكامل، وأن المصير إليه، وأنه خلق الإنسان ليسعده في جنة عرضها السموات والأرض، وأن هذه الدنيا في حقيقتها ممر وليست مقراً، مرحلة من أجل أن تدفع ثمن الآخرة فيها، حينما تعرف هذه الحقائق، حينما تعرف من أين وإلى أين ولماذا؟ حينما تعرف سرّ وجودك وغاية وجودك، حينما تعرف الأمانة التي حملتها، حينما تعرف التكليف الذي كلفت به، حينما تعرف أنك المخلوق الأول، والمخلوق المكرم، والمخلوق المكلف، حينما تعرف أن السموات والأرض مسخرة لك.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا ﴾

[سورة ص :24]

من أنت؟ أيها الأخوة الكرام؛ الإنسان حينما تأخذه الحياة، وحينما تستهلكه الحياة، وحينما يصبح رقماً، وحينما يصبح شيئاً تافهاً لا قيمة له، يعيش هموماً طاحنة، ولا يتطلع إلى شيء، هذا الإنسان انتهى، انتهت سعادته، لذلك هذا الإنسان جور إلى جهة أرضية، والإنسان لأنه المخلوق الأول هو لله لا ينبغي أن يكون لغير الله.

﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾

[سورة البقرة : 130]

أنت يمكن أن ترفض أشياء كثيرة لأنك تحتقرها، إلا أنك إذا رفضت الدين فإنك تحتقر نفسك

﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾

الإيمان اعتقاد و حركة و طاعة :

أنا حينما أقول :

﴿إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا ﴾

لا أقصد هذا الإيمان الساذج، هذا الإيمان الشائع بين الناس، هذا الإيمان الذي لا يقدم ولا يؤخر، هذا الإيمان الذي لا يحمل صاحبه على طاعة الله، هذا الإيمان الذي يعد إيماناً شكلياً، لأن إبليس قال:

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ ﴾

[سورة ص : 82]

إذاً آمن بربه، وآمن أنه عزيز، وقال:

﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ﴾

[سورة الأعراف:12]

آمن أنه خالق، وقال:

﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾

[سورة الأعراف:14]

هذا إيمان، لكنه إبليس ومصيره إلى النار، الإيمان الذي عنته الآية هو الإيمان الذي يحملك على طاعة الله

﴿إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا ﴾

وما قيمة الإيمان إن لم يدعم بالعمل الصالح؟

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

[سورة العصر: 3]

أي الإيمان اعتقاد وحركة، الإيمان اعتقاد وطاعة، الإيمان تصور والتزام، وما جاءت الآيات في كتاب الله إلا وقد جمعت بين الإيمان والعمل الصالح:

﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

لأن تعريف العبادة بالأصل طاعة طوعية، ممزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية. كأن في هذا التعريف كلية معرفية، وكلية سلوكية، وكلية جمالية، فالكلية السلوكية هي الأصل، والمعرفية هي السبب، والجمالية هي الثمرة، لأن الله سبحانه وتعالى خلقنا ليسعدنا، هذه حقيقة صارخة بدليل أن الله عز وجل يقول:

﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾

[سورة هود: 118- 119]

خلقهم ليرحمهم.

اقتران الإيمان بالله بالعلم و العمل :

لكن الشقاء الذي نراه في بني البشر بسبب الجهل، فالجاهل عدو نفسه، والجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به، إن أعدى أعداء الإنسان هو الجهل، والجهل أيها الأخوة سبب الشقاء، بل إن أهل النار وهم في النار قضيتهم العلم، بدليل:

﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾

[سورة الملك : 10]

لذلك إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً، وطالب العلم يؤثر الآخرة على الدنيا فيربحهما معاً، والجاهل يؤثر الدنيا على الآخرة فيخسرهما معاً.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

الإيمان الذي يحملك على طاعة الله، ولا شيء أيها الأخوة يعلو في حياة الإنسان على الإيمان، القصد الأول أن تكون مؤمناً، ثم أن تعمل بما تعلم:

وعالم بعلمه لم يعملن معذب من قبل عباد الوثن

***

مرة أيها الأخوة اطلعت على كتاب في أول صفحة فيه أربعة أدعية، لفت نظري الدعاء الأول، يقول مؤلف الكتاب:" اللهم إني أعوذ بك أن يكون أحد أسعد بما علمتني مني" أي أكبر مصيبة أن تتفنن في عرض قضية، وأن ينتفع الناس بها، وأن يسعدوا بها، وأن يستحقوا الجنة بها، والذي قالها من أهل النار:" اللهم إني أعوذ بك أن يكون أحد أسعد بما علمتني مني".

" اللهم إني أعوذ بك أن أقول قولاً فيه رضاك ألتمس به أحداً سواك".

" اللهم إني أعوذ بك أن أكون عبرة لأحد من خلقك" ألا أكون عبرة يا رب " . اللهم إني أعوذ بك ألا أكون عاملاً بما أعلم" أي قضية العلم من دون عمل خطيرة جداً، بل إن هذا العلم الذي لا يدعمه عمل حجة على صاحبه، لذلك قالوا: العلم ما عمل به فإن لم يعمل به كان الجهل أولى.

﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

يجب أن تؤمن ويجب أن تعمل، لذلك العلم من دون عمل عملٌ تافه، ذلك لأن العلم في الإسلام ليس هدفاً لذاته إنما هو وسيلة

﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾

الدعوة إلى الله فرض عين على كل مسلم :

أيها الأخوة؛ هذه الآية تعد دليلاً قطعياً على أن الدعوة إلى الله فرض عين على كل مسلم، هناك دعوة تعد فرض كفاية، التبحر ، والتفرغ، والتعمق، وأن تمتلك الأدلة التفصيلية، وأن تستطيع أن ترد على كل الشبهات، هذه دعوة هي فرض كفاية، إذا قام بها البعض سقطت عن الكل، ولكن الدعوة التي هي فرض عين في حدود ما تعلم ومن تعرف تغطيها هذه الآية، ألم يقل الإمام الشافعي: إن هذه الأشياء الأربعة أركان النجاة، فلذلك إن تخلفت واحدة النجاة ليست محققة.

﴿ إلا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ﴾



أي يجب أن تعلم، ويجب أن تعمل بما تعلم، ويجب أن تدعو إلى ما تعلم، تعلم وتعمل وتدعو، فالدعوة في هذه الآية فرض عين على كل مسلم.

من ملامح الحديث الشريف:

((بلغوا عني ولو آية))

[أخرجه البخاري والترمذي عن ابن عمرو]

لو أن كل مسلم استمع في خطبة جمعة إلى حقيقة ناصعة تأثر بها، ونقلها إلى من حوله، نقلها إلى أسرته، إلى زملائه، إلى جيرانه، إلى أصدقائه لكنا بحال غير هذا الحال.

﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

لكن الدعوة التي هي فرض عين تغطى بآية ثانية لعلها أكثر وضوحاً، قال تعالى:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

[سورة يوسف :108]

فالذي لا يدعو على بصيرة ليس متبعاً لرسول الله، من لوازم اتباع رسول الله أن يدعو إلى الله على بصيرة، وقد فسر بعض العلماء البصيرة بأنها الدعوة بالدليل والتعليل، والدعوة التي لا ترقى إلى مستوى الأدلة والتعليلات المنطقية لا تكون دعوة ناجحة

﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ﴾

المعركة بين الحق و الباطل معركة أزلية أبدية :

لكن لأن معركة الحق والباطل معركة أزلية أبدية، ولكي يدفع المؤمن ثمن قراره الإيماني، ولينال في الآخرة مرتبة عالية عند الله بسبب هذا القرار، كانت هذه المعركة بين الحق والباطل.

تصوروا أيها الأخوة لو أن الله خلق الكفار في قارة والمؤمنين في قارة، لما كان هناك معارك، ولا مناوشات، ولا فتوح، ولا عدوان، ولا كيد، ألغيت الجنة.

﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾

[سورة محمد: 4]

إذاً لأن هناك معركة أزلية أبدية في الحياة، هذه معركة مستمرة من آدم إلى يوم القيامة، وأي شيء يدهشكم في الكيد للمسلمين إنه يندرج تحت عنوان هذه المعركة الأزلية الأبدية المستمرة بين الحق والباطل، لذلك قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾

[سورة الأنعام :112-113]

فقضية العداوة لا بد منها، بل إنه قد ورد في بعض الآثار أن سيدنا موسى عليه السلام في المناجاة قال: يا ربي لا تبقي لي عدواً، فقال الله له: يا موسى هذه ليست لي، أليس هناك أعداء لله عز وجل؟ إذاً معركة الحق والباطل معركة أزلية أبدية.

سورة العصر أبلغ دليل على إدارة الوقت :

لذلك:

﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

يجب أن تصبر على طلب العلم، ويجب أن تصبر على العمل بالعلم، ويجب أن تصبر على الدعوة إلى العلم

﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

يجب أن تعلم، ويجب أن تعمل بما تعلم، ويجب أن تدعو إلى ما تعلم، ويجب أن تصبر على طلب العلم، وعلى تطبيق العلم، وعلى الدعوة إلى العلم.

أيها الأخوة الكرام؛ حينما نفعل هذا نتلافى الخسارة، ألغيت الخسارة:

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

[سورة العصر : 1-3]

هذه السورة القصيرة هي في حقيقتها تعد أبلغ دليل على إدارة الوقت، أنت بضعة أيام، كلما انقضى يوم انقضى بضع منك، ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي يا بن آدم أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة، إدارة الوقت مغطاة بهذه الآية الكريمة:

﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

[سورة الملك: 22]

العلاقة بين الوقت والمال :

أيها الأخوة؛ الآن هناك حقيقة دقيقة، العلاقة بين الوقت والمال، لابد من مثل، لو أن إنساناً أصابه مرض، ولهذا المرض علاج عن طريق عملية جراحية تكلفه ثمن بيته، هناك عمليات غالية الثمن، تكلف ثمن بيت الإنسان، هل تجد واحداً يتردد ثانية واحدة في بيع بيته الوحيد الذي يملكه ويسكنه من أجل أن يجري عملية جراحية يتوهم من خلالها أنه يمد في عمره بضع سنوات؟! ماذا يعني أن يبيع الإنسان بيته الوحيد الذي يسكنه ليجري بثمنه عملية جراحية؟ يقع في وهمه أنها تمد في عمره بضع سنوات، ذلك أنه مركوز في أعماق الإنسان أن الوقت أثمن من المال، في فطرته، في المسلمات التي ينطوي عليها، الوقت أثمن من المال، يبيع البيت الوحيد الذي يسكنه من أجل أن يدفع ثمنه مقابل عملية جراحية يتوهم أنها تمد له في عمره بضع سنوات.

الآن لو إنسان جاء بمليون ليرة وأحرقها أمامنا، ماذا نحكم على عقله؟ نحكم عليه بالسفه، إنسان يمسك مليون دولار ويحرقهم بالنار أمام أعين الناس يحكم عليه بالسفه قولاً واحداً، إذا كان قد ركب في أعماق الإنسان أن الوقت أثمن من المال، هذا الذي يمضي أوقاتاً بتوافه الأعمال، بكلام فارغ، بمسلسلات فارغة، ألا يعد أشدّ سفاهاً بربكم؟! بالمقابل إذا كان إتلاف المال سفاهة أيما سفاهة، فإتلاف الوقت هو سفاهة أشدّ، لذلك الوقت أثمن شيء تملكه، الوقت رأس مالك، الوقت هو أنت، الوقت وعاء عملك، الوقت وعاء عبادتك، هذا هو الوقت.

عوامل الإنجاز :

أيها الأخوة الكرام؛ رجال الاقتصاد يحددون عوامل الإنجاز، قالوا: المواد، والمعلومات، والأفراد، والوقت، ما من مشروع يمكن أن يحقق إلا بهذه العوامل، يحتاج إلى مواد، ويحتاج إلى معلومات في تصنيع هذه المواد، ويحتاج إلى مال لينفق على هذه المؤسسات، ويحتاج إلى وقت، ولو ألغي الوقت ألغي كل شيء، لأن الوقت وعاء

تحصيل المواد، ووعاء تصنيعها، ووعاء الخبرات، ووعاء كل شيء، فإذا كان الوقت أحد العناصر مبدئياً هو أصل كل هذه العناصر، لكن الحقيقة المؤلمة والمؤسفة إلى أبعد الحدود أنه ما من شيء في العالم الثالث أو في البلاد المتخلفة أكثر هدراً وأقل استثماراً من الوقت، هدر الوقت في العالم الثالث شيء يؤلم ألماً لا حدود له، وقت الإنسان رخيص، وهذا الوقت أيضاً يهدر بلا ثمن، لذلك إذا سألت عن صفات الأذكياء الموفقين، أو عن صفات الناجحين في الحياة هو إدارتهم للوقت، و من لم يحسن إدارة الوقت عليه أن يدير نفسه، هناك خلل كبير في شخصيته، فإن لم تكن صالحاً لإدارة وقتك ابحث عن إدارة لنفسك، ابحث عن منطلقاتك النظرية، عن سرّ وجودك وغاية وجودك.



الوقت لا يعوض، والوقت لا يرجع، ما مضى فات، والمؤمل غيب، ولك الساعة التي أنت فيها، أنت بين يوم مفقود، هو الماضي، ويوم مشهود، ويوم مورود، ويوم موعود، ويوم ممدود، وأخطر هذه الأيام الخمسة هو اليوم المشهود، هذا اليوم المشهود له علاقة بالأيام الثلاثة القادمة، المفقود؛ هو الماضي ولا جدوى من الحديث فيه إطلاقاً، ما مضى فات، والمؤمل غيب، والذي سيأتي غيب، ولك الساعة التي أنت فيها، لا تملك إلا هذه الساعة، فإما أن تنتفع بها فأنت من الموفقين، أو أن تهدرها هدراً فأنت من المحبطين.

أيها الأخوة الكرام؛ الوقت لا يجمع، ولا يعوض، ولا يرجع، ولكن يتوهم الناس أن هذا الوقت يطول ويقصر، يطول ويقصر نفسياً، أي دقيقة الألم ساعة، وساعة اللذة دقيقة، هذا منعكسه النفسي فقط، أما الوقت فثابت لا يتبدل ولا يتغير، فالذين نجحوا في الحياة وتفوقوا فيها معهم وقت كما تملك أنت، الوقت قاسم مشترك بين الجميع، العباقرة يملكون هذه الساعة، ويملكون هذا اليوم، وهذا العام، وهذا العمر، فالوقت لا يتبدل، ولا يتغير، ولا يطول، ولا يقصر، الوقت يمشي سيراً منتظماً لكل الناس، فإما أن نستغله، وإما أن نستهلكه.

لذلك يقول سيدنا عمر بن عبد العزيز كلمة رائعة جداً: الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما، أي أقوى دليل على ذلك أنك إذا نظرت إلى صورة قبل عشرين عاماً ملامح الوجه غير هذه الملامح الحالية، هذا من فعل الليل والنهار، الليل والنهار يعملان فيك فأنت كيف ترد على عملهما فيك؟ اعمل فيهما الأعمال الصالحة، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((بادروا بالأعمال الصالحة فماذا ينتظر أحدكم من الدنيا؟))

[الحاكم عن أبي هريرة]

قضية الموت من أخطر موضوعات الإنسان :

الآن المستقبل ماذا يخبئ؟ بكلام صريح وقد يكون مزعجاً، لأن الحقيقة المرة أفضل ألف مرة من الوهم المريح، هل يمكن أن أستيقظ كل يوم في المستقبل كاليوم الذي مضى من دون تطورات إطلاقاً؟ إذاً كيف نغادر الدنيا؟ لا بد من يوم نستيقظ على طارئ في صحتنا، فإذا كان هذا المرض بوابة الخروج يتفاقم إلى أن ينتهي بالوفاة، فلذلك قضية الموت من أخطر موضوعات الإنسان، لأن الموت نهاية الوقت، نحن في عدّ تنازلي، أي أنت انظر إذا أردت أن تسافر إلى بلد فرضاً إلى طرابلس اللوحات دائماً: 90- 80 – 70 – 60 – 50 – 40 – 30 – 20 – 10- 5، طرابلس ترحب بكم، هذا هو العد التنازلي، وينبغي أن نعد أعمارنا عداً تنازلياً، ينبغي أن نسأل من حين لآخر كم بقي لنا؟

أنا أروي قصة الحقيقة نموذجية لأنني عانيها، كنت مرة مدرساً في ثانوية وقد نشأ وقت فراغ معين، ولا أستطيع أن أغادر وأن أعود لساعة واحدة، قلت: أمضي هذا الوقت عند مدير الثانوية، فرحب بي، وجاء بضيافة، وحدثني عن مشاريعه للمستقبل، والله حدثني عن عشرين عاماً قادمة، سيسافر إلى المكان الفلاني، ويبقى خمس سنوات، ولا يعود إلى الشام، يمضي الصيف الأول في فرنسا، والصيف الثاني في إيطاليا، والثالث في بريطانيا، والرابع في إسبانيا، يرى هذه البلاد ومتاحفها، وثقافتها، وأسواقها، وجامعاتها، ويعود بعد هذه السنوات إلى بلده إلى الشام، ويقدم طلباً للتقاعد من وظيفته، وينشئ عملاً تجارياً لطيفاً، يبيع فيه التحف ولا علاقة لها بالتموين والتسعير وما إلى ذلك، وتابع الأمر ثم يزوج أبناءه، ثم يجعل هذا المحل منتدى فكرياً، هكذا يقول، ومضت الساعة وخرجت من عنده، ودعني بكل ترحاب، وذهبت إلى الصف، وألقيت الساعة الأخيرة، وعدت إلى البيت، ومساءً نزلت إلى مركز المدينة، عندي ساعات تدريس أردت أن أعود إلى البيت ماشياً فإذا نعوته على الجدران في اليوم نفسه،

لذلك قالوا: من عدّ غداً من أجله فقد أساء صحبة الموت، لمجردِ أن تقول: غداً أفعل كذا، أنت لا تعرف ما هو الموت، الموت يأتي بغتةً، والقبر صندوق العمل، فلذلك الاستعداد للموت من الدين، يقول عليه الصلاة والسلام:

((بادروا بالأعمال الصالحة فماذا ينتظر أحدكم من الدنيا؟))

[الحاكم عن أبي هريرة]

الآن المستقبل ماذا يخبئ له ؟ أي إنسان.

((ما ينتظر أحدكم من الدنيا إلا غِنَىً مُطْغِياً، أو فَقْراً مُنْسِياً، أو مَرَضاً مُفْسِداً، أو هَرَماً مُقَيِّداً، أو مَوْتاً مُجْهِزاً ؛ أو الدجال، فالدجال شرُّ غائِبٍ يُنْتَظَرَ؛ أو السَّاعَةُ والساعة أدهى وأَمَرّ))

[الحاكم عن أبي هريرة]

الإنسان إذا توقع المتوقع ينجو من المتوقع.

إدارة الوقت أن تعيش المستقبل :

لذلك قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾

[سورة التحريم : 6]

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾

[سورة الملك : 2]

لماذا بدأ بالموت؟ أنت حينما تولد أمامك خيارات لا تعد ولا تحصى، لكن إذا جاءت ساعة المنية أمامك خياران لا ثالث لهما، فو الذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار، أمام الموت خياران فقط، فإما أن تكون من سعداء الآخرة أو من أشقياء الآخرة.

﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

[سورة الزمر : 15]

إذاً أيها الأخوة؛ إدارة الوقت أن تعيش المستقبل، إدارة الوقت أن تعد لساعة مغادرة الدنيا، ما من إنسان أعقل من الذي يعد لهذه الساعة التي لا بد منها، الإنسان أيها الأخوة حينما يولد كل من حوله يضحك، لكنه يبكي وحده، بعد الولادة الوليد يبكي، فإذا وافته المنية كل من حوله يبكي، فإذا كان بطلاً يضحك وحده.

﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾

[سورة يس :26]

إذا كان بطلاً يضحك وحده، معنى ذلك أنه إذا أدار الوقت إدارة ذكية موفقة يضحك وحده، والنجاح الحقيقي، والفلاح الحقيقي أن تزحزح عن النار.

العلم و العمل قيمتان معتمدتان في القرآن لتقييم الإنسان :

أخوتنا الكرام؛ نحن نعيش قيماً مستنبطة من حركة الحياة، نقدر القوي، نقدر الغني، نقدر الذكي، يلفت نظرنا الجميل، لكن القرآن ذكر قيماً اعتدها ولم يعتمد غيرها، قال:

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾

[سورة الأنعام : 132]

أي حجمك عند الله بحجم عملك الصالح فقط، وذكر قيماً أخرى:

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

[سورة المجادلة :11]

فقيمتان في القرآن معتمدتان بتقييم الإنسان؛ العلم والعمل، ولا يوجد قيمة ثالثة، لذلك يروى أن أحد التابعين كان قصير القامة، أسمر اللون، أحنف الرجل، غائر العينين، ناتئ الوجنتين، مائل الذقن، ليس شيء من قبح المنظر إلا وهو آخذ منه بنصيب، وكان مع ذلك سيد قومه، إذا غضب غضبَ لغضبته مئة سيف لا يسألونه فيما غضب، وكان إذا علم أن الماء يفسد مروءته ما شربه، كان في حضرة معاوية سأله تكلم يا أحنف عن يزيد؟ فقال كلمة رائعة قال: أخاف الله إن كذبت، وأخافكم إن صدقت، فكان تلميحاً أبلغ من تصريح، وكان سيد قومه، فنحن حينما نعتمد قيم القرآن نقدر العلم والعمل، ونلغي هذه القيم الأخرى التي هي شائعة بين الناس، بل إن الإنسان حينما يعتمد مقاييس الفوز في القرآن يكون قد أحسن إدارة الوقت، قال تعالى:

﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

[سورة آل عمران :185]

لكن لو شققت على صدور الناس الآن ما هو الفوز؟ أن تملك دخلاً كبيراً جداً، أن تملك بيتاً فخماً جداً، أن تملك مكانة قوية جداً، أن يكون الناس في خدمتك، هذا فوز في مقياس الأرض، ولكن في مقياس السماء الفوز أن تزحزح عن النار، وأن تدخل الجنة.

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾

[سورة الأحزاب :71]

فطاعة الله هي الفوز، وأقول دائماً: مستحيل وألف ألف مستحيل أن تطيعه وتخسر، ومستحيل وألف ألف مستحيل أن تعصيه وتربح، سبحانك إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت.

الوقت نعمة كبيرة و مسؤولية عظيمة :

أيها الأخوة؛ الوقت نعمة، نعمة كبيرة، بل إن العلماء الذين فسروا قوله تعالى:

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾

[سورة التكاثر :1-8]

من النعيم الوقت، وقت الفراغ، ماذا فعلت به؟ كيف أنفقته؟ هل أنفقته في طاعة أم في معصية؟ هل أنفقته في عمل صالح أم في متعة؟ كيف أنفقته؟ وهذه السورة أيضاً

﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾

ألهاكم الجمع، الجمع ثم تفاجؤون بالموت، كالذي حدثتكم عنه

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾

تهديد، أي أنت الآن لا تعلم، لكن سوف تعلم.

﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾

مرة عند الموت، ومرةً يوم القيامة

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾

أي إنسان يركب مركبة في طريق منحدر انحداراً شديداً، والنسيم عليل، والمنظر جميل، لكن ينتهي هذا الطريق بمنعطف بزاوية قائمة، ثم اكتشف أن المكبح قد تعطل يقول: هلكنا.

﴿ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾



لو يعلم هذا الإنسان الشارد، هذا الإنسان التائه، هذا الإنسان العاصي ماذا ينتظره لأيقن بالجحيم،

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾

بنود النعيم الكفاية والصحة ووقت الفراغ، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ))

[البخاري والترمذي وابن ماجة عن ابن عباس]

بل إن سقراط يقول: لا يعد الإنسان إنساناً إلا إذا كان عنده وقت فراغ، وقت العمل من أجل أن تكسب المال، لكن الوقت الذي يؤكد إنسانيتك، يؤكد اتجاهك، وقت الفراغ، لذلك الناس يتمايزون بوقت الفراغ، هذا الوقت كيف تمضيه؟ وما من مصيبة ألمت بالعالم الثالث كمصيبة الغزو الفكري، الناس جالسون وراء الشاشة، يتلقون بطريقة سلبية لا يحققون شيئاً، يتابعون مشكلات موهومة أو ممثلة تمثيلاً، فيضيف الإنسان إلى مشكلاته الحقيقية مشكلات المسلسلات:

﴿ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾

الوقت أيها الأخوة مسؤولية:

((لا تَزُولُ قَدَمَ ابنِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبّه حَتّى يُسْأَلَ عن خَمْسٍ: عن عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وعن شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلاَهُ، وَعن مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ))

[ابن مسعود عن أبي ذر وعن أبي سعيد]

أنت مسؤول، والله الذي لا إله إلا هو هذه الثانية التي تمر تسأل عنها، بل حتى المؤمن حينما توافيه المنية لا يندم إلا على ساعة مرت لم يذكر الله فيها، فبما أن الوقت نعمة مسؤول عنه، ماذا فعلت في هذا الوقت؟ لذلك النبي عليه الصلاة والسلام أقسم الله بعمره الثمين، قال:

﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾

[سورة الحجر :72]

الأعمار لا تقاس بأزمانها بل بالإنجازات التي فيها :

الحقيقة أيها الأخوة الأعمار لا تقاس بأزمانها، تقاس بالإنجازات التي فيها، الآن تجد الإمام الشافعي عاش دون الخمسين، ترك كتباً لا يعلم خيرها إلا الله، الإمام النووي عاش تسعاً و أربعين سنة أيضاً ترك كتباً لا يعلم خيرها إلا الله، فالإنسان حينما يدير وقته يجري الله الخير على يديه، إدارة الوقت أخطر شيء في حياة الإنسان، لو حسبت الأوقات الضائعة والمهدورة والتي كانت في شيء تافه لأدركت قيمة الوقت.

أحد العلماء الكبار في الشام مرّ أمام مقهى رأى أناساً يلعبون النرد قال: يا سبحان الله! لو أن الوقت يشترى من هؤلاء لاشتريناه منهم، لأن الإنسان حينما يعرف الله ويسعى إلى الجنة أثمن شيء هو الوقت، لذلك يتمنى أن يكون النهار خمسين ساعة، أن يكون العام عشرين شهراً مثلاً، الوقت شيء ثمين جداً، لكن التافهين وقتهم تافه.

﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً﴾

[سورة الكهف: 105]

فالوقت مسؤولية، والوقت أيها الأخوة له أهمية كبيرة، لذلك قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الجامع المانع:

((اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك))

[الحاكم والبيهقي عن ابن عباس أحمد في مسنده عن عمرو بن ميمون]

وهذا من إدارة الوقت.

كلمة إدارة الوقت كلمة حديثة، لكن كل هذه الآيات؛ ألهاكم التكاثر، والعصر، وهذه الأحاديث كلها عن الوقت، الإنسان بضعة أيام.

((اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك))

[الحاكم والبيهقي عن ابن عباس أحمد في مسنده عن عمرو بن ميمون]

قيمة الوقت لا تعرف إلا عند الموت :

بل إن النبي عليه الصلاة والسلام في حديث رائع جداً يقول:

((إذا قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل))

[رواه هشام بن زيد عن أنس بن مالك]

لأن الوقت ثمين جداً، لا يعرف قيمة الوقت إلا عند الموت.

﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾

[سورة المؤمنون: 99-100]

يقول عليه الصلاة والسلام:

((ركعتان خفيفتان مما تحقرون وتنفلون يزيدهما هذا في عمله أحب إليه من بقية دنياكم))

[ابن المبارك عن أبي هريرة]

شخص يملك أضخم شركة بالعالم، صاحب هذا القبر إلى ركعتين مما تحقرون من تنفلكم خير له من كل دنياكم، نحن الآن نعيش، والقلب ينبض، وفي العمر بقية، لكن لو أن إنساناً وافته المنية يتمنى دقيقة يعبد الله فيها، يتمنى دقيقة يصلي فيها، يتمنى دقيقة يقدم خدمة لإنسان لوجه الله عز وجل، لكن الوقت يمضي هكذا، فهذا الوقت نشعر بقيمته عند الموت:

﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي * فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾

[سورة الفجر :24-25]

﴿يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾

[سورة الفرقان : 27]

﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً﴾

[سورة الفرقان :28]

الآيات إذا جمعت حول حالة الندم التي تسحق الإنسان عند الموت تؤكد قيمة الوقت، الله عز وجل يقول:

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾

[سورة البقرة : 148]

أنت مخير، أولاً في عمرك بقية، والقلب ينبض، وتعيش استيقظت، سمح له أن تعيش يماً جديداً:

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

[سورة البقرة : 148]

أي هذه الحرية في الاختيار نعمة كبرى لا تعدلها.

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

[سورة البقرة : 148]

من النعم الكبرى نعمتا الحياة و الاختيار :

الآن:

﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا ﴾

[سورة البقرة: 148]

في أي مكان كنتم، وفي أي مكانة كنتم:

﴿يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

[سورة البقرة :148]

أي هذه النعمة الكبرى نعمة الحياة ونعمة الاختيار فرصة لا تعوض، سوف تنتهي هذه النعمة، متى؟ عند الموت.

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ﴾

[سورة البقرة : 148]

أخوتنا الكرام؛ النبي عليه الصلاة والسلام أرسل أحد الصحابة الكرام قائداً لجيش هو زيد بن ثابت، فإن قتل فجعفر بن أبي طالب، فإن قتل فعبد الله بن رواحة، هذه المعركة معركة مؤتة، سيدنا زيد مسك الراية وقاتل بها حتى قتل، فجاء دور سيدنا جعفر أمسك الراية فقاتل بها حتى قتل، جاء دور من؟ عبد الله بن رواحة فتردد عشر ثوان قال:

يا نفس إلا تقتلي تموتـــي هذا حمام الموت قد صليت

إن تفعلي فعلهمـــا رضيت وإن توليــت فقد شـقيـــت

***

وأمسك الراية فقاتل بها حتى قتل، ماذا قال النبي لأصحابه؟ قال:



((أخذ الراية أخوكم زيد فقاتل بها حتى قتل، وإني لأرى مقامه في الجنة، ثم أخذ الراية أخوكم جعفر فقاتل بها حتى قتل وإني أراه يطير بجناحين في الجنة- لأنه قطعت يمينه فأمسكها بيساره فقطعت يساره فأمسكها بعضديه ثم قتل- ثم سكت النبي عليه الصلاة والسلام، لما سكت قلق الصحابة على أخيهم الثالث عبد الله بن رواحة قالوا: ما فعل عبد الله؟ فسكت النبي بقدر تردده قال: ثم أخذ الراية أخوكم عبد الله فقاتل بها حتى قتل وإني لأرى في مقامه ازوراراً عن صاحبيه، هبط مقامه لأنه تردد في بذل نفسه))

[مجمع الزوائد وقال: أخرجه الطبراني عن رجل من الصحابة، وانظر حلية الأولياء والسيرة النبوية وتفسير القرطبي]

الآن نقول لك: تعال واحضر هذا الدرس فقط فتتوانى، وتتكاسل، أي لتعلموا الفرق بين الصحابة الكرام و بيننا، لأنه تردد عشر ثوان فقط في بذل روحه هبط مقامه عند الله عز وجل.

أيها الأخوة الكرام؛ الوقت الذي نملكه نحن يملكه الناجحون، يملكه المتفوقون، فالوقت قاسم مشترك بيننا جميعاً، لكنهم أحسنوا إدارته، وأخفقنا في إدارته، ولا أبالغ أنك إن التقيت بمئة إنسان قد لا تجد واحداً يحسن إدارة الوقت، الوقت محدود يمكن أن تستغل كل دقيقة فيه، يمكن أن تخطط له، يمكن أن تقوم بأعمال كثيرة بوقت واحد، لكن هذا الذي يعيش هكذا بلا تخطيط وبلا وعي يضيع وقته سدى.

أسأل الله لي ولكم التوفيق والنجاح وإلى الأسئلة إذا شئتم.

أسئلة و أجوبة :

1 . توضيح مفهوم إنفاق الوقت :

س: هل بالإمكان أن توضح لنا مفهوم إنفاق الوقت إنفاقاً استهلاكياً وإنفاقه إنفاقاً استثمارياً؟

ج: الإنفاق الاستهلاكي كما يفعل الناس اليوم، يأكل، ويشرب، وينام، ويسمر، ويسافر، وينغمس في المتع والشهوات بلا ضابط، ولا قيمة، ولا رادع، ولا منهج، ولا هدف، ولا وسيلة، يعيش هكذا، إن عمل النار سهل بسهوة، لكن إنفاق الوقت إنفاق استثماري يعلم ويعمل بما يعلم، ويدعو إلى ما يعلم، ويصبر على طلب العلم، وعلى تطبيقه، وعلى الدعوة إليه، يعمل للآخرة، الآن أي شيء ينتهي عند الموت من الدنيا، عندك بناء فخم جداً، عندك مزرعة فخمة جداً، أي شيء ينتهي عند الموت من الدنيا، وأي شيء يدخل معك في القبر من الآخرة، فأنت في أية لحظة يمكن أن تقيم عملك، هذا العمل يدخل معي في القبر أم يبقى في الدنيا؟ الإنسان إذا شيعه أقرباؤه وصلوا إلى القبر، قد يأتي الناس إلى القبر وضع في القبر، ما الذي ينزل معه إلى القبر؟ مركبته الفخمة؟! لا، بيته الكبير الذي له إطلالة رائعة؟! لا، زوجته الجميلة؟! لا، يدخل وحده، لكن شيئاً يدخل معه هو العمل الصالح.

يا قييس إن لك قريناً تدفن معه وهو حي، ويدفن معك وأنت ميت، فإن كان كريماً أكرمك، وإن كان لئيماً أسلمك، ألا وهو عملك.

لذلك العمل الصالح وحده هو إنفاق الوقت إنفاقاً استثمارياً.

﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾

[سورة المؤمنون: 99-100]

الآن الإنسان حينما تأتيه المنية يا ربي حتى أبيع البضاعة، لا يقولها، حتى أصب السقف، لا يقول هذا أبداً، يقول:

﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾

[سورة المؤمنون: 99-100]

فلذلك إنفاق الوقت إنفاقاً استثمارياً هو العمل الصالح، العلم والعمل والدعوة إلى الله.

2 . استخدام الوسائل الحديثة في نشر الدعوة :

س: إن التطورات التي أثرت في التكنولوجيا هي اختصار الوقت في كثير من المجالات العلمية، هل بإمكاننا الاستفادة منها؟ وكيف ذلك في المجال الديني؟ وهل يوازي مثلاً أخذ الدين وتعاليمه عبر الأنترنيت لأخذ الدين وتعليمه من العلماء؟

ج: أنا من المؤمنين، وقد عرضت في هذه القاعة في العام الماضي علاقة الأنترنيت بالدعوة إلى الله، تذكرون؟ أنا مؤمن أنه لا بد من أن نستخدم الوسائل الحديثة في نشر الدعوة، لأنه في الحقيقة الوسائل الحديثة- سأقول كلاماً دقيقاً- رفعت الدقة إلى مئة درجة وخفضت الجهد إلى الصفر، أي ممكن أن تأخذ موضوعات كبيرة الآن عن طريق الأنترنيت، فالأنترنيت من لا يستخدمه هو أمي هذا العصر، الكمبيوتر والأنترنيت طبعاً فيهما أخطار أيضاً، لكن الإنسان مخير، وأي شيء أمامك سلاح ذو حدين، أي شيء أمامك حيادي، يمكن أن يوظف في الخير وفي الشر، يمكن أن يكون سلماً ترقى به أو دركات تهوي بها، لكن المؤمن يختار الجانب الخير، إذاً الوسائل الحديثة يجب أن نستخدمها، والذي لا يستخدمها يكون خارج العصر، أنا بالمناسبة والفضل لله لي موقع في الأنترنيت الآن رواده أربعة عشر ألفاً بالأسبوع، صار فيه أحدث خمس خطب، أحدث خمس دروس تفسير، أحدث خمس دروس أحد، وفيه صوت، ولغة إنكليزية، وفتاوى، وستون ألف صفحة، والله حينما أسافر لبلد بعيد، مرة كنت بسيدني أمين المكتبة رحبّ بي ترحيباً غير معقول، إذا به يأخذ كل معلوماته من موقعي بالأنترنيت، قلت: سبحان الله! أنا في دمشق والأخ في سيدني، في أقصى مكان في الدنيا، هذا هو الأنترنيت. كنت في الكويت قبل أسبوع قدموا لي هدية ثمينة جداً ،الموسوعة الفقهية، أما حجمها فكبير جداً، تسعة و ثلاثون جزءاً، أتيت بها إلى الشام وتجشمت مؤونة نقلها، جئت إلى الأنترنيت فتحت موقع وزارة الأوقاف، مكتوب مربع: الموسوعة الفقهية، ضغطت على هذا المربع الأجزاء كلها موجودة، ضغطت على أحد الأجزاء نقل إلى الهارد عندي الجزء بكامله وهو مضبوط بالشكل وملون، بحث وطبع فندمت على حمل هذه الموسوعة.

خاتمة و توديع :

نشكر فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي لتكرمه بهذه المحاضرة الطيبة، والشكر قليل طبعاً وهي كلمات مضيئة تنير لنا أوقاتنا، نسأل الله عز وجل أن يوفقنا للعمل في هذا المضمون، وألا نكون إلا كالسمكة الأولى حتى لا نصطاد، نشكره جزيل الشكر.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-2) : الاستفادة من أوقات الفراغ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله نحمده، ونستعين به، ونسترشده، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً ﷺ رسول الله، سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عين بنظر، أو سمعت أذن بخبر، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه، وعلى ذريته، ومن والاه، ومن تبعه إلى يوم الدين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الانتفاع من فراغ العطلة الصيفية:

أيها الإخوة الكرام، مع قدوم العطلة الصيفية سيكون موضوع هذه الخطبة، إن شاء الله، حول طريقة الانتفاع بالفراغ الناجم عن هذه العطلة.

أهمية الانتفاع من الفراغ:



الوقت أثمن شيء يملكه الإنسان، الوقت هو رأس مال الإنسان الحقيقي، بل الوقت هو الإنسان، إنك بضعة أيام، كلما انقضى منك يوم انقضى بعضك، ونفسك إن لم تشغلها بالخير شغلتك بالشر، وأخطر شيء على الإنسان وعلى الشاب خاصة هو الفراغ، وقد مرّ بعض العلماء بأناس يلعبون النرد في بعض المقاهي، فقال: يا سبحان الله ! لو أن الوقت يُشترى من هؤلاء لاشتريناه منهم.

ويا أيها الإخوة الكرام، الإنسان يشيخ بوقت الفراغ، ويغدو شاباً بملئه، فالمؤمن يبقى شاباً إلى أن يموت، ولو مات في التسعين، سر شبابه أن هدفه كبير، أكبر من وقته، لذلك انشغاله بالتقرب إلى الله عز وجل يجعله شاباً حتى في التسعين، والذي خلا من رسالة، ومن هدف، يغدو شيخاً فانياً حتى في الأربعين، فحينما تملك رسالة، وتملك هدفاً سامياً، ويكون الهدف أكبر من طموحاتك المادية، تغدو شاباً إلى آخر أيام حياتك.

نماذج من طرق الانتفاع من العطلة:

أيها الإخوة الكرام، الحقيقة أن هذا الموضوع فيه خواطر متنوعة حول شرائح مختلفة من المجتمع، فالطلاب الذين يدرسون في المدارس، تكون المواد متنوعة، والقراءة سريعة، والمواد قد تحبها وقد لا تحبها، لكنك في هذه العطلة:

يمكن أن تتعمق في موضوع تحبه.

يمكن أن تتقن شيئاً أنت حريص عليه.

يمكن أن تعتني بإتقانك بعض المهارات في الحاسب.

يمكن أن تخضع لدورة في اللغة الأجنبية.

يمكن أن تخضع لدورة في المحاسبة، إن كنت بحاجة إلى مثل هذه الدورات.

معك وقت ممتاز يمكن أن تستغله في فرع، وفي مادة تحبها، أو تنتظر منها نفعاً كبيراً.

فالعطلة الصيفية مناسبة مهمة لتلبية هذه الحاجة، إتقان العمل على جهاز، إتقان لغة، إتقان ترجمة، إتقان محاسبة، إتقان اختصاص، التعمق في بعض الموضوعات..

هذا مكانه الطبيعي في الصيف، فطلاب العلم ينبغي أن يضعوا برنامجاً لهم، إنْ في مطالعاتهم، أو في لقاءاتهم، أو في خضوعهم لدورات في أيام الصيف.

تحذير من لصوص الوقت ورفا ق السوء:

أيها الإخوة الكرام، أنا أقول لكم هذه الكلمة: احذر أيها الشاب من البطالين، من المتسكعين، من لصوص الأوقات، لذلك يقول بعضهم:

" أعوذ بالله من صحبة البطالين، رأيت خلقاً كثيراً يجرون معي فيما اعتاده الناس من كثرة الزيارة، ويسمون ذلك التردد خدمة "

يطلبون الجلوس، ويجرون الأحاديث، وهذه الأحاديث لا معنى لها، ولا تقدم، ولا تؤخر، إن لم يتخللها غيبة ونميمة، لذلك يقول ابن الجوزي في صيد الخاطر:



" إن أنكرت عليهم وقعت وحشة بينك وبينهم، وإن تقبلتهم ضاع الوقت، فصرت أدفع هذا اللقاء جهدي"

أي أن هذا العالم الجليل يهرب من لقاء البطالين الفارغين الذين لا هدف لهم، ولا رسالة لهم، ولا شيء سامياً يحرصون عليه، قال: " فإذا غُلبتُ، قصرت الكلام لأتعجل الفراق "

ثم اخترع شيئاً رائعاً، صار يعدّ أعمالاً يبدأ بها حين يلتقي بهم، ينصرف عنهم بأعمال لا بد منها كَبَرْيِ الأقلام، وحزم الدفاتر، فإن هذه الأشياء لا تحتاج إلى فكر وحضور قلب، لكن تحتاج إلى جهد وإلى وقت، فكان يهيئ أعمالاً يعملها لينتفع من الوقت، فأنت حينما يأتيك إنسان متسكع بطال يدعي أنه يحبك، يأنس بالجلوس معك، ليس عنده هدف، ولا سؤال، ولا موضوع، ولا رسالة، ولا شيء ثمين يحرص عليه، يريد أن يمضي الوقت معك، فكن مثل ابن الجوزي، كان يهيئ أعمالاً لا تحتاج إلى فكر، ولا إلى حضور قلب، يقوم بها أمامهم كي ينصرفوا.

فلذلك أيها الإخوة الكرام، ثبت في علم النفس، أن ستين بالمئة من قوة التأثير على الشباب هي من رفقاء السوء، وأن مجموع التأثير بدءاً من الوالدين، إلى الإخوة الكبار، إلى المدرسين، إلى الشيخ في المسجد، لا يزيد في مجموعه على أربعين بالمئة، لذلك أنا أقول لكم أيها الشباب:أخطر شيء في حياتكم رفيق السوء، ربما أودى بكم إلى الهاوية.

الدعوة الدعوية:

أيها الإخوة الكرام، أعطيكم بعض الأمثلة مما يمكن فعله في الصيف: هناك مناطق بعيدة عن المدن لا يوجد بها علماء، ولا يوجد بها دعوة إلى الله، ولا فيها نشاط ديني، لو أنك دعوت بعض إخوانك بأطراف المدينة إلى يوم يمضونه في دمشق فرضاً، أو في مدينتك، وأخذتهم إلى مسجد، أو إلى ندوة، أو إلى محاضرة، أو إلى دورة، أطلعتهم، هذا عمل عظيم، لأنه ينبغي أن تعلم أن أعظم عمل على الإطلاق:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

(سورة فصلت: الآية 33)

أنا يخطر في بالي مصطلح جديد، هو الدعوة الدعوية، أن تدعو إنساناً كي تأخذ بيده إلى الله، هذا عمل عظيم، قد يكلفك جهداً ووقتاً، وقد يكلفك مالاً، لكن هذا الذي يحتاج إلى علم، ويحتاج إلى توجيه، ويحتاج إلى أن تأخذ بيده في الصيف، هو بعيد عنك، لو دعوته في الصيف مرة أو مرتين، وأكرمته، ودللته على أهل الحق، وأعرته شريطاً، وأعرته كتاباً، أو نصحته بلقاء مع عالم جليل، تكون قد قدمت له شيئاً ثميناً، هذا جزء من نشاطك في الصيف، أن تأخذ بيد زملائك ورفقائك ومن يلوذ بك إلى الله ورسوله.

تفقد أحوال الأقرباء:

العطلة مناسبة لكي تتفقد أقرباءك، قال تعالى:

﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾

(سورة الشعراء: الآية 214)

أولاد أختك، أولاد أخيك، أولاد خالتك، أولاد عمتك، صغاراً، كباراً، أن تدعوهم إلى البيت، أو إلى نزهة، أن تحدثهم، يمكن أن تخط طريقاً في الدعوة إلى الله، وهذا أعظم عمل على الإطلاق، لقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((.. فواللهِ لأن يهديَ الله بكَ رجلاً واحداً خير لكَ من حُمْرِ النَّعَم))

من حديث صحيح، متفق عليه، عن سهل بن سعد

وفي رواية..

((.. خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت))

من حديث أخرجه الطبراني في الأوسط

أحياناً تقتني بعض الأشرطة التي تأثرت بها تأثراً كبيراً، تعيرها لمن حولك، لمن يلوذ بك من أصدقائك، من زملائك، من جيرانك، من أقربائك، تعيرها لهم بالتسلسل، هذا عمل دعوي عظيم جداً، والله عندنا إخوة كرام فعلوا هذا، والنتيجة أن عشرات، بل بضع عشرات ممن يلوذ بهم، التزموا في هذا المسجد، وسلكوا طريقاً إلى الله عز وجل، بسبب أنه أعارهم بعض الأشرطة من حين إلى آخر.

مجلس العلوم الإسلامية:

هذا نشاط آخر في الصيف، أحياناً يأتي بعض الطلاب من بلدة نائية إلى دمشق، لو أن كل اثنين من هؤلاء الطلاب أتقنوا علماً، علم الحديث، علم التجويد، علم كذا، وعادوا إلى بلدتهم وشكلوا مجلساً لفروع العلوم الإسلامية، بصراحة أيها الإخوة الكرام، يمكن أن تفعل مليون شيء في أصعب الظروف، لكن هناك فرق كبير بين كلمة لا أستطيع ولا أريد، وصوابها لا أريد، أنت تستطيع الذي لا تستطيعه متوهماً، لكنك لا تريد أن تفعل ما تظن أنك لا تستطيعه، فيمكن أن تتحرك.

أيها الإخوة الكرام، الله عز وجل لخص القرآن الكريم بكلمتين، قال:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾

(سورة الكهف: الآية 110)

واللهِ أبواب العمل الصالح لا تعد ولا تحصى، والطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق.

رحلات دعوية:

أنا أعرض لكم بعض الأمثلة، أحياناً تسافر أنت إلى بلدة تلتقي فيها ببعض إخوانك، ببعض أصدقائك، ببعض رفقائك في الجامع، تجلس معهم جلسة، تنقل لهم بعض الدروس، تأتيهم ببعض الكتب، ببعض الأشرطة مثلاً، تكون داعية إلى الله، اجعل الهم الدعوي أكبر همومك، لأنه أقدس عمل على الإطلاق، لأنه يرقى إلى صنعة الأنبياء، فالناس اليوم في أمسّ الحاجة إلى من يعرفهم بربهم، ومن يحملهم على طاعته.

أطلعني أحد الإخوة الكرام، على قرية في محافظة من محافظات القطر كان الجهل فيها متفشياً إلى درجة غير معقولة، فبرز طالب علم، ابتغى وجه الله عز وجل، ذهب إلى هذه القرية، وسكن فيها، ودرَّس، وخطب، إلى أن أصبحت القرية بأكملها من نوع آخر، من اتجاه آخر، تعاون، وتضامن، وطاعة، وأداء صلوات، فالإنسان كبير بنواياه، وقد يكون صغيراً بقدراته، وحجم العمل الذي يجريه الله على يديك قد لا يتناسب مع قدراته، لكنه يتناسب مع نواياه الطيبة.

التواصل مع الشاردين ودعوتهم إلى الله:

أيها الإخوة الكرام، شيء آخر، أنت أحياناً لك مركز دعوي، معهد تحفيظ قرآن، أنت منتمٍ إلى مسجد، يمكن أن تمارس نشاطاً فرعياً كبيراً جداً، كنت في أقصى شرق أستراليا، وجدت شباباً يذهبون إلى هؤلاء المتسكعين، إلى شباب الطرقات يحدثونهم، يقدمون لهم بعض الهدايا، يدعونهم إلى نزهة، واللهِ حدثوني عن عدد كبير ممن أدمن المخدرات، وممن أدمن الانحراف التزموا المسجد، نحن دائماً نقول: بطولتنا ليس مع بعضنا، بطولتنا مع الطرف الآخر، وكان في الشام عالم جليل يقول:

" لا تأتوا بالشاب من مسجد إلى مسجد، هذه فتنة، ائتوا به من ملهى إلى مسجد "

فهذا الشاب له أصدقاء في الصف غير منضبطين، غير ملتزمين، لو أنه زارهم في الصيف، قدم لهم بعض الأشرطة، دعاهم إلى نزهة، أنا أقول لكم: يمكن أن يفعل الإنسان في هذه الأشهر الشيء الكثير، لأنه فارغ من المسؤولية، مِن همّ الامتحان، مِن همّ التحصيل، مِن همّ التفوق، فلو أن الطالب كان مقصراً في بعض المواد ما الذي يمنع أن يخضع لدورات في هذه المواد ؟

مجالس الآباء في المدارس والمعاهد:

أحياناً، أيها الإخوة الكرام، تجري بعض المعاهد مجلساً للآباء، يأتي الآباء يتحدثون عن أبنائهم، عن مشكلاتهم، عن تقصير أبنائهم، عن نقاط الضعف في تربية أولادهم، مثل هذه المجالس تقرب بين المدرسة والبيت، وتقيم تعاونًا مثمِرًا بين الأطراف جميعاً، إذاً هذا النشاط أيضاً يمكن أن يكون في الصيف.

نشاطات طبية ودعوية:

أيها الإخوة الكرام، لو أننا أخذنا بعض الشرائح، لو أن الأطباء مثلاً، إذا سافروا إلى مكان جميل للاستجمام، وتعرفوا على زملائهم الأطباء في الاختصاص نفسه، وكان أحدهم يحمل شهادة البورد مثلاً، فجمع زملاءه، وحدثهم عن بعض المستجدات في الطب ماذا يكون قد فعل ؟ قدم خدمة ثمينة جداً، وأعرف والله بعض الأطباء الغيورين على المصلحة العامة يفكرون بهذا المشروع، أن يطوفوا في المحافظات ويجمعوا زملاءهم ممن لم يتح لهم أن يحصلوا اختصاصات عالية، يقدمون لهم بعض المستجدات في الطب.


تبادل معلومات أهل الاختصاص الواحد من النشاطات الحميدة

فالإنسان حينما يفكر في الآخرة تتفتق أفكاره عن مشاريع لم تكن في الحسبان، فكل شريحة من الناس عندها ما تقدمه، لو أن الطبيب عاش لكسب المال فقط، ولتجميع الثروة، ثم جاء أجله، ماذا قدم لله عز وجل ؟ عالج مريضاً، وأخذ منه أجراً يفوق توقعات المريض، ما قدم شيئاً، إنه يمارس حرفة، أما حينما تقدم خبراتك التي حصلتها في بلد بعيد، إلى أطباء لم يتح لهم السفر إلى هناك، وانعكست هذه الخبرة على مرضاهم، تكون قد فعلت شيئاً عظيماً.

أيها الإخوة الكرام، الآن أنا أرى أن الكلمة انتهى وقتها، الناس شبعوا كلاماً، يكاد الإسلام يصبح ظاهرة صوتية، نريد العمل، نحن في وضع حرج جداً، نحن في وضع صعب جداً، لا ينجينا إلا أن نصطلح مع الله أولاً، وأن نعقد التوبة النصوح معه، وأن نتعاون كي نبني أمتنا بناء صحيحاً.

فلذلك أحياناً أطباء كثر، ولاسيما أطباء الأسنان، يضعون أشرطة في عياداتهم، الذين يحضرون عندهم يتأثرون بهذه الأشرطة، وقد يستعيرونها، وأنت تمارس الطب، يمكن أن تدعو إلى الله عز وجل بطريقة أو بأخرى.

الدعوة بإهداء الشريط والكتاب:

أيها الإخوة، هؤلاء الباعة الذين يبيعون، ويشترون، بعضهم في بلاد الغرب يأتيهم داعية بعدد من الأشرطة، يقول له: أعط كل من يشتري عندك بعض الحاجات من الجالية الإسلامية أو العربية شريطاً من هذه الأشرطة، لذلك خير كثير شاع، أنا حينما أسافر أيها الإخوة أرى مشاريع يقوم بها بعض الجاليات الإسلامية رائعة جداً، وفريدة من نوعها، و فيها ابتكار، طريقة من طرق الدعوة إلى الله عز وجل.

أثمن شيء في الصيف هذا الوقت الفارغ الذي يملكه الطالب، أو طالب العلم الشرعي، أو حتى المدرّس أحياناً. حدثني أخ كان في بلد أوربي يمشي وراء سيارة مكتوب على النافذة الخلفية: إن أردت أن تعرف عن الإسلام شيئاً فاستوقفني، فاستوقفه، أشار له فوقف، المفاجأة أن صاحب السيارة لا يتقن أية لغة أجنبية، بل لا يتقن اللغة العربية، فتح الصندوق، فإذا صناديق على شكل مربعات، كل لغة لها مربع فيه أشرطة وكتب، فأنت ما لغتك مثلاً ؟ الإنكليزية ؟ يعطيه كتابًا وشريطًا.

واللهِ يوجد أخ من إخواننا اشترى مئة شريط، ووزعها على أقربائه، لكن بحكمة بالغة، وبتسلسل، وبتسجيل، إعارة مرتبة، والله بعد حين عدد كبير من أقربائه التزموا بالمسجد.

فممكن للإنسان ألاّ يكون متعلماً، ليس عنده إمكان أن يتكلم كلمة، ممكن أن يكون داعية، فيا أيها الإخوة الكرام، أنا أعرض عليكم نماذج متفرقة لمختلف الشرائح.

في بعض البلاد الإسلامية يوزعون كتيبات صغيرة في الأدعية، في بعض المحظورات، في بعض البدع، في بعض الانحرافات مثلاً، هذه لها أثرها الكبير أيضاً.

الإعلانات التجارية والدعوية:

أيها الإخوة الكرام، بعض التجار، بعض أصحاب الفعاليات، يضعون إعلانات عن مكافحة التدخين لوجه الله، كل الإعلانات لصالح مصانعهم، لكن هناك إعلانات تحذر من التدخين، وأخرى تحذر من السرعة الزائدة فرضاً، فالتاجر أحياناً قد يرفق بسلعته إعلاناً اجتماعياً، أو إعلاناً يعزز القيم الدينية في نفس الإنسان.

فيا أيها الإخوة الكرام، التاجر له دور..

((التَّاجِرُ الأمينُ الصَّدُوقُ: مع النَّبِيّينَ والصِّدِّيقين والشُّهداء))

حديث حسن، أخرجه الترمذي

إن أطيب الكسب كسب التجار، الذين إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإذا ائتمنوا لم يخونوا، وإذا اشتروا لم يذموا، وإذا كان لهم لم يعسروا، وإذا كان عليهم لم يمطلوا، فما من حرفة تستعصي على أن توظفها في الدعوة إلى الله عز وجل.

دور التجار في الدعوة إلى الله:

لو أن تاجراً أو صاحب معمل تكفل بطالب علم، أعفاه من بعد الظهر مثلاً، جعل له نصف دوام، وهذا الطالب دوامه بعد الظهر في معاهده، وقبل الظهر يقوم بخدمة هذا المعمل مقابل مبلغ يعينه على متابعة الدراسة، هذا عمل عظيم، لو أن أي تاجر أحب أن يرعى طالب علم من بلاد الشمال، من بلاد المسلمين المتخلفة، رعى طالباً، كلفه بنصف دوام، وأعطاه راتب دوام بكامله، فهذا عمل عظيم أيضاً.

أنت حينما تبحث عن عمل يرضي الله ترى أمامك آلاف الأعمال، أنت حينما تفكر في عمل تتقرب به إلى الله ترى أن أبواب الأعمال الصالحة لا تعدّ ولا تحصى.



أيها الإخوة الكرام، لازلنا في شريحة التجار..

هؤلاء الموظفون الذين هم عندك، هل تفكر في دينهم، في تقواهم، في عباداتهم:

في بعض المعامل يتوقف العمال عن العمل، ويصلون الصلوات الخمس.

بعض المعامل أنشأ مسجداً في المعمل.

بعض المعامل وزع بعض الكتب.

أحد الإخوة الكرام عنده معملاً ضخماً، فكان يوزع كل سنة تقويمًا، قال لي: " بقيت ثلاثين سنة أوزع تقويمات " هذه المرة وزع كتاباً، كلف عشرين أو ثلاثين داعية في الشام أن يكتب كل داعية موضوعًا، فصار كتاباً وزعه مقابل التقويم، أنا أقدم لكم بعض النماذج..

فكر بعمل يرضي الله، فكر بشيء يرقى بالأمة، فكر بطريقة لتنشر هذا الحق بين شرائح المجتمع عامة، لذلك الذي عنده عمال أو موظفون، هؤلاء في أمانته، طبعاً ليس في أمانته فقط أنهم يؤدون أعمالهم، ويتقاضون رواتبهم، في أمانته دينهم أيضاً، لو أنه حضهم على الصلاة، لو أنه سمح لهم أن يصلوا في أثناء الدوام، لو أنه أهداهم بعض الكتب، لو أنه أكرمهم من حين إلى آخر، لو أنه دعا لهم بعض العلماء ذكروهم بدينهم، فكر بهذه الطريقة، عادةً لا نفكر إلا في الربح، إلا في ترويج البضاعة، إلا في رفع الدخل، إلا في التنمية، حتى صارت التنمية إلهاً يعبد من دون الله..

فكر في دين هؤلاء، عندك عشرة عمال، عندك عشرون عاملاً، لو دعوتهم إلى غداء كل شهر مرة، وأتيت بعالم، أو طالب علم جليل، ألقى عليهم موعظة هذا عمل أيضاً جليل.

والله أعرف أخاً . جزاه الله خيراً . عنده خادمة من بلاد إندونيسيا، رآها متفتحة جداً لطلب العلم، فرغها لطلب العلم، واستخدم أختها، كأنه صنع داعية.

يجب أن يتفتق ذهنك عن أعمال صالحة.

دور أئمة المساجد والدعاة:

أيها الإخوة الكرام، لو أخذنا شرائح الدعاة إلى الله، أئمة المساجد، خطباء المساجد، معاهد تحفيظ القرآن الكريم.. دخلت إلى مسجد في مركز المدينة، رأيت جريدة حائطية رائعة جداً، إمام المسجد على إتقان بالغ للكومبيوتر، وجاء بموضوعات بأبهى إخراج، بأبهى خط، وضعها على الجدار، وهو يجددها كل أسبوع تقريباً، صار هناك مجلة حائطية، ممكن إيجاد قسم للفتاوى، ممكن أن تعير الأشرطة في المسجد، يمكن أن تهيئ مكتبة يطالعها طلاب العلم، يمكن أن تعرض بعض الأفلام العلمية التي تهز أعمق المشاعر، وتهز أعمق الفكر من خلال عروض هادفة، يجب أن نفكر في استخدام الوسائل المعاصرة في نشر هذا الحق.

صبر بعض الحريصين على تعليم أولادهم:

أيها الإخوة الكرام، والله من القصص التي تأثرت بها أن أحد الإخوة الكرام يأتي ببناته من المخيم إلى هذا المسجد الساعة العاشرة، ويرجعهم الساعة الثانية عشرة، ثم يأتي بأولاده من المخيم الساعة الرابعة، ويرجعهم الساعة السادسة، طوال الصيف، كم هو ثمين عنده أن يكون أبناؤه مؤمنين، والله تأتي أمٌّ أحياناً تنتظر ابنها ثلاث ساعات، تقف في الطريق حتى ينتهي الدوام، بيتها بعيد جداً، أنت حينما تفكر بابنك أن تخضعه لدورة، لمعهد، لشيء يعود عليه بالخير في مستقبله فأنت أب مثالي، أم مثالية.

دعوة النساء في الأعراس:

أعراسنا مثلاً هي غناء، و قد يكون غناءاً ماجناً، وفيها رقص، وفيها كل شيء، لو أن الشابات اللواتي درسن العلم الشرعي أتقن إلقاء الكلمات، لو أن كل عرس فيه تقريباً إلقاء كلمة، هذا شيء رائع جداً، الإنسان في شرود، في ضياع، في غفلة عن الله عز وجل، تجد الأعراس فيها تصوير، فيها تفلت، فيها تعرٍّ، فيها غناء، فيها رقص، وكلهن من بيوتات مسلمة، ماذا لو كانت أعراسنا وفق الشريعة الإسلامية ؟ هل يتناقض الفرح مع الطاعة ؟ لا يتناقض، في كل مئة عرس، قد تجد عرساً واحداً تلقى فيه كلمة، وبدل الغناء يوجد مديح لسيد الأنبياء والمرسلين، ﷺ.

فكرة حفظ النعمة:


تدوير الدواء المستعمل والطعام وإعطاءه للمحتاج عمل عظيم

بعض الإخوة في هذه البلدة أسس صندوق حفظ النعمة، نجد وليمة كلفتها آلاف مؤلفة، والطعام الذي بقي يطعم آلاف الأشخاص، فيأخذ هؤلاء الطعام ويعيدون تأهيله، ويضيفون له اللحم، ويضعونه في علب لخمسة أشخاص، أو لشخصين، أو لشخص، هذا عمل عظيم.

الآن أحدثوا الدواء المستعمل، أنا أرسل إليهم الدواء المستعمل، لم ينته مفعوله، وأي إنسان معه وصفه نرسله إلى هناك يعطونه الدواء، لا يوجد بيت خال من دواء مستعمل، أخذت منه حبتان، وهو صالح لسنة قادمة، لو هذا الدواء جئنا به، وانتفع به فقير لئلا ينتهي مفعوله فنلقيه في المهملات، لا يوجد منزل خال من أثاث مستعمل، هو عبء على أصحاب البيت، طلاب علم كثيرون ليس عندهم شيء في البيت، هذا مشروع مثلاً، الألبسة المستعملة هذا أيضاً مشروع، نأخذ من هؤلاء، ونعطي هؤلاء.

دعوة شرائح معينة من الناس:

أيها الإخوة الكرام، حدثني أحد رجال الدين في بلد آخر، أنه يجمع التجار في جلسة، الأطباء في جلسة، المحامين في جلسة، يجمع المرضى بأمراض مزمنة في جلسة، كل شريحة لها كلام يناسبها، ودعوة تناسبها، الإنسان حينما يفكر بالتقرب إلى الله عز وجل يجد آلاف الطرق إلى مرضاته.

دور الأم في توجيه الأولاد:

أيها الإخوة الكرام، والمرأة لها دور كبير، المرأة أعلى شهادة تملكها هي تربية أولادها، فحينما تحرص على دينهم، وعلى صلواتهم، وعلى تحصيلهم العلم الشرعي، تحرص على أن تنمو خبراتهم وقدراتهم بدورات خاصة، تقدم عملاً عظيماً.

فيا أيها الإخوة الكرام، أردت من هذه الخطبة، ونحن في مطلع العطلة الصيفية أن يفكر الأب والأم والأخ الكبير والشاب كيف يمضي هذا الوقت في نفع أولاده، وفي نفع بناته.

أحياناً يكون عند الشاب بوادر خط جميل جداً، نخضعه لدورة خط، عنده بوادر أدبية، نعطيه كتبًا أدبية تنمو به ثقافته الأدبية، عنده بوادر لعمل ميكانيكي، نخضعه لدورة في علم الميكانيك، فكر، المشكلة أنه إن لم تخطط، يُخطط لك، إن لم تخطط يُخطط لك عدوك، وعندئذ تغدو رقماً لا معنى له في خطط العدو، أما إن خططت أنت لمستقبل أولادك، فلعل الله عز وجل يرحمنا بهم، ولم يبق في أيدي المسلمين من ورقة رابحة إلا أولادنا.

أفكار فريدة للانتفاع بالعطلة:

إخواننا الكرام، من التجارب التي استفدت منها، أنني دعيت إلى تركيا لملتقى، ما الملتقى ؟ تقريباً مئة أسرة يحجزون فندق في مكان ناء بعيد عن الاختلاط والازدحام، وكل إنسان له غرفتان، غرفة له ولزوجته، وغرفة لأولاده، يستدعون علماء من بلاد متعددة، هناك برنامج دعوي كثيف جداًً، محاضرتان صباحاً، ومحاضرة مساءً، وجلسة سمر، فهم يتنزهون، ويمرحون، ويتعلمون، ويخففون الضغط عن أولادهم، وعن نسائهم، فأصبح هناك طريقة حديثة ممكن أن تتعلم وترفه عن نفسك، وطبعاً ممكن أن تكون التكاليف بسيطة جداً، العمل الجماعي تكلفته بسيطة.


الرحلات تمتن العلاقات وهي من النشاطات الحميدة

الذي يقوم بنزهة، لو جعل هذه النزهة مناسبة للدعوة إلى الله عز وجل، لو اتفقت بعض الأسر، وطلبوا من طالب علم متواضع، أو له باع طويل في الدعوة أن يرافقهم، وخططوا لمحاضرة، نكون قد جمعنا بين النزهة والتعلم واكتساب العلم.

الرحلات أيها الإخوة الكرام لها أثر كبير جداً، الرحلات تمتن العلاقات، والإنسان بالرحلة قد يتعلم مهارات، قد يتعلم الإسلام العملي، كيف نصلي، كيف نذكر، كيف نتعامل مع بعضنا، كيف يحترم بعضنا بعضاً، كيف نتناوب بالخدمات.

يوجد نشاط يمكن أن يكون دراسات، لي صديق في بلاد الغرب بأمريكا، أجرى دراسة كلفته وقتًا طويلاً، أخذ نسب الأعمال الإرهابية من المسلمين، النتيجة الدقيقة العلمية التي اعتمدتها الجامعة، هي ثلاثة بالمئة فقط، يقيمون الدنيا ولا يقعدونها، كلما وقع عمل إرهابي نحن مسببوه.

التقرب إلى الشباب الضائعين:

أيها الإخوة الكرام، شيء آخر، هذا الشارد الذي لا يصلي، المتفلت، الذي يرتدي ثياباً فاضحة، ثياباً غير منضبطة، لا تستغن عنه كلياً، هو يحتاج إلى من يستوعبه.

سيدنا أبو حنيفة النعمان، كان له جار مغنٍّ أقلقه طوال حياته، له أغنية مشهورة:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا.

في أحد الأيام لم يسمع صوته، فغلب على ظنه أنه مسجون، فذهب إلى صاحب السجن، وتوسط له، وأخرجه، أركبه خلفه على دابته، وقال: يا فتى، هل أضعناك ؟ يقول هذا الفتى: والله منذ أن أخرجني أبو حنيفة من السجن عاهدت الله على التوبة.

هؤلاء الشباب الشاردون، لو أن من حولهم لهم صدر واسع، وقلب كبير، ورؤية بعيدة، لوجدوا من يستوعبهم، هم يعلمون أنهم ساقطون، يعلمون أنهم منحرفون، ولكن المجتمع نبذهم، وأهانهم، وابتعد عنهم، لو وجدوا من يرعاهم، من يقبلهم، من ينصحهم، لعل الله عز وجل يخرجهم من هذا الوضع.

سيدنا عمر له صديق أغرق في شرب الخمر، أرسل له كتاباً، أما بعد ؛ أحمد الله إليك، غافر الذنب، قابل التوب، شديد العقاب، ذا الطول، أنا أروي المعنى، فبكى، وبكى، و بكى، حتى تاب بهذا الكتاب، فلما بلغته النتيجة، قال: هكذا اصنعوا مع أخيكم إذا ضلّ، كونوا عوناً له على الشيطان، ولا تكونوا عوناً للشيطان عليه.

الانتفاع من الوسائل البسيطة:

فيا أيها الإخوة الكرام، الآن يوجد شيء لطيف، تأتيك رسائل إلكترونية رائعة جداً فيها مواعظ، فيها حكايات، فيها أبحاث علمية، الذي يتقن الكومبيوتر يمكن أن يرسل مئات الرسائل، آلاف الرسائل، فيها موعظة لطيفة، لقطة جميلة، حكاية رائعة، أيضاً هذا ممكن أن يكون في الصيف.

من أغرب ما سمعت، أن امرأة أصيبت بورم خبيث في دماغها، وعاهدت ربها أنها إذا شفاها سوف تعمل أعمالاً صالحة ضمن إمكاناتها، لا تتقن إلا الطبخ، فقيرة جداً، بدأت تعلن لمن حولها أنها تطبخ طعاماً من أعلى مستوى، تشتري المواد الأولية، وتصنع طعاماً، وتبيعه بسعر معقول، والفرق تعالج به المرضى، ماذا تملك هذه المرأة ؟ الطبخ فقط، فن الطبخ، وظفته لعمل ينفعها في الآخرة.

لا يوجد إنسان في الأرض ليس له ميزة، ما عنده خبرة، ما عنده شيء، فلو أن كل إنسان وظف إمكاناته واختصاصه في الخير ،لعل الله عز وجل يجعله في أعلى عليين يوم القيامة.

يمكن أن تمضي أيها الشاب الصيف في المطالعة، في مكتبات عامة منضبطة، أنت وبعض إخوانك بدوام رسمي، تحصل علماً معيناً.

وأخيراً..

أيها الإخوة الكرام، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.

* * *

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لندع الكلام ولنبدأ العمل:

أيها الإخوة الكرام، الذي حصل بعد الممارسات الإجرامية التي يفعلها الأعداء، ويطرحون مثاليات كلامية، فيأتون إلى بلاد مسلمة من أجل الحرية والديمقراطية، ويقتلون، ويخربون، ويمثلون، ما الذي يحصل ؟ النتيجة أن الإنسان كفر بالكلمة، فالآن الكلمة ضعُف تأثيرها كثيراً، فمن أجل أن نحيي الكلمة، أن نقوي الكلمة، يجب أن ندعمها بالعمل، فليجعل كل واحد منا شعاره العمل، إن جلسنا مع بعضنا ينبغي ألا نتنافس في أفكارنا، في مشاعرنا، في دقائق فهمنا، لا، ينبغي أن نتنافس في أعمالنا.



أنت ماذا فعلت في هذا اليوم ؟ هل قدمت خدمة ؟ هل طورت شيئاً ؟ هل حسنت شيئاً ؟ هل خففت الهمّ عن إنسان ؟ هل نفستَ عن مؤمن كربة ؟ هل أديت واجباً ؟ هل أعنت فقيراً ؟ هل عالجت مريضاً؟.

الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق، فلو تعاهدنا أن نلغي التنافس الكلامي، نلغي التنافس في الفهم، وفي العمق، وفي التفكير، وأن نتنافس في العمل، سلكنا الطريق الصحيح، لأن أمتنا في هذه الأيام في أمسّ الحاجة إلى العمل، قل لي ماذا تعمل أقل لك من أنت ؟ وأقول لكم مرة ثانية: لا يوجد إنسان على وجه الأرض إلا وخصه الله بميزة، لو أن هذه الميزة وظفها في الحق لكان أحسن.

امرأة لا تنجب، وهي على شفا الطلاق، نقلت مشكلتها إلى طبيب، فتبرع أن يجري لها عملية طفل أنبوب، أكبرته كثيراً، خفف عندها آلام نفسية كبيرة جداً، على مشارف الطلاق، ولا تملك ثمن العملية الكبيرة، فهذا الطبيب جزاه الله خيراً تبرع بإجراء العملية مجاناً.

يوجد أعمال كثيرة جداً في الحياة، بل في هذه الظروف الصعبة الأعمال الصالحة مليون ضعف عن الظروف التي فيها رخاء.

الأعمال الصالحة الآن عددها وتنوعها كبير جداً، فإذا آتى الله شخصًا شيئًا من العلم، شيئًا من المال، شيئًا من المكانة، شيئًا من المكانة الأدبية، واستغلها في عمل صالح يكون قد حصل مكانة عند الله عالية.

الدعاء..

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق، ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، ولك الحمد على ما قضيت، نستغفرك ونتوب إليك.

اللهم اهدنا لصالح الأعمال، لا يهدي لصالحها إلا أنت، اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت. اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر ، مولانا رب العالمين.

اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك، وصلى اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الفصل العاشر : الشباب و حقوق الآباء

الدرس (3-1) : حكم بر الوالدين

الدرس (3-2) : حدود و آثار بر الوالدين

الدرس (3 - 3) : العلاقة المثلى بين الشباب و أهلهم

الفصل العاشر : الشباب و حقوق الآباء

الدرس (1-3) : حكم بر الوالدين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الدرس:

الحمد لله رب العلمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الصادق الوعد الأمين اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة المؤمنون... لا زلنا في الحديث النبوي الشريف، ولا زلنا في موضوع الحقوق والواجبات، وقد مضى درسان أو أكثر في الحديث عن حقوق الزوج على زوجته، وحقوق الزوجة على زوجها، واليوم ننتقل إلى حقوق الآباء على الأبناء، ومن ثَمَّ . إن شاء الله تعالى . نتحدث عن حقوق الأبناء على الآباء.

مفهوم العدل والإحسان:

الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾

(سورة النحل: آية 90)

العدل قسري، والإحسان طوعي:

أي أن أداء الحقوق لا بدَّ من أن تفعله، أيها المؤمن، أما أن تحسن، فهذا بحسب رغبتك وإمكاناتك وطموحك في القرب من الله عزَّ وجل، فالحديث في الحقوق والواجبات لا يتعلّق بما هو طوعي، بل يتعلق بما هو قسري، إلا أن المؤمن مأمور بالإحسان كما هو مأمور بالعدل. أضرب على هذا مثلاً للتوضيح:


إن الله يأمر بالعدل

لو أنك بعت بضاعةً وكان البيع وفق الشرع تماماً، وتمَّ الإيجاب والقبول، وعُلِم الثمن، وعُلِمت حالة البضاعة، وقبضتَ الثمن، وسلَّمتَ البضاعة، وكان الرضا، وكان الشهود.. هذا بيعٌ شرعي، بيعٌ ملزم، فلو أن أحد الطرفين امتنع عن دفع بقية الثمن، ورفع الآخر أمره إلى القاضي، فالقاضي يلزم الممتنع.. هذا هو العدل.

لكن هذا الشاري إذا جاءك، ورجاك أن تلغي له هذه الصفقة، وبين لك العذر، وأنت تستطيع أن تفعل هذا من دون أن تصاب بالضرر، وفعلت هذا، فهذا من قبيل الإحسان.

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾

(سورة النحل: آية 90)

لذلك: فالقضايا فيما بين الناس، إن لم تحلَّ وفق قواعد العدل ؛ حلَّت وفق قواعد الإحسان، ولا سيما بين الزوجين، بين الجارين، بين الأخوين، بين الشريكين، إما أن تُحَكِّم قواعد العدل، وأنعم بها من قواعد، وإما أن تحكِّم قواعد الإحسان، وهي تتسع لما ضاقت عنه قواعد العدل، فهذه الآية لو طبقها الناس لأغلق قصر العدل أبوابه:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾

(سورة النحل: آية 90)

إذاً:إذا ضاق العدل اتسع الإحسان، والعدل قسري، والإحسان طوعي.

العدل وأداء الحقوق:

درس اليوم والدروس التي سبقته، والدروس التي تلحقه إن شاء الله تعالى، كلها متعلّقةٌ بالعدل وأداء الحقوق، ولا بدَّ من أداء الحقوق، والنبي عليه الصلاة والسلام في الحديث المروي عن عمرو بن خارجة قال: خطب رسولُ الله ﷺ فقال:

((إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، أَلا لا وصية لوارث))

حديث حسن، أخرجه الترمذي والنسائي

ولن يكون الطريق إلى الله سالكاً إلا إذا أعطيت كلَّ ذي حقٍ حقه، لن تشعر أن الله راضٍ عنك إلا إذا أعطيت كلَّ ذي حقٍ حقه، فالزوجة لها حق، والأم لها حق، والأخ له حق، والأخت لها حق، والابن له حق، والبنت لها حق، والجار له حق، وكلُّ من يتصل بك له حق، وإن الله ليسأل العبد عن صحبة ساعة.

حقوق الآباء على الأبناء:

أيها الإخوة الكرام... الدرس في الحديث الشريف، ولكن الموضوع متعلّقٌ بحقوق الآباء على الأبناء، ومادام في القرآن آيةٌ كريمةٌ تتعلَّق بحقوق الآباء على الأبناء، فلا بدَّ من أن تقدم هذه الآية الكريمة، وهي قوله تعالى:

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾

(سورة الإسراء: آية23)

معاني كلمة (قضى) في القرآن الكريم:

ما معنى " قضى " ؟

كلمة " قضى " تنقلنا إلى موضوع دقيق، وهو أن الكلمة . في القرآن الكريم . قد ترد بمعاني كثيرة، والسياق وحده يحددها، فمثلاً:

قال تعالى:

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾

(سورة الإسراء: آية23)

أي: (أمَرَ)، كلمة قضى في هذه الآية تعني أنه أمرَ، أي أن الله سبحانه وتعالى أمرَ المؤمن.. أمر الإنسان ألا يعبد إلا الله وبالوالدين إحساناً.

آيةٌ ثانية:

﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾

(سورة فصلت: آية 12)

معنى قضاهن، أي: (خلقهن).

قال تعالى:

﴿ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾

(آية 72 سورة طه)

حينما خاطب السحرة فرعون، أي بمعنى: (احكم بأي حكم).

﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾

(سورة يوسف، آية 41)

أي: (فرغنا منه).

﴿ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾

(آية 35 سورة مريم)

هنا بمعنى: (أراد).

﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾

(آية 44 سورة القصص)

يعني: (إذ عهدنا) .

كلمة (قضى) تأتي مرةً بمعنى أمر، ومرة بمعنى خَلَق، ومرة بمعنى حكم، ومرة بمعنى فرغ، ومرة بمعنى أراد، ومرة بمعنى عَهِدَ..

إذاً: من السذاجة أن تظن أن الكلمة القرآنية لها معنىً واحد، فحيث ما جاءت أخذتْ هذا المعنى الواحد، فالقرآن واسع البيان، وسياق كل آية هو الذي يحدد معناها.

عطف الشيء على الشيء في القرآن الكريم:

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾

(سورة الإسراء: آية23)

في الآية دقة بالغة، أنا ماذا أقول حينما أعطف شيئاً على شيء ؟ أقول: اشتريت أرضاً وبيتاً، اشتريت مركبةً فخمةً ومركباً في البحر، اشتريت كتاباً ثميناً ومجلداً، لكن ليس من طبيعة العرب أن يعطفوا شيئين متفاوتين، هل يعقل أن تقول: اشتريت أرضاً وملعقةً ؟ هذا غير مألوف، اشتريت بيتاً فخماً ودفعت ثمنه مبلغاً طائلاً واشتريت معه سكيناً، لا يوجد تناسب.. فلمجرد أن الله سبحانه وتعالى عطف الإحسان للوالدين على عبادة الله عزَّ وجل، فالإحسان للوالدين شيءٌ عظيمٌ عظيمٌ عظيم، قَرَنَه الله عزَّ وجل بعبادته:

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانا ﴾

(سورة الإسراء: آية23)

آيةٌ ثانية، الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾

(آية 5 سورة محمد)

صلاح البال، راحة البال، الطُمأنينة، الرضا، الاستسلام لله عزَّ وجل..

بيتٌ ليس فيه مشكلات، ليس فيه منغِّصات، فيه سلم، فيه مودة، فيه محبة، صلاح البال رفعه الله إلى مستوى الهدى:

﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾

(آية 5 سورة محمد)

العطف يقتضي التناسب، لمجرد أن الله سبحانه وتعالى، عطف الإحسان إلى الوالدين، على عبادة الله عزَّ وجل، معنى ذلك أن الإحسان إلى الوالدين شيءٌ عظيمٌ عظيمٌ عظيم، يرتقي إلى مستوى عبادة الله عزَّ وجل.

شيءٌ آخر:

في حقوق الآباء على الأبناء، في آيةٍ ثانية، الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾

(آية 14 سورة لقمان)

دائماً الأحكام تحتاج إلى ثبات، والثبات أساسه التكرار، لو أن الله سبحانه وتعالى في آيةٍ واحدة قرن الإحسان إلى الوالدين بعبادة الله عزَّ وجل، هذه آيةٌ، لكن لا نعلم ما إذا كانت قاعدة، فحينما تأتي آيةٌ ثانية تَقْرِن ضرورة شكر الله عزَّ وجل بضرورة شكر الوالدين إذاً يستنبط من تكرار هذا المعنى أن هناك قاعدةً ثابتة ألا وهي أن برَّ الوالدين شيءٌ يرقى إلى مستوى عبادة الله عزَّ وجل:

﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾

(آية 14 سورة لقمان)

وفي صحيح البخاري:

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: سألتُ رسولَ الله ﷺ:

أيُّ العملِ أحبُّ إلى الله تعالى ؟ قال:

((الصلاة لميقاتها، قلتُ: ثم أيُّ ؟ قال: بِرُّ الوالدين، قلتُ: ثم أيُّ ؟ قال: الجهاد في سبيل الله))

من حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي

فأحب الأعمال إلى الله: الصَّلاة على وقتها، وبِر الوَالدين، والجهَاد في سَبيل اللَّه

بعض معاني برّ الوالدين:

من معاني بر الوالدين:

1 . عدم التسبب في سبّهما:

ألا يتعرض الإنسان لسبِّهما إطلاقاً.

ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال:

((إن من الكبائر: شتْمَ الرَّجُل والديه، قال: وهل يشتِمِ الرجل والديه ؟ قال: نعم يَسُبُّ الرجلُ أبا الرَّجُل وأمه، فيسبُ أباه وأمه))

حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي

الكبائر التي نهى عنها القرآن الكريم:

الكبائر مهلكة تستحق دخول النار، فهذه الكلمات التي يعتادها السوقة من الناس في سبِّ الوالد، إذا اعتادها الإنسان ألحق بأبيه سباباً لا يعدُّ ولا يحصى، وهذا من الكبائر كما قال عليه الصلاة والسلام.

في هذه المناسبة، أحد العلماء واسمه " أبو طالب المكي " رحمه الله تعالى، أحصى الكبائر التي وردت في كتاب الله فقال:

" أربعةٌ في القلب: الشرك بالله تعالى، والإصرار على معصية الله تعالى، والقنوط من رحمة الله تعالى، والأمن من مكر الله تعالى.

وأربعةٌ في اللسان: شهادة الزور، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، واليمين الغموس، والسحر.

وثلاثةٌ في البطن: شرب الخمر، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا.

واثنتان في اليدين: وهما القتل والسرقة.

واثنتان في الفرج: وهما الزنا واللواط.

وواحدةٌ في الرجل: وهي الفرار من الزحف.

وواحدةٌ في جميع البدن: وهي عقوق الوالدين ".

أربعةٌ في القلب، وأربعةٌ في اللسان، وثلاثةٌ في البطن، واثنتان في اليدين، واثنتان في الفرج، وواحدةٌ في الرجل، وواحدةٌ في جميع البدن.

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: كُنَّا عند رسول الله ﷺ، فقال

((ألا أُنبِّئكم بأكبر الكبائر – ثلاثاً – قلنا: بلى يا رسولَ الله، قال: الإشراكُ بالله، وعقوقُ الوالدين، ألا وشهادةُ الزور، وقولُ الزور – وكان متَّكئاً فجلس – فما زال يكرّرُها حتى قلنا: ليته سكتَ))

حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم والترمذي

" الإشراك بالله " كلمة مطلقة، والمطلق على إطلاقه، أي يشمل الشرك الخفي، والشرك الجلي، أن تقول: زيد وعبيد وفلان أزعجني، وفلان أعطاني، وفلان حرمني، وفلان وعلان، وفلان وفلان، هذا كلّه شرك.

قال تعالى:

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾

(آية 213 سورة الشعراء)

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أنَّ النبيَّ ﷺ قال:

((الكبائرُ: الإشراكُ بالله، وعُقوقُ الوالدين، وقتْلُ النفس، واليمينُ الغموسُ))

حديث صحيح، أخرجه البخاري والترمذي والنسائي

((إن أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة، الإشراك بالله، وقتل النفس المؤمنة بغير الحق، والفرار في سبيل الله يوم الزحف، وعقوق الوالدين، ورمي المحصنة، وتعلم السحر وأكل الربا، وأكل مال اليتيم))

من حديث صحيح لغيره،أخرجه النسائي ومالك والدرامي والطبراني وابن حبان وعبد الرزاق والحاكم وابن خزيمة، عن عمرو بن حزم رضي الله عنه.

عقوق الوالدين من الكبائر:

هذه الأحاديث كلها مفادها أن "عقوق الوالدين من الكبائر".


إهمال الوالدين من الكبائر

كيف أن الله سبحانه وتعالى أمرك بالإحسان إليهما، وقرن الإحسان إلى عبادته، وكيف أن الله سبحانه وتعالى أمرك أن تشكرهما وقرن شكرهما إلى شكره، كذلك عقوق الوالدين جعله الله في مستوى الشرك، الإشراك بالله وعقوق الوالدين صنوان.

ولا بدّ من اجتناب الكبائر.

والآية التي تعرفونها جميعاً هي قوله تعالى:

﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً ﴾

(سورة النساء، آية 31)

تحريم عقوق الأمهات على وجه الخصوص:


خصوصية بر الام

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

((إنَّ الله حرّم عليكم عقوق الأمّهات، ووأد البنات، ومَنْعاً وهاتَ. وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإِضاعة المال))

من حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود

حديثٌ لطيف، خصَّ الأمهات لعظم فضلهن على الأبناء، ومعنى " منعاً وهات " منع أداء الحقوق، وأخذ المال بالباطل، و " قيل وقال " الكلام الذي لا طائل منه، و " كثرة السؤال " في المسائل التي لا حاجة لك بها.

((طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس))

من حديث رواه البزار عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وفي سنده ضعفاء

و " إضاعة المال " إنفاقه إسرافاً وتبذيراً.

بعض الأحاديث الزاجرة عن عقوق الوالدين:

عن ابن عمر، رضي الله عنهما عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال:

((ثلاثةٌ لا ينظر الله إليهم يوم القيامة..

أي أكبر عقوبةٍ يعاقب بها الإنسان يوم القيامة أن يحرم من النظر إلى وجه الله الكريم، والدليل قوله تعالى:

﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾

(آية 15 سورة المطففين)

((ثلاثةٌ لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، ومدمن الخمر، والمنَّان عطاءه، وثلاثةٌ لا يدخلون الجنة، العاقُ لوالديه، والديّوث، والرجلة))

حديث أخرجه البزار في مسنده، ورجاله ثقات

و " الرجلة " هي المرأة المسترجلة التي تتشبه بالرجال، أي الفاجرة.

الأحاديث المتعلقة بعقوق الوالدين لا تعدُّ ولا تحصى.

((أربعة حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها: مدمن الخمر، وآكل الربا وآكل مال اليتيم بغير حق، والعاق لوالديه))

حديث صحيح الإسناد، أخرجه ابن حبان والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

يقال للعاق: اعمل ما شئت فلن يغفر لك.

((ثلاثة لا ينفع معهن عمل: الشرك بالله، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف))

حديث رواه الطبراني عن ثوبان رضي الله عنه، و في سنده رجل ضعيف

وورد أيضاً:

((ثلاثةٌ لا يقبل الله منهم صرفاً ولا عدلاً: عاقٌ، ومنانٌ، ومكذبٌ بالقدر))

حديث رواه الطبراني بإسنادين، في أحدهما رجل متروك وفي الآخر رجل ضعيف

هذا كله متعلقٌ بعقوق الوالدين لعظم حقهما على الإنسان:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾

(سورة الإسراء: آية23)

الآن نتابع بعض التفصيلات المتعلقة ببر الوالدين:

2 . عدم مخالفة الوالدين في المباحات:

من عقوق الوالدين أن تخالف الأبوين في أغراضهما الجائزة لهما، كما أن من برهما أن توافقهما في أغراضهما ؛ فإذا أمرك الأب أمراً لا يتعلق بمعصية الله عزَّ وجل وجب عليك أن تنفذه، إلا إذا كان معصية، للقاعدة الشهيرة:

((لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق))

من حديث أخرجه الطبراني في الأوسط

عض قواعد برّ الوالدين التي نصَّ عليها العلماء:

بعض العلماء قالوا:

" إذا أمر الوالد بالمباح صار في حق الولد مندوباً "

أي ينتقل أمر الأب إلى ابنه في المباح إلى مستوى المندوب، إذا أمرك بشيءٍ مباح أصبح في حقك مندوباً، " إذا أمر الوالد بالمندوب، أصبح في حق الولد تأكيداً في ندبيته "،

" الأبوان لا يأثمان إذا منعا ابنهما من الحج "

إذا كانا في مرضٍ عضال وفي حاجةٍ ماسةٍ إليه، ومنعاه من الحج على أن يحج في العام القادم لا يأثمان، لأن بعض العلماء يرى أن الحج على التراخي لا على الفور، وبعضهم يرى الحج على الفور، إذا كان هناك مرضٌ عضال وحاجةٍ ماسة وهناك احتمالٌ كبير أن يموتا في غيبة ابنهما، فالأولى أن يبقى معهما ولا يأثمان إذا منعاه من الحج.

" لا يحل للابن أن يسافر سفراً فيه خطر إلا بإذنهما "

لا يحق للابن أن يسافر سفراً فيه خطر إلا بإذنهما، هذا ما ورد في شرح بعض الأحاديث، وما لا خطر فيه، فيحل للابن أن يسافره من دون إذنهما، من هذا السفر الذي لا خطر فيه، السفر في طلب العلم.

" لا يجوز للمصلي إذا دعته أمه أو غيرها أن يقطع صلاته "

لقوله ﷺ:

((لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق))

سبق تخريجه

تصلّي في غرفة وأمك تناديك أو أبوك في غرفة ثانية، بعض العلماء يقول: " لا يجوز للمصلي أن يقطع صلاته إجابةً لنداء أمه "، لأن حق الله عزَّ وجل آكد من حقوق الأبوين، لكن العلماء يستحبون أن يخفف من صلاته فيقرأ سورة الإخلاص، مادام أحد أبويه يناديه أن يقرأ سورة قصيرة، أما إذا شرع في سورةٍ طويلة وتابعها فهو الآن مخالف، لك أن تقرأ سورةً قصيرة كي تجيب أمك أو أباك في الوقت المناسب.

" إن الصلاة إذا كانت نفلاً، وعُلم تأذي الأب أو الأم بترك إجابتهما فلك أن تقطع صلاتك النافلة لتجيب أمك أو أباك إذا كان في عدم الإجابة أذىً لهما ".

إذا أمك مقعَدَة وتحتاج إلى أن تغير جلستها، انتهى السيروم مثلاً، متألمة من قضية، نادتك وأنت في صلاة النفل، فبعض العلماء أجازوا أن تقطع صلاتك كي تجيب نداء أمك أو أبيك.

أما إذا ضاق الوقت وكانت الصلاة فرضاً فلا عليك ألا تجيب، عند المالكية " إجابة الوالد في النافلة أفضل من التمادي فيها "

" يجب أن تدع أيَّ صلاة ولو كانت فرضاً إغاثةً للملهوف "

كأن يكون الابن قريباً من المدفأة، أو الابن نائماً يكاد أن يقع من فوق سرير عالٍ وقد يرتج دماغه، أي أن هناك قضية خطيرة، فيجب أن تقطع الصلاة إغاثةً لملهوف، أو لغريق أو لحريق، أو إجابةً لنداء أحد الأبوين بلا استغاثة في النفل، أي في صلاة النفل لك أن تقطع الصلاة لأي نداء منهما.

ظلم الوالدين للولد لا يرفع وجوب برّهما:

يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

((لا يكون لرجل أبوان فيُصبح محسناً إلا فُتحَ له باب إلى الجنة، ولا يُمسي وهو محسن إلا فتح له بابان من أبواب الجنة،...، فإن كان واحداً فأصبح محسناً فتح له باب من أبواب الجنة، ولا يسخط عليه أحدهما أو واحد منهما فيرضي الله عنه حتى يرضى قيل: وإن كان له ظالماً ؟ قال: وإن كان له ظالماً))

من حديث موقوف، أخرجه مسدد بن مسرهد في مسنده بإسناد مختلف فيه

أي حتى لو أوقع الأب ظلماً بالابن، لكن العلماء استدركوا وقالوا: " إن ظلماه في الدنيا لا في الآخرة "، أي إذا كان الأمر متعلق بالدين، فعندئذٍ: " لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ".

أما إن ظلماه في الدنيا ويحتمل هذا الظلم، الأولى ألا يغضبهما، هكذا قال العلماء الظلم في الدنيا إذا كان محتملاً، فالأولى أن ترضيهما.

حق الأم يعدل ثلاثة أضعاف حق الأب:

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

((جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، مَنْ أحَقُّ الناس بِحُسْن صَحابتي ؟ قال: أمُّك، قال: ثم مَنْ ؟ قال: أمُّك، قال: ثم مَنْ ؟ قال: أمُّك، قال: ثم مَنْ ؟ قال: أبُوك))

حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم

أي: حق الأم يعدل ثلاثة أضعاف حق الأب .

الإمام مالك جاءه رجل وقال له: إن أبي في بلد السودان، وقد كتب إلي أن أقدم عليه، وأمي تمنعني من ذلك، فماذا أفعل ؟

الإمام مالك بحسب علمه قال: " أطع أباك ولا تعصِ أمك ". ففهم من هذا القول: أن حق الأب وحق الأم سواء.
لكن أكثر العلماء على أن حق الأم يعدل ثلاثة أضعاف حق الأب.

تخاصم أبو الأسود الدؤلي مع امرأته إلى القاضي، على غلامٍ لهما منه، أيهما أحق بحضانته ؟ فقالت المرأة: " أنا أحق به لأنني حملته تسعة أشهرٍ، ثم وضعته، ثم أرضعته، إلى أن ترعرع بين أحضاني كما تراه مراهقاً ".

فقال أبو الأسود أمام القاضي: " أيها القاضي حملته قبل أن تحمله، ووضعته قبل أن تضعه، فإن كان بعض الحق علي، فلي الحق كله أو جلّه ". فقال القاضي: " أجيبي أيتها المرأة عن دفاع زوجك "، قالت: " لئن حمله خفيفاً، فقد حملته ثقيلاً، وإن وضعه شهوةً، فقد وضعته كرهاً ". فنظر القاضي إلى أبي الأسود وقال له: " ادفع إلى المرأة غلامها، ودعني من سجعك ".

يبدو أن حق الأم يزيد على حق الأب.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما:

((أن امرأة قالت يا رسول الله، ابني هذا كان بطني له وعاء، وثديي له سقاء وحجري له حواء، وإن أباه طلقني وأراد أن ينزعه عني، قال لها رسول الله ﷺ: أنت أحق به ما لم تنكحي))

حديث صحيح الإسناد، أخرجه الحاكم في مستدركه

أي: إذا تزوجتِ فهو أحق به منكِ.

العلماء قالوا: " الأم أحق بحضانة ولدها إلى سبع سنين، إن كان ذكراً، وإلى تسعٍ إن كانت أنثى، إلا أن يرى القاضي استمرار حضانة الأم فيزيد سنتين لكليهما ". هذا الحكم الشرعي.

3. الآثار الطيبة لبر الوالدين:

مما يتعلق ببر الوالدين أن العارف بالله الشهير أبا يزيد البسطامي رحمه الله، أراد أن يذهب إلى بغداد لطلب العلم وكان غلاماً يافعاً، فأعطته أمه أربعين ديناراً هي ميراثه من أبيه، وقالت له: " ضع يدك في يدي وعاهدني على التزام الصدق فلا تكذب أبداً، فعاهدها على ذلك وخرج مع قافلةٍ يريد بغداد لطلب العلم، وفي أثناء الطريق خرج اللصوص، ونهبوا كل ما في القافلة، ورأوا البسطامي رثّ الثياب فقالوا: يا غلام هل معك شيء ؟ قال: معي أربعون ديناراً، لأنه عاهد أمه على الصدق، فسخروا منه وحسبوا أنه أبله وتركوه، وراحوا إلى الكهف الذي كان به كبيرهم ينتظر ما يأتون به، فلما رآهم قال: هل أخذتم كلَّ ما في القافلة ؟ قالوا نعم: إلا غلاماً سألناه عما معه فقال: معي أربعون ديناراً فتركناه احتقاراً لشأنه، ونظن أن به خبلاً في عقله، قال: عليّ به، فلما حضر بين يديه، قال: هل معك شيء ؟ قال: نعم معي أربعون ديناراً، قال: أين هي ؟ فأخرجها وسلمها له، فقال كبير اللصوص:

أمجنون أنت أيها الغلام ؟ كيف تخبر عن نقودك وتسلّمها باختيارك ؟ فقال له: لما أردت الخروج من بلدي، عاهدت أمي على الصدق، فأنا لا أنقض عهد أمي أبداً، عندئذٍ صُعق كبير اللصوص، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، أنت أيها الغلام تخاف أن تخون أمك ونحن لا نخاف أن نخون عهد الله، ثم أمر كبير اللصوص بردّ جميع ما أخذ من القافلة وقال: يا غلام أنا تائبٌ على يديك ".

فإذا كان هناك مثل هذا اللص فلا عليكم فأعطوه النقود، فقال من معه: " كنت كبيرنا في قطع الطريق، واليوم أنت كبيرنا في الطريق إلى الله ".

4 . عدم ارتباط وجوب البر بإسلام الوالدين:

وعندنا قضية أخرى متعلقة ببر الوالدين:

الشيء الأساسي أن العلماء قالوا: " لا يختص بر الوالدين، بأن يكونا مسلمين "

يعني أحياناً شابٌ يتعلم الدين في المسجد، ويرى أن أباه دينه قليل، فيتهمه بألفاظ كبيرة ويسيء العلاقة مع أبيه. استمعوا أيها الإخوة: لا يختص برّ الوالدين بأن يكونا مسلمين، فلو كانا مشركين فأنت ملزمٌ ببرهما، فكيف إذا كانا مسلميْن ولكنهما مقصّريْن ؟ أيحق لك أن تتهمَهما في دينهما ؟ أيحق لك أن تغلظ عليهما القول ؟ أيحق لك أن تكون عنيفاً معهما ؟ يقول الله عزَّ وجل:

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾

(آية 8 سورة الممتحنة)

إذا كان الله سبحانه وتعالى لا ينهانا عن الذين لم يقاتلونا في الدين أن نبرّهم، فلأن نبرَّ والدينا من باب أولى.

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، قالت:

((قَدِمَتْ عليَّ أمّي وهي مشركة في عَهْد رسول الله ﷺ، فاستفتيت رسولَ الله ﷺ، قلت: ' قَدِمَتْ عليَّ أمّي وهي رَاغِبة، أفأصلُ أمّي ؟ ' قال: ' نعم، صِلي أمكِ '. زاد في رواية، فأنزل الله فيها: { لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ }))

حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

((مر رسول الله ﷺ على عبد الله بن أبي بن سلول، وهو في ظل أجمة فقال: " قد غبَّرَ علينا ابن أبي كبشة " فقال ابنه عبد الله بن عبد الله: " والذي أكرمك وأنزل عليك الكتاب، لئن شئت لأتيتك برأسه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا ولكن بر أباك وأحسن صحبته "))

حديث حسن، أخرجه البزار وابن حبان والحاكم

ألدُّ أعداء النبي، رأس المنافقين، أمر النبي عليه الصلاة والسلام ابنه أن يبرَّه.. هذا هو الشرع، هذا هو الدين، هذا هو الإسلام.

5 . بر الوالدين مقدم على الجهاد الكفائي:

في الصحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال:

((جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فَاستأذَنَهُ في الجهاد، فقال: " أحَيٌّ وَالِدَاك ؟ "، قال: نعم، قال: " ففيهما فجاهد"))

حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي

وفي رواية أخرى:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال:

((جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: جئتُ أبَايِعُكَ على الهجرة، وتركتُ أبَوَيَّ يبكيان، قال: ' فارجع إليهما، فأضْحِكْهُما كما أبْكَيْتَهُما '))

حديث صحيح، أخرجه أبو داود والنسائي

ترون من هذه الفقرة عظم برّ الوالدين.

وفي الأثر:

((نومك مع أبويك يضاحكانك ويلاعبانك أفضل من الجهاد معي))

فهذا كله يؤكد بر الوالدين.

6 . عدم التسبب في بكائهما حزناً وضيقاً:



قال العلماء:

" من أبكى والديه كان عاقاً ".

حدثته حديثاً عن الله فبكى، هذه ليس لها علاقة، حدثته بقضية، رفضت له طلّب أو رجاك بشيء فأنت لم تستجب، رجاك أن تكون مع أخيك فانفصلت عنه، أي أنه طلب منك طلباً معقولاً، فأنت امتنعت فبكى الأب، فالعلماء قالوا: " بكاء الوالدين من عقوقهما " طبعاً هذا القول مأخوذ من الأثر:

((بكاء الوالدين من العقوق))

وفي أثر آخر:

((من أحزن والديه فقد عقهما))

7 . مواصلة أحباب وأصحاب الوالدين:

من برّ الوالدين صلة أهل ودهما، فعن ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:

((إنَّ من أبَرِّ البرِّ صلَةَ الرجل أهلَ ودِّ أبيه بعد أن يُولّي))

حديث صحيح، أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي

بعد أن يولي . أي يموت . الأب، مَنْ هم أصدقاؤه ؟

إخوانه الذكور، أخواته الإناث، أقرباؤه، أصدقاؤه، أصحابه..

((إنَّ من أبَرِّ البرِّ صلَةَ الرجل أهلَ ودِّ أبيه بعد أن يُولِّي))

سبق تخريجه


الولد الصالح صدقة جارية

والحديث الشهير الذي تسمعونه مني، عن أبي أسيد الساعدي رضي الله عنه، قال:

((بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة، فقال: يا رسول الله، هل بقي من برِّ أبويَّ شيء أبرّهما به من بعد موتهما ؟ قال: نعم، الصلاة عليهما والاستغفار لهما، وإنفاذ عهودهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم الذي لا رحم لك إلا من قبلهما))

حديث صحيح الإسناد، أخرجه الحاكم في المستدرك

النبي ﷺ، كان يهدي لصديقات خديجة اللحم بعد موتها برّاً بها، ووفاءً لها وهي زوجته فما ظنك بالوالدين ؟

عن أبي بردة رضي الله عنه قال:

((قدمت المدينة فأتاني عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فقال لي: تدري لِمَ جئتك ؟ قلت: لا، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " من أحب أن يَصل أباه في قبرِه فليصل إخوان أبيه بعده "))

حديث صحيح الإسناد، أخرجه أبو يعلى

كان لابن عمر رضي الله عنهما حمار يَتَرَوَّحُ عليه إذا مَلَّ ركوبَ الرَّاحِلَةِ، وعِمَامَةٌ يَشُدُّ بها رأسَه، فبينما هو يوماً على ذلك الحمار، إذْ مَرَّ به أعرابيٌّ، فقال: ألستَ ابْنَ فلانٍ ؟ قال: بلى، فأعطاه الحمار، فقال: اركب هذا، والعمامة، وقال: اشدد بها رأسَكَ، فقال له بعض أصحابه: غَفَرَ الله لك، أعطيتَ هذا الأعرابي حماراً كنتَ تَرَوَّحُ عليه وعِمَامَةً كنتَ تَشُدُّ بها رأسَكَ. فقال: إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:

((إنَّ من أبَرِّ البرِّ صِلَةَ الرجل أهلَ وُدِّ أبيه بعد أن يُوَلِّيَ))

وإنَّ أباه كان وُدّاً لِعُمَر.

حديث صحيح، أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي

8 . الدعاء لهما بعد موتهما:

الشيء المعروف عندكم جميعاً، أن الإنسان إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال:

((إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم يُنْتَفَعُ به، أو ولد صالح يدعو له))

حديث صحيح، أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي



فالولد الصالح الذي يدعو له هذا صدقة جارية، إذاً: حق الأب عظيم، أي أن الإنسان إذا ربى ابناً صالحاً ودعا له من بعده فإن كلَّ أعماله الصالحة من بعده تسجَّل في صحيفة الأب، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((أفضل كسب الرجل ولده))

من حديث رواه الطبراني وفي سنده رجل مختلف فيه

السيوطي الشهير مصنف الأحاديث له أبيات يعدد فيها الصدقات الجارية أخذاً عن السنة النبوية المطهرة يقول:

إذا مات ابن آدم جاء يجري عليه الأجر عند ثلاث عشرِ

علومٌ بثها ودعاء نجلٍ وغرس النخل والصدقات تجري

وراثة مصحفٍ ورباط ثغرٍ وحفر البئر أو إجراء نهر

وبيتٌ للغريب بناه يأوي إليه أو ابتناءُ محلِّ ذكر

و تعليمٌ لقرآنٍ كريمٍ فخذها من أحاديثٍ بشعري

سئِلَ أحد العلماء: " كم يدعو الإنسان لوالديه، أفي اليوم مرة، أم في الشهرة مرة، أم في السنة ؟ فقال: تدعو له مع كلِّ صلاة، خمس صلوات، أي خمس مراتٍ في اليوم.

قال بعض التابعين: " من دعا لوالديه خمس مراتٍ فقد أدى حقهما في الدعاء لأن الله تعالى يقول:

﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾

(آية 14 سورة لقمان)

فالصلاة شكر، وشكر الوالدين مع الصلاة... إذاً: خمس مرات، هذا هو الاستنباط.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:

((إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يا رب أنى لي هذه ؟ فيقول: باستغفار ولدك لك))

حديث رجاله رجال الصحيح غير واحد وقد وثق، أخرجه الطبراني والإمام أحمد

9. رضا الوالدين سبب للنجاة من النار:

آخر قصةٍ في الدرس:

عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه، قال:

((كنا عند النبي ﷺ فأتاه آت فقال: شاب يجود بنفسه. قيل له: قل لا إله إلا الله: فلم يستطع، فقال: " كان يصلي ؟ ". فقال: نعم: فنهض رسول الله ﷺ ونهضنا معه فدخل على الشاب فقال له: " قل: لا إله إلا الله ". فقال: لا أستطيع. قال: " لم ؟ ". قال: كان يعق والديه. فقال النبي ﷺ: " أحية والدته ؟ ". قالوا: نعم. قال: " ادعوها ". فدعوها فجاءت، فقال: " هذا ابنك ؟ ". فقالت: نعم. فقال لها: " أرأيت لو أججت ناراً ضخمةً فقيل لك: إن شفعت له خلينا عنه وإلا حرقناه بهذه النار، ألست تشفعين له ؟ ". قالت: يا رسول الله إذاً أشفع. قال: " فأشهدي الله وأشهديني أنك قد رضيت عنه ". فقالت: اللهم إني أشهدك وأشهد رسولك أني قد رضيت عن ابني. فقال له رسول الله ﷺ: " يا غلام قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ". فقالها فقال رسول الله ﷺ: " الحمد لله الذي أنقذه بي من النار "))

حديث رواه الطبراني وأحمد وفي سنده رجل متروك

هذا عمل صالح: أن توفق بين أمٍ وابنها، بين أخٍ وأخيه، بين أبٍ وأبنه، بين جارٍ وجاره.

النبي عليه الصلاة والسلام على عظم شأنه وعلى عظم قدره حمد الله عزَّ وجل على أن مكنه من أن ينقذ هذا الشاب من النار، حيث جاء بالأم وأقنعها أن تعفو عنه، فماذا كان يفعل معها ؟ وكان هذا الشاب كما ورد في كتب الحديث يؤذي أمه، ويؤثر عليها زوجته وللحديث بقية في الدرس القادم إن شاء الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-3) : حدود و آثار بر الوالدين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الدرس:

الحمد لله رب العلمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الصادق الوعد الأمين اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

يجب أن يعين الآباء أبناءهم على برهم:

أيها الإخوة المؤمنون... لازلنا في الحديث عن حقوق الآباء على الأبناء، ولكن هناك ملاحظة أريد أن أضعها بين أيديكم، هي أن الآيات الكريمة المتعددة، والأحاديث الشريفة الكثيرة، التي تحضّ الأبناء على أن يكونوا بارين بآبائهم، هذه الآيات والأحاديث ينبغي أن تحْمل الآباء على أن يكونوا في مستوى الأبوة المطلوب، مادام ربنا سبحانه وتعالى يحضُّ الأبناء على أن يكونوا بارين بآبائهم، فالآباء يجب أن يكونوا في المستوى المطلوب، فقد ورد في الأثر:

((رحم الله والداً أعان ولده على بره))

وورد أيضاً:

((من أكل من مال ابنه فليأكل بالمعروف))

يعني: ربنا سبحانه وتعالى في آيات كثيرة وأحاديث كثيرة، يحضّ الأبناء على برّ آبائهم، فينتظر من الآباء أن يكونوا مثاليين في معاملة أبنائهم.

أفضل البر بالوالدين، متى يكون، وأين يكون:

ربنا سبحانه وتعالى في الآية التي بدأنا شرحها في الدرس الماضي يقول:

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾

(سورة الإسراء: آية 23)

تشتد حاجة الآباء إلى البر عند كبر سنهم:


تشتد حاجة الآباء للبر عند الكبر

الحقيقة أن الأب الشاب اليقظ الواعي هو في غنى عن ابنه، ليس في هذا شك، ولكن متى تشتد حاجة الأب إلى ابنه ؟ إذا بلغ من الكبر عتياً، إذا تقدمت به السن، إذا ضعف بصره، إذا انحنى ظهره، إذا خارت قواه، إذا ضعفت ذاكرته، إذا كلَّت يده، إذا أصبح عبئاً على ابنه، يكون الأب في أشد حالات الحاجة إلى ابنه إذا تقدمت به السن، وإذا وقف كسبه، وإذا أصبحت حاجاته كثيرة، وأدويته كثيرة، ومطالبه كثيرة، وله أبناء في أوج شبابهم، وفي عنفوان رجولتهم.

لذلك ربنا عزَّ وجل أشار في هذه الآية إلى الكبر:

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾

(سورة الإسراء: آية 23)

بر الوالدين يكون في بيت الولد لا في مأوى العجزة:

أشارت الآية أيضاً في كلمة (عندك) إلى المعنى التالي:



الابن أحياناً يكون أبوه قد تقدمت به السن ولكنه يقطن عند أخيه، فيزوره من حينٍ إلى آخر، ويقدم له واجبات الخضوع والمحبة ويجلس قليلاً وينصرف، أما عبء الأب فهو على الأخ الثاني، فالله سبحانه وتعالى في هذه الآية يشير إلى أن حقوق الأب تشتد ويعظم أجرها إذا بلغ من الكبر عتياً وكان (عندك) في البيت، أي: كنت أنت ترعاه.

فبعض الدول الغربية تفتخر بأن لديها مأوىً للعجزة، أي أن هذا الإنسان إذا تقدمت به السن التحق بهذا المأوى، قد يقدموا له كل شيء، أطيب الطعام، وكل الخدمات الصحية ولكن لا يستطيعون أبداً أن يقدموا له المحبة، ولا العطف، ربما كانت سعادة الأب أن يمتّع نظره بأولاده، فإذا زجّوه في مأوى العجزة، وتخلوا عنه، وأنفقوا عليه الأموال الطائلة، فوالله قد فعلوا في حقه جريمة لا تغتفر.

لذلك، الإسلام يوجد فيه نظام التضامن الاجتماعي، أي أن كل أُسرة متضامنة متكافلة فيما بين أفرادها، فلو تقدمت بالأب السن، لو ضعف بصره، لو خارت قِواه، لو أصبح عاجزاً، إنه بين أولاده، بين بناته، بين أقربائه، هذا الذي ينسيه ألمه، فإذا زجَّ في مأوى العجزة، فَقَدَ العطف، فقَدَ الحنان، فكيف إذا كان هذا المأوى فيه القسوة وفيه الضرب وفيه الإيذاء بالكلام ؟

سمعت قصة امرأة لها أموال طائلة أكثرها غير منقول ؛ أي حوانيت وأبنية وبيوت وأراضٍ ومزارع، تقدمت بها السن، وفقدت حركتها، أودعها أولادها في مأوى العجزة، لأن زوجاتهم أبَيْنَ أن يخدمنها، فحينما رأت نفسها في مأوى العجزة وأن أولادها الذين ربتهم تخلوا عنها، استدعت الكاتب بالعدل، وكتبت للجمعيات الخيرية كل أموالها، عقاباً لهؤلاء الأولاد الذين كفروا فضل أمهم عليهم.

لذلك:

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾

(سورة الإسراء: آية 23)

روى الترمذي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلَّم أنه قال:

((رَغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكِبَر فلم يُدْخِلاه الجنة))

قال الراوي: وأظنه قال:

((أو أحدهما))

من حديث صحيح، أخرجه الترمذي

أي: أن تكون باراً بأبيك وقد تقدمت به السن، وقد ضعُف بصره، وقد خارت قِواه، وقد ضعفت ذاكرته، وقد فقد ضبط نفسه، بأن يبقى عندك معززاً مكرماً مخدوماً، فهذا العمل من الأعمال التي يستحق عليها الإنسان كلَّ إكرامٍ في الدنيا قبل الآخرة، وما رأيت إنساناً موفقاً في حياته إلا بسببٍ وجيهٍ من برهِ بوالديه، فمن كان له أبٌ حيّ فليغتنم هذه الفرصة، إنها فرصة العمر، فرصةٌ لا تعوض، وكذلك الأم.

دور اللسان والكلام في ميدان البر بالوالدين:

من ذلك:

كلمة (أف) ومعانيها السيئة:

قال تعالى:

﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ ﴾

(سورة الإسراء، آية 23)

الأُف: اسم فعل مضارع، أي أتضجر، وهي من الكلام الرديء الخفي، فحتى لو رأى الابن من أبيه شيئاً لا يحتمل، لا ينبغي أن يقول له: أُف، كل ما يُضجِر ويستثقل ويقال له أُف،إن كان من الأب، لا ينبغي أن يقول الابن هذه الكلمة لأبيه، ورد في الأثر:

((لو علم الله من العقوق شيئاً أقل من أُف لذكره))



يعني أقل شيءٍ في العقوق أن تقول: أُف، وهو زفير بصوت مسموع، وهو تضجر. ولو علم الله من العقوق شيئاً أردأ من أف لذكره،فليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار، وليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة.

لكن إياكم أن تتوهموا أن البار بوالديه لو عصى الله عزّ وجل فإنه يدخل الجنة هذا ليس مقصوداً من هذا الكلام.

كلمة أُف . بالتعريف الدقيق . رفض للأب، رفض لنعمته وجحود لتربيته، وردّ للوصية التي أوصانا الله بها بحق الآباء، وهذا معنى كلمة أُف، والدليل هو قول الله عزّ وجل على لسان سيدنا إبراهيم حيث قال لقومه:

﴿ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

(آية 67 سورة الأنبياء)

يعني أنا أرفضكم بسبب كفركم، وأرفض عبادتكم، وأرفض موضوع عبادتكم.

ما يساوي كلمة (أف) من ردود الأفعال القبيحة:

العلماء قالوا: " مجرد النظر إليهما بغضبٍ يعتبر عقوقاً "

يعني إذا نظر إلى أبيه بعبوس، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

((ما برّ أباه من سدد إليه الطرف بالغضب))

حديث أخرجه الطبراني في الأوسط، وأحد رجاله متروك

بل إن إغلاق الباب بعنفٍ من العقوق أيضاً، وهو يساوي أُف.

ووضع الإناء بعنف من العقوق.

أحياناً يغضب الابن، فيقود سيارته برعونة ليعبر عن غضبه من أبيه، هذا أيضاً من العقوق، وفي الأثر:

((لم يتلُ القرآن من لم يعمل به، ولم يبرَّ والديه من أحدَّ النظر إليهما في حال العقوق أُولئك براءٌ مني وأنا منهم بريء))



القول الكريم واجب في حق الوالدين:

قال تعالى:

﴿ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾

(23 سورة الإسراء: آية)

﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾

(24 سورة الإسراء: آية)

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾

(23 سورة الإسراء: آية)

النهر: يعني الزجر والغلظة.

وقل لهما قولاً كريماً: يعني قولاً ليناً لطيفاً، يا أبتاه، يا أُماه، من غير أن يسميهما أو يُكنيهما، يعني لو أن الأب اسمه سعيد وكنيته أبو أحمد، الأولى أن تخاطبه بأن تقول له: يا أبتِ، يا أبي، يا أبتاه، وهذا أولى من أن تقول: يا أبا أحمد.

أنا مرة اصطحبت أحد الإخوة في مسجدنا لعند ابنه لقضيةٍ، فلما دخل عليه، ناداه ابنه بكُنيته لئلا يشعر أحد أنه أبوه، وقال: اجلس هنا يا أبا فلان، وأبوه شخصية مرموقة، لكنه ما أراد أن يُعرّف الناس أن هذا والده. لذلك الأولى أن يناديه بكلمة يا أبتاه، يا أبي، يا والدي، من غير أن يسميهما باسمهما أو أن يناديهما بكنيتهما، وابن المسيب يفسر قوله تعالى:

﴿ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾

(23 سورة الإسراء: آية)

قال: " القول الكريم كما يخاطب العبد سيداً فظاً غليظاً "، أي كأن عبداً مذنباً يخاطب سيداً فظاً غليظاً فإنه يتلطف، ويرجو، ويتضرع، ويتحبب، ويتوسل.

بعض الآداب الواجبة في حق الوالدين:

من بَر الوالدين، ألا يرفع الابن يديه إذا كلمهما، أي أنه لا يشير بيديه حين يتكلم معهما، فيرفع يده ويخفضها، لأن حركات اليدين في أثناء الكلام استخفاف بالأب، لذلك من بر الوالدين ألا يرفع الابن يديه في أثناء مخاطبته أمه أو أباه.

عن عائشة رضي الله عنها قالت:

((أتى رسول الله ﷺ رجل ومعه شيخ فقال له: " يا فلان من هذا معك ؟ ". قال: أبي. قال: " فلا تمش أمامه، ولا تجلس قبله، ولا تدعه باسمه، ولا تستسب له "))

حديث أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ورجاله رجال الصحيح إلا اثنين فيهما كلام

لا تستسب له: أي لا تكن سبباً في سبه، هذا من أدب النبي عليه الصلاة والسلام

ويقول عليه الصلاة والسلام:

((ما من مسلم يصبح ووالداه عنه راضيان إلا كان له بابان من الجنة، وإن كان واحداً فواحد، وما من مسلم يُصبح ووالداه عليه ساخطان إلا كان له بابان من النار، وإن كان واحداً فواحد))

حديث أخرجه ابن أبي عمر في مسنده، بإسناد ضعيف جداً

إذا عق والديه فأبواب النار مفتحة له، وإذا برَّ والديه فأبواب الجنة مفتحة له.

الولد وما يملك ملك لأبيه:

تروي كتب السيرة أن رجلاً جاء النبي عليه الصلاة والسلام فقال: يا رسول الله إن أبي قد أخذ مالي، فقال عليه الصلاة والسلام:

((اذهب فأتني بأبيك))



شيءٌ دقيق جداً، إنسان شكا لك على إنسان، فمادام يتكلم وحده سيتكلم ما يحلو له، سيخفي بعض الحقائق، سيبرز بعض الحقائق، سيبالغ ببعض الحقائق، لكن إذا قلت له اذهب وأتني به، أنا أؤكد لكم أن تسعة أعشار ما كان ينوي أن يقوله سوف يسكتُ عنه، إذا أحضرت المتخاصميْن مع بعضهما أمامك، فإن تسعة أعشار ما ينوي أحدهما أن يقوله في غيبة الآخر سوف يسكت عنه، فالنبي عليه الصلاة والسلام علمنا قال:

((اذهب فإتني بأبيك))

اسمع من الطرف الآخر، قال سيدنا سليمان:

﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾

(آية 27 سورة النمل)

تريّثْ، استمع من الطرف الآخر، حق الدفاع مشروع، قال له:

((اذهب فأتني بأبيك))

روت كتب السيرة أن سيدنا جبريل عليه السلام نزل على النبي ﷺ، فقال:

((" إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك: إذا جاءك الشيخ فسله عن شيء قاله في نفسه ما سمعته أذناه"))

أي أن الشيخ في طريقه إلى النبي عليه الصلاة والسلام كان يحدث نفسه، وكل واحد منا إذا كانت عنده مشكلة، فإنه يمشي وهو يحدِّث نفسه، هذا حديث النفس، يبدو أن هذا الشيخ لشدة ألمه من ابنه كان يحدث نفسه شعراً، فسيدنا جبريل جاء النبي عليه الصلاة والسلام وقال له: إن ربك يقرئك السلام ويقول لك: إذا جاءك الشيخ فاسأله عن الشيء الذي قاله في نفسه..

((فلما جاء الشيخ قال له النبي ﷺ: " ما بال ابنك يشكوك، أتريد أن تأخذ ماله ؟ فقال: سله يا رسول الله، هل أنفقته إلا على إحدى عماته أو خالاته أو على نفسي ؟ فقال النبي ﷺ: " إيه دعنا من هذا، أخبرني عن شيء قلته في نفسك ما سمعته أذناك ". فقال الشيخ: والله يا رسول الله ما يزال الله يزيدنا بك يقيناً، لقد قلت شيئاً في نفسي ما سمعته أذناي فقال: " قل وأنا أسمع " قال: قلت:

غذوتك مولوداً ومنتك يافعاً تُعِلَّ بما أجني عليك وتنهلُ

إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبِتْ لسقمك إلا ساهراً أتململُ

كأني أنا المطروقُ دونك بالذي طُرِقتَ بهِ دوني فعيني تهملُ

تخاف الردى نفسي عليك وإنها لتعلم أن الموت وقت مؤجل

فلما بلغتَ السن والغاية التي إليها مدى ما كنت فيك أؤمل

جعلتَ جزائي غلظة وفظاظة كأنك أنت المنعم المتفضل

فليتك إذ لم ترع حق أبوتي فعلت كما الجار المجاور يفعل

تراه معداً للخلاف كأنه بردٍّ على أهل الصواب موكل

قال: حينئذ أخذ النبي ﷺ بتلابيب ابنه فقال:

((أنت ومالك لأبيك))

القصة أخرجها الطبراني عن جابر بن عبد الله، ولها شواهد مختصرة رجالها رجال الصحيح

النبي ﷺ بكى، وأمسك الابن من تلابيبه وقال: أنت ومالك لأبيك، من أنت ؟ ما أنت إلا حسنة من حسنات أبيك.

حدود البر بالوالدين:

لكن بر الوالدين له حدود، لو أن الأم أو الأب أمرك أن تكفر بالله أو أن تكفر بمحمد عليه الصلاة والسلام، ماذا تفعل ؟ الله سبحانه وتعالى علمنا فقال:

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

(سورة العنكبوت: آية 8)

قصة سيدنا سعد رضي الله عنه مع أمه، قال: " كنت باراً بأمي فأسلمتُ، فقالت: لتَدَعَنَّ دينك أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعيَّر بي، ويقال لك: يا قاتل أُمه. وبقيت يوماً أو يومينً لا تأكل ولا تشرب، فقلت: يا أماه لو كانت لكِ مائة نفسٍ، فخرجتً واحدةً تلو أخرى، ما تركت ديني هذا، فكلي إن شئت أو لا تأكلي ".

يعني في موضوع الإيمان بالله، وموضوع طاعة الله، يتوقف هنا رضا الأُم والأب " فكلي إن شئت أو لا تأكلي "، لكنها أكلت، فلما رأت ذلك أكلت، ونزل قوله تعالى:

﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً ﴾

(سورة لقمان: آية 15)

بعض الأحكام المتعلقة ببر الوالدين:

بعض الأحكام الشرعية المتعلقة في هذا الباب:

1- طاعتهما تكون في ميدان المباحات لا في المعاصي:

طاعة الأبوين لا تراعى في ركوب الكبيرة أو ترك الفريضة، هذا الحكم الشرعي المستنبط من هذه الآية، هذا شيءٌ مقطوعٌ به، وتلزم طاعتهما في المباحات، الأشياء المباحة يلزمك أن تطيعهما فيها، ويستحسن ترك المندوبات من أجلهما، مثال ذلك:

الأكل على الطاولة، وأبوك يغضب بسرعة، وأنتم في شهر رمضان، وتريد أن تصلي أنت وزوجتك وأولادك المغرب قبل الإفطار، والأب يحب أن يأكل مع الأذان، فأن تصلي قبل الإفطار هذا مندوب، فإذا تركت الصلاة قبل الإفطار، وصليتها بعد الإفطار إرضاءً لأبيك وحفاظاً على أعصابه فإن هذا مطلوبٌ منك، فهذا ترك المندوبات، أما في المباحات فأنت ملزمٌ بطاعتهما، وفي ارتكاب الكبائر أو ترك الفرائض لست ملزماً بطاعتهما، أما إذا رأيت أن ترك بعض المندوبات مما يريحهما فلا عليك إذا فعلت هذا من أجلهما، هذا هو الحكم الشرعي.

2- طاعتهما مقدمة على الجهاد الكفائي إن لم يأذنا:

كذلك ترك الجهاد الكِفائي، الجهاد الكِفائي إذا قام به البعض سقط عن الكل، يعني إذا الإنسان تطوع في الخدمة العسكرية، فالتطوع يحتاج إلى إذن الوالد، أما الخدمة الإلزامية فلا تحتاج، الجهاد العيني هذا ليس بإذن من الوالد، ترك الجهاد الكِفائي من أجلهما، أو الإقدام عليه فبإذنهما.

3- يجوز ترك الصلاة النافلة من أجل إجابة الوالدين:

تحدثنا في الدرس الماضي عن إجابة الأُم في الصلاة، فإذا أمكنك أن تعيد الصلاة وكانت في حاجةٍ إليك لا عليك أن تدع الصلاة من أجلها.

كمال طاعات سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسولَ الله ﷺ قال يوماً:

((" من أصبحَ منكم اليوم صائماً " ؟ قال أبو بكر الصِّدِّيق: أنا، قال: " فمن تَبِعَ منكم اليوم جنازة " ؟ قال أبو بكر: أنا، قال: " فَمَنْ أطعم منكم اليومَ مِسْكِيناً " ؟ قال أبو بكر: أنا، قال: " فمن عاد منكم اليوم مريضاً " ؟ قال أبو بكر: أنا، قال رسولُ الله ﷺ: " ما اجْتَمَعْنَ في رجل إلا دخل الجنة "))

حديث صحيح، أخرجه مسلم

يعني سيدنا الصديق كان سباقاً ؛ في بر الوالدين، وفي إطعام الطعام، وفي رد السلام، وفي تشيع الجنازة..

بر الوالدين من صفات الأنبياء:

لا تنسوا أن الله عزّ وجل نوّه بالأنبياء الكرام وبرِهم بآباءهم، فقال متكلماً عن سيدنا يحيى:

﴿ وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيّاً ﴾

(سورة مريم، آية 14)

وعن سيدنا عيسى:

﴿ وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً ﴾

(آية 32 سورة مريم)

وعن سيدنا يوسف:

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾

(سورة يوسف: آية 100)

وعن سيدنا إسماعيل:

﴿ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾

(آية 102 سورة الصافات)

تروي بعض الكتب . من باب التفصيلات . أن سيدنا إسماعيل عليه السلام قال: " يا أبت إذا أردت ذبحي، فاشدد وثاقي لئلا يصيبك شيءٌ من دمي فينقص أجري، وإن الموت لشديد ولا آمن أن أضطرب عنده إذا وجدتُ مسه، فاشحذ شفرتك حتى تُجهز عليّ، فإذا أنت أضجعتني لتذبحني فاكببني على وجهي، فإني أخشى إن أنت نظرت إلى وجهي أن تأخذك الرقة فتحول بينك وبين أمر ربك، وإن رأيت أن تردّ قميصي إلى أُمي، فإنه عسى أن يكون أسلى لها عني فافعل، قال إبراهيم: نعم العون يا بني أنت على أمر الله.

ما هذا الابن ؟.. نِعم العون يا بني أنت على أمر الله، ثم إنه هم بالتنفيذ، فتله للجبين ليذبحه فنودي:

﴿ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (*) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾

(آية 104،105 سورة الصافات)

وافتُديَ بكبشٍ عظيم، وجده إبراهيم على مقربةٍ منه فذبحه.

يعني نحن جميعاً نرى القضية سهلة، أُفتدي بكبشٍ عظيم، هذا متى عرفته أنت ؟ بعد أن أُفتدي، أما حينما أمره الله بذبح ابنه هل كان يعلم أن هناك حل لهذه المشكلة ؟

﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴾

(آية 106 سورة الصافات)

الآثار الطيبة لبر الوالدين:

منها:

الالتجاء إلى الله ببر الوالدين ينجي من الكروب:

النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح المتفق عليه . أي اتفق عليه الشيخان،البخاري ومسلم، وهذا أعلى مستوى من الأحاديث الصحيحة . عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول:

((انطلقَ ثلاثةُ نَفَر ممن كان قبلكم، حتى آواهم المبيتُ إلى غار، فدخلوه، فانحدرتْ صَخرَة من الجبل، فسَدت عليهم الغارَ، فقالوا: إنه لا يُنجيكم من هذه الصخرة إلا أن تَدْعُوا الله بصالح أعمالكم..))

كل واحد منا وقع في مشكلة أو في ورطة، أو لاح له شبح خطر، أو لاح له شبح مصيبة، كمرض عُضال لا سمح الله، أو دمار للمال فجأةً، إذا وقع أحد في مشكلة كبيرة جداً، لا ينام لها الليل، فالسُنة النبوية أن تدعو الله بصالح عملك.

حدثني رجل كان من تجار الأغنام التقيت به وكان عمره يزيد على التسعين عاماً، وقال لي: " إنني خرجت لِتَوي من الفحص الطبي فكانت النتيجة سليمة مائة بالمائة "، أي أنه لا يشكو شيئاً وهو في التسعين، وقد أقسم لي أنه لا يعرف الحرام بكل أنواعه، وكان باراً بوالديه، فقال لي: " كنت في البادية مرةً، وامرأة راودته عن نفسه، فقال: إني أخاف الله رب العالمين، واشترى قطيعاً من الغنم وسار به، فأدركهم العطش إلى درجةٍ أنه وأغنامه أصبحوا على وشك الموت، فقال: يا رب إن كنت تعلم أنني عففت عن هذه المرأة خوفاً منك ففرج عنا. هذه سنة، يعني إذا أحب الله عزّ وجل أن يمتحن إنساناً، وضعه في ورطة، أو في مشكلة.. الطريق انقطع، عطش شديد، مرض شديد، مشكلة كبيرة، شبح إتلاف المال كله، فعليه أن يدعو الله بصالح عمله، يا رب إن كنت تعلم أنني فعلت هذا العمل من أجلك وخالصاً لك لا أبتغي به شيئاً فأنقذني من هذه الورطة، هذه هي السنة.

((قال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخانِ كبيران، وكنتُ لا أَغْبُقُ قبلهما أهلا ولا مالا..))

الغبوق: معناه شرب الحليب مساءً

((فنأَى بي طلبُ شَجَر يوماً، فلم أَرُحْ عليهما حتى ناما..))

أي عدت إلى البيت فإذا هما نائمان

((فَحَلَبْتُ لها غَبوقَهُما، فوجدتهما نائمين، فكَرِهتُ أَن أَغْبُقَ قبلهما أهلا أو مالا، فَلَبِثْتُ والقَدَحُ على يدي أنتظر استيقاظهما، حتى بَرَقَ الفَجْر..))

لا يشرب قبلهما حتى استيقظا من نومهما

((فاستيقظا، فشرِبا غَبوقَهُما، اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك، ففرِّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرَجَتْ شيئاً لا يستطيعون الخروج..))

لكنها تزحزحت

((قال النبيُّ ﷺ: قال الآخر: اللهم كانت لي ابنةُ عمّ، كانت أحبَّ الناس إليَّ، فأردُتُها على نفسها، وامتنعت مني، حتى أَلَمَّت بها سَنَة من السنين..))

أي: فقرٌ شديد

((فجاءتني، فأعطيتُها عشرين ومائةَ دينار، على أن تُخَلِّيَ بيني وبين نفسها، ففعلت، حتى إذا قَدَرْتُ عليها، قالت: لا أُحِلُّ لَكَ أَن تَفُضَّ الخَاتَمَ إلا بِحقِّه، فتحَرَّجْتُ من الوقوع عليها، فانصرفتُ عنها وهي أحبُّ الناس إليَّ، وتركتُ الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك فافْرُج عنا ما نحن فيه، فانفرَجَتِ الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها))

((قال النبيُّ ﷺ: وقال الثالث: اللهم استأجَرْتُ أُجَرَاءَ، وأعطيتُهم أجرَهم، غير رَجُل واحد، تَرَكَ الذي له وذهب، فَثَمَّرتُ أَجْرَهُ حتى كَثُرَتْ منه الأموال، فجاءني بعد حين، فقال: يا عبد الله، أَدِّ إليَّ أجري، فقلت: كلُّ ما ترى من أَجْرِكَ، من الإبل والبقر، والغنم، والرقيق، فقال: يا عبد الله، لا تستهزئُ بي، فقلتُ: إني لا أستهزئُ بك، فأخذه كلَّه، فاستاقه، فلم يتركْ منه شيئاً، اللهم فإن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك فافْرُج عنا ما نحن فيه، فانفرجتِ الصخرة، فخرجوا يمشون))

حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود

يعني إذا الإنسان وقع في شدة، فعليه أن يدعو الله بصالح عمله.

دعوة الأب لابنه، دعوة مستجابة:

وعن أبي هريرة عن النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((ثَلاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَاباتٌ، لا شَكَّ في إجابَتِهِنَّ: دَعوَةُ المظلُومِ، ودَعوةُ المُسَافِرِ ودَعوةُ الوَالِدِ على الولد))

حديث حسن، أخرجه الترمذي

وفي الأثر:

((أربعةٌ دعوتهم مستجابة، الإمام العادل، والرجل يدعو لأخيه بظهر الغيب، ودعوة المظلوم، ورجلٌ يدعو لولده))

بر الوالدين سبب لمغفرة الذنوب، وزيادة في العمر و الرزق:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال:

((أتى النبي ﷺ رجل فقال يا رسول الله أذنبت ذنبا كبيراً، فهل لي من توبة، فقال له رسول الله ﷺ: ألك والدان ؟ قال: لا، قال ألك خالة ؟ قال: نعم قال فبرها إذاً))

حديث صحيح، أخرجه الترمذي والإمام أحمد وابن حبان والحاكم

وهذا حديث لطيف، يعني إذا كان إنسان توفيت أمه وله خالة فالإحسان إلى الخالة بمثابة الإحسان إلى الأُم.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:

((من سره أن يمد له في عمره ويزاد في رزقه فليبر والديه وليصل رحمه))

حديث أخرجه أحمد في مسنده، ورجاله رجال الصحيح

وقال عليه الصلاة والسلام:

((من بر والديه طوبى له، زاد الله في عمره))

حديث صحيح الإسناد، أخرجه الحاكم في مستدركه

وعن ثوبان رضي الله عنه ن قال: قال رسول الله ﷺ:

((لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه))

حديث صحيح الإسناد، أخرجه الترمذي وابن ماجة وابن حبان والحاكم

ثلاثة أحاديث عن أن بر الوالدين يزيد في العمر وفي الرزق.

بشارة للمقصّرين كي يتداركوا:

ورد في الأثر:

((إن العبد ليموت والداه أو أحدهما وإنه لهما لعاق فلا يزال يدعو لهما ويستغفر لهما حتى يكتبه الله باراً))



هذه بشارة، فلو أن أباً مات غاضباً على ابنه، فهذا الابن العاق دعا لوالديه واستغفر لهما وفعل الأعمال الصالحة من أجلهما، ربما كتبه الله باراً ولو مات أبوه غاضباً عليه، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يا رب أنى لي هذه ؟ فيقول: باستغفار ولدك لك))

حديث رجاله رجال الصحيح غير واحد وقد وثق، أخرجه الطبراني والإمام أحمد عن أبي هريرة

وفي الأثر:

((من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة غفر الله له وكُتب باراً))

بعض القصص المتعلقة بموضوع بر الوالدين:

بقي علينا بعض القصص المتعلقة بهذا الموضوع:

1- كما تدين تدان:

قيل: كان رجل يطعم والده المُسن طعاماً في إناءٍ من الخشب . الآن يوجد كأس من البلور وكأس من الإستالس، فيريد الوالد كأس من الماء فيعطيه ابنه كأس الإستالس لأنها لا تنكسر . فكان هذا الرجل يطعم والده المُسن في إناءٍ من الخشب، فسأله ولده عن السبب في هذا، الابن الصغير سأل أباه: لماذا تطعم جدي في هذا الإناء الذي هو من الخشب ؟ فقال له: لأنني إذا أطعمته في إناءٍ صينيٍ أو من الزجاج كسره، فقال له ابنه: إذاً يا أبت

سأحتفظ لك بهذا الإناء الخشبي حتى أُقدم لك طعامك فيه عندما تكون في سن جدي، فعند ذلك انتبه الوالد وأدرك أن ما يفعله الآن مع والده سيفعله ابنه معه، وتاب إلى الله من هذا الذنب.

أقل استهانة أحياناً تهين الأب، كأن يقدم له فنجاناً فيه عيب، ويقول: خذ اشرب بلهجة المتذمر، أو كأس متسخة فيحزن الأب، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((بروا آباءكم تبركم أبناؤكم، وعفوا تعف نساؤكم))

حديث أخرجه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح عن عبد الله بن عمر

2- يشتكي أمه وينسى فضلها:

قيل: إن رجلاً شكا إلى نبي سوء خلق أمه، فقال:

((لم تكن أُمك سيئة الخلق حين أرضعتك حولين كاملين ؟ ولم تكن سيئة الخلق حين أسهرتها الليل، ولم تكن سيئة الخلق حين رعتك، لقد جازيتها بهذا ؟))

هذا الذي يذم والديه ليس مؤمناً.

3- الولد ملك لأبيه:

ولد اشتكى إلى النبي عليه الصلاة والسلام أباه وأنه يأخذ ماله فدعا به فإذا هو شيخٌ يتوكأ على عصا فسأله، فلعله قال: يا رسول الله إن ابني وهو صغير كان ضعيفاً وأنا قوي، وكان فقيراً وأنا غني، فكنت لا أمنعه شيئاً من مالي، واليوم أنا ضعيفٌ وهو قوي، وأنا فقيرٌ وهو غني يبخل علي بماله، فبكى النبي عليه الصلاة والسلام وقال للولد:

((أنت ومالك لأبيك))

من حديث صحيح،أخرجه ابن ماجة عن جابر بن عبد الله

4- آداب بعض البررة:

. قيل لعمر بن ذر: كيف كان برّ ابنك ؟ قال: " ما مشيت نهاراً إلا ومشى خلفي، ولا ليلاً إلا مشى أمامي، ولا رقى سطحاً وأنا تحته ".

. قيل لعلي بن الحسين: أنت من أبر الناس بأمك، ولكن لماذا لا تأكل معها ؟ قال: " والله أخاف أن تمتد يدي إلى ما قد سبقت عينها إليه فأكون قد عققتها ".

يعني: قطعة من اللحم في الصحن وهي عينها على هذه القطعة،فإن أكلتها أنا أكون قد عققتها... كانوا إلى هذا المستوى.

أبو يزيد البسطامي رحمه الله قال: " كنت ابن عشرين سنة، فدعتني أُمي لتمريضها ذات ليلة فأجبتها، فجعلت يدي تحت رأسها، والأخرى أمسِّد يدها بيدي، وأقرأ (قل هو الله أحد) فخدرت يدي، فكدت أفقد قوة اليد، فقلت: اليد لي وحق الوالدة لله ".

هذا من بره لأُمه.

5- ترجو هي حياتك، وترجو أنت موتها:

ورجل قال لسيدنا عمر: " إني أخدم أُمي كما كانت تخدمني في الصغر فهل قمت بحقها ؟ فقال: لا، إنها كانت تخدمك وهي تتمنى لك الحياة، وأنت تخدمها وأنت تتمنى لها الموت ". وبعبارة أخرى أو مهذبة: (أن يخفف الله عنها).

6- الأم الصابرة المحتسبة:

كان رجلٌ يجلس إليَّ، فبلغني أنه نزل به الموت وإذا أُم عجوز كبيرة جعلت تنظر إليه حتى غُمِّض وعصِّبَ وسُجِّي، فقالت: رحمك الله يا بني لقد كنت بنا باراً، وعلينا شفوقاً رزقنا الله عليك الصبر، فقد كنت تطيل القيام وتكثر الصيام، فلا حرَمَكَ الله ما أملت من رحمته، وأحسن عنك العزاء، ثم نظرت إليّ وقالت: لو بقي أحدٌ لأحد لبقي النبي عليه الصلاة والسلام لأمته.

كل حالٍ يزول، لذلك يقال للميت كما في الأثر: " رجعوا وتركوك وفي التراب دفنوك، ولو بقوا معك ما نفعوك، ولم يبق لك إلا أنا، وأنا الحي الذي لا يموت ".

وأخيراً:

من خلال هذه الآيات والأحاديث والتعليقات والأحكام الفقهية والقصص يتبين لنا أن بر الوالدين بابٌ كبير من أبواب الجنة.

((رَغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكِبَر فلم يُدْخِلاه الجنة. قال الراوي: وأظنه قال: أو أحدهما))

من حديث صحيح، أخرجه الترمذي

فمن كان له أب على قيد الحياة أو أم، أو من كان له أب وأم، فليغتنم هذه الفرصة، لأن الله عزّ وجل أمرنا أن نحسن إلى الوالدين وقرن هذا الأمر بعبادته..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3 – 3) : العلاقة المثلى بين الشباب و أهلهم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

المذيع :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، وأتمّ الصلاة وخير التسليم على نبينا وعلى حبيب قلوبنا ، على ساقينا عند الكوثر بحول الله سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله ومن والاه ، السلام عليكم وأهلاً ومرحباً بكم مشاهدينا الكرام ، سنتحدث في هذه الحلقة نحن وإياكم عن دور الشباب في عائلاتهم ، وعن المكانة التي يحظون بها ، وكيف يمكن لهؤلاء الشباب أن يحظون بعائلات سعيدة ، وبعائلات ناجحة ، من كان يحظى بعائلة متفاهمة فهو في خير عظيم ، ومن كان يحظى ببعض أفراد العائلة ؛ الأم الأب العم الأخوة أحد أفراد العائلة لا يعيش بتفاهم معه ، كيف له أن يتعامل دون أن يتنازل عن حقوقه ؟ ودون أن يصل إلى الجانب الآخر من الشاطئ إلى مرحلة العقوق والإساءة والقطيعة ؟ أسئلة كبيرة يدور النقاش بها في هذه الحلقة انطلاقاً من قول النبي عليه الصلاة والسلام :

((خيرُكُم خيرُكُم لأهْلِهِ وأنا خيرُكم لأهْلِي))

[الترمذي عن عائشة أم المؤمنين]

حتى يكون فينا الخير أرحب بفضيلة العالم الرباني الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي ، حياكم الله شيخنا .

الدكتور راتب :

بارك الله بكم ونفع بكم .

المذيع:

شيخنا الفاضل في حديثنا اليوم عن العلاقة التي يفترض أن تجمع الشاب بعائلته وأهله ، هل لنا أن نبدأ بمقدمة عن أهمية الأهل والعلاقة الجميلة معهم في حياة الشباب ؟

أهمية الأهل في حياة كل إنسان :

الدكتور راتب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألوِيَتِه ، وارضَ عنّا وعنهم يا ربّ العالمين .
كمقدمة بسيطة واضحة الواو حرف عطف ، ومن لوازم العطف التقارب والتماثل بين المتعاطفين ، فأنت لا تقول في مجلس عام : اشتريت بيتاً وملعقة ، لا يوجد تناسب ، تقول : اشتريت بيتاً ومزرعة ، بيتاً وسيارة ، الواو حرف عطف لكن يقتضي التماثل بين المتعاطفين بحدّ معين من التماثل ، فإذا قال الله عز وجل :

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾

[سورة الإسراء: 23]

رفع مستوى الإحسان إلى الوالدين إلى مستوى عبادة الله ، لأن الله هو الخالق ، والوالدين سبب وجود الإنسان :

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾

[سورة الإسراء: 23]



لذلك قضية بر الوالدين شيء مهم جداً ، لكن هناك قضايا كبيرة أو صغيرة تقع في العلاقة بين الأب والأم وبين الأولاد ، ورد في بعض الآثار النبوية أن الأم إذا ماتت يقول الله عز وجل : "عبدي ماتت التي كنا نكرمك لأجلها فاعمل صالحاً نكرمك لأجلك ". أي جزء من إكرام العبد من أجل أمه ، لأن أعظم قلب في حياتنا قلب الأم ، تروي بعض القصص - لا يهمني مدى وقوعها يهمني مغزاها - أن نبياً كريماً مرّ بامرأة تخبز على التنور ، وقد وضعت ابنها على إحدى طرفي التنور ، وكلما وضعت الرغيف في التنور ضمت هذا الصغير ، وشمته، وقبلته ، تعجب هذا النبي من هذه الرحمة ، قال : يا رب ما هذه الرحمة ! فكأن وقع في كيانه : هي رحمة الله عز وجل وسأنزعها ، فلما نزع الرحمة من قلب الأم بكى هذا الطفل فألقته في التنور . وهذا معنى قوله تعالى :

﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي ﴾

[سورة طه : 39]



محبة الأب لأولاده هي محبة الله ، محبة الأم لأولادها محبة الله ، فإذا نزعت هذه المحبة صار الابن شيئاً متعباً، وصار عبئاً على الأب والأم ، لذلك هناك بعض الحيوانات تربي أولادها أعلى تربية، وفي وقت معين تأكلهم ، تناقض عجيب جداً، فلذلك الأم لها شأن كبير في القرآن والسنة ، وفي هذا المنهج الإسلامي العظيم بر الوالدين في الدرجة الأولى لكن النبي ﷺ جاءه سيدنا سعد بن أبي وقاص ، أم سيدنا سعد قالت له : لا آكل الطعام حتى تكفر بمحمد ، سيدنا سعد بن أبي وقاص من كبار الصحابة ، الصحابي الوحيد الذي فداه النبي ﷺ بأمه وأبيه :

((ارْمِ سَعْدُ فِدَاكَ أَبِي وَأُمّي))

[أخرجه الشيخان عن علي بن أبي طالب]

والصحابي الوحيد الذي كان إذا دخل عليه يقول له :

((هذا خالي ، فَلْيُرِنِي امرُؤٌ خالَه))

[الحاكم في المستدرك عن جابر]

هذا الصحابي الجليل حينما قالت له أمه : لا آكل الطعام حتى تكفر بمحمد ، قال لها : يا أماه لو أن لكِ مئة نفس فخرجت واحدة واحدة ما كفرت بمحمد ، فكلي إن شئت أو لا تأكلي .



بر الوالدين متعلق بدائرة محدودة ، الأم طلبت طعاماً ، طلبت ثياباً ، طلبت دواء ، طلبت حاجة يجب أن تلبيها ، أما :

﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ ﴾

[سورة لقمان: 15]

لكن لا تطعهما بنعومة ، أي الأم والأب لهم طلبات كثيرة لكن هناك دائرة تجمع هذه الطلبات ، أما أن يطلب من الابن أن يطلق امرأته ، أنا قال لي أحد الأخوة الكرام : يأمرني أبي أن أطلق زوجتي ، قلت له : كيف هي زوجتك ؟ قال : ممتازة ، صاحبة دين ومحجبة وخدومة جداً وليس لي عليها أي مأخذ ، ولكن أبي لا يحبها ، قلت له : لك ألا تطلقها ، قال : أليس سيدنا عمر أمر ابنه بتطليق زوجته فطلقها ؟ قلت له : أبوك عمر ؟ قال : لا ، قلت له : انتهى الأمر .

دائماً طاعة الأم والأب في حدود ، يقول لك الأب طلق زوجتك ؟

المذيع:

شيخنا الفاضل الآن قليل في زماننا الأم والأب يطلبان من الابن الكفر ، أعتقد أنه نادر الحدوث ، كثير من المشاكل تحدث بين الشباب وعائلاتهم ، إما بقضايا دنيوية مثلاً الابن يريد هذا التخصص والأب يريد أن يكون ابنه طبيباً أو مهندساً ، الأم تريد أن تختار له شريكة الحياة ، أو بعض القضايا الدينية البنت ترتدي النقاب ، الشاب يذهب إلى المسجد ، كيف يتعامل الابن أثناء الخلاف مع الوالدين في هذه القضايا ؟

كيفية تصرف الابن أثناء خلافه مع والديه :

الدكتور راتب :

هناك حالة دقيقة بالفقه ؛ لو أن أباً امتنع عن تزويج ابنته هذا اسمه بالفقه : العضل، قال تعالى :

﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾

[سورة النور :19]



العضل امتناع الأب عن تزويج ابنته ، ما الحكم الفقهي بهذاالموضوع ؟ هذه البنت تذهب إلى القاضي تعرض عليه المشكلة ، القاضي يستدعي الأب رسمياً ويقول له : لماذا لا تريد أن تزوج ابنتك ؟ فإن قنع القاضي بتعليل الأب بامتناعه عن تزويج ابنته ينضم القاضي إلى الأب ، وإذا لم يقتنع القاضي يزوجها والقاضي وليها .

المذيع:

هل تجرؤ فتاة اليوم على فعل ذلك ؟

الدكتور راتب :

لا تجرؤ إلا أنها تكلم العم ، الخال ، أصدقاء الأب ، هناك طرق كثيرة ، إذا كانت لا تجرؤ أن تقول لأبيها : لا، هي تستطيع أن تقنع عمها أو خالها أو كبار أقربائها أو أصدقاء الأب .

المذيع:

ليس لا تجرؤ بل لا تأمن رد فعل الأب بعد ذلك ، لن يقبل أن تعود إلى البيت .

تجنب الشرك الخفي و الابتعاد عنه :

الدكتور راتب :

هو هل يقبل أن تكون ابنته عانسة ؟ ورد في بعض الآثار : البنت يوم القيامة تقف أمام رب العزة ، تقول : يا رب ، لا أدخل النار حتى أدخل أبي قبلي . هو سبب فسادي ، أن ترتدي الثياب العصرية ، أن تبرز كل مفاتنها والبنت لا تريد ذلك :

﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي ﴾

[سورة لقمان: 15]



كلمة الشرك لا تعني الكفر ، أن يطاع الأب في معصية ، هذا شرك ، لذلك أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الخفي ، أما إني لست أقول إنكم تعبدون صنماً ولا حجراً ، ولكن شهوة خفية ، وأعمالاً لغير الله .

الشرك الجلي غير موجود ، نحن لا يوجد عندنا إله نعبده من دون الله مثل بوذا في شرق آسيا ، في العالم الإسلامي لا يوجد عندنا شرك جلي ، عندنا شرك خفي ، أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الخفي ، أما إني لست أقول إنكم تعبدون صنماً ولا حجراً ، ولكن شهوة خفية، وأعمالاً لغير الله . هذا نوع من الشرك ، الشرك أخفى من دبيب النملة السمراء ، على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء ، وأدناه أن تحب على جور ، وأن تبغض على عدل ، مثلاً إنسان تعلم علم اليقين أن ماله حرام ، لكنه يكرمك إكراماً كثيراً فتحبه ، هذه محبة على جور ، أو إنسان نصحك بأدب جم كيف تجرأ ونصحك تبغضه ، هذا نوع من الشرك ، الشرك أخفى من دبيب النملة السمراء ، على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء ، وأدناه أن تحب على جور ، وأن تبغض على عدل، فحينما يجبر الأب ابنته على قبول خاطب ، هذه قضية مصيرية.

تولي الله التوفيق بين الزوجين إذا بني الزواج على طاعة الله :

الخاطب ليس له علاقة بالأب ، علاقته مع الأب علاقة بعيدة ، سوف يكون زوجها ، فإن لم يكن مؤمناً مطبقاً لمنهج الله سيكون هناك متاعب كثيرة معه ، لذلك قيل : زوج ابنتك للمؤمن إن أحبها أكرمها ولا سمح الله ولا قدر إن لم يحبها لم يظلمها ، وقد ورد في بعض السير : القاضي شريح لقيه صديقة الفضيل فقال له : يا شريح كيف حالك في بيتك ؟ قال : منذ عشرين عاماً لم أجد من يعكر صفائي ، قال : وكيف ذلك يا شريح ؟ قال : خطبت امرأة من أسرة صالحة ، فلما كان يوم الزفاف وجدت صلاحاً وكمالاً ، فصليت ركعتين شكراً لله على نعمة الزوجة الصالحة ، فلما سلّمت من صلاتي وجدت زوجتي تصلي بصلاتي ، وتسلم بسلامي ، وتشكر شكري ، فلما خلا البيت من الأهل والأحباب دنوت منها ، فقالت لي : على رسلك يا أبا أمية ، فقامت فخطبت ، قالت : أما بعد ، يا أبا أمية إني امرأة غريبة لا أعرف ما تحب ولا ما تكره ، فقل ما تحب حتى آتيه ، وما تكره حتى أجتنبه ، ويا أبا أمية قد كان لك من نساء قومك من هي كفء لك ، وكان لي من رجال قومي من هو كفء لي، ولكن كنت لك زوجة على كتاب الله وسنة رسوله ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، فاتقِ الله فيّ وامتثل قوله تعالى :

﴿ فإمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾

ثم قعدت ، قال : فألجأتني إلى أن أخطب ، صار يوم خطابات ، وقف وقال : أما بعد ، فقد قلت كلاماً إن تصدقي فيه وتثبتي عليه يكن لك ذخراً وأجراً ، وإن تدعيه يكن حجة عليك ، أحب كذا وكذا وأكره كذا وكذا ، ما وجدت من حسنة ، فانشريها وما وجدت من سيئة فاستريها . قالت : كيف نزور أهلي وأهلك ؟ قال : نزورهم غباً مع انقطاع بين الحين والحين حتى لا يملونا . وفي الحديث الشريف :

((زر غِبَّاً تزدد حبَّاً))

[الطبراني عن عبد الله بن عمرو]



قالت : فمن من الجيران تحبَّ أن أسمح لهنَّ بدخولِ بيتك ومن تكره ؟ قال : بنو فلان قومٌ صالحون ، وبنو فلان قومٌ غير ذلك ، قال : ومضى عليَّ عامٌ جئت إلى البيت فإذا أم زوجتي عندنا فلمَّا دخلت رحَّبتُ بها أجمل ترحيب ، وكانت قد علمت من ابنتها أنها في أهنأ حال، قالت لي أمها : يا أبا أمية كيف وجدت زوجتك ؟ قلت : والله هي خير زوجة ، قالت : يا أبا أميَّة ما أوتي الرجال شراً من المرأة المدلَّلة فوق الحدود ، فأدِّب ما شئت أن تؤدِّب ، وهذِّب ما شئت أن تهذِّب ، ثم التفتت إلى ابنتها تأمرها بحسن السمع والطاعة . قال : ومضى عليّ عشرون عاماً لم أجد ما يعكر صفائي إلا ليلة واحدة كنت فيها أنا الظالم . أي إذا بني الزواج على طاعة الله يتولى الله في عليائه التوفيق بين الزوجين ، أما إذا بني على معصية الله فيتولى الشيطان التفريق بينهما .

المذيع:

وأين يجد الإنسان من تخطب في مثل هذا المقام ؟

الدكتور راتب :

الطيبون للطيبات .

المذيع:

سنتوقف مع فاصل قصير ، وسنتابع عن العلاقة الجميلة بين الشباب وبين عائلاتهم..

دكتور شوقتنا للعلاقة الدافئة الجميلة وهذا فعلاً موجود في تاريخنا الإسلامي ، أنا شاب وأريد أن أدرس تخصصاً أنا أختاره ، ووالدي مهندس ويلزمني أن أكون مثله مهندساً كيف يفترض أن أفعل ؟

الأب العاقل لا يتدخل في الشؤون الدقيقة لأولاده بل يبقى في الكليات :

الدكتور راتب :

أنا أقول كما يقول سيدنا علي : " علِّموا أولادكم وهذبوهم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم ". هذه قضية دقيقة جداً على الأب أن يراعيها ، الأب قد لا يقنع بالكومبيوتر ، الأب عاش بزمن لا يوجد به كومبيوتر ، الآن الكومبيوتر رفع الدقة من واحد لمليون ، نزل الجهد من مليون لواحد ، تطور من دراجة إلى روزرايز ، هبط سعره من روزرايز لدراجة ، إنجاز الكومبيوتر الذي لا يتقنه الآن أمي ، أنا حينما أعيش في وقت ما كان فيه كومبيوتر وابني طالبني بكومبيوتر أنا يجب أن أراعي أن ابني موجود بزمن غير زمني ، علِّموا أولادكم وهذبوهم أي علموهم وفق العصر الذي يعيشون فيه ، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمنكم ، هذا من عقل الأب والأم ، كلما اتسع عقل الأب ما تدخل في أموره الخاصة ، تدخل بالقضايا العامة ، تكون حرفته مقبولة شرعاً شريفة لا يوجد بها إيذاء للناس .

المذيع:

أنا كأب هل لي الحق الشرعي أن ألزم ابني باختيار تخصص معين ؟

الدكتور راتب :



لا ، مثلاً عندنا قصة لأديب كبير توفيق الحكيم ، أبوه قاض وألزمه بكل جهده أن يدرس الحقوق ، لكنه لم يفلح بالقضاء و لا بالمحاماة لأن اتجاهه يتناقض مع إلزام أبيه له ، فأنا أرى أن الأب الحكيم يعطي ابنه الخيارات كلها مقبولة ، الابن يختار من خيارات الأب ، لا أن يلزمه بفرع معين ، الأب يجب أن يلزم ابنه بالدراسة أي ألا يكون غير جامعي .

المذيع:

ولو حصل أن هذا الأب لم يتقبل هذه الفكرة وأراد أن يلزم ابنه أنا كيف أتصرف ؟

الدكتور راتب :



يجب أن يحتال ، بمعنى أن يتكلم مع عمه ، مع خاله ، مع أصدقاء والده ، يقنع أباه ، وهناك طريقة ثانية يبالغ بإكرام والده ، حتى يستميل قلبه ثم يطلب هذا الفرع ، هناك أساليب كثيرة ، وأنا أقول لك دائماً : الإنسان عندما يهدف إلى شيء يرضي الله ، الله يعينه على ذلك ، الله يلين قلب الأب ، دئماً وأبداً ، قلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء ، فأنت عندما تطلب من الله ، أنا أقول لأخواننا الكرام المشاهدين ، إذا كان ثلث الليل الأخير ينزل ربكم إلى السماء الدنيا فيقول : هل من سائلٍ فأجيبه ؟ هل من داعٍ فألبيه ؟ هل من طالب حاجةٍ فأقضيها له ؟ هل من مستغفرٍ فأغفر له ؟ أنا أضع نفسي مكان هذا الشاب الذي أراد فرعاً رآه أقرب إلى طبيعته ، أقرب إلى ميوله ، أقرب إلى كفاءته ، الأب يلزمه أن يكون طبيباً هناك مئة طبيب ، ألف طبيب ، وهذه قضية مصيرية للابن ، كلما رأيت الأب أعقل وأوسع وعنده مرونة أكثر لا يتدخل في الشؤون الدقيقة لأولاده ، يبقى في الكليات ، الحرفة مقبولة وشريفة و لا يوجد فيها دخل حرام ، ولا إيذاء للناس ، ولا إثارة للفتنة ، فمادامت الحرفة ضمن الوضع السليم يجب أن يعطي ابنه الحرية .

المذيع:

شيخنا الفاضل بعض الآباء والأمهات يقومون بأفعال قد يعتقد الأبناء أنها خاطئة ما هي الطريقة الأمثل كي أنصح والدي أو والدتي ؟

تليين القلوب بالإحسان :

الدكتور راتب :

أولاً : الأسلوب اللطيف يسلك أي رأي ، أنا أقول دائماً : إنسان تزوج امرأة ووالده أراد أن يطلقها ، هو أخ عندي في الجامع ، قلت له : كيف هي ؟ قال : جيدة جداً لكن أبي لا يريدها ، علمته أن يحسن لوالده كثيراً ، خلال ستة أشهر ، هدايا أسبوعية ، خدمة عالية جداً ، ثم طلب منه أن يوافق على زوجته فوافق الأب ، الإنسان بالإحسان يلين قلبه :

((يا داود ذكّر عبادي بإحساني إليهم فإن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها ، وبغض من أساء إليها))

[ورد في الأثر]



الأب بشر فالإحسان المتميز من الابن يجعله يرضخ لرغبة الابن ، ويجعله أيضاً مع شرح الابن والدي أنا هذه الإنسانة مقتنع بها ، بأخلاقها ، بأهلها ، وهي مناسبة لي ، وأنت أبي وأنا لا يمكن أن أقطع أمراً من دونك ، ذكاء سياسي ، ذكاء معه حكمة ، أنت ممكن أن تنتزع من فم عدوك شيئاً في صالحك وهو لا يشعر ، أنا أرى أن الحكمة أكبر عطاء إلهي للإنسان ، والدليل قال تعالى :

﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيراً ﴾

[سورة البقرة: 269]

بالحكمة تجعل العدو صديقاً ، ومن دون حكمة تجعل الصديق عدواً ، بالحكمة تسعد بزوجة من الدرجة العاشرة ، ومن دون حكمة تشقى بزوجة من الدرجة الأولى .

المذيع:

شيخنا بما فتح الله عليك من الحكمة كيف يمكن لعائلاتنا أن تكون عائلات سعيدة ؟ الآن كثير من العائلات هي شبه متفرقة ، الشباب في الخارج ، البنات في جامعاتهم ، الأم في مطبخها ، الأب خارج البيت ، هل لنا بوصفة للسعادة من الدكتور محمد راتب النابلسي ؟

كيف يمكن لعائلاتنا أن تكون عائلات سعيدة ؟

الدكتور راتب :

والله أنا أعرف أسرة أحترمها كثيراً ، لا بد من أن يكون أفراد الأسرة مجتمعين على وجبة طعام واحدة في البيت ظهراً أو مساءً ، إذا كان هناك اجتماع على الطعام ، الأب سأل ابنه عن دراسته في الجامعة ، سأل ابنه الصغير ، سألته ابنته سؤالاً ، هذا اللقاء الأسري مهم جداً ، هذا الحوار ، هناك أناس في غفلة كبيرة يقول لك : أنا خرجت قبل أن يستيقظوا وعدت بعدما ناموا ، فقدت أبوتك لهم ، فلا بد من وقت حتى أن أرسطو – والقصة قديمة – قال :



الإنسان إن لم يكن له وقت فراغ يمضيه كما يحب ليس من بني البشر . اشتغل ثماني ساعات لكن يجب أن يكون عندك وقت لتحضر درساً بجامع ، لتتابع موضوعاً فقهياً ، موضوعاً أدبياً ، لا بد من وقت تصرفه في شأنك الخاص ، في اتجاهك الخاص ، في متعتك الخاصة ، عندئذ تكون إنساناً، الذي لا يملك وقت فراغ ليس إنساناً . أي عمل إذا أخذ كل وقتك هو أكبر خسارة، إذا أرسلنا إنساناً ليأخذ دكتوراه من باريس ، لكن لا يوجد معه ما ينفقه على نفسه، فاشتغل أربع وعشرين ساعة ، لا يأخذ الدكتوراه ، الدخل الذي كبر مع طول الوقت ألغى مهمته في فرنسا ، إذا اشتغل ساعة لا يكفي ، كل شيء يعيقك عن هدف كبير خسارة كبيرة .

المذيع:

شيخنا أن تجتمع العائلة ولو مرة واحدة يومياً على وجبة طعام .

الدكتور راتب :

النصيحة الثانية إياك أن تعنف ابنك :

((علموا ولا تعنفوا))

[البيهقي عن أبي هريرة]



إذا عنفته تعنيفاً شديداً يكذب عليك ، البطولة ألا يكذب على أبيه ، من هو صديقك؟ أول شيء ؛ اللقاء ، ثم إلغاء الكذب بين الأب والأولاد والأم والأولاد .

المذيع:

من خلال الملاطفة والابتعاد عن التعنيف .

الدكتور راتب :

من صديقك ؟ ادعه إلى البيت ، أحب أن أعرفه ، شاهد حديثه ، أو التقى الأب مع والد الصديق ، بالمناسبة الأم والأب وشيخ الجامع والذي يتكلم بقضايا دينية ، تأثير الكل أربعون بالمئة ، وتأثير صديق السوء ستون بالمئة ، فالبطولة الأولى أن تعرف من هو صديق ابنك ، والبطولة أن تعرفي أيتها الأم من هي صديقة ابنتك.



أنا عندي كلمة دقيقة : هناك عيد بخروج الأب ، وفي بيت آخر العيد بدخول الأب، فكل بطولة الأب أن يجعل العيد بالدخول لا بالخروج ، والأب إذا منع ابنه من شيء يجب أن يكون هناك

أسباب، الله خالق الأكوان طالبك بالشيء و لكن معه التعليل ، فالتعليل غير ملزم للقوي ، القوي يعطي أمراً فقط، قال تعالى :

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾

[سورة التوبة: 103]

لما أعطى التعليل كان المستمع محترماً جداً ، أنت عندما ترفض شيئاً في بيتك يجب أن يرافق هذا الرفض التعليل ، التعليل تكريم ، احترام ، والابن عندما يطلب شيئاً من والده يجب أن يقدم له التعليل ، نحن بعصر كومبيوتر لا بد من هذه الدورة ، فإذا الابن علل والأب علل ، صار هناك تفاهم و انعدم القمع ، هناك قمع إيجابي وقمع سلبي .

خاتمة و توديع :

المذيع:

أشكر الدكتور العلّامة على هذه الكلمات الطيبة ، وإن شاء الله كل العائلات هادئة وسعيدة ، و الشكر لكم مشاهدينا الكرام في حديثنا عن العلاقة التي تجمع الشباب بعائلاتهم ، والشيخ قال : يجب أن يكون هناك اجتماع يومي لأفراد العائلة ، والعائلات المتقطعة للأب أو الأم ، خيرهم من يبدأ بالسلام ، هذا السنة الحسنة ، وأن يكون هناك إقناع بعيد عن التعنيف ، لا نقبل أن نسيء ، أو نرفع الصوت ، يجب أن نكون هادئين :

((خيرُكُم خيرُكُم لأهْلِهِ وأنا خيرُكُم لأهْلِي))

[الترمذي عن عائشة أم المؤمنين]

وخيرنا سيدنا محمد ﷺ ، إلى هنا نصل إلى الختام ، نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك ، تحية طيبة لكم ، والسلام عليكم .

والحمد لله رب العالمين

الفصل الحادي عشر : موضوعات عامة للشباب

الدرس (7-1) : توجيه الشباب بالصيام حسب ما أراده الله

الدرس (7-2) : توجيه الشباب باتباع الخطوات المثلى لقيام الليل

الدرس (7-3) : العشر من ذي الحجة و ما يستحب فيه

الدرس (4 - 7) : حكم الاختلاط وضوابطه

الدرس (5 - 7) : الموازنة بين الاهتمام باللباس والانضباط الشرعي فيه

الدرس (7-6) : قيم البطولة والفداء في تاريخ أمتنا العربية

الدرس (7-7) : مقتطفات من سور في القرآن الكريم

الفصل الحادي عشر : موضوعات عامة للشباب

الدرس (1-7) : توجيه الشباب بالصيام حسب ما أراده الله

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الشباب:

بعد أيام قليل ينزل بنا ضيف كريم وزائر عزيز...إنه رمضان الخير والحب والرحمة ، وفي الحديث الشريف: (من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) وفي الحديث أيضاً: (من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) .

ومما لا شك فيه أن إنساناً أثقلته الديون وأقضت مضجعه ثم جاءه عرض بأن يقوم بمجموعة أعمال خلال شهر واحد فإذا بديونه قد تلاشت وبهمومه قد زالت، مما لا شك فيه أنه لا يتردد ثانية واحدة في تنفيذ الأعمال المطلوبة ليرتاح بعدها من هموم الدين.



فكيف بإنسان أثقلته المعاصي والآثام، ثم جاءه عرض مميز، يصوم شهراً من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ويقوم ليله بصلاة التراويح فتُمحى خطاياه ويفتح بعد رمضان صفحة جديدة مع الله تعالى؟!!

لا شك أن كل عاقل منا لا يرفض هذا العرض ولا يتردد في قبوله وإلا فإنه يتهم في عقله بأشد مما يتهم به من ترك العرض الأول الذي يعفيه من ديونه.

أيها الإخوة الشباب:

حتى يتحقق لنا صوم كما أراد الله تعالى وقيام كما يحب مولانا ويرضى أنصحكم بما يلي:

1- الاستعداد لرمضان قبل دخوله بالتوبة والاستغفار وقيام الليل والصدقة فرب حدث بسيط كوظيفة أو عمل أو شراء بيت نستعد له أشهراً قبل موعده أفلا يستحق شهر الغفران منا استعداداً وتأهباً وقد قال ﷺ: (رغم أنف عبد أدرك رمضان فلم يغفر له إن لم يغفر له فمتى ؟!) وقد كان السلف الصالح يسألون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبل منهم رمضان وكأن حياتهم كلها رمضان.

2- عدم الاكتفاء بترك المباحات في رمضان بل تقديم ترك المحرمات عليها إذ لا يعقل ولا يقبل أن يترك المرء ما أحله الله له خارج وقت الصيام من طعام وشراب ثم يأتي ما حرمه الله عليه داخل وخارج رمضان كإطلاق البصر أو الغيبة أو الكذب أو الخيانة فترك المحرمات من باب أولى .

3- استغلال وقت السحر بالصلاة والدعاء فإنه ينزل ربنا إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر ويقول: هل من طالب حاجة فأقضيها له هل من مستغفر فأغفر له....

4- المحافظة على الصلوات في جماعة المسجد لا سيما صلاة الفجر والعشاء .



ذكر الله عقب صلاة الفجر في المسجد وقراءة القرآن حتى يأتي وقت صلاة الضحى فنصليها إن أمكن فقد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم من صلى الغداة في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة.

5- المحافظة على قراءة جزء من القرآن بتدبر وخشوع كل يوم حداً أدنى .

6- الدعاء عند الفطر والإفطار على تمرات ثم أداء صلاة المغرب قبل تناول الطعام وفي هذا فوائد روحية وصحية عظيمة .

7- المحافظة على صلاة التراويح والقيام مع الإمام والانصراف معه ما أمكن ليكتب الأجر كاملاً .

8- التزام الأذكار المسنونة لا سيما صباحاً ومساء (لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله).

9- دفع صدقة يومية قدر الطاقة فقد كان رسول الله ﷺ جواداً وكان أجود ما يكون في رمضان كان كالريح المرسلة.

أسأل الله تعالى أن يبلغنا وإياكم رمضان وأن يتقبل منا ومنكم الصيام والقيام وأن يعيننا وإياكم على الصيام والقيام وغض البصر وحفظ اللسان وأن يجعلنا من عتقائه من النيران

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-7) : توجيه الشباب باتباع الخطوات المثلى لقيام الليل

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الشباب:

كنت وعدتكم أن أتحدث في مقالة شهر آذار عن قيام الليل، فالله تعالى يقول: (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً).

وعن عبد الله بن سلام قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم جفل الناس إليه و قيل قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم فجئت في الناس لأنظر إليه فلما استبنت وجه رسول الله صلى الله عليه و سلم عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب فكان أول شيء تكلم به أن قال: يا أيها الناس أفشوا السلام و أطعموا الطعام و صلوا الأرحام و صلوا بالليل و الناس نيام تدخلون الجنة بسلام .

يقول ﷺ: (أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن).

يقول ﷺ: (شرف المؤمن صلاته بالليل وعزه استغناؤه عما في أيدي الناس).



فما هي الخطوات التي ينبغي القيام بها ليسهل علينا قيام الليل ؟

1- امتلك رغبة حقيقية صادقة في قيام الليل نابعة من يقينك بأهمية القيام ودوره في بناء إيمانك القادر على الوقوف في وجه الشهوات والشبهات هذه الرغبة محلها القلب، ودافعها السير إلى الله تعالى، ومحركها محبة الله تعالى وكلامِه والخوفُ من عاقبة الذنوب والتقصيرِ في حق العبودية لله والرغبةُ في شكر النعم التي لا تعد ولا تحصى.

2- اتجه إلى فراشك باكراً واطلب من الله تعالى أن يعينك على القيام فهو وحده القادر على ذلك.

3- استحضر قبل نومك يوماً من أيام الله تفضل به عليك ونعمة من نعمه التي لا تنقضي واستحضر سبباً من أسباب الخوف من الله تعالى (الخوف يدفعك إلى الاستيقاظ والحب يدفعك إلى المناجاة)

4- اتخذ سبباً للاستيقاظ ولا تعتمد عليه، وعوّد نفسك أن تنهض واقفاً فور وجود السبب مهما كانت الظروف ومهما شعرت برغبة في البقاء في الفراش .

5- لا تنس الأذكار المسنونة قبل النوم.

6- انهض من فراشك وتوضأ وضوءاً غير الذي عرفته من قبل وضوءاً ليس لرفع الحدث واستباحة الصلاة فحسب ولكن لطهارة القلب والإقبال على الله .

7- قف بين يدي الله تعالى واستحضر عظمته وجلاله وتوجه بقلبك إليه.

8- اختر آيات تتأثر بها وتحبها واقرأها ولو بصوت تسمعه لنفسك وتغنَّ بها وتفكر بمعانيها

9- أطل القيام والركوع والسجود وناج الله في سجودك واطلب منه بدموع وإخلاص ما تريد من حوائج الآخرة فالدنيا.

10- صلِّ ما شئت وما تطيقه نفسك (ركعتان – أربع – ست – ثمان).

11- لا تحدث أحداً بقيامك الليل فالقيام من عبادات الإخلاص فلا تفسدها بالتحدث عنها إلا لحاجة ضرورية.

12- إن لم تستطع القيام فلا مانع في البدايات أن تصلي قبل أن تأوي إلى فراشك

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-7) : العشر من ذي الحجة و ما يستحب فيه

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الشباب:

ها قد أطل علينا شهر ذي الحجة المبارك بعشره الأول التي هي خير أيام الدنيا، والتي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما:

((مَا مِنْ أيَّامٍ العَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أحَبُّ إلى الله مِنْ هَذهِ الأيَّامِ العَشْرِ))

فقالُوا يا رسولُ الله: ولا الجِهَادُ في سَبِيلِ الله؟ فقالَ رسولُ الله:

((ولا الجِهَادُ في سَبِيلِ الله، إلاّ رَجُلٌ خَرجَ بِنَفْسِهِ ومَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ من ذَلِكَ بِشَيْءٍ))

رواه البخاري



كما روى الإمام أحمد رحمه الله عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:

((ما مِنْ أَيامٍ أَعْظَمُ عند الله، ولا أَحبُّ إليه من العمل فيهنَّ، من هذه الأيام العشْر، فأَكْثِروا فيهنَّ من التهليل والتكبير والتحميد))

إنها الأيام المعلومات التي شرع فيها الله ذكره:قال تعالى:

﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾

(سورة الحج)

وجمهور العلماء على أن الأيام المعلومات هي عشر ذي الحجة.

كما أن فيها يوم عرفة: وهو يوم الحج الأكبر، ويوم مغفرة الذنوب، وصيامه:

((يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ))

[رواه مسلم]

كما أن فيها يوم النحر وهو اليوم العاشر من ذي الحجة، وهو من أفضل الأيام عند الله، قال ﷺ:

((إِنَّ أَعْظَمَ ٱلأَيَّامِ عِنْدَ الله تبارك وتعالى يَوْمُ النَّحْرِ ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ))

ويوم القر هو اليوم الذي يلي يوم النحر .

وأما ما يستحب فعله في هذه الأيام فهو:

1- التوبة والإقلاع عن المعاصي وجميع الذنوب .

2- الصلاة: وهي من أجل الأعمال وأعظمها وأكثرها فضلاً، ولهذا يجب على المسلم المحافظة عليها في أوقاتها مع الجماعة، وعليه أن يكثر من النوافل في هذه الأيام، فإنها من أفضل القربات.

3- الصيام: وبالأخص صوم يوم عرفة، روى مسلم عن أبي قتادة عن النبي ﷺ قال:

((صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنةَ الَّتِي قَبْلَهُ. وَالسَّنةَ الَّتِي بَعْدَهُ))

وعن حفصة قالت:

((أَرْبَعٌ لَمْ يَكُنْ يَدَعُهُنَّ النَّبِــيُّ ﷺ صِيَامَ عَاشُورَاءَ وَالْعَشْرَ وَثَلاَثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْغَدَاةِ))

[رواه أحمد والنسائي]

4- التكبير والتحميد والتهليل والذكر: وذكر البخاري رحمه الله عن ابن عمر وعن أبي هريرة رضي الله عنهم أنهما كانا يخرجان إلى السوق في العشر، فيكبرون ويكبر الناس بتكبيرهم.

5- كثرة الأعمال الصالحة

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4 – 7) : حكم الاختلاط وضوابطه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

المذيع :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، وأتمّ الصلاة وخير التسليم على نبي الرحمة ، على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، السلام عليكم وأهلاً ومرحباً بكم مشاهدينا الكرام معنا في برنامجنا الشبابي ، حيث نطرح مجموعة من الملفات والعناوين التي تساهم في إيضاح الأفكار في عقول الشباب ، ليكون لدينا بناء فكري لجيل النصرة ولجيل التحرير بحول الله عز وجل .

أهلاً ومرحباً بكم مشاهدينا الكرام نتحدث عن الاختلاط بين الذكور والإناث ، الله عز وجل حينما خلق هذا الكون جعل فيه ذكراً وأنثى ، ولو شاء الله لجعل كرة أرضية للرجال وكرة للنساء ، بل كان كوناً واحداً يجمع الجميع فيه، وفي ذات الوقت فإن علماءنا يحذروننا من فتنة الاختلاط ، كيف نتعامل مع الاختلاط ؟ هذا هو حديثنا مع فضيلة الداعية الكبير الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي ، السلام عليكم شيخنا وأهلاً ومرحباً بكم .

الدكتور راتب :

عليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

المذيع:

شيخنا الفاضل ربنا خلقنا معاً في كون واحد ، وطالما حذرنا العلماء من الاختلاط ، لو نظرنا في بعض الأمور نجد أن الأصل في الإسلام الإباحة ، كالاختراعات العلمية ومشاهدة الانترنيت والتلفاز ، إن شاهدت حلالاً فلك وإن شاهدت حراماً فعليك ، الاختلاط كحكم شرعي بين الذكور والإناث هل الأصل فيه الإباحة أم أن الأصل فيه التحريم ولحالات خاصة ؟ أصل حكم الاختلاط بين الذكور والإناث ؟

حكم الاختلاط بين الذكور والإناث :

الدكتور راتب :

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويَته ، وارضَ عنّا وعنهم يا ربّ العالمين .

الحقيقة أن الله عز وجل حينما قال :

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

[سورة آل عمران الآية : 14]



دوافع الإنسان سبيله للبقاء

ربنا سبحانه وتعالى خلق فينا دوافع ، أحد هذه الدوافع الطعام والشراب حفاظاً على بقاء الفرد ، وثاني هذه الدوافع دافع الجنس – أي الزواج –حفاظاً على بقاء النوع ، الدافع الثالث الدافع إلى التفوق حفاظاً على بقاء الذكر ، الحديث مما تبين من مقدمتك العلاقة بين الذكر والأنثى .

أولاً : المرأة محببة إلى الرجل شئنا أم أبينا ، اعترفنا أم لم نعترف ، أسفنا ام فرحنا ، هذه المشاعر ليس لها علاقة أمام حقيقة علمية ، فالمرأة في أصلها محببة إلى الرجل ، ولولاها لما استمر النوع البشري .

المذيع:

وهل يصح أن الرجل محبب للمرأة ؟

الدكتور راتب :



نفس الشيء ، قال تعالى :

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ *وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴾

[سورة النور: 30-31]

هذه حقيقة صارخة ثابتة ، الآن هذه الشهوات التي أودعها الله فينا ومنها حب الجنس ، هذه الشهوات يمكن أن نتحرك بها مئة وثمانين درجة ، إلا أن هذا الشرع العظيم سمح لنا بمئة درجة ، والدليل :

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ﴾

[سورة القصص: 50]

لعلماء الأصول المعنى المخالف ، الذي يتبع هواه وفق هدى الله لا شيء عليه ، إذاً هناك أنثى محببة للرجل ، أول موضوع موضوع الزواج ، هذه الشهوة حينما يقضيها الإنسان مع من تحل له لا شيء عليه إطلاقاً .

المذيع:

بل يؤجر .

الدكتور راتب :

إلا أن هناك تفاصيل دقيقة لا مجال لذكرها الآن ، أن يحب الإنسان زوجته .

((الحمد لله الذي رزقني حب عائشة))

[ورد في الأثر]

حمد الله على أنه أحب زوجته .

المذيع:

طريق حلال وطريق حرام .

الدكتور راتب :

عندنا العلاقات الزوجية هذه لا يوجد فيها قيود أبداً إلا أشياء طفيفة جداً لها مجال آخر ، بقي المحارم ، هناك علاقات الابن مع أمه ، مع أخته ، مع ابنته ، مع بنت ابنته ، مع عمته ، مع خالته ، هؤلاء المحارم ، الشرع ذكر من خلال بعض الفقهاء ثياب الخدمة ، العلاقة بين المحارم بثياب الخدمة ، شرحت شرحاً مقتضباً ، القبة مرتفعة قليلاً ، نصف كم ، عند الركبتين ، هذه ثياب الخدمة بين المحارم ، الأم والأخت والعمة والخالة .

المذيع:

ليس فقط على اللباس مبدأ الاختلاط مع المحارم لا يوجد مشكلة ، أنا أجلس بخلوة مع عمتي ، جلسة منضبطة نتحدث .

الدكتور راتب :

العلاقة مع الأجنبية هذا مصطلح شرعي ليس له علاقة بالأجنبية من غير بلد ، من دولته نفسها ، عندنا زوجة ، محارم ، أجنبية ، فالعلاقة مع الأجنبية بحدود الشرع ما دام هي محجبة وفق شرع الله ، وهو يغض بصره عنها وفق منهج الله ، هي تحترز بالحجاب وهو يحترز بغض البصر ، الاختلاط مسموح .

المذيع:

مسموح لضرورة .

الدكتور راتب :

لا لضرورة .

المذيع:

دكتور أنا أغض بصري وفتاة بالزي الكامل وأنا أريد أن أشرب قهوة معها لا يوجد ضرورة ؟ أنا غاض للبصر وهي ترتدي الحجاب .

الدكتور راتب :

أنا بهذه الناحية متشدد جداً لا أرى هذا مباحاً ، لأن هذا لا يبقى كما ذكرت يتطور، صخرة في قمة جبل، بعد هذا الجبل واد سحيق ، أنت قلت : أنا سأقذف الصخرة فقط مسافة مترين لا تستقر إلا في قعر الوادي ، هذه الحقيقة المرة ، ما دام هناك علاقة بين ذكر وأنثى ، هذه العلاقة الله خلقها .

المذيع:

دكتور رأيكم الشرعي الأصل أن الاختلاط ممنوع ، الآن إذا كان هناك ضرورة أو حاجة التقيد بالضوابط غض البصر والحجاب لا يوجد مشكلة ، بلا حاجة الأمر مرفوض عندكم؟

دكتور طبيعة الكون الذي خلقه الله هو كون مختلط ، إذا أردت أن تطوف في البيت الاختلاط موجود ، والنساء تكشف وجوهها ، والرجال يكشفون الكتف ، الاختلاط جزء من هذا الكون .

الدكتور راتب :

اسأل حاجاً أو معتمراً ، أقسم لك بالله أنه حينما دخل بيت الله الحرام الجنس اختفى من حياته ، أنا هكذا أشعر ، ويشعر كل من جح بيت الله الحرام ، هنا هذا المثل له خصوصية خاصة ، هو في عبادة تارك بلده ، راكب عشرات ألوف الكيلومترات، دافع مبالغ طائلة حتى يتقرب إلى الله.



المذيع:

أنا قصدت من هذا السؤال ما هي الحكمة الشرعية من الاختلاط عند الحرم ؟ لماذا جعل الله الطواف مختلطاً ؟ لماذا لم يكن مسجداً للرجال وآخر للنساء ؟

الحكمة الشرعية من الاختلاط عند الحرم :

الدكتور راتب :

السيدة عائشة رضي الله عنها :

((كَانَ الرُّكْبَانُ يَمُرُّونَ بِنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْرِمَاتٌ فَإِذَا حَاذَوْا بِنَا أَسْدَلَتْ إِحْدَانَا جِلْبَابَهَا مِنْ رَأْسِهَا عَلَى وَجْهِهَا))

[أحمد عن عائشة]



السيدة عائشة بالبخاري ، الاختلاط له نتائج سلبية لكن ما دام هناك انضباط هو الاختلاط عولج بحجاب المرأة ، وغض بصر الرجل .

المذيع:

هو درس للناس ليتعلموا الانضباط لكن في مكان واحد .

الدكتور راتب :

((ما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه))

[الجامع الصغير عن ابن عمر]

مستحيل وألف ألف مستحيل أن تطيعه وتخسر وأن تعصيه وتربح ، ما دمت قد خضعت لمنهج الله لك مكافأة من الله ، هذا الذي يجب أن يعلمه كل شاب وشابة .

المذيع:

دكتور هل يوجد أدلة واضحة صريحة بتحريم فكرة الاختلاط إلا بضوابط ؟

دليل من القرآن الكريم على تحريم فكرةِ الاختلاط إلا بضوابط :

الدكتور راتب :

النص ، قال تعالى :

﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾

[سورة الأحزاب : 53]

المذيع:

دكتور ما المقصود ؟

الدكتور راتب :



أي اللقاء يكون من وراء حجاب ، هذه الآية أصل في عدم الاختلاط .

المذيع:

الأصل عدم الاختلاط ، دكتور كثير من القضايا في الكون هي مختلطة ، إذا أردنا أن نذهب إلى السوق لشراء حاجيات ، فالسوق مختلط ، إذا أردنا أن نذهب للجامعات غالبية الجامعات مختلطة ، ماذا نفعل مع هذه الاختلاط الإلزامي ؟

امتحان الإنسان في الدنيا :

الدكتور راتب :

أنا لي رأي أرجو أن يكون واضحاً ، الله عز وجل واجب الوجود ، وما سواه ممكن الوجود ، الكون ما سوى الله ، والتعبير عن الكون في القرآن السموات والأرض ، الله عز وجل واجب الوجود وما سواه ممكن الوجود ، معنى ممكن الوجود أي ممكن أن يكون وألا يكون .



ممكن أن يكون على ما هو كائن أو على خلاف ما يكون ، أليس من الممكن أن يخلق الله النساء في كوكب والرجال في كوكب ؟ لا يوجد أي مشكلة إطلاقاً ، لكن شاءت حكمة الله أن يكون في الأرض ذكر وأنثى ، وأن يكون هناك تجاذب بين الجنسين ، و يكون هناك شرع سمح بعلاقة طاهرة نقية رائعة ممتعة ، وعلاقة لا ترضي الله ، وامتحن عباده ، قال تعالى :

﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾

[سورة العنكبوت : 2]

فالإنسان مخلوق في الدنيا كي يمتحن :

﴿ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾

[سورة المؤمنون : 30]

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾

[سورة الملك: 2]

لو أن النساء في كوكب والرجال في كوكب لما كان هناك امتحان إطلاقاً ، فلا بد من أن تأتي إلى الدنيا ومعك منهج ، ومعك كون يدل على الله ، ومعك عقل ميزان ، معك فطرة، وعقل ، وكون ، ومنهج ، هذه من أجل أن تتحرك بدافع من منهج الله لا بدافع من غرائز الإنسان ، ما الفرق بين الإنسان والكائن الآخر الذي هو أدنى منه بكثير ؟ الغرائز تحرك الحيوان، بينما المبادئ والقيم تحرك الإنسان .

المذيع:

دكتور كأماكن الأسواق ، المستشفيات ، الجامعات ، مختلطة لكنها لضرورة .

سؤال : لو كنت أنا في السوق وكان هناك بائع وكانت هناك بائعة وأنا شاب ولي القرار أن أذهب هنا أو هناك نفس البضاعة ونفس السعر هل أنا آثم إذا اخترت البائعة ؟

بطولة الإنسان أن يقف الموقف الأحوط في الاختلاط :

الدكتور راتب :



الآن دخلنا بموضوع آخر هو الورع ، أن تدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس ، يوجد بائع وبائعة ، ممكن البائعة أن تنظر إليها وتملأ عينك من محاسنها ، وقعت بحجاب خفيف مع الله عز وجل ، وممكن هي أن تستلطف هذا الشاب تتكلم معه كلمة لطيفة تجذبه إليها، ممكن ، البطولة أن تقف الموقف الأحوط .

المذيع:

هذا الأحوط وليس الإلزامي ؟

الدكتور راتب :

إذا كان هناك مؤسسة ، فيها موظفات وموظفون ، أنت مواطن لك أن تدفع فاتورة الكهرباء ، فالموظفة موجودة أنت تغض بصرك عنها وهي تحتشم في ثيابها .

المذيع:

موضوع كبير يحتاج إلى كثير من التفاصيل ...

نواصل حديثنا عن الاختلاط ، الآن دكتور في بعض القضايا الاختلاط فيها إجباري، والإنسان عليه ألا يتوسوس، أنا أريد أن أعمل معاملة والمسؤولة عن ذلك موظفة ، لا أقطع معاملتي سواء كانت محجبة أو غير محجبة ، أنا أغض بصري .

ماذا عن الاختلاط الاختياري وليس الإلزامي ؟ مثلاً هناك نادي الفنون والرسم ولكنه مختلط شباب وفتيات ، مختلط لا يعني أن هناك فواحش لكنه مختلط كل واحد بنفسه ، هل تراه مقبولاً أم مرفوضاً ؟

الاختلاط الاختياري :

الدكتور راتب :

الحقيقة أن :

((ركعتان من ورع خير من ألف ركعة من مخلط))

[الجامع الصغير عن أنس]

المذيع:

ما المقصود بالمخلط ؟

الدكتور راتب :

جمع عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، أما الورع فهو الذي يتقصى الصواب ، وقد يبتعد عما هو مقبول من أجل ألا يقع فيما هو مرفوض ، الورع أقوى للإنسان :

((ركعتان من ورع خير من ألف ركعة من مخلط))

[الجامع الصغير عن أنس]



المذيع:

هل نقيسها على الاختلاط الاختياري ؟

الدكتور راتب :

من لم يكن له ورع يصده عن معصية الله إذا خلا لم يعبأ الله بشيءٍ من عمله ، موضوع الورع شيء مهم جداً هذا ورع الصالحين ، وقيمة المؤمن في ورعه .

المذيع:

وهل الورع إلزامي للناس ؟

الدكتور راتب :

حينما يستغني عن الورع واثقاً من نفسه وقع في الشرك الخفي ، أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الخفي ، أما إني لست أقول إنكم تعبدون صنماً ولا حجراً، ولكن شهوة خفية وأعمالاً لغير الله . حينما يسوغ الإنسان لنفسه أن يلتقي مع نساء لا تحل له من أجل أن يمضي وقتاً معهم وهو لا يفعل شيئاً سوى أنه يستمتع بحديثهم ، وقع في مخالفة شريعة ترك الأولى .

المذيع:

اعتبر أنني فتاة ولا يوجد إلا جامعات مختلطة في دولتي نصيحتكم الشرعية هل أطلب العلم في هذه الجامعة أم أبتعد عنها ؟

نصيحة شرعية لمن يطلب العلم في زمن الاختلاط :

الدكتور راتب :

أطلب العلم وأتحجب ، والشاب يطلب العلم ويغض بصره وانتهى .

المذيع:

لو كان هناك جامعات غير مختلطة ؟

الدكتور راتب :

أولى .

المذيع:

لو كان هناك جامعات مختلطة وغير مختلطة لكن المختلطة هي الأقوى أكاديمياً أذهب إليها ؟

الدكتور راتب :

أرد على الجنس الآخر في الجامعة بغض بصري كرجل ، وبحجابي كأنثى ، قال تعالى :

﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾

[سورة الأحزاب : 53]

المذيع:

الاختلاط الإلكتروني عبر مواقع التواصل الاجتماعي وعبر الانترنيت ؟

الاختلاط الإلكتروني :

الدكتور راتب :

إذا كان هذا الاختلاط الإلكتروني أوصلك إلى نتائج سيئة جداً ، ما قيمة أنه إلكتروني ؟ إذا هذا الشيء سبب انفجاراً يا ترى هذا الشيء مواد كيماوية أم كهربائية ؟ العبرة أنه صار انفجار ، الإنسان فتواه معه ، الإنسان المؤمن الصادق معه فتواه ، استفت قلبك ولو أفتاك المفتون وأفتوك ، أنت حينما تبيح لنفسك أن تجلس مع امراة لا تحل لك ، وليس هناك ضرورة إطلاقاً وهناك بدائل بالمئات ، ربما قادك إلى شيء لم تكن متوقعه .

المذيع:

الاختلاط الإلكتروني يقاس عليه أحكام الاختلاط العادي ؟

الدكتور راتب :

أنا معلوماتي المتواضعة هناك حالات لا تقل عن آلاف الحالات بدأت إلكترونية وانتهت بلقاء وانتهت بالفحشاء .



الاختلاط الإلكتروني قد يوصل صاحبه إلى نتائج سيئة جداً

قصص كثيرة جداً كان اللقاء إلكترونياً فقط ، نص فقط ، ثم صار صوتاً ، ثم صورة، ثم انتهى بلقاء حقيقي ثم انتهى بالفاحشة .

المذيع:

أنا لم أقترب من الفاحشة ، أنا فتاة أكتب الشعر وأتواصل مع أديب يقرأ لي شعري وقصائدي ، أنا باحث في مجال الفيزياء وأريد أن أتواصل مع مجموعة مختلطة للباحثين بالفيزياء أدخل فيها ، كيف أعرف أن هذا صواب أم خطأ ؟

الشريف من يهرب من أسباب الخطيئة لا من الخطيئة :

الدكتور راتب :

وقع في حالة اسمها الشرك الخفي ، ما الشرك الخفي ؟ الشرك أخفى من دبيب النملة السمراء , على الصخرة الصماء , في الليلة الظلماء , إذا قال : أنا لا أتأثر ، سيدنا يوسف نبي عظيم :

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾

[سورة يوسف:33]

بل إن القرآن قال :

﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾

[سورة النساء : 76]

﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾

[سورة يوسف: 28]



الشيطان يوسوس ، والمرأة حاجة أودعت فيك كي تنفق في قناة نظيفة ، فإذا أنفقت هذه الحاجة في قناة غير نظيفة لها مضاعفات خطيرة ، هذا ما يجري في العالم كله ، أنا موقن بقصص عديدة جداً قرأتها ، الأصل لقاء إلكتروني ، نصوص ، ثم حديث ، ثم كاميرا ، ثم لقاء ، ثم ....

المذيع:

مجموعات على الانترنيت تكون منضبطة فيها شباب وبنات لغايات جادة فقط ، و هناك مجموعات أخرى تتمادى الأمور يكون هناك رحلات مختلطة ، بعض الشباب قال : أنا لا أتأثر في ذلك ما رأيك ؟

الدكتور راتب :

ليس صادقاً فيما يقول ، قد يقوله أي شاب ، الله أودع في الإنسان محبة المرأة :

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ ﴾

[سورة آل عمران: 14]

لذلك يوجد كلام للسيد المسيح : الشريف من يهرب من أسباب الخطيئة لا من الخطيئة ، قد لا يستطيع الإنسان أن يهرب منها في مرحلة معينة .

المذيع:

هل نحن يجب علينا أن نغلق الأبواب من البداية ؟

العاقل من يترك هامش أمان بينه و بين المعصية :

الدكتور راتب :

الرجل يغض بصره ، والمرأة تتحجب ، عندما نلتقي لمصلحة معينة وراجحة الرجل يغض بصره والمرأة تتحجب ، الآن الآية الكريمة :



﴿ وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى ﴾

[سورة الإسراء: 32]

لما لم يقل ولا تزنوا ؟ لأنه لا بد من هامش أمان بينك وبين المعصية ، أنت تعلم علم اليقين أن هذا التيار الكهربائي ثمانية آلاف فولت ، هذا التيار له حرمة ثمانية أمتار فمن دخل ضمن الثمانية أمتار يصبح فحمة ، فأنت لم يقال لك : لا تمس هذا التيار ، يقال لك : لا تقترب من هذا التيار ، فلا بد من هامش أمان بينك وبين المعصية ، الآن الآية :

﴿ وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى ﴾

[سورة الإسراء: 32]

الخلوة اقتربت من الزنا ، اللقاء العابث اقتربت ، الحديث الفارغ ، إطلاق البصر ، ولا تقربوا .

المذيع:

هل يعتبر التبسط في العلاقة بين الرجال والنساء جزءاً من هذه القربات الخطأ ، أحياناً تجد الرجال والنساء في العمل يتناولون وجبة الإفطار وهم يمزحون معاً ، يذهب بالسيارة يأخذ زميلته معه ، هذا التبسط في العلاقة ما رأيك به ؟

الابتعاد عن التبسط في العلاقة بين الرجال والنساء :

الدكتور راتب :

نقطة ضعف القول ، قال تعالى :

﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾

[سورة الأحزاب: 32]

فأي كلمة لطيفة من الشاب للشابة وضع يده على نقطة ضعفها ، ينبغي للشابة الطاهرة العفيفة التي ترجو من الله زوجاً صالحاً يحفظها ويكرمها ويحصنها ، وألا تخضع بالقول مع رجل لا يحل لها .

المذيع:



الزمالة والصداقة بين الجنسين دكتور ، مثلاً أصدقاء في الجامعة انتهت المحاضرة نذهب معاً إلى كافتيريا نتناول كأس شاي ، لا يوجد خلوة نحن مجموعة مع بعض ، لا يوجد سلوكيات فاحشة لكن جمعتنا الصداقة ما رأيك دكتور ؟

الدكتور راتب :

استفت قلبك وإن أفتاك المفتون وأفتوك ، اسأل الشاب صادقاً أنت حينما جلست مع صديقك وجلست معها تحدثها ألم تتأثر بشكلها ؟ بمواطن فتنتها ؟ اسأله ، البطولة أن تكون صادقاً أيها الشاب مع نفسك ، إن رأيت نفسك تميل إليها فاليوم ابتسامة ، ثاني يوم كلمة ، ثالث يوم كلمة فاضحة أكثر ، ثم لقاء ، ثم فاحشة .

المذيع:

دكتور أتقمص دور واحد منهم ، لماذا أنتم كدعاة دائماً تظنون السوء بنا ؟ سأجلس معها وسأظن أنها كشقيقتي .

الدكتور راتب :

أنا أقول لهاذا الشاب : ما من شهوة أودعها الله بالإنسان إلا جعل لها قناة نظيفة تسري خلالها ، بالدين لا يوجد حرمان هناك تنظيم .

المذيع:

دكتور أنا لا أراها شهوة ، فهي كزميلة ، كصديقة ، كأختي ، لا أفكر بها بأي منطلق سيئ .

الدكتور راتب :

إن كان هذا صادقاً فهو يكذب .

المذيع:

يتنافى مع المنطق والفطرة .

الدكتور راتب :

لا يوجد إنسان على وجه الأرض جلس مع أنثى إلا فكر في مواطن جمالها .

المذيع:

دكتور أنت تطرح منهجاً وسطياً بمعنى أنك لست ضد الاختلاط بشكل مطلق ، أنت لا تريد كونين أحدهما للإناث وآخر للذكور ، لكن إذا لم يكن هناك ضرورة ترفض الاختلاط .

رفض الاختلاط إن لم يكن هناك ضرورة له :

الدكتور راتب :

هناك تعقيب ؛ إذا كان هناك حاجة الله عز وجل يحصن هذا الشاب ، ويحصن هذه الشابة ، غض بصره وهي تحجبت .

المذيع:

ماذا عن الاختلاط بدوافع دينية كالمدرس الذي يدرس الفتيات القرآن الكريم أو مجلس علم .



الدكتور راتب :

إذا كان الشعبة كلها فتيات محجبات ، والله أنا هنا ألقيت محاضرات كثيرة ، خمسة وتسعون بالمئة من النساء محجبات ، المرأة محجبة انتهى الأمر ، أنا أغض بصري وهي تتحجب وانتهى الأمر ، نعيش حياتنا .

المذيع:

تحت مظلة الدعوة إذا تواصلت مع بنت عبر الانترنيت بشكل فردي في قضايا دينية، في شرح أحاديث ، هل هذا يجوز ؟

الدكتور راتب :

أول شيء قضايا دينية ثم يتغير المبدأ .

المذيع:

أي المبدأ مرفوض ؟

الدكتور راتب :

أنا هذه قناعتي .

المذيع:

حتى أتأكد من موقفك دكتور المسألة حساسة ، أنت لا ترى الاختلاط كمبدأ أي لا تريد فصلاً بين الجنسين ، ولا تقبل الاختلاط إلا إذا كان هناك حاجة ، أو مصلحة ، والتقيد بالضوابط غض البصر والحجاب ، وألا يكون هناك خلوة .

ضرورة التقيد بالضوابط الشرعية عند الاختلاط :

الدكتور راتب :

إذا كان هناك مصلحة أو حاجة فمع غض البصر والحجاب ، الله عز وجل هو الحافظ ، كلام دقيق جداً .

المذيع:



على المسلم أن يغض بصره سواء أكانت الفتاة محجبة أم لا

دكتور الآن ربنا سبحانه جعل الكون في جميع هذه الأطراف مع بعضها البعض ، هل جزء من رؤيتنا وتواصلنا مع بعضنا ، في الأسواق والجامعات ، هل هذا جزء من هذه الحكمة ؟

الدكتور راتب :

طبعاً الحكمة أن الزواج منهج إلهي ، والزواج أساسه لك أن تنظر إليها .

المذيع:

أكدت كثيراً على الحجاب في أحد ضوابط إباحة الاختلاط ، ماذا إذا كانت الفتاة غير محجبة ما شأني أنا بها إذا كنت أنا غاضاً للبصر ؟

على الإنسان أن يؤدي الذي عليه و يطلب من الله الذي له :

الدكتور راتب :

انتهى الأمر أنا الذي عليّ فعلته ، أدِّ الذي عليك واطلب من الله الذي لك .

المذيع:

الاختلاط محجبة أو غير محجبة لا شأن لي بهذا ، هذا شأنها هي مع الله أنا غاض للبصر .

الدكتور راتب :

الأصل أنني لا أستهدف هذا الاختلاط ، فإذا وقع أنا أغض بصري .

المذيع:

أنا أعمل معاملة في مؤسسة الموظفة محجبة غير محجبة ليس من شأني .

بارك الله بكم دكتور إذا كان لك همسة للشباب في هذه القضية حتى لا يشعروا أن الدكتور يضيق واسعاً بثوان للشباب .

من يتبع هواه وفق هدى الله لا شيء عليه :

الدكتور راتب :

ما من شهوة أودعها الله بالإنسان إلا جعل لها قناة نظيفة تسري خلالها ، والآية :

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾

[سورة القصص: 50]

المعنى المخالف ، الذي يتبع هواه وفق هدى الله لا شيء عليه ، بالدين لا يوجد حرمان ، هناك ترشيد ، حرمان لا يوجد ، هذه الشهوة أودعها الله فينا ، و جعل لها قناة نظيفة تسري خلالها ، البطولة أن تتحرك بدافع الشهوة وفق منهج الله ، هذا شيء ممكن ، لكن نحن بكثرة الفساد في الأرض ، وكثرة الأشياء التي نهى عنها الشرع ، توهمنا أنها صعبة ، لكن أقول لك هذه الكلمة الدقيقة : الشيء الذي يتوهم الإنسان أنه لا يستطيعه هو الشيء الذي لا يريد أن يفعله .

خاتمة و توديع :

المذيع:

أشكر الدكتور العلّامة على هذه الكلمات الطيبة جعلها الله في ميزان حسناتكم .

مشاهدينا هنا ينتهي حديثنا عن الاختلاط ، ربنا خلقنا معاً في كون واحد ، وجعل ضوابط لنرتاح نفسياً في التعامل مع هذه القضايا ، لا بد من مبرر أو سبب أو حاجة لهذا الاختلاط ، احفظ الله يحفظك ، ويجب الالتزام، ألا يكون هناك خلوة ، أو مزاح ، ربنا يجعل السعادة للجميع ، سبحانك اللهم وبحمدك ، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك ، تحية طيبة لكم ، والسلام عليكم .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5 – 7) : الموازنة بين الاهتمام باللباس والانضباط الشرعي فيه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

المذيع :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، وأتمّ الصلاة وخير التسليم على نبي الرحمة ، على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، السلام عليكم وأهلاً ومرحباً بكم مشاهدينا الكرام .

لا زال حديثنا عن الشباب وعن الملفات التي تشغل باب الشباب ، لعلنا وإياكم نساهم في البناء الفكري لهؤلاء الشباب الذين هم عماد الأمة ، والتي ستنتصر الأمة بهم بحول الله عز وجل .

في هذه الحلقة سيدور نقاشنا حول اللباس ، وحول قضية الشكل ، وإذا كان له أهمية في ديننا الإسلامي أم لا توجد له أهمية ، وإذا كان اللباس يدل على الإنسان الزاهد ، وإذا كان اللباس فاحش الثراء فهو يدل على إنسان راق ، هل هذه المقاييس موجودة في ديننا أم لا ؟

هل الأصل أن يكون لباس المسلم لباساً رثاً ممزقاً أم الأصل أن يكون لباساً حسناً ؟ وإلى أي حدّ يمكن أن نعتبره لباساً جميلاً وأنيقاً حتى لا يكون بين لباس الإسراف والتبذير ، أسئلة كثيرة مع فضيلة العالم الإسلامي الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي ، حياكم الله دكتور.

الدكتور راتب :

بارك الله بكم ، ونفع بكم .

المذيع:

شيخنا الفاضل نتحدث عن الشكل ، وعن اللباس ، وعن أهميته في حياة الشباب ، وجزء كبير من الشباب يهتمون بلباسهم ، أريد أن أصل إلى الفكرة شرعاً ، ثم ننتقل إلى الفقرات الأخرى .

الاعتناء بالمظهر و النهي عن نوعين من الثياب :

الدكتور راتب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويَتِه ، وارضَ عنّا وعنهم يا ربّ العالمين .



الحقيقة الدقيقة أن هناك نهيين عن نوعين من الثياب ، ثياب الشهرة والثياب المبتذلة، والأصل في هذا الموضوع أن النبي عليه الصلاة والسلام فيما ورد عنه :

((أصلحوا رحالكم وحسنوا لباسكم ، حتى تكونوا كأنكم شامة بين الناس))

[أحمد عن سهل بن الحنظلية]

((إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ))

[أحمد عن عبد الله بن مسعود]

ولأن الله جميل يحب كل جميل انطلاقاً من هذا النص الدقيق ينبغي أن نعتني بمظهرنا ، لأن الإنسان حينما يعتني بمظهره أول انطباع يؤخذ عنه من مظهره ، فإذا تكلم قد ينسى الإنسان مظهره ، فإذا عاملك قد ينسى الإنسان كلامه .



الحقيقة أن الثياب لها دور كبير في مكانة الإنسان، لكن هناك تطرفاً إيجابياً وتطرفاً سلبياً ، المبالغة في اقتناء الملابس ، وفي تنويعها ، وفي تعدادها ، وفي تأنقها التأنق الذي يزيد عن الحد المعقول هذا يعد تطرفاً ، دائماً وأبداً هناك تطرف إيجابي وتطرف سلبي ، والمؤمن وسط ، ثياب مقبولة تناسب الإنسان لا يوجد فيها عيب صارخ يستحي به الإنسان .

((أصلحوا رحالكم وحسنوا لباسكم، حتى تكونوا كأنكم شامة بين الناس))

[أحمد عن سهل بن الحنظلية]

((إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ))

[أحمد عن عبد الله بن مسعود]

المذيع:

إذاً الأصل أن تكون ثياب المسلم والمسلمة ثياباً أنيقة نظيفة يعرف فيها بالخير بين الناس ، ماذا عن أولئك الذين يهتمون بشكل زائد باللباس يدفعون أموالاً كثيرة هل يدخلون في باب الإسراف ؟

النهي عن الإسراف في المباحات :

الدكتور راتب :

طبعاً ، الحقيقة أن الإسراف في المباحات والتبذير في المعاصي والآثام ، الإسراف في المباحات فرضاً عنده خمسون بدلة ، ممكن أن يكون عنده عدد معقول من الثياب ، متنوعة في ألوانها ، وفي مستوى قماشها ، مراعاة للفصول ، فالتنوع مطلوب أما الخطأ فدائماً في المبالغة الإيجابية والسلبية .

المذيع:

دكتور هنالك صورة نمطية ترسخ في أذهان بعض الناس أن اللباس الصحيح أو لباس الزهاد هو ثياب رثة ممزقة فيها عيوب ، وهناك أعمال درامية إسلامية أو تاريخية تقدم هكذا العلماء أو الصحابة ، هل الزاهد هو صاحب اللباس القديم ؟

الثياب جزء من كيان الإنسان :

الدكتور راتب :



هذا خطأ فادح في الاستنباط ، ولعل الذي يطرح هذه الأفكار ما قرأ السيرة قراءة صحيحة ، وما قرأ سيرة الصحابة قراءة صحيحة ، الثياب جزء من كيان الإنسان ، لكن النهي عن التطرف إما في التبذل أو في الرثاثة ، ثياب مقبولة جميلة لا يوجد مانع ، لأن الجمال جزء من حياة المؤمن ، أما التطرف فيكون بأسعارها أو ببعدها عن المألوف ، دائماً هناك ثياب مألوفة وثياب تسمى صرعات ، فالمؤمن لا يتبع صرعات الأزياء ولا يليق به ذلك ، لا يليق بالمؤمن المتوازن الكامل ولا ينبغي أن يهمل ثيابه إلى درجة أن الإنسان الذي يراه يزدريه ، فلابد من وضع وسطي .

المذيع:

نقرأ أحياناً في تاريخنا الإسلامي أن سيدنا عمر بن الخطاب حينما دخل ليفتح بيت المقدس كان ثوبه مرقعاً كيف يفترض أن نفهم هذه الأحداث ؟

رفض الأثر التاريخي المتناقض مع منهج الله :

الدكتور راتب :

في علم الحديث عندنا قواعد للحديث الصحيح ، مع الأسف الشديد والشديد أن هذه القواعد لم تكن متبعة في علم التاريخ ، فأية رواية قد تكون كاذبة ومفتعلة ومصطنعة بغية شيء لا يرضي الله عز وجل ، نحن نقول : وردت عند الرازي ، عند المؤرخ ، وكأن هذه الكتب وحي يوحى ، قد تكون ليس لها أصل إطلاقاً ، فنحن لا يمكن أن نقبل من الأثر التاريخي ما كان مناقضاً لمنهج الله عز وجل .

المذيع:

هذه ليست علامة للزهد الثياب الرثة ؟

الزهد في القلب والقوة في العلم والمال والأخلاق :

الدكتور راتب :

الزهد في القلب ، الدنيا يجب أن تكون في أيدينا لا في قلوبنا ، إذا كانت في أيدينا أصبحت قوة لنا .

((المؤمن القويُّ خيْر وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف))

[مسلم عن أبي هريرة]



والقوة في العلم ، والقوة في المال ، والقوة في الأخلاق:

((المؤمن القويُّ خيْر وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف))

[مسلم عن أبي هريرة]

السبب أن المؤمن القوي خياراته في العمل الصالح لا تعد ولا تحصى ، اليد العليا خير من اليد السفلى، والقوة في المال ممكن أن تحل مئات المشكلات في المجتمع عن طريق المال ، وصاحب المقام الرفيع بتوقيع واحد أو بجرة قلم إن صح التعبير يستطيع أن يحق حقاً ويبطل باطلاً ، يثبت معروفاً ويزيل منكراً ، يقرب ناصحاً ورعاً ويبعد فاجر منافقاً بتوقيع ، القوة مطلوبة :

((المؤمن القويُّ خيْر وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف))

[مسلم عن أبي هريرة]

ويستنبط من ذلك إذا كان طريق القوة سالكاً وفق منهج الله ينبغي أن تكون قوياً ، من أجل هذه الخيارات التي بين أيدي الأقوياء ، أما إذا كان طريق القوة على حساب مبادئك وقيمك فالضعف وسام شرف لك .

المذيع:

إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ، الأشخاص الذين فتح الله عليهم بأموال كثيرة ، هل يمكن أن نقول إن هؤلاء مستوى التوازن أو الوسط في الثياب والاهتمام لديهم مرتفع ؟

الحديث عن النعم المشتركة بين الناس و الابتعاد عن الاستعلاء :

الدكتور راتب :

ما هكذا أراد النبي الكريم ، النعم المشتركة نعمة الصحة مثلاً ، نعمة الهواء الطلق ، نعمة الشمس ، نعمة الحاجات المتنوعة ، نعمة الطعام والشراب ، النعم المشتركة لجميع الناس ، أما إنسان اقتنى بيتاً غالياً جداً وكلما جاءه ضيف أطلعه على هذا البيت ، وعلى مرافقه ، وعلى ثمن الأثاث وتجهيزاته ، هذا فيه استعلاء ، فيه كبر ، أما أن تكون هذه النعم التي أمرنا أن نتحدث عنها فهي النعم المشتركة بين الناس جميعاً .

المذيع:

دكتور لو كان هناك ثري وجاءه ثري آخر فاهتم بشكل البيت وأراه إياه ما المشكلة ؟

الدكتور راتب :



الموقف النفسي غير مقبول إيمانياً ، قضية أن أستعلي على الآخر ، هذا موقف نفسي ، في الأصل موقف مرفوض .

المذيع:

إذا لم يكن بنية الاستعلاء أنت مسرور من باب المحبة .

الدكتور راتب :

إذا كان الذي زارك يتمنى أن تكون مرتاحاً ، وهو يشعر أن الذي عندك يثلج صدره لا يوجد مانع ، دائماً المؤمن أخو المؤمن ، أنا أقول لك كلمة دقيقة جداً : لو أن إنساناً سأل نفسه : هل أنا منافق ؟ أحد التابعين التقى

بأربعين صحابياً ما منهم واحد إلا كان يظن نفسه منافقاً من شدة الورع ، من شدة الخوف من الله ، أن تتهم نفسك لا يوجد مانع أما هذه الثياب التي ترتديها إذا كان القصد منها الاستعلاء قال تعالى :

﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾

[سورة القيامة: 14]

إذا كان القصد منها أن تعلو على من حولك ، أن تتباهى بهذه الثياب ، أن تلفت نظر الناس إلى أن هذه الثياب مستوردة وليست محلية ، أن تلفت نظر الناس إلى أن هذه الثياب اشتريتها لما كنت مسافراً في بلد أجنبي ، هذه المعلومات المتعلقة بالثياب الهدف منها في الأعم الأغلب الاستعلاء ، وهذا يتناقض مع أخلاق المؤمن ، أنا هكذا أرى في أخلاق للمؤمن لا يحيد عنها شاء أم أبى .

المذيع:

دكتور هناك قضايا ترتبط بالشباب اللحية للذكور والحجاب للأناث هل هي قضايا شكلية ليست مهمة إنما الأمر قلبي كما يقول في العامية الحجاب في القلب وما شابه ، أم هنا نتحدث عن قضايا شكلية كجزء من التشريع الإسلامي ؟

تلازم و تكامل الشكل مع المضمون :

الدكتور راتب :

والله أنا لا أوافق على كلمة شيء شكلي ، شكلي أي هناك مضمون وشكل ، فإذا كان اهتمامنا بالشكل أهملنا المضمون ، وإذا اهتممنا بالمضمون ألغينا الشكل ، أنا أرى أن الشكل والمضمون متلازمان ، الشكل والمضمون متلازمان ومتكاملان ، أنت لا تقبل أن تأكل فاكهة في وعاء غير نظيف ، الفاكهة طيبة جداً لكن الوعاء غير النظيف أفقدها قيمتها فلا بد من شكل مقبول ، أقول مقبول وهي كلمة دقيقة جداً لأن هناك تطرفاً إيجابياً أو سلبياً، فإذا الإنسان اقتنى عدداً غير معقول من الثياب ذات ألوان متنوعة ، وأشكال متنوعة ، فهذا اعتمد على الثياب كغاية لا كوسيلة ، البطولة في الإيمان أن تفرق بين الغايات والوسائل ، فحينما أنقل الموضوع من كونه وسيلة إلى أن يكون غاية صار هناك خلل في الفهم ، أنا أرتدي ثياباً نظيفة وأنيقة .

عندنا العقيدة أخطر شيء ، ثم العبادة ثانياً ، والمعاملة ثالثاً ، و الذوق رابعاً ، فليس من الذوق أن تحدث إنساناً فقيراً عن مكانتك المالية في المجتمع ، هذا ليس من الذوق ، يجب أن تكون متواضعاً ، يجب أن تتحدث في الموضوعات المشتركة بين الناس ، هناك أشياء ليست فرضاً ولاسنة ولاعادة لكنها ذوق.

المذيع:

دكتور هل اللحية والحجاب هي ذوقيات متروكة للناس أم أنها تشريع ؟

اللحية و الحجاب لا علاقة لهما بالشكليات :

الدكتور راتب :

ليس لهما علاقة بالشكليات ؛ اللحية لها دلالة كبيرة جداً ، والحجاب للمرأة له دلالة كبيرة جداً ، أنا أرى ولعلي لا أبالغ إذا قلت هذا : كل سنتمتر من ثياب المرأة متعلق بدينها لأن الله سبحانه وتعالى جعلها مرغوبة عند الناس ، هذه الرغبة ناتجة من مفاتنها ، فإن كانت هذه المفاتن مبذولة لمن هب ودب ، مبذولة لمن يمشي في الطريق ، فلا بد من أن يتتبع الناس مواطن الفتنة في جسم المرأة ، فخرجت عن كونها حرية إلى إيذاء ، فهذا الشاب الذي يرى فتاة في ريعان شبابها تعرض كل مفاتنها من خلال ثياب متبذلة ، وبينه وبين الزواج تقريباً عشرون عاماً فماذا يعمل في هذه الإثارة المستمرة وهذا الوضع المالي الضيق ؟ هنا تنشأ المشكلة ، تصور مجتمعاً لا يوجد به تبذل في المرأة ، قد يمشي الشاب شهراً ولا يأتيه خاطر نسائي أما هذه الإثارة المستمرة المستمرة .

المذيع:

دكتور طبيعة المرأة أنها تهتم بالأناقة وباللباس الجميل كيف لها أن توازن بين هذا الاهتمام وبين الانضباط الشرعي ؟

الموازنة بين الاهتمام باللباس و الانضباط الشرعي عند المرأة :

الدكتور راتب :

دائماً أخي الكريم للشهوة مئة وثمانون درجة لكن سمح الله من هذه الدرجات المئة والثمانين بمئة درجة فقط ، هناك شيء ممنوع ، الإنسان مخير لكن له منهجاً ، الإنسان ليس دابة متفلتة ، الإنسان مخلوق له إله .

ولهذا الإله العظيم تعليمات التشغيل والصيانة ، أي الأمر و النهي ، والحلال والحرام ، والخير والشر ، والواجب والفرض ، فهذا الإنسان كائن متحرك لكن يجب أن يخضع في حركته إلى منهج الله ، لأن الصانع هو الجهة الوحيدة التي يجب أن تتبع تعليماته ، والثياب جزء أساسي من الإنسان ، الحقيقة التعري دليل الهمجية ، الإنسان فيما تروي كتب التاريخ لم يكن هكذا فلما تحضر ارتدى الثياب ، أما الشيطان :



﴿ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآَتِهِمَا ﴾

[سورة الأعراف:27]

مهمة الشيطان الأولى نزع الثياب ، ومهمة الأديان وضع الثياب .

المذيع:

أنا كفتاة كيف أوازن بين الأمرين أن أكون أنيقة ومنضبطة ؟

الدكتور راتب :

في حياة الفتاة المتزوجة زوج ومحارم وعامة الناس ، أنا مفاتني كلها يجب أن تكون للزوج حتى أحصنه ، المفاتن الأخرى التي تبدو للأخ والأخت والعمة والخالة والبنت وابنة البنت هذه المفاتن سموها الفقهاء ثياب الخدمة ، أي الكم إلى الساعد ، القبة مرتفعة ، الثياب للركبة ، هذه ثياب الخدمة ، إنسانة في بيتها لها أولاد شباب ، لها أخوة يأتون إلى البيت ، ثياب الخدمة تستر مواطن الفتنة الأولى ، هذه ثياب الخدمة ينبغي أن تكون بين المحارم ، الزوج له حكم ، كل المفاتن ينبغي أن تكون معروضة ، هكذا اصل الدين ، أما المحارم فبثياب الخدمة ، أما الأجانب فالحجاب .

المذيع:

دكتور أمام الأجانب كيف نفرق أن هذا اللباس أصبح ثياب زينة أم شرعي لكنه أنيق.

الابتعاد عن الثياب الصارخة أمام المحارم و الأجانب :

الدكتور راتب :

ما معنى ثياب الشرع ؟ الثوب الذي لا يشف عن لون البشرة ، الشفافة محرمة ، أي ثوب يشف عن لون البشرة ظهرت العورة ، لا يكفي أن يكون الثوب الذي يصف خطوط الجسم سميكاً لا يشف لكنه ضيق ، الثياب الضيقة التي تبرز خطوط جسم المرأة محرمة ، وأحياناً الإنسان يثار لا بلون البشرة يثار بخطوط الجسم ، كلاهما فيه خلل ، الثياب الصارخة في ألوانها، قالوا : هي بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ، هناك ثياب مزركشة .

المذيع:

دكتور هل هناك حكم للألوان في شريعتنا الإسلامية ؟

الدكتور راتب :

نعم ألا يكون في الثوب ألوان صارخة تلفت النظر .

المذيع:

من مجتمع لآخر تختلف ، اللباس في دولة السودان يختلف عن السعودية ، الفروقات الاجتماعية .

الدكتور راتب :

حينما يشف عن لون البشرة ، وحينما يشف عن خطوط الجسم فهو محرم ، أما الثياب الصارخة فتختلف من بلد لآخر .

المذيع:

إذا كان ثوباً أنيقاً ولا يكون مدعاة إلى نظر الآخرين .

الدكتور راتب :

المرأة مفاتنها ليست لعامة الناس هي لزوجها أولاً ولمحارمها ثانياً .

المذيع:

دكتور اللحية عند الشباب هي قضية كمالية ؟

حكم اللحية عند الشباب :

الدكتور راتب :

هي سنة مؤكدة ، لكن أحياناً – هذا كلام دقيق جداً أنا سمعته من أحد الدعاة وأنا أثق به – بمناسبات معينة ربما تكون اللحية سبب البعد عن هذا الداعية ، ممكن اللحية سنة عند الشافعي والسنة لا شيء في تركها لا يوجد تحريم ، فحينما أتوهم أن اللحية سنة مؤكدة وهناك من يرتقي بها لتصل إلى درجة الفرض هذه مشكلة ، أما الموقف المعتدل فاللحية هي سنة عند الإمام الشافعي ، وفي حالات ممكن أن أدع السنة حفاظاً على الفرض ، فإذا كان عندي فرض أساسي تناقض مع سنة ممكن أن أدع السنة .

المذيع:

مثال دكتور .

الدكتور راتب :

إنسان سافر إلى بلد ويقدر أن يكون داعية كبيراً ومظهره مدني عادي ، ممكن أن تكون اللحية سبب البعد عنه .

المذيع:

ألم يكن النبي ملتحياً فلماذا نتخلى عن سنته في هذا الزمان ؟

الدكتور راتب :

إذا هذا المنطلق لا يوجد مانع ، لكن أحياناً يقدر الإنسان إن لم يكن ملتحياً أن يصل إلى أكبر شريحة من البشر ، فهذا موضوع ثان .

المذيع:

هنا ترى أن الأولوية تركها للوصول إلى الناس للهداية .

الدكتور راتب :

نعم .

المذيع:

دكتور الحكم على الناس من خلال أشكالهم ما رأيك في ذلك ؟

عدم الحكم على الناس من خلال أشكالهم :

الدكتور راتب :

عندما نرى الإنسان متلبساً بالمعصية ، أو نرى امرأة متبذلة في ثيابها ، أنا لا أستطيع أن أحكم عليها بالصلاح والهداية ، الثياب جزء من الدين ، لا أستطيع أن أحكم على امرأة تبرز كل مفاتنها على أنها ولية وصالحة .

المذيع:



كم من إنسانة ترتدي الحجاب وبعضهن يسلكن سلوكيات مزعجة ، وكم من امرأة بعيدة عن الحجاب سلوكياتها راقية .

الدكتور راتب :

أنا سآتيك بمثال آخر ؛ نحن عندنا في بلادنا ثياب للطلاب والطالبات ، بلون معين بشكل معين ، فإذا طالب ارتدى هذه الثياب ، وسار في الطريق يحكم عليه من قبل جميع الناس أنه طالب مدرسة ، قد يكون أخذ أصفاراً في كل المواد ، قد يكون مطروداً من المدرسة كلها ، الثياب وحدها لا تكفي ، أي لا تكفي الثياب وحدها كي يقيّم الإنسان ، نحن نقول للمرأة : تحجبي ، ولكن الحجاب جزء بسيط جداً من التدين ، و لكن المطلوب الصدق والأمانة وأن تكون زوجة صالحة وأماً متعاونة مع من حولها ، هناك مليون تكليف خلاف الحجاب ، أما حينما أتوهم أنه لمجرد أن أتحجب ، أنا حققت كل شيء فهذا خطأ كبير ، الحجاب مطلوب وليس كل شيء ، أحياناً امرأة حجابها أقل من امرأة لكن معاملتها أطيب بكثير ، هناك تفصيلات لا يتسع الوقت لذكرها.

المذيع:

النجاة أن يصلح الإنسان من المضمون والسلوك والشكل والانضباط في الحجاب ، شيخنا أتحدث الآن عن الرجال كثياب السنة فقط ، اللباس المقبول هل هناك ثياب إسلامية للرجال ؟

تعلق الثياب بالأعراف :

الدكتور راتب :

أنا معلوماتي الدقيقة أن الثياب متعلقة بالأعراف ، الثياب إن كانت ساترة للعورة التنوع مطلوب بحسب البيئة ، المجتمع ، التقاليد ، العادات ، ما دامت الثياب ساترة لعل الألوان، نمط الثياب ، متعلقة بالأعراف والتقاليد ، وهو كل أصل ، أما إن لم تكن الثياب ساترة فهناك اعتراض ديني عليها ، أما إذا كانت ساترة للعورة بقي التنوع في الألوان والأشكال والتقاليد والعادات .

المذيع:

لا يوجد ثياب محددة نقول : إن هذا هو لباس النبي ، هذا ثياب الإسلام ، في حديثنا عن اللباس أمام الناس هل هناك طبائع تختلف بين الناس ؟ بعض الناس يهتم كثيراً بالشكل وجانب آخر لا يشكل عنده أدنى اهتمام .

اختلاف الناس بالاهتمام بلباسهم :

الدكتور راتب :

ذكرتني بمصطلح أن فلاناً لبيس ، وفلاناً سكين أي بيته أنيق جداً ، فلان ركيب سيارته أنيقة جداً ، فلان لبيس يعتني بلباسه عناية تفوق الحد المتوسط، لا بد من أن يكون هناك تناسب دقيق جداً بين الألوان المتنوعة في الثياب ، أما ثياب فيها تنافر ألوان غير معقول إطلاقاً يكون صاحب



هذه الثياب ضعيف الذوق جداً ، كما قلت قبل قليل الدين عقيدة ، والدين عبادة ، والدين معاملة ، و الدين أذواق، ليس معقولاً أن تطلع الآخر على بيتك الفخم وتعلم أنه فقير ، هذا ليس من الذوق ، ليس من الذوق أن تتحدث عن دخلك ، تتحدث عن رحلاتك إلى أوربا ، والفنادق الذي أقمت بها ، والأماكن التي رأيتها ، هذا ليس من الذوق ، كما أن هناك أمراً ونهياً ، وعقيدة سليمة ، وعقيدة غير سليمة ، وعبادة صحيحة وعبادة غير صحيحة ، وعادات وتقاليد ، عندنا أذوق .

خاتمة و توديع :

المذيع:

دكتور التوازن هو المطلوب ، من حق الإنسان اللبيس أن يبقى على ما هو عليه شريطة الابتعاد عن الإسراف والمبالغة ، وعلى الإنسان الذي لا يهتم بهذه القضايا أن يكون له حد أدنى من الاهتمام ليعكس صورة جميلة عن المسلمين .

أشكر الدكتور العلّامة على هذه الكلمات الطيبة ، و الشكر لكم مشاهدينا الكرام في حديثنا عن الشكل واللباس في حياة المسلم ، وجميل أن يعيش الإنسان بالحسنة التي تكون بين سيئتين لا إسراف ولا تبذير ، و إلغاء الاعتقاد أن الثياب المرقعة هي التي تدل على الإنسان الزاهد ، هذا ليس من الإسلام في شيء ، والزهد في تلك الحالة في القلب وإن كان فقيراً أن يرضى ، والإنسان الغني الذي أنعم عليه الله أن يكون جميلاً ويتوازن ، ويساعد الآخرين ، إن شاء الله جميعاً أن نكون ضمن ما يحب الرحمن ، سبحانك اللهم وبحمدك ، نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك ، تحية طيبة لكم ، والسلام عليكم .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (6-7) : قيم البطولة والفداء في تاريخ أمتنا العربية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

أيها الأعزاء؛ أهلاً ومرحباً بكم في ندوتنا هذه التي سوف نتناول من خلالها قيم البطولة والفداء في تاريخ أمتنا العربية، وكم هي كثيرة منذ بدايات تشكل هذه الأمة التي تشكلت منذ بدايات التاريخ الإنساني، وقدمت صفحات ناصعة من البطولة والفداء على مدى تاريخها الطويل، فقد احتلت هذه الأمة منذ قيامها قلب العالم، والأماكن التي كانت دائماً محط أنظار كل القوى التي تتشكل عبر هذا التاريخ الممتد طويلاً، لطالما تعرضت لاعتداءات كثيرة، ولطالما دافعت عن وجودها، ودافعت عن كرامتها، وفي أحايين كثيرة كانت تخرج برسالة الخير إلى غير مكان من هذا العالم الفسيح، وكان الإسلام الذي انطلقت من خلاله برسالة السماء لتعمم هذه القيم السمحاء في عالمنا الواسع، يسعدنا في هذه الندوة أن نستضيف الدكتور محمد راتب النابلسي وهو أستاذ محاضر في كلية التربية في جامعة دمشق، أهلاً وسهلاً بك دكتور .

دكتور راتب حبذا لو نبدأ أولاً بروحية الفداء، مفهوم الفداء لدى الأمة منذ بداية تشكلها، و كيف تطور هذا المفهوم على مدى تاريخ هذه الأمة الطويل؟

الإنسان هو المخلوق الأول المكلف و المكرم :

الدكتور راتب:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

بادئ ذي بدء :الجماد شيء يشغل حيزاً وله أبعاد ثلاثة .النبات شيء يشغل حيزاً وله أبعاد ثلاثة وينمو .الحيوان شيء يشغل حيزاً وله أبعاد ثلاثة وينمو ويتحرك. الإنسان شيء يشغل حيزاً وله أبعاد ثلاثة وينمو ويتحرك ويفكر، أي أن الله سبحانه وتعالى ميز هذا المخلوق الأول بالقوة الإدراكية، فالقوة الإدراكية من خصائص الإنسان، وهي الحاجة العليا في الإنسان وما لم يبحث الإنسان عن الحقيقة فقد هبط مستواه إلى مستوى آخر، لذلك الإنسان هو المخلوق الأول:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾

[سورة الأحزاب : 72]



والإنسان هو المخلوق المكرم:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾

[سورة الإسراء : 70]

والإنسان هو المخلوق المكلف بعبادة الله، والعبادة هي طاعة طوعية، ممزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية.

مسارات التضحية :

الآن الإنسان مجبول أو مفطور أو مبرمج بالتعريف الجديد على حبّ ذاته، على حبّ وجوده، وحبّ سلامة وجوده، وحبّ استمرار وجوده، وحبّ كمال وجوده، لكن لأن الله أودع فيه قوة إدراكية قد يدرك إما بحسب تأمله الذاتي أو بحسب الوحيين الكتاب والسنة أنه مخلوق إلى الجنة، والجنة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، لكن الجنة سلعة الله، وسلعة الله غالية، ولها ثمن قد يكون باهظاً، فحينما يعتقد الإنسان أنه مخلوق للجنة، وهذه الجنة أبدية، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، لا بد من دفع ثمنها في الدنيا، لذلك حينما يضحي الإنسان بحياته، بماله، بمكانته، بمنصبه، بوقته، بخبرته، بعلمه، بعضلاته، حينما يضحي بهذه الأشياء هو في الحقيقة يبحث عن سعادته الأبدية ليأخذ مكانها أضعافاً مضاعفة في جنة الله، فمنطلق التضحية لا يمكن أن يضحي الإنسان إلا إذا ظنّ أنه بهذه التضحية هو الرابح، لأن حبّ الذات، وحبّ سلامة الذات، وكمال الذات، واستمرار الذات جزء من جبلته، فأنت حينما ترى إنساناً يضحي بحياته هو في الحقيقة يبحث عن سعادة أرقى، أما من دون هذه العقيدة الصحيحة فالتضحية نوع من العبث، ومن الجنون، قد يضحي إنسان لوهم توهمه، أو لعقيدة زائغة اعتقدها، أو لفطرة أودعت فيه، كحب الولد من قبل الأم أو الأب، التضحية لها مسارات ثلاثة، إما لأوهام ما أنزل الله بها من سلطان، أو لعقيدة صحيحة جاءتنا من الوحيين الكتاب والسنة، أو لجبلة أودعها الله بالإنسان لاستمرار الحياة .

الأستاذ جمال:

أحياناً الاضطرار يكون بمعنى أن يتعرض الإنسان في ظروف ما للتحدي، يلامس مسألة الوجود تماماً كما يتعرض له أبناء شعبنا العربي الفلسطيني الآن، الحياة أصبح فيها نوع من الاستحالة، التضييق بلغ حدوده القصوى، فهنا الإنسان يجد نفسه مخيراً بين أن يكون مع احتمالات أن يعيش ذليلاً، أو أن يواجه هذا التحدي الذي يصيب منه الوجود، ويصيب منه الكرامة، ويصيب المقدسات التي يقدس .

ظلم المعتدين دفع الشباب إلى التضحية والفداء :

الدكتور راتب:

أنا أعتقد أن العدوان الصهيوني، وقسوة هذا العدوان، وظلم هذا العدوان، هو الذي دفع الشباب إلى التضحية والفداء، لأن هذا الإنسان مقتول، ولن يسأل عنه أحد، إذاً قبل أن يقتل رخيصاً ينبغي أن يقتل كثيراً .

الأستاذ جمال:

وأن يقتل بطلاً فذلك لا شك أسمى وأنبل، سوف نأتي إلى هذه المسألة لكن دعونا نعدو إلى سياقات الحديث.


الظلم الواقع على المسلمين أظهر بطولاتهم في دفاعهم عن أنفسهم

لا شك هذا المفهوم تطور أي عرفته العرب- مفهوم البطولة والفداء - منذ أن تشكلت هذه الأمة، وتطور هذا المفهوم لا شك عبر التاريخ هذه أمة إلى أن بلغ هذا الشكل الأسمى والأنضج من خلال الإسلام، فأصبح للفداء معنى، وللبطولة أصبح معنى، وكان هناك رسالة خير حملها العرب إلى العالم، نشروها في كل أصقاع العالم، واعترف الكثير من المنصفين ممن يسمون بالمستشرقين منهم بفضل العرب على الحضارة الإنسانية، وكلنا يعرف كتاب الألمانية التي رحلت مؤخراً زيغريد هونكه: شمس الإسلام تسطع على العالم، ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب المقولة المشهورة في كتابها هذا، إذاً أصبح للتضحية والفداء معانٍ ودلالات وغايات أسمى وأنبل، ما خرج العرب يوماً غزاة، ما خرجوا يوماً معتدين، ما خرجوا يوماً مذلين لغيرهم، وإنما خرجوا لإحقاق الحق، لنشر العدالة، لنشر الخير والمساواة، بين أصقاع الدنيا،

ويسوقنا في الموضوع مباشرة إلى ما يجري من غرابة في هذا الزمن الذي نعيشه، هذه النقطة التي نعيشها الآن، التناقض بأغرب صوره، وهو هذا القياس بمعيارين متناقضين، ما تقوم به إسرائيل من عملية بطش، من عملية قتل للأطفال، للشيوخ، للنساء، من عملية تشريد، من عملية إبادة، من عملية انتهاك للمقدسات، كل هذا يسمى دفاعاً عن النفس، وأما دفاعنا عن أنفسنا وهم المعتدون فهو إرهاب، هكذا التناقض، وهكذا المعايير المزدوجة، وهكذا قلب الحقائق، لكن لنعود إلى موضوع البطولة والفداء، وكم هي الصفحات مشرقة دكتور راتب في تاريخنا الطويل، وكم هي المواقع والمآثر الكبيرة التي تدلل على أن هذه الأمة قادرة دائماً على أن تصد أعتى القوى التي اجتاحت، واستطاعت أن تدفع العدوان عن أرضها، وكرامتها، ومقدساتها، وأن تنتصر في النهاية للحقيقة، لأن الحقيقة لا بد من أن تنتصر.

تسخير الكون للإنسان تسخير تعريف و تكريم :

الدكتور راتب:

الإنسان حينما قبِل حمل الأمانة سخر الله له ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه، هذا التسخير على نوعين، تسخير تعريف وتسخير تكريم، وقد يلفت النظر قوله تعالى:

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ﴾

[سورة النساء : 147]

ولأن هذا الكون العظيم مسخر للإنسان تسخرين تسخير تعريف وتسخير تكريم، ينبغي أن تكون استجابة الإنسان لتسخير التعريف أن يؤمن، وينبغي أن تكون استجابة الإنسان لتسخير التكريم أن يشكر .

الآن الشكر على أنواع ثلاثة؛ النوع الأول: أن تعزو النعمة إلى الله، النوع الثاني: أن يمتلئ قلبك امتناناً لله عز وجل، لكن النوع الثالث الذي هو معني في هذه الندوة أن تقابل هذه النعم بعمل، فقد قال الله عز وجل:

﴿ اعْمَلُوا آَلَ دَاوُودَ شُكْراً﴾

[سورة سبأ : 13]

والتضحية والفداء من العمل الصالح، بل إن علة وجودنا على وجه الأرض أن نعمل صالحاً، بدليل أن الإنسان وهو على فراش الموت لا يتمنى إلا أن يعود إلى الدنيا ليعمل صالحاً:

﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً﴾

[سورة المؤمنون: 99-100]

أنواع العمل الصالح :

والعمل الصالح على أنواع؛ من هذه الأنواع أن تلتزم الأمر والنهي، ذلك أن في الإنسان طبعاً ومعه تكليف، فطبع الإنسان يقتضي الراحة، والتكليف يقتضي أن تبذل الجهد للآخرين، طبع الإنسان يقتضي أن تتكلم في فضائح الناس، والتكليف يقتضي أن تصمت، طبع الإنسان يقتضي أن تنظر إلى محاسن امرأة أجنبية، والتكليف أن تغض البصر، فطبع الإنسان فردي والتكليف جماعي، فحينما تبذل العمل الصالح وتقع التضحية والفداء في أعلى قائمة الأعمال الصالحة، إذاً الإنسان حينما يؤمن وحينما يضحي يكون قد حقق وجوده، وحقق الهدف الذي من أجله خلق، وعندئذٍ لا يعقل أن تتابع المعالجة لقوله تعالى: " مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ".

قيم البطولة قيم أصيلة في أمتنا :

أستاذ جمال- جزاكم الله خيراً- الإنسان عنده دافع إلى الطعام والشراب للحفاظ على وجود كفرد، وعنده دافع إلى الجنس للحفاظ على النوع، لكن عنده دافع آخر عجيب دافع تأكيد الذات، الإنسان لو أنه أكل وشرب، لو أنه تزوج، عنده حاجة - لأنه مخلوق لأهداف نبيلة جداً- إلى تأكيد الذات، فالإنسان حينما يضحي بالغالي يشعر أنه حقق إنسانيته، حينما يبذل ماله أو عرقه أو وقته أو جهده، وحينما يجود بنفسه يشعر أنه إنسان، حينما يعيش على أنقاض الآخرين، يبني مجده على أنقاضهم، يبني غناه على فقرهم، يبني حياته على موتهم، يبني أمنه على خوفهم، يشعر أنه حقير ودنيء، ولو كان يتمتع بأعلى مباهج الحضارة الحديثة، فقيم البطولة قيم أصيلة في أمتنا، بعض المفكرين وصفوا الحضارة الإسلامية بكلمة واحدة: ضبط الذات. وصفوا حضارة الغرب بالسيطرة على الطبيعة، وشتان بين الحضارتين .



أحد كبار زعماء بريطانيا قال: ملكنا العالم ولم نملك أنفسنا، البطولات التي يمتلئ بها تاريخ أمتنا الحقيقة موطن اعتزاز لنا، والتاريخ العظيم ينبغي أن يكون مستمراً، وأن يدفع الأجيال المعاصرة إلى هذه التضحية، أنا أذكر بعض الأمثلة تأكيداً لما تفضلتم به قبل قليل، حينما سقطت طائرة في لوكربي واتهمت بها جهة عربية، الآن يطالبون هذه الجهة بمليارين وسبعمئة مليون دولار، على أساس أن بها مئتين و سبعين راكباً، فكل راكب ديته خمسمئة مليون ليرة سورية، أما هؤلاء الآلاف، عشرات الألوف الذين يقتلون كل يوم من المسلمين، أين ديتهم؟ وأين كفارة قتلهم؟ الحقيقة ما من صفة أحقر بالإنسان من أن يكيل بمكيالين، والحقيقة هناك من يكيل بمئة مكيال، يقول الله عز وجل :

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾

[سورة البقرة: 56]

لمَ لم يقل الله عز وجل فمن يؤمن بالله؟ أنا أعتقد أنه لا يمكن أن نؤمن بالله قبل أن نكفر بطواغيت الأرض، وما دامت الآمال معلقة على طواغيت الأرض فالطريق إلى النجاح مسدود، لا بد من أن نعقد الأمل على الله عز وجل.

أنا أقول لكم: قبل خمسين عاماً نخبة قليلة جداً من المثقفين يعرفون حقيقة الغرب، أما الآن فأطفالنا الصغار يكشفون حقيقة الغرب، والله كنت ألقي محاضرة في مكان باللاذقية قبل أسبوعين، طفل صغير والله لا يزيد سنه عن ست سنوات، قال لي بالحرف الواحد: أنا أستاذ لا أحتمل ما أشاهد على التلفزيون ماذا أفعل؟ الحقيقة أنهم أعانونا على أن نكفر بهم، هذه من إيجابيات الذي حدث، هناك سلبيات كثيرة لا تعد ولا تحصى، الإيجابيات أن الغرب كشف على حقيقته، الأقنعة سقطت، المثل الفارغة أصبحت في الوحل، ادعاءاتهم بحقوق الإنسان والسلام والديمقراطية والحرية وحق المقاضاة أصبحت بالوحل، وعادوا إلى أساليب همجية يترفع عنها الإنسان، وأنا أجمع هذا كله في بيت من الشعر:

قتل امرئ في غابة جريمة لا تغتفر وقتل شعب مسلم مسألة فيها نظر

***

الأستاذ جمال:

بيت الشعر لمحمد الفيتوري الشاعر السوداني المعروف،نحن عندما نتذكر مناسبة تشرين التحرير نتذكر قيم البطولة والفداء في تاريخ أمتنا العربية لأننا نعتبر هذه صفحة من صفحات المشرقة في تاريخ هذه الأمة، ولأننا أكثر من أي وقت مضى نعيش في هذه الظروف - في هذه المرحلة بالغة الدقة- التي تواجه الأمة فيها التحديات في الوجود وفي الهوية، أعتقد بأن للذكرى معانٍ أكثر أهمية في هذه المرحلة دكتور راتب؟

المؤمن الصادق لا يتردد بأن يدفع حياته في سبيل الله :

الدكتور راتب:

سأذكر بيتاً من الشعر قال أحد الشعراء في البطل يوسف العظمة قال:

هذا الذي اشتاق الكرى تحت الثرى كي لا يرى في جلق الأغرابا

***

كما تفضلت موقن أنه لن ينتصر، ليس هناك من تكافؤ إطلاقاً بين الجيشين، ولكنه آثر أن يموت شهيداً عن أن يعيش ذليلاً.

أستاذ جمال: يوجد نقطة دقيقة جداً نستنبطها من حادثة وقعت في معركة مؤتة، ذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام عين قواداً ثلاثة على هذه المعركة:

أولهم سيدنا زيد، وثانيهم سيدنا جعفر، وثالثهم سيدنا عبد الله بن رواحة، فأخذ الراية سيدنا زيد وقاتل بها حتى قتل، ثم أخذ الراية سيدنا جعفر وقطعت يمينه، ثم قطعت شماله، ثم ضمّ الراية بعضديه، ثم قتل سيدنا ابن رواحة تردد فيما يساوي عشر ثوان، عشرة بالضبط، كان شاعراً قال:

يا نفس إن لم تقتلي تموتِي هذا حمام الموت قد صليت

إن تفعلِي فعلهما رضـــــيتِ وإن تـوليـــت فقد شـــقيتِ

***

فأخذ الراية فقاتل بها – حوار مع الذات– فالشيء اللطيف والدقيق والعميق أن النبي عليه الصلاة والسلام حدث أصحابه عما جرى بوحي من الله، قال: أخذ الراية أخوكم زيد فقاتل بها حتى قتل وإني لأرى مقامه في الجنة، ثم أخذ الراية أخوكم جعفر فقاتل بها حتى قتل وإني لأرى مقامه في الجنة، ثم سكت النبي، فلما سكت النبي عليه الصلاة والسلام قلق أصحابه على أخيهم عبد الله، قالوا: يا رسول الله ما فعل عبد الله؟ قال: ثم أخذ الراية أخوكم عبد الله فقاتل بها حتى قتل وإني لأرى في مقامه ازوراراً عن صاحبيه .تصور أستاذ جمال في النهاية بذل حياته في سبيل الله، والجود بالنفس أقصى غاية الجود، لأنه تردد، أنا أقول لك: المؤمن الصادق ليس مسموحاً له أن يتردد في حياته في سبيل الله، لأن الله وعده بجنة عرضها السموات والأرض:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾

[سورة آل عمران : 169]

بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى،

﴿ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾

﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾

[سورة يس :26]

أنا سألت طبيباً من الأطباء ماذا يرى في مرضاه أثناء الموت؟ قال: إنهم يلومون أنفسهم، يصرخون، ويبكون . التقطت من السيرة قصة رائعة لسيدنا سعد بن الربيع، تفقده النبي عقب معركة أحد فلم يجده، فقال: ابحثوا عنه، فذهب صحابي جليل إلى أرض المعركة ليبحث عن سيدنا سعد بن الربيع، إذا به بين القتلى لكنه لم يمت بعد، قال: يا سعد إن رسول ﷺ قد أمرني أن أتفقدك هل أنت بين الأحياء أم بين الأموات؟ قال: بل أنا بين الأموات، ولكن أبلغ رسول الله مني السلام، وقل: جزاك الله خير ما جزى نبياً عن أمته، أي كان في قمة سعادته وهو ينازع، وقال لأصحابه: لا عذر لكم إذا خلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف.

الإسلام عمّق في المسلم قيمة التضحية والفداء :

إذاً الإسلام عمّق في المسلم قيمة التضحية والفداء، لأنك حينما تبذل شيئاً تأخذ أشياء من الله عز وجل . يقول الإمام علي كرم الله وجهه: الغنى والفقر بعد العرض على الله .

وللنبي عليه الصلاة والسلام خطبة رائعة قال:

((إن هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء، ومنزل ترح لا منزل فرح، فمن عرفها لم يفرح لرخاء ولم يحزن لشقاء – لأن الرخاء مؤقت والشقاء مؤقت – قد جعلها الله دار بلوى وجعل الآخرة دار عقبى، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سبباً، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضا، فيأخذ ليعطي ويبتلي ليجزي))

[من كنز العمال عن ابن عمر]

هؤلاء الذي نصروا النبي عليه الصلاة والسلام هم في أعلى عليين، هؤلاء الذين عارضوا دعوته وأثاروا حظوظهم من الدنيا وشهواتهم هم في مزبلة التاريخ، فلذلك التضحية طريق إلى الرقي، يقول الله عز وجل:

﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾

[سورة البقرة: 5]

الهدى رفعهم .

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾

[سورة الشرح : 4]



وقد قال علماء التفسير: لكل مؤمن من هذه الآية نصيب، الإنسان حينما يضحي يرفع الله له ذكره، والله أنا قبل مدة وازنت بين فتاة في عمر الزهور– هذه الأخرس التي ضحت بنفسها والتي هزت كيان العدو– وبين فتاة مهندسة قتلت قبل أسابيع بتهمة أنها تنقل المعلومات إلى العدو، قلت: هاتان الفتاتان لو وقفتا يوم القيامة أمام رب العالمين، الأولى ضحت بحياتها وهي مخطوبة وعرسها في الصيف، وفتاة متفوقة في دراستها، ولكن أرادت أن تهز كيان العدو، والفتاة الثانية من أجل مبلغ من الدولارات يسير باعت دينها، لذلك قال عليه الصلاة والسلام في آخر الزمان:

((بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنْ الدُّنْيَا قَلِيلٍ))

[أحمد عن أبي هريرة]

الأستاذ جمال:

لكن يكفينا فخراً في هذه الأمة دكتور راتب أن الأخيار مستعدون لأن يدفعوا حياتهم ثمناً للدفاع عن وطنهم وكرامتهم ومقدساتهم وهم الكثرة الغالبة، وإن كان بينهم قلة بالطبع هم غير ذلك، لكن كم هي مشرقة الصور التي نراها كل يوم، كل ساعة، عبر هذه الانتفاضة الباسلة انتفاضة الأقصى المبارك، صورة واحد من الفتيان، وأنت تعرف هذه الفتاة تذكرت صورة واحد من الفتيان فارس عودة الذي أخذ عهداً على نفسه أن يستشهد، وقد فعل ذلك بعد مرور أيام من استشهاد ابن عم له، استشهد قبله بأسبوع، منذ استشهاد ابن عمه قرر في نفسه أن يستشهد، وكان له ذلك، وهاجم دبابة إسرائيل وانقض عليها، والصورة ذكرتني بما سمعت عن صورة ليوسف العظمة في ميسلون حينما نفذت الذخيرة ونفذ السلاح من بين يديه انقض على دبابة للفرنسيين، وهذا صورة موجودة لدى الفرنسيين، لأنهم اعترفوا بأن هذه بطولة ما عرفوها لكن عرفناها نحن أيضاً من خلال هذه الانتفاضة الباسلة انتفاضة الأقصى المباركة، بعد أن ظن البعض أن البطولة انتهت من هذه الأمة، وانحسرت، وذهبت إلى غير رجعة، لكن هذه الأمة تؤكد يوماً بعد يوم بأنها ما زالت أمينة على البطولة، وإن كان هؤلاء الأعداء مزودين بأحدث آلات القتل والدمار.

المظلوم أقوى من الظالم إن ضحى بحياته اختياراً :

الدكتور راتب:

أنا سمعت بأذني تصريحاً لشارون يقول: كانت مشكلتنا الأمن، الآن مشكلتنا الوجود، أي هؤلاء الذين ضحوا بحياتهم ماذا فعلوا؟ ألغوا السلاح النووي، ألغوا إف 16، ألغوا الأباتشي، ألغوا هذا التفوق العملاق، لذلك مرة قال موشي ديان– وزير دفاعهم السابق– حينما جاء فدائي وفجر نفسه وقتل ستة عشر شخصاً، فدخل إلى الكنيست وهب النواب يلومونه، فقال ببساطة: ماذا أفعل مع إنسان جاء ليموت؟ أنا أقول: أقصى ما تملكه على المظلوم أن تزهق روحه، فإذا اختار هذا المظلوم أن يضحي بحياته باختياره أصبح أقوى من الظالم، و أقلق مضجعه .

خاتمة و توديع :

الأستاذ جمال:

والآن إن لم يعودوا إلى رشدهم هؤلاء الذين يقيسون بمقاييس مختلفة، هؤلاء الذين يفترون على الحقائق ويعكسونها، إن لم يعودوا إلى رشدهم أعتقد بأنهم سوف يدفعون بهذه الأمة جميعاً إلى الشهادة، وإلى البطولة، وإلى الفداء، وهي قادرة على ذلك دفاعاً عن الحق، وعن الكرامة، وعن الأرض، وعن المقدسات، لا اعتداء على أحد، وهي ما كانت يوماً تحب الاعتداء، وما اعتدت يوماً على أحد، واليوم يطول حديث البطولة والفداء وما أجمله في مناسبة كالتي نعيشها، وما أدعاه وأكثر ضرورته في ظروف كالتي نعيش، الشكر الجزيل للأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي، لك الشكر الجزيل .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (7-7) : مقتطفات من سور في القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

مشيئة الإنسان مشيئة اختيار ومشيئة الله مشيئة فحصٍ واختبار :

أيها الأخوة الكرام؛ في آخر سورة الدهر يقول الله عزَّ وجل:

﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا * نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا * إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾

[سورة الإنسان: 27-29]

هذه الآية تؤكد أن الإنسان مخير..

﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا* وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

[سورة الإنسان: 29-30]

الحقيقة مشيئة الإنسان مشيئة اختيار، لكن مشيئة الله عزَّ وجل مشيئة فحصٍ واختبار، الإنسان يختار، لكن الله سبحانه وتعالى يتفحَّص اختياره، فإن كان صادقاً في اختياره، ودفع ثمن اختياره، يشاء الله له ما شاء من طلبٍ للخير، لئلا نقع في سوء فهمٍ لهذه الآية، ولئلا نفهمها فهماً جبرياً ما أراده الله..

﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا* وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾

[سورة الإنسان: 29-30]



تماماً كما لو قدَّم طالبٌ طلباً يختار في طلبه كلية الطب، إدارة الجامعة تفحصت الطلب، مجموعه قليل، ترفض هذا الطلب، مجموعه مناسب، تقبل هذا الطلب، مشيئة الإنسان مشيئة اختيار، لكن مشيئة الله عزَّ وجل مشيئة فحصٍ واختبار. فمن كان صادقاً في اختياره، ودفع ثمن اختياره، الله سبحانه وتعالى يحقق له مراده في دخول الجنة. هناك نقطة دقيقة في آخر الآية:

﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾

[سورة الإنسان: 30]

لهذا الآية معنىً آخر: لولا أن مشيئة الله شاءت أن تشاؤوا لما شئتم، أنت الآن مخير، وهذا الاختيار سبب سعادتك في الدنيا والآخرة، هذه المشيئة التي تتمتع بها أيها الإنسان لولا أن الله شاء لك أن تكون ذا مشيئة، لما كنت ذا مشيئة..

﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

[سورة الإنسان: 30]

الآن توضِّح هذه الآية الأخيرة كيف أن مشيئة الله مشيئة فحصٍ واختبار..

﴿ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾

[سورة الإنسان: 31]

فمَن الذي أدخل في رحمته غير الظالمين؟ معنى هذا أن الله عزَّ وجل فحص مشيئتهم، فلما كانوا صادقين، وكانوا مستقيمين، أدخلهم في رحمته، هذه الآية دقيقةٌ جداً في تأكيد حرية الاختيار، وتأكيد أن مشيئة الإنسان لولا أن مشيئة الله شاءت له أن يشاء لما شاء، وليس هناك جنةٌ إلا بهذه المشيئة الحرة التي يتمتع بها الإنسان.

موافقة الدين للفطرة و مخالفته للطبع :

أيها الأخوة؛ في سورة النازعات آيةٌ تؤكد أن الإنسان في هذه الدنيا لا يرقى إلا إذا خالف طبعه، هناك آيات تؤكد أن هذا الدين وفق الفطرة، وآيات تؤكد أن تكاليف الدين يجب أن تعاكس الطبع. والحقيقة الطبع غير الفطرة، الطبع أقرب إلى الجسد، والفطرة أقرب إلى النفس، فتكاليف الدين مخالفةٌ للطبع - وقد ذكرت هذا مراراً - طبع الإنسان يميل إلى أن ينام، والتكليف أن يستيقظ ويصلي الفجر حاضراً، طبعه يميل إلى أن ينظر إلى النساء، لكن التكليف يأمره بغض بصره، طبع الإنسان يميل إلى قبض المال، والتكليف إلى إنفاق المال، طبع الإنسان يميل إلى الحديث عن عورات الناس، لكن التكليف يأمره أن يكفَّ لسانه عن الغيبة والنميمة، فكأن التكليف ذو كُلْفَة، والتكليف يتناقض مع طبع الإنسان. إذاً الإنسان لا يرقى إلى الله إلا إذا خالف طبعه، لكن الإنسان حينما يسلك طريق الإيمان، ويطيع الرحمن، ويتصل به، ترتاح نفسه، إذاً هذا الدين موافقٌ للفطرة ومخالفٌ للطبع، هذا معنى قوله تعالى:

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾

[سورة النازعات:40-41]

فالإنسان عنده غرائز وعنده عقل، العقل يأمره بطاعة الله، يأمره بالعمل للآخرة، والغريزة تأمره أن ينحرف إلى الدنيا.

لا معصية من دون تكليف :

في القرآن الكريم إشارات إلى القرابات، في هذه السورة - سورة عبس - قد يفهم الناس هذه السورة على خلاف ما أراد الله عزَّ وجل، النبي عليه الصلاة والسلام حينما عبس وتولى، الله عزَّ وجل وصف ولم يقيّم، وصف فقال:

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴾

[سورة عبس: 1]

ليس هناك تكليف، لا معصية من دون تكليف، لكن الله سبحانه وتعالى أظهر أن هذا النبي عليه الصلاة والسلام حينما خُيِّر بين أمرين؛ أمر سهل جداً عليه، أن يجلس مع أحد أصحابه، أو أن يجلس مع صناديد قريش الكفار المعاندين، اختار الأصعب رحمةً بهؤلاء، فلعل الله يهديهم، وترك هذا الصحابي الجليل عبد الله بن أم مكتوم لوقتٍ آخر، اختار الأصعب وعبَّر باختياره عن حبه لهداية الخلق.

لكن الله سبحانه وتعالى وصف حاله ولفت نظره إلى وضعٍ آخر قال:

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾

[سورة عبس: 1-2]

مادام لا يوجد تكليف لا يوجد معصية، والنبي اختار الأشد، لذلك قال العلماء: " إن الله سبحانه وتعالى لم يعتبْ عليه بل عَتِبَ له ". وفرقٌ كبير بين أن يعتَب عليه وبين أن يعتَب له، فالأب الذي يرى ابنه يقرأ ليلاً نهاراً يعتب له فيقول: كفاك قراءةً، اذهب ونم واسترح، هذا عتاب، لكن هذا العتاب يؤكد اجتهاد ابنه وتفانيه في الدراسة، فإذا صحَّ أن في هذه السورة عتاباً للنبي فهو عتابٌ له لا عليه، لأنه اختار الأصعب ولا معصية من دون تكليف.

إقحام سورة المطففين بين السور المكية لبيان عِظَمِ المخالفة التي يقع بها الناس :

ثم إن الله سبحانه وتعالى أقحم بين السوَر المكية التي تتحدث عن الكون، وعن الدار الآخرة، وعن كليات الدين، أقحم سورةً متعلقةً بحكمٍ فقهي، قال:

﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

[سورة المطففين: 1-6]

قال علماء التفسير: إن هذه السورة المتعلقة بحكمٍ شرعيٍ فقهيٍ في البيع والشراء، أقحمت بين السور المكية، لبيان عِظَمِ المخالفة التي يقع بها بعض الناس، فحقوق العباد مبنيةٌ على المشاحة، وحقوق الله عزَّ وجل مبنيةٌ على المسامحة.

وكل إنسان أيها الأخوة يتوهَّم إذا ذهب إلى الحج، أو إذا صام رمضان، أو إذا فعل بعض العبادات تسقط عنه ذنوبه كلها، هذا وهمٌ خاطئ، لا تسقط عنه إلا الذنوب التي كانت بينه وبين الله، لكن التي بينه وبين العباد لا تسقط إلا بحالين: بالأداء أو المسامحة. لو ذهبت إلى الحج، لو اعتمرت كل عام، لو صمت رمضان، لو صمت الاثنين والخميس.



لو صليت الأوابين وقيام الليل، مهما فعلت من عبادات حقوق العباد لا تسقط إلا بالأداء والمسامحة، لذلك قال تعالى:

﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾

[سورة الأحقاف: 31]

وهذه الـ(من) للتبعيض، أي أن الله عزَّ وجل يغفر لكم ما كان بينكم وبينه، لكنه ما كان بينكم وبين العباد لا يغفرها إلا العباد، فانتبهوا قضية حقوق العباد لا يوجد معها حل وسط إطلاقاً، لذلك ربنا عزَّ وجل في خضم السور المكية أقحم سورةً تتحدث عن حكمٍ فقهي..

﴿ وَيْلٌ ﴾

[سورة المطففين: 1]

أي الهلاك. أي الإنسان عندما يعتدي على حقوق الآخرين، حينما يعتدي على حقوقهم المادية أو الأدبية، أو حينما يعتدي على أعراضهم، فقد جعل الطريق إلى الله مقطوعاً..

﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴾

[سورة المطففين: 7-9]

بعضهم قال: مرقوم من الرَّقْم، أي من الصورة. وبعضهم قال: مرقوم من الرَّقَم. فإذا قلنا مرقوم من الرَّقْم أي أن كل مخالفةٍ ومعها صورتها، فإذا فتح الكتاب يوم القيامة الإنسان يرى المعاصي كلها وصورته في أثناء المعصية..

﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ﴾

[سورة الإسراء:14]

وإذا كان من الرَّقَم فهذه الصفحات لا يمكن أن ينتزع منها شيء، كلها مسلسلة.

رأس الحكمة مخافة الله :

وربنا عزَّ وجل في سورة البروج يقول:

﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ * ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ * فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾

[سورة البروج:14-16]

قبلها يقول:

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ * إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ * وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴾

[سورة البروج:12-14]

صفتان متناقضتان، أي إذا تبت إليه، وأقبلت عليه هو غفور ودود، يريك من وده ما لا يصدق، أي يعطيك من المودة، والتوفيق، والتيسير، والحفظ، والدعم، والطمأنينة، والسكينة، والبُشرى الشيء الكثير لأنه ودود. وإن أعرضت عنه، وأردت الدنيا، وكنت عدوانياً، وبغيت في الأرض..

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾

[سورة البروج:12]

أي عنده علاجاتٌ قد لا تحتمل، وهذا معنى قوله تعالى:

﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾

[سورة البقرة:286]

أحياناً تصاب بمَرَضين، أدوية المرض الأول تزيد من المرض الثاني، وأدوية المرض الثاني تزيد من المرض الأول، قد يجمع الله للإنسان الفقر والمرض، أو الفقر والقهر، أو الشقاء البيتي والشقاء الخارجي..

﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾

[سورة البقرة:286]

هناك أمراضٌ وبيلة، هناك أمراض لها آلام لا تحتمل، هناك إهاناتٌ، هناك فقرٌ، هناك ذلٌ، إلخ..

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾

[سورة البروج:12]

فكل إنسان لا يخاف الله عزَّ وجل هذا إنسان أحمق وغبي، ورأس الحكمة مخافة الله، وخوفك من الله يتناسب مع علمك به.

ضرورة توظيف الحظوظ و الطاقات في طاعة الله :

مرة ثانية في قوله تعالى في سورة الفجر:

﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾

[سورة الفجر: 15]



أيها الأخوة؛ كل الحظوظ التي يمنحها الله للإنسان بالتأكيد ليست نعمةً وليست نقمةً، إنها موقوفة على طريقة التعامل بها، فهذه الحظوظ إما أن ترقى بها، وإما أن تهوي بها. إذا وظفتها في الحق ترقى بها، وظفتها في الباطل تهوي بها..

﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ ﴾

[سورة الفجر: 15]

هو، هذه مقالته، والله لم يعترف بهذه المقالة..

﴿ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾

[سورة الفجر: 15]

والعوام دائماً إذا كان الواحد في بحبوحة مادية، وعمل، وسياحة، يقولون لك: الله يحب عبده فيريه ملكه. هذا كلامه هو..

﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴾

[سورة الفجر: 16]

ليس عطاء الله إكراماً إنما هو ابتلاء، وليس حرمانه إهانةً إنما هو دواء، وهذه الحظوظ البطل هو الذي يوظفها في طاعة الله، وظف مالَك، فراغك، صحتك، إمكاناتك، عقلك، لسانك، قلمك، مالَك، هذه حظوظ الدنيا، بيتك، زوجتك، أولادك، كل هذه الحظوظ وهذه الطاقات ينبغي أن توظَّف في طاعة الله.

نظام الدنيا نظام كدحٍ وسعي :

في سورة البلد يقول الله عزَّ وجل:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾

[سورة البلد: 4]

أي طبيعة الحياة الدنيا قائمةٌ على بذل الجُهد..

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾

[سورة الانشقاق: 6]

لكن طبيعة الحياة الآخرة قائمةٌ على الطلب..

﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا ﴾

[سورة ق : 35]

فقط الطلب، بل الخاطر وحده يكفي، لمجرَّد أن تختار شيئاً هو أمامك، هذا نظام الآخرة. لكن نظام الدنيا لابدَّ من كدحٍ، وسعيٍ، وتكبُّد مشقةٍ لأنها ثمن الآخرة، هذا معنى قول الله عزَّ وجل:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ * أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾

[سورة البلد: 4-5]

ذرَّة من دمه، نقطة من دمه إذا تجمَّدت في أي مكان في دماغه، إما أنه يفقد ذاكرته، أو يفقد حركته، أو يفقد سمعه، أو يفقد بصره، أو يفقد بعض حواسه الأساسية..

﴿ أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ * يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا * أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴾

[سورة البلد: 5-7]

أي كيف جمع هذا المال، بأية طريقةٍ؟ وكيف أنفقه؟ وما مصير هذا الإنفاق؟..

جوارح الإنسان من آيات الله الدالة عل عظمته :

﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴾

[سورة البلد: 8]

مئة وثلاثون مليون عصية ومخروط في الشبكية، تسعمئة ألف عصب ضمن العصب البصري الموحَّد، ثمانمئة ألف درجة من اللون العين السليمة تفرق بين درجتين..

﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا ﴾

[سورة البلد: 8-9]



كل حرف تسهم في صنعه سبع عشرة عضلة، إذا الكلمة تتكون من خمسة حروف، والجملة خمس كلمات، والخطبة عشرة آلاف كلمة أو خمسة آلاف كلمة، كم حركة للسان تحرّك؟..

﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾

[سورة البلد: 8-10]

قال ابن عباس: النجدان هما الثديان، فيهما حليبٌ دافئٌ في الشتاء باردٌ في الصيف، نسبته تتغير كل يوم وفق طاقة الطفل ونمّوه، عيارات يومية، فيه مناعة الأم، فيه مواد تمنع التصاق الجراثيم بالأمعاء، فيه أشياء لا تقدر بثمن، وهذا الحليب هديةٌ من الله عزَّ وجل، معقم، جاهز، أحياناً الطفل يبكي كثيراً بينما تغلي الحليب له وتبرده، لكن مع أمه جاهز، حليب معقم دافئ، جاهز للاستعمال الفوري، وأحد أسباب سرطانات الثدي عدم إرضاع الأم ابنها، لذلك حليب الأم لا يعدله حليب..

﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾

[سورة البلد: 8-9]

أما الشفتان فعلماء نفس الطفل يقولون: الإنسان حينما يولد لا يملك أي قدرات، ولا مهارات، ولا أي شيء إلا منعكس واحد هو منعكس المص، وهو منعكس معقَّد، لولا هذا المنعكس لما بقي أحدٌ منا على وجه الأرض، يضع شفتيه على حلمة ثدي أمه، ويحكم الإغلاق، ويسحب الهواء، الآن وُلِد من دون تعليم، هذا اسمه منعكس المَص، وهذه غريزةٌ تولد مع الإنسان.

﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾

[سورة البلد: 8-10]

من عبد شهوته فطريقه إلى الله غير سالك :

هنا الآية:

﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾

[سورة البلد: 11-13]

أي ما دامت رقبتك منقادةً للشهوات، فالطريق إلى الله غير سالك، العقبة الوحيدة التي إذا أزلتها صار الطريق إلى الله سالكاً هي الشهوات، فكَّ رقبتك من الشهوات، لذلك: " تعس عبد الدرهم والدينار، تعس عبد الفرج، تعس عبد البطن، تعس عبد الخميصة – الثياب – ". الإنسان مادام عبداً لشهواته فالطريق إلى الله غير سالك، إذا أزال هذه العقبة..

﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾

[سورة البلد: 11-16]

إذا فعل هذا، واقتحم العقبة، وفكَّ الرقبة، فكَّ رقبته من أسر الشهوات..

﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾

[سورة البلد: 17]

الإنسان عندما يستقيم ويصطلح مع الله، يحس أن جبالاً جاثمة على صدره أُزيحت، صار خفيفاً، إذا أرضى الإنسان ربه، وسار على منهجه، واصطلح معه يشعر بالطمأنينة، يحس بالأمن، يحس أن الله راضٍ عنه، يحس أن له عند الله مكانة كبيرة، يحس أن الله سيكرمه، هذا كله..

﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾

[سورة البلد: 17]

قانون التيسير و التعسير :

وفي سورة الليل، الإنسان إذا نظر إلى طريق مزدحم ؛ مزدحم بالأشخاص، والسيارات، كل إنسان يتحرك نحو هدفه، لو أتيح لنا أن نشق على صدور هؤلاء الناس، أو أن نفتح عقولهم كل إنسان بباله شيء؛ هذا ذاهب يعقد صفقة، هذا ذاهب يقيم دعوى على فلان، هذا ذاهب يتنزَّه، هذا ذاهب يحدث مشكلة، هذا يذهب لحلّ مشكلة، قال:

﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾

[سورة الليل: 4]

لكن السعي الناجح..

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾

[سورة الليل: 5-7]

ربنا عزَّ وجل بكلمات قليلة لخَّص الدين، قال:

﴿ أَعْطَى ﴾

[سورة الليل: 5]

المؤمن بالتعبير الحديث استراتيجيته العطاء، الكافر الأخذ. يا من جئت الحياة فأعطيت ولم تأخذ، أساس حياة المؤمن العطاء، يعطي من علمه، من ماله، من وقته، من خبرته، من جاهه، من خصائصه كلها، والكافر باني حياته على الأخذ، وعلى مصّ دم الآخرين..

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴾

[سورة الليل: 5]

أن يعصي الله عزَّ وجل، أي مع العمل الصالح يوجد استقامة..

﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾

[سورة الليل: 6]



آمن، إيمان، استقامة، عمل صالح..

﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾

[سورة الليل: 7]

ممكن أن تقول: هذه الآية فيها قانون التيسير، ألا تحب أن تيسر أمورك؟ ألا تحب أن تذلل العقبات أمامك؟ قال:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى* وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ ﴾

[سورة الليل: 5-8]

بنى حياته على الأخذ..

﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴾

[سورة الليل: 8]

عن طاعة الله، أي عصاه..

﴿ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴾

[سورة الليل: 9]

هذا الدين رفضه، رفض الجنة، رفض عطاء الله عزَّ وجل، رفض الإيمان، قال:

﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾

[سورة الليل: 10]

أمامه مطبات، ومصائب، ومضايقات، وإحباطات، ومشكلات.. إلخ. هذه الآية فيها قانون التيسير والتعسير، فلا تقل حظ، بل قل: توفيق الله عزَّ وجل، الإنسان إما موفقاً أو غير موفق، بإيمانه بالله، واستقامته على منهجه، وعمله الصالح يوفق في أعماله الدنيوية والأخروية، وبكفره بالله، وتفلُّته من منهج الله، وأعماله السيئة تُعَسَّر أموره وتجعل العقبات أمامه.

العمل ينطق بتقييم صاحبه إن خيراً فخير وإن شراً فشر :

يوجد آية دقيقة جداً في سورة العلق، قال:

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْداً إِذَا صَلَّى ﴾

[سورة العلق: 9-10]

الآية انتهت، فماذا رأينا؟ هذا الذي ينهى عن الصلاة انظر إلى أخلاقه، انظر إلى أمانته، انظر إلى علاقاته الخاصة، انظر إلى بيته، انظر إلى عمله، أعماله السيئة دليل أنه جاهل، أنه كاذب..

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْداً إِذَا صَلَّى ﴾

[سورة العلق: 9-10]

إنسان آخر:

﴿ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ﴾

[سورة العلق: 11]

انظر إلى أمانته، إلى استقامته، إلى صدقه، إلى تواضعه، إلى إنصافه، إلى حبه للخير، إلى رحمته، فالأهم من الكلام العمل، العمل ينطق بتقييم صاحبه إن خيراً فخير، وإن شراً فشر..

ضرورة طلب العلم لأنه يؤكد إنسانية الإنسان :

وأما ليلة القدر فقد قال الله عز وجل:

﴿ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾

[سورة القدر: 3]

والألف شهر ثمانون عاماً، ثمانون عاماً من العبادات؛ صيام، وصلاة، وحج، وزكاة، من دون معرفة لله عزَّ وجل، يفوقها لحظةٌ واحدة تقدِّر الله حق قدره، أي..

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

[سورة فاطر: 28]

" فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم".. "كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب".. "لعالم واحد أشدّ على الشيطان من ألف عابد"، فرقٌ كبير بين أن تكون عالماً وبين أن تكون عابداً، والعلم فرض عينٍ على كل مسلم، لذلك:

﴿ ليلَةُ الْقَدْرِ ﴾

[سورة القدر: 3]

أي في الليلة التي تقدِّر الله فيها حق قدره لقوله تعالى:

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾

[سورة الأنعام: 91]

إذا إنسان مثلاً يملك مئة مليون، أنت تظنه يملك مئة ألف، فهل قدرته حق قدره؟ إذا إنسان معه دكتوراه، وأنت ظننته يقرأ ويكتب فقط، فهل قدرته حق قدره؟ من قدر الله حق قدره هذا هو العلم، لذلك الإنسان إذا لم يطلب العلم يكون قد تخلى عن إنسانيته.. " لا خير في الحياة إلا لعالمٍ ناطق، ومستمعٍ واعٍ ".. " كن عالماً، أو متعلماً، أو مستمعاً، أو محباً، ولا تكن الخامسة فتهلك ".

حينما تطلب العلم تؤكد إنسانيتك، الله ميزك عن كل المخلوقات، بالوزن يوجد أوزن منك، بالبصر الصقر يرى ثمانية أضعاف ما يراه الإنسان، بالشم بعض الحيوانات تشم مليون ضعف عن الإنسان، الكلاب البوليسية. فبالشم، بالسمع، بالبصر، بالوزن، بالحجم، بالسباحة، بالطيران، أية صفةٍ يمتاز بها الإنسان هناك حيوانٌ أعجم يفوقه بها، لكن الإنسان ميزه الله بالقوة الإدراكية، فإذا عطلها، أو استخدمها و أساء استخدامها، فقد هبط عن مستوى إنسانيته، لذلك:

﴿ ليلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾

[سورة القدر: 3]



والإنسان يجب بعد رمضان أن يطلب العلم، ويطلب العلم بشكل حثيث حتى يرتفع لمستوى إنسانيته.

سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام التقى مع أعرابي قال له: " عظني ولا تطل؟ قال له: قل: آمنت بالله ثم استقم، قال: أريد أخف من ذلك، قال: إذاً فاستعد للبلاء" إما أن تستقيم على أمر الله أو فاستعد للبلاء.

أعرابي آخر قال له: عظني ولا تطل. فقال له:

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾

[سورة الزلزلة:7-8]

قال له: كفيت. فقال عليه الصلاة والسلام: فقه الرجل.

ما قال: فقِه أي علم الحكم، فقُه صار فقيهاً، فالأعرابي فقه من آية واحدة، والنبي لا ينطق عن الهوى يقول: فقُه الرجل، ونحن أمام ستمئة صفحة من كتاب الله، ثلاثون جزءاً، مئة وأربع عشرة سورة نقرؤها، آيةٌ واحدة تكفينا..

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾

[سورة النساء:1]

تكفي هذه الآية.

﴿ وَالْعَصْرِ﴾

[سورة العصر : 1]

تكفي هذه الآية، إذاً:

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾

[سورة الزلزلة:7-8]

بطولة الإنسان أن يعرف الله قبل فوات الأوان :

أما التكاثر أيها الأخوة فأن تشتغل بالسفيه عن النفيس، أن تشتغل بالشيء الخسيس وأن تنسى النفيس، فجمع المال بالنسبة إلى مقامات الآخرة شيءٌ خسيس، قال:

﴿ أَلهاكُمُ التَّكاثُرُ * حَتّى زُرتُمُ المَقابِرَ ﴾

[سورة التكاثر: ١-٢]

يأتي الموت فينتزع منك كل شيء في ثانيةٍ واحدة، قال:

﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة التكاثر: 3-4]

فالإنسان لابد من أن يعلم، لكن بطولته أن يعلم قبل أن يعلم، أن يعلم وهو في الدنيا؛ وهو في صحته، وماله، وقوته، وأوْجِهِ قبل أن يعلم بعد فوات الأوان..

﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾

[سورة التكاثر: 3-6]

الترابط بين الخُلُق القويم و التدين الصحيح :

آخر آية:

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴾

[سورة الماعون: 1]

هو نفسه..

﴿ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴾

[سورة الماعون: 2]

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾

[سورة القصص: 50]

هذا الترابط بين الخُلُق القويم وبين التدين الصحيح، إذا لم يكن هناك ترابط بين الخلق القويم والتدين الصحيح فهناك خلل في الدين.

سورة النصر نعوة النبي عليه الصلاة والسلام :


سورة النصر نعوة النبي تعلن بقرب وفاته

ثم يقول الله عزَّ وجل:

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ* وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾

[سورة النصر: 1-3]

هذه نعوة النبي عليه الصلاة والسلام، العظماء حينما يحققون أهدافهم، ويبلغون رسالات ربهم، تنتهي مهمتهم، فهذه السورة فهمها ابن عباس رضي الله عنه على أنها نعوة النبي عليه الصلاة والسلام.

وضع الإنسان عند الموت يلخص كل حياته :

وأما:

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ*مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾

[سورة المسد: 1-2]

فأبو لهب لو قال: أشهد أن لا إله إلا الله لأبطل القرآن، لكن الله سبحانه وتعالى إذا أراد إنفاذ أمرٍ أخذ من كل ذي لب لبه، وعلم الله أنه لن يؤمن، لذلك ما تمكن أن ينطق بالشهادة، والإنسان وضعه عند الموت يلخِّص كل حياته، يقول لك: ما تشاهد؟! لأنه قضى كل حياته بالمعاصي، لا يمكن أن ينطق بالشهادة، فالله سبحانه وتعالى يلهم العبد عند نزع روحه بسلوكٍ يلخص كل حياته، " يشيب المرء على ما شبّ عليه، ويموت على ما شاب عليه، ويحشر على ما مات عليه ".

الشيطان إذا وسوس سمَّاه الله خنَّاساً، الوسواس الخناس، لمجرد أن تقول: يا رب أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ينتهي فعل الشيطان، لا يملك إلا الوسوسة، وبالاستعاذة بالله تنتهي هذه الوسوسة.

والحمد لله رب العالمين

الفهرس